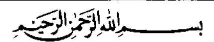
ثقافة المسلمين

إعداد

زبيدة بنت محمد البرادعي

دار القلم



ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البرادعي ، زبيدة محمد
نقاوة المسلمين : علاقته بربه سبحانه / زبيدة محمد البرادعي
الرياض، ١٤٢٦هـ
٤٠٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٦ - ٦٤ - ٧٣٠ - ٩٩٦٠
١- الوعظ والإرشاد ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٢ ٣٩٩٧ / ١٤٢٦

رقم الإيداع : ٣٩٩٧ / ١٤٢٦
ردمك : ٦ - ٦٤ - ٧٣٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

العنوان : الرياض - طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون
للمراسلات الرمز البريدي ١١٤٤٢ - ص. ب ٦٣٧٣
الرياض هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠
فرع جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١
فرع بريدة هاتف ٣٢٦٢٨٨٨ فاكس ٣٦٩٢٨٨٨
فرع الدمام هاتف ٨٤٣١٠٠٠ فاكس ٨٤١٣٠١١
■ البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com
■ موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com



مقدمة الناشر

الحمد اللّٰه، والصلاة والسلام على رسول اللّٰه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد:

لقد صدرت في الأونة الأخيرة كتبٌ وإصدارات عديدة، تهتم بتوجيه السلوك الإنساني في شتى المجالات، من أجل الارتقاء به إلى مرتبة الإحسان والإتقان، ومن أجل تحقيق النجاح في الحياة.

ويؤخذ على هذه الإصدارات أحد عيبين:

فهي إمّا أن توجه القارئ إلى الالتزام بكثير من الفضائل الأخلاقية والقيم الرفيعة، ولكن مبتورةً ومنقطعةً عن أصلها العقدي وقاعدتها الشرعية.

وإمّا أن تسوق إلى المسلم توجيهات شرعية أخلاقية، ولكن تعيش داخل جدران النصوص وتأبى أن تتفاعل مع حرارة الإيمان في قلب المؤمن أو مع واقعه الاجتماعي المتغيِّر.

وفي هذا السياق يجيء كتابُنا: (نقاوة المسلمين) وسطاً عدلاً بين هذين التيارين، ومتفوِّق عليهما معاً، إذ يستند إلى قاعدة الشرع المحكم، متفاعلاً مع وجدان المسلم وضميره وشعوره، ومتجاوباً كذلك مع مشاغله وهمومه.

تتناول الكاتبة ـ عبر الأجزاء الخمسة لهذا الكتاب ـ سائر العلاقات التي يرتبط بها المسلم في حياته، والتي تتمثل فيما يلي:



الجزء الأول: علاقته بربه سبحانه.

الجزء الثاني: علاقته بوالديه ورحمه.

الجزء الثالث: علاقته مع نفسه.

الجزء الرابع: علاقته بزوجته وأبنائه.

الجزء الخامس: علاقته مع إخوانه ومجتمعه.

وتتميز الكاتبة بأسلوبها المتنوِّع ما بين الدقة في العبارة، والرشاقة في الفكرة، وشيء من الإثارة، فهنا همسة دافئة لطيفة، وهناك فائدة نافعة طريفة، وثمَّة تتناثر باقات من النصح الجميل، فقارئ هذا الكتاب موعودٌ ـ بإذن الله ـ بالمتعة والفائدة اللتين قليلاً ما تجتمعان في كتاب.

نسأل الله أن ينفع به، ويكتب له القبول، ويجزي كاتبته خير الجزاء على ما بذلته من جهد مبارك ـ إن شاء الله ـ في تقرير معانيه وتحرير مبانيه.

الناشر


الجزء الأول
علاقته
بربه سبحانه



علاقته بربه سبحانه

١ـ لنفسية الإنسان تأثير مباشر على سلوكه وتصرفاته. . فكم من بشر رآهم تعساء. . مع أنهم يملكون الثراء والشهرة. . يتعجب منهم. . وقد لا يصدق تعاستهم في كثير من الأحيان. . لأنه يراها بلا مبرر مقبول. . ولكنه أدرك أن الحقيقة غير ذلك. . فهم بالفعل قد يكونون تعساء. . لأنهم فقدوا أهم شيء يجلب السعادة للجميع. . وهو الإيمان. . والاتزان. . والاستقرار النفسي. . .

٢ـ لذلك. . فهو يعلم أن أول ما يُطلب منه كمسلم. . أن يكون مؤمناً بالله ـ تعالىٰ ـ حق الإيمان. . وثيق الصلة به. . دائم الذكر له والتوكل عليه. . يستمد منه العون. . مع أخذه بالأسباب. . ويحس في أعماق نفسه أنه دائماً بحاجة إلىٰ قوة الله ـ تعالىٰ ـ وعونه وتأييده. . مهما بذل من جهد. . ومهما اتخذ من أسباب. . .

٣ـ همّه مرضاة ربه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ. . في كل خطوة من خطواته. . وفي كل عمل من أعماله. . يزنها بميزان رضاء الله ـ تعالىٰ ـ. . فما رجحت به كفةُ الميزان قبله ورضي به. . وما مالت به الكفة تركه وأعرض منه. . فلا يقعُ في متناقضات. . بأن تراه يطيع الله ـ تعالىٰ ـ في أمر ويعصيه في آخر. . أو يحل الشيء في مكان ويحرمه في مكان آخر. . .

إنه ليس لديه مجال للتناقض. . مادام منهجه واضحاً. . ومقاييسه ثابتة. . مستهدياً في ذلك كله بقوله ﷺ: **«من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلىٰ الناس»** . . .

٤ ـ صاحبُ رسالة في هذه الحياة. . يبذل جهده لتحقيقها. . فهي وحدها التي تجعل حياته ذات معنىٰ. . تعطيه هوية الانتساب إلي المسلمين الصادقين. . يُطبق منهج الله ـ تعالىٰ ـ في الحياة. . ويعلي كلمة الله ـ تعالىٰ ـ في الأرض. . لا يكون الحكم إلا لله ـ تعالىٰ ـ وحده في كل شؤون الحياة. . حياته. . وحياة

أسرته.. ومجتمعه.. فلا طعم لحياته إلا بذلك.. ولا معنى لوجوده إلابرسالته.. والاطمئنان إلى رضوان الله - تعالى - إلا بالعمل المتواصل على تحقيقها.. لايمنح ولاءه إلا لها.. ولا يرفع رايةً إلا رايتها.. لا يلتزم بعقيدة سواها.. يستقر ذلك في ضميره.. ويكون بها منطلقه.. يبتغي وجه الله - تعالى - .. فتكون أعماله كلها عبادة.. مادامت نيته في حركته كلها.. أنه يعمل في سبيل الله - تعالى - ...

٥- يرضى بما يصيبه في سبيل الله - تعالى - .. ألذ الأشياء عنده.. ما فيه رضا ربه - سبحانه - .. ولو كان في ذلك هلاك نفسه.. المطمئنة لما أصابها في الله - تعالى - .. وفي مرضاته ومحبته.. الراضية بما يجري عليها من مقاديره - سبحانه - .. ولما يختاره لها.. إنه يدرك عدل الله - تعالى - .. وحكمته.. ورحمته.. وحسن اختياره.. وكلما زادت معرفته بالله - تعالى - .. ازداد إدراكه.. ورضاه بحكمه - سبحانه - .. فتقرُّ عينه.. ويحيا في جنة الدنيا.. ثم رضوانٌ من الله أكبر.. وملك عظيم...

٦- يكثر من ذكر الله - تعالى - .. لا يفتر عنه لسانه.. ولا يخلو منه قلبه.. فإنَّ من أحب شيئاً أكثر من ذكره.. يذكره - سبحانه - على جميع أحواله.. في أمنه وخوفه.. عند رغبته وعند رهبته...

من صدق محبته.. يسبق ذكر الله - تعالى - إلى قلبه ولسانه عند أول يقظة من منامه.. ويكون آخر ما ينام عليه.. يذكر الله - تعالى - خالياً فتفيض عيناه.. ويرقُّ قلبه خشية منه - سبحانه - .. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]...

يأسف على ما يفوته من ذكر الله - تعالى - .. ويجد لفواته ألماً عظيماً.. أعظمَ من التألم لفوات مال أو فقده.. ويبادر إلى قضائه في أقرب وقت.. تقول عائشة - رضي الله عنها - .. كان رسول الله ﷺ: **«إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أومرض صلى من النهار اثنتي عشر ركعة»**...

٧ـ يحب لقاء الله ـ تعالىٰ ـ في الجنة . . فإن القلب لا يحب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته . . وهو يعلم أنه لا وصول إلىٰ ذلك . . إلا بالارتحال عن الدنيا ومفارقتها . . «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» . . فهو يذكر الموت دائماً . . لأنه موعد اللقاء . . وهو لا ينسىٰ هذا الموعد . . بل يحبه ليتخلص من دار العصاة وينتقل إلىٰ جوار رب العالمين . . .

٨ ـ أنسه بالخلوة . . ومناجاة الله ـ تعالىٰ ـ . . وتلاوة كتابه . يواظب علىٰ التهجد . . يغتنم هدوء الليل . . وصفاء الكون . . ليتنعم بمناجاة ربه ـ سبحانه ـ . . عندها يوقن بصدق محبته . . وعندها يشعر أن ذلك ألذ عنده وأطيب من النوم أو الانشغال بالحديث . . .

عبادته لله ـ تعالىٰ ـ . . طوعاً . . ومحبةً . . ورضا . . فبها تُقرُّ عينه . . ويُسَرُّ قلبه . . وتبتهج روحه . . قال ﷺ . . «**جُعلت قرة عيني في الصلاة**» . . قد تعترضه آفات . . وفتور . . ولكنه بالمصابرة والصدق فيه . . سيصل . . وحينئذ يصير نعيمه في سيره . . ولذته في اجتهاده . . ويكون عذابه في فتوره ووقوفه : أشدُّ الأشياء عليه ضياع شيء من وقته . ووقوفه عن سيره . . .

يزن مدىٰ إيمانه ومحبته لربه ـ سبحانه ـ . . حين يغلب عليه الأنس بالله تعالىٰ . . وحين تصير الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع عنه جميع الهموم . . .

٩ـ حينما تكون الصلاة قرة عينه . . يناجي فيها من لا تَقَرُّ العيون إلا به . . ولا تطمئن ولا تسكن النفس إلا إليه . . يقف بين يديه . . ويتلذذ بالخضوع له . . والقرب منه . . يركع خاضعاً له ـ سبحانه ـ . . ويرفع مبتهلاً إليه . . يسجد فيكون فيه أقرب ما يكون إلىٰ ربه ـ سبحانه ـ . . يتضرع ويدعو منيباً إليه . . وحين ينصرف منها . . يجد خفة في نفسه . . ويحس بأثقال قد وضعت عنه يستشعر نشاطاً وراحةً وروحاً . . يتمنىٰ أنه لم يكن خرج منها . . لا يزال يشعر أنه في ضيق حتىٰ يدخل فيها . . فيستريح بها . . لا منها . . فهي جنة قلبه . . ومستراحه من الدنيا . . .

يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالى - . (. . فالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة، والغافل المعرض ليس له نصيب من ذلك، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه، إذا قام فكأنه على الجمر حتى يتخلص من واجب الصلاة يعجلها ويسرعها، فهو ليس له قرة عين فيها ولا لقلبه راحة بها). . .

١٠ - الباعث له على الصلاة ليس حظاً من حظوظ الدنيا، إنما ابتغاء وجه الله - تعالى - . محبة له. . وخوفاً من عذابه. . وطلباً لمغفرته. . وثوابه. . يستفرغ الجهد في إقباله على الله - تعالى - . لا يلتفت قلبه عنه إلى غيره. . يؤديها على أكمل وجه وأفضله. . يصلي كما كان يصلي رسوله ﷺ. . فهو قدوته في كل أموره. . حين أمره الله - تعالى - بطاعة رسوله ﷺ واتباعه وحده ولم يأمر باتباع غيره. . مدركاً أن الله - تعالى - يسأله عن ذلك. ويطالبه. . بالجواب. . ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. . .

يتعبد لله - تعالى - في صلاته كأنه يراه فوق سمواته. . مستوياً على عرشه. . يشهد ذلك بقلبه. . ويشهد أسماءه وصفاته. . ويشهده قيوماً. . سميعاً. . بصيراً. . حكيماً. . يحب. . ويغضب. . لا يخفى عليه شيء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. . .

يدرك أن الله - تعالى - هو الذي وفقه للقيام بين يديه وأعانه على ذلك. . ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]. . وأن له - سبحانه - المنة أن هداه لهذا العمل وكل عمل صالح. . فيزول عن قلبه العجب بعمله. . والاستكثار به بين الناس. . والترفع عليهم به. . ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. . ويعلم أنه مهما اجتهد وبذل وسعى. . فهو مقصر. . وأن حق الله - تعالى - أجل وأعظم. . .

يستغفر الله - تعالى - بعد كل عمل. . وكلما أكثر من الطاعة. . أكثر من التوبة والاستغفار. . قال ﷺ: **«سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدخل أحداً الجنة عمله»**. . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»**. . .

يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: (للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفِّه حقه شدِّد عليه ذلك الموقف)...

١١- ينكسر قلبه بين يدي الله - تعالى -.. يخضع.. ويتذلل. ويُخبت.. وينطرح بين يديه.. ويستسلم له.. فما أقرب الجبر من قلبه المكسور!.. وما أدنى النصر والرحمة والرزق من نفسه المخبتة.. يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: (.. وأحبُّ القلوب إلى الله - سبحانه وتعالى -.. قلبٌ قد تمكنت منه هذه الكسرة وملكته هذه الذلة).. يدرك أن ذلك هو حقيقة العبودية.. التي ينال بها رضا الله - سبحانه - وقربه والدنو منه والزُّلفَى لديه، حين يمتلىء قلبه من محبة ربه - سبحانه -.. ويلهج لسانه بذكره - سبحانه -.. وتنقاد جوارحه لطاعته - سبحانه -.. حين تصير إرادته المحبة مكان إرادته المعصية.. والتقرب إليه وإلى مرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه.. وتحرك لسانه وجوارحه بالطاعات مكان حركتها بالمعاصي...

يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: (إن هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله وترميه على طريق المحبة، فيُفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذا الطريق وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تَفتح للعبد أبواباً من المحبة، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم.. نوع آخر وفتح آخر)...

١٢- يزهد في الدنيا.. يخرجها من قلبه. لا يلتفت إليها. وإن كانت في يده.. يعلم أنها زائلة.. وخيال زائر.. وأنها كما قال الله - تعالى - فيها: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا** ﴾ [الحديد: ٢٠].. يعلم أن وراءها داراً أعظم منها وأجل.. هي دار البقاء.. «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ**

ما يجعل أحدُكم أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع» . . يعلم أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له فيها . . وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقضَ له منها . . وبهذا اليقين يهون عليه الزهد فيها . . فلا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود . . يستوي عنده ذامه ومادحه . . فتجده أكثر الناس راحة في القلب والبدن . . وأطيبهم نفساً . . .

يدرك أن الرغبة في الدنيا تشتت القلب . . وتبدد الشمل . . وتطيل الهم والغم والحزن . . عذاب حاضر يؤدي إلى عذاب منتظر . . .

١٣ ـ يدرك كثيراً من نعم الله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النحل: ١٨] . . يدرك نعمة الله ـ تعالى ـ عليه بحفظه وحراسته مما يؤذيه بالليل والنهار . . ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ** ﴾ [الأنبياء: ٤٢] . . لا حافظ له غيره . . مع غناه ـ سبحانه ـ عنه . . وفقره هو التام إلى الله ـ سبحانه ـ، فإنه ـ سبحانه ـ غني عن خلقه من كل وجه . . وهم فقراء محتاجون إليه من كل وجه . . **«ما أحدٌ أصبر على أذىً سمعه من الله: يَدَّعُون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم»** . . .

يشاهد خلق الله ـ سبحانه ـ وما سخر للناس في السموات والأرض . . ثم ينظر إلى تكريمه ـ سبحانه ـ لهم . . أرسل الرسل إليهم . . وأنزل عليهم كتبه . . وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا . . كتب لهم بكل حسنة يعملونها عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . . وكتب لهم بالسيئة واحدة، فإن تابوا منها محاها وأثبت مكانها حسنة . . وإذا بلغت ذنوب أحدهم عنان السماء ثم استغفره غفر له . . ولو لقيه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة . . .

يتأمل في التوبة . . التي شرعها الله ـ تعالى ـ لتهدم الذنوب . . وكيف وفقهم لفعلها ثم قبلها منهم . . شرع لهم الحج الذي يهدم ما قبله . . ووفقهم لفعله . . ثم قبله منهم وكفر عنهم سيئاتهم به . . وشرع لهم من الطاعات والقربات وهو ـ سبحانه ـ الذي أمرهم بها . . وخلقها لهم . . وأعطاهم إياها . .

ووفقهم لفعلها.. ورتب عليها جزاءها.. منه السبب. ومنه الجزاء.. ومنه التوفيق.. ومنه العطاء.. أولاً وآخراً...

يتأمل ذلك كله ويشاهده.. فيدعوه ذلك إلى محبته ـ سبحانه ـ أعظم الحب وأكمله.. فبقدر نظره وتأمله للنعم والبر والإحسان من ربه ـ سبحانه ـ.. تكون قوة محبته...

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ: (فانظر إلى هذه العناية وهذا الإحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب إلى العباد واللطف التام بهم، ومع هذا كله بعد أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه، وتعرَّف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه.. ينزل كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا يسأل عنهم ويستعرضُ حوائجهم بنفسه، ويدعوهم إلى سؤاله فيدعو مسيئهم إلى التوبة ومريضهم إلى أن يسأله أن يشفيه، وفقيرهم إلى أن يسأله غناه وذا حاجتهم يسأله قضاءها كل ليلة.. ويدعوهم إلى التوبة، وقد حاربوه وعذبوا أولياءَه وأحرقوهم بالنار... ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]...

١٤ ـ يغار الله ـ تعالى ـ.. ويغضب لمحارمه إذا انتهكت.. ولحقوقه إذا تهاون بها أحد.. **«إنَّ الله يغارُ وإن المؤمن يغارُ، وغَيرةُ الله أن يأتي المؤمنُ ما حرَّم عليه»**.. غيرةٌ تدل على مدى حبه لله ـ تعالى ـ.. غيرةٌ إذا ترحَّلت من القلب ترحلت منه المحبة.. بل ترحَّل منه الدين.. وإن بقيت آثاره.. غيرةٌ تحمله على الجهاد.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛. غيرةٌ إن خلت من القلب.. لم يجاهد.. ولم يأمر بمعروف.. ولم ينه عن منكر.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]...

١٥ ـ قال ﷺ: **«ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في**

الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقىٰ في النار» . . ولذلك فهو يحب الله ـ تعالىٰ ـ حباً يجد حلاوته في قلبه . . وسروراً في نفسه . يبعثه علىٰ دوام السير إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . وإذا لم يجد هذا السرور أو شيئاً منه . . اتهم إيمانه وأعماله . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإن الرب شكور . . لا بد أن يثيب العامل علىٰ عمله في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه . . وقوة انشراح وقرة عين . . فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول . .) . . .

١٦ ـ دائم الذكر لله ـ تعالىٰ ـ . . موقناً أنه سيجد ذلك أحوج ما يكون إليه . . عند خروج روحه . . وأنه إذا انشغل بغير ذلك في حياته وصحته . . فسيعسر اشتغاله بالله ـ سبحانه ـ وبذكره عند الموت . . ما لم تدركه عناية الله ـ سبحانه ـ . . لأجل ذلك ألزم قلبه ولسانه ذكر الله ـ تعالىٰ ـ حيثما كان . . لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الابد . . .

١٧ ـ يعلم أن المصائب لازمة للعبد . . لا محيد له عنها . . ولكنه يجد في محبته لله ـ تعالىٰ ـ ما ينسيه المصائب . . لا يبالي بما فاته . . ولا يجزع علىٰ ما لم ينله . . إنه يجد في الله ـ تعالىٰ ـ عوضاً عن كل شيء . . فهو كما يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً: وهذه جنة عاجلة قبل جنة الآجلة . .) . . .

١٨ ـ يحرص دائماً . . علىٰ أن يكون همه واحداً: عبادة الله ـ تعالىٰ ـ وحده . . وطاعته . . والإخلاص له . . اجتمعت همومه كلها . . وصارت هماً واحداً . . مرضاة الله ـ تعالىٰ ـ . . لم يتشعب قلبه في كل واد وطريق . . بل جمع إرادته . . وأفكاره . . وصيَّر حبه . . وشوقه إلىٰ اللقاء . . وأنسه بالقرب . . لله ـ تعالىٰ ـ . . فهو المستولي عليه . . وعليه تدور كل مقاصده . . حتىٰ خطرات قلبه . . يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (. . فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر،

وبه يبطش وبه يمشي، وبه يتحـرك وبه يسكن، وبه يحيـا وبه يموت، وبه يبعث. . فهو في جنة عاجلة قبل الجنة الآخرة وفي نعيم عاجل. .). . .

١٩ـ يتبع هدىٰ النبي ﷺ. . بترديده أذكار النوم. . فتبيت معه الملائكة. . وكلما تحرك في فراشه دعت له قائلة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه. . إن ثلث حياته نوم. . وبذلك فهو يستغل هذا الثلث أيضاً من حياته في عبادة الله ـ تعالىٰ ـ. .

ويحقق معنىٰ العبودية الشامل لله ـ تعالىٰ ـ. . بالتزامه بطريقة رسول الله ﷺ. . في المأكل. . والملبس. . والمشــرب. . والنكاح. . وفي كل مناحي الحياة. . فتكون حياته كلها عبادة وطاعة. . في الدقيق والجليل من الأعمال. . .

يستيقظ من نومه ويردد أذكار الاستيقاظ: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». . يتذكر بذلك يوم البعث. . فيبقىٰ دائم الارتباط بالله ـ تعالىٰ ـ. . دائم الطاعة. . دائم الشكر. . حياته حياة طهر ونشاط وبركة. . ذكر مستمر. . وشكر متصل. . .

٢٠ـ مطيع لله ـ تعالىٰ ـ. . في أمره كله. . وقَّاف عند حدود الله ـ تعالىٰ ـ، ممتثلاً أمره ولو خالف هواه. . منصاعاً لهديه ولوجاء علىٰ غير مزاجه. . محل إيمانه. . انصياعه لأوامر الله ـ تعالىٰ ـ. . ورسوله ﷺ في كل كبيرة وصغيرة. . ومن غير تحفظ. . ولا احتراس. . ولا استثناء. . ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. . .

٢١ـ يقظ القلب. . منفتح البصيرة. . متنبه إلىٰ بديع صنع الله ـ تعالىٰ ـ في الكون. . يرىٰ آثار قدرته. . في كل ومضة من ومضات الحياة. . وفي كل مشهد من مشاهد الكون. . فيزداد إيماناً. . وذكراً لله ـ تعالىٰ ـ. . وتوكلاً عليه. . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩٠ـ١٩١].

٢٢ ـ قد تغشاه أثارة من غفلة . . فيقع في تقصير . . لا يليق بالمؤمن البصير . . لكنه سرعان ما يتذكر . . وينتبه . . وينتفض من غفلته . . وينخلع من تقصيره . . ويستغفر . . ويرجع إلىٰ ربه ـ سبحانه ـ . . نادماً . . فالغفلة لا ترين علىٰ قلبه . . قلب خفق بحب الله ـ تعالىٰ ـ وتقواه . . ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] . . .

٢٣ ـ راضٍ دوماً بقضاء الله ـ تعالىٰ ـ وقدره . . يضع نصب عينيه . . قول الرسول ﷺ: **«عجباً لأمر المسلم، إن أمره كله خير: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»** . . .

يوقن من أعماقه . . أن إيمانه بقضاء الله ـ تعالىٰ ـ وقدره ركن من أركان الإيمان، وأن ما يصيبه في هذه الدنيا ما كان ليخطئه . . وأن رضاه بذلك يكسبه الأجر العظيم . . ويُكتب عند الله ـ تعالىٰ ـ من الطائعين الفائزين . . فتراه إن أصابته سراء لهج لسانه بالشكر والحمد لرب العالمين . . وإن أصابته ضراء صبر امتثالاً لأمر الله ـ تعالىٰ ـ ورضاً بقضائه وقدره . . وفي كلا الحالين خير له . . وأيُّ خير! . . .

٢٤ ـ صلاته . . صلة بينه وبين ربه ـ عز وجل ـ ينقطع فيها عن شواغل الحياة . . يتجه بكيانه كله إلىٰ رب العالمين . . يؤديها بتمامها . . لا مجرد قيام وقعود وحركات . . والذهن شارد . . والنفس مشغولة . . والقلب خواء . . بل يؤديها بخشوع ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً . . كيف لا . . وهو في لقاء مع رب العالمين . . الذي يستمد منه الهداية والتسديد . . **«ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها: إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرةٌ وذلك الدهرَ كله»** . . .

لا ينتهي من صلاته لينغمر في شواغل الحياة . . بل له بعد الصلاة . . استغفار . . وأذكار . . وتسبيحات . . يدعو الله ـ تعالىٰ ـ من أعماق قلبه . . أن يهيئ له خير الدنيا والآخرة . . فيرق قلبه . . وتصفو روحه . . وتتزكىٰ نفسه . . لا يجزع إذا مسه شر . . ولا يمنع إذا غمره خير . . ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ

هلُوعًا ﴿١٩﴾ إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢] . . .

٢٥ ـ كلما سمع النداء . . حرص على الجماعة . . والصف الأول في المسجد . . لا يشغله عن ذلك شيء . . سواء كان في عمله . . . أو في السوق . . أو في الطريق . ناظراً إلى قول الرسول ﷺ : **«من غدا إلى المسجد أو راح ؛ أعدَّ الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»** . . .

يقول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ : (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف) . . لا يعيقه بُعد منزله عن حضور الجماعة . . بل يُسَرُّ ببعد بيته عن المسجد . . ليكتب له ممشاه . . وتحسب له خطواته إلى المسجد . . في صحيفة أعماله . . .

عن أبي بن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعد من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له : لو اشتريت حماراً لتركبه في الظلماء وفي الرمضاء؟ قال : ما يسرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي . . فقال رسول الله ﷺ : **«قد جمع الله لك ذلك كله»** . . .

٢٦ ـ لا يفوته وهو الحريص على فوزه في الآخرة . . أن يأتي من النوافل . . ما تنشط إليه نفسه . . في الليل والنهار . . يتقرب بها إلى ربه ـ سبحانه ـ . . ويرتفع بها إلى مقام حبه ورضاه . . وإنه لمقام عليّ كريم . . يجاهد للوصول إليه . . حتى يكون ممن يخصهم الله ـ تعالى ـ بقوة كبرى . . **«ما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»** . . .

فإذا أحبه الله ـ تعالى ـ . . أحبه أهل السماء والأرض . . **«إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء**

فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القَبول في الأرض» . . .

٢٧ ـ بعضهم ينزعج انزعاجاً شديداً لوقوع البلاء . . ويعيش في قلق واضطراب . . وتوتر دائم ويبحث عن أيِّ شيء يلهيه عما أصابه . . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] . . لكنه . . كمؤمن . . صادق . . محتسب . . له ما يسلي نفسه به . . حتى يجعل البلاء فرحاً . والاضطراب سعادة . والقلق راحة . . إنه يستشعر أنه عبد لمولاه ـ عز وجل ـ . . وإنه ليس له ـ كعبد ـ . . أن يعترض على ما يريد به سيده . . فيقول: قدر الله وما شاء فعل . . يستشعر بأن الله ـ تعالى ـ أعلم منه بما يسعده وينفعه . . فإذا ما قدر له أمراً فإن ذلك في صالحه . . وإن كان في ظاهره غير ذلك . . فيفوِّض أمره لله ـ تعالى ـ . . ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩] . . **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»** . . .

يستشعر بأنه مأجور على ما أصابه من البلاء . . رحمةً من الله ـ تعالى ـ، تخفف عنه وتكفر السيئات . . **«ما يصيبُ المؤمنَ من وصبٍ ولا نصب ولا غم ولاهم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر بها من خطاياه»** . . .

يتذكر أن هناك من هو أشد منه بلاءً . . وأن ما أصابه لا يُقارن بهم . . يتذكر أنه على قدر الإيمان يأتي البلاء . . ولعل ما أصابه هو نوع من البشارة عما في قلبه من الإيمان . . ينتبه إلى أن ما أصابه ربما يكون بذنب قد اقترفه . . فيكون ذلك سبباً للندم . . والتوبة . . وكثرة الاستغفار الذي ينقيه من الشوائب . . ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] يتسلى بذلك كله . . فيحيل آلامه . . إلى قوة وعافية . . وجزعه وإحباطه . . إلى صبر وفرح وإقبال . . .

٢٨ ـ من الناس . . مَنْ إذا أصابته ضائقة . . أومصيبة . . أو احتاج قضاء أمرٍ ما . . أقبل على الله ـ تعالى ـ . . والتزم بيوت الله ـ سبحانه ـ . . وأكثر من قراءة القرآن . . لكي تُقضى حاجته . . أو تُرفع عنه مصيبته . . فإذا ما انجلت . . أو أعطاه الله ـ تعالى ـ . . قلَّ ذلك الإقبال . . وذهب ذلك الخشوع . . وأدبر ذلك التذلل . . .

إن الرب ـ سبحانه وتعالى ـ الذي يعبده عند المصائب . . هو الرب الذي يعبده عند النعم . . ولمحبته لخالقه ـ سبحانه ـ . . فإنه يتقرب إليه في أي وقت . . وعلى كل حال . . يريد قرب الله ـ تعالى ـ منه . . ومن كرم الله ـ عز وجل ـ . . . قربه من عبده المؤمن أضعاف ما يتقرب إليه . . يقول الله ـ سبحانه ـ في الحديث القدسي : **«يا ابنَ آدم : إن ذكرتني في نفسك ؛ ذكرتك في نفسي . وإن ذكرتني في ملأٍ ذكرتك في ملأ خيرٍ منهم وإن دنوت مني شبراً ، دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتني تمشي أتيت إليك أهرول»** . . .

إن تقربه إلى الله ـ سبحانه ـ ليس أمراً وقتياً محدوداً بحاجة ما . . بل هي دائمة لأنه يعلم أن الله ـ تعالى ـ . . ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] . . .

٢٩ ـ يلجأ إلى الله ـ تعالى ـ . . ملك الملوك . . القادر على كل شيء . . يشكو بين يديه كل ما أصابه . . وكل ما يؤلمه . . يطلب منه كل ما يريد . . وبقدر ما يريد . . فتنشأ عنده العزة . . لأنه لجأ إلى رب العالمين . . واحتاج عونه ولم يحتج عون المخلوقين . . وتنسكب الدموع ذلةً واعترافاً بالضعف بين يديه . . الذي تهب على قلبه نسائم اللذة . . فينتعش لجمالها وروعتها وتكون هذه اللذة أجمل ما تكون وهو ساجد . . في أعظم صورةٍ من صور الذل لله ـ تعالى ـ . . والقرب منه ـ سبحانه ـ **«أقربُ ما يكون العبد لله وهو ساجدٌ ، فأكثروا الدعاء»** هذه اللذة التي يهب على صاحبها بالدعاء والتضرع والذل والصلة بالله ـ تعالى ـ . . والاعتراف بين يديه ـ عز وجل ـ . . هي التي جعلت الرسول ﷺ يقول : **«قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»** . . . .



٣٠ـ يعلم أن صبر الله ـ تعالىٰ ـ ليس كصبر العبد. . وانتقامه ليس كانتقامه. . فلا يشابهه المخلوق بشيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]. . فيدرك أنه إذا ما أذنب ذنباً وأصرَّ علىٰ ذنبه ولم يُصب بعقوبة إلهية. . فلا يعني ذلك أن الله تعالىٰ غافل عنه. . أو أنه قد نسيه. . إنما يؤخر عقوبته لحكمة يقدرها. . فقد تكون العقوبة بعد حين وإن طالت المدة. . أو أنه سبحانه يؤخرها لليوم الآخر. . هذا التأخير. . الذي يجعل البعض يتمادىٰ في معاصيه أو في ظلمه للناس. . ظاناً أنه علىٰ صواب. . ولولا ذلك لعجل الله ـ تعالىٰ ـ له العقوبة. . ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. . .

٣١ـ لاينشغل عن قراءة القرآن. . مبرراً ذلك بانشغاله بأمور الدعوة. . أو طلب العلم. . أو القراءة في الكتب. . بل يبادر دائماً بقراءته. . وتعاهده. . علىٰ أوقات متقاربة. . بقلب خاشع. . متدبر. . وليس بقلب مشحون. . مليء بالشهوات. . حتىٰ يكون لقراءته أثر علىٰ حياته. . وسلوكه. . مهتدياً بمنهج السلف الذين كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يفهموها. . ويعملوا بها. . فيتعلمون العلم والعمل. . .

يقول عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالىٰ ـ عنهما: (كنا نُؤتىٰ الإيمان قبل القرآن، فيقرأ أحدنا القرآن فيقف عند زاجره وآمره وحلاله وحرامه. . ولقد أدركت أناساً يؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ أحدهم القرآن من فاتحته إلىٰ خاتمته لا يقف عند زاجره ولا آمره). . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]. . .

٣٢ـ يعرف خالقه. . ورازقه. . ومعبوده ـ سبحانه ـ. . يؤمن بأسماء الله ـ تعالىٰ ـ وصفاته إيماناً كاملاً واضحاً صحيحاً. . ينزه رب السموات والأرض عن المشابهة أو التمثيل أو الكيفية. . . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. . .

يقدر الله ـ تعالى ـ حق قدره . . تمتلئ نفسه بعظمته وجلاله . . يجمع بين الفهم والعمل . . يشعر بآثارها القلبية . . فيتعبد الله ـ تعالى ـ ويدعوه بها . . ينظر إلى كل اسم من أسماء الله ـ عز وجل ـ بأنَّ فيه حقاً من العبودية لله ـ تعالى ـ عليه . .

فعلمه بتفرد الرب ـ سبحانه ـ بالضر والنفع والعطاء والمنع والإحياء والإماتة . . يثمر له عبودية التوكل عليه . . وعلمه بسمعه . . وبصره ـ سبحانه ـ . . وعلمه بأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات و الأرض . . وأنه يعلم خائنة الأعين . . وما تخفي الصدور . . يجعله يحفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله ـ تعالى ـ . . معرفته بغناه وكرمه وبره وإحسانه ورحمته . . تشعره بسعة الرجاء وأنواع من العبودية الظاهرة والباطنة . . ومعرفته بجلال الله ـ تعالى ـ وعظمته وقوته وعزه . . تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة . . .

ينظر إلى أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته كلها بهذا المنظار . . فتثمر عليه ثمار وارفة من العبودية لله ـ تعالى ـ . . فيتعبده بها . . ويعمل بمقتضاها . . ممتلئٌ قلبه بكمال الحب له ـ سبحانه ـ . . .

٣٣ ـ يشهد عزة الله ـ تعالى ـ في حكمه . . وعدله في قضائه . . وحكمته في جريانه عليه . . وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه . . وما أخطأه لم يكن ليصيبه . . وأن الكتاب قد سبق وجف القلم بما يلقاه كل عبد . . ويعلم أنه إن رضي فله الرضا . . وإن سخط فله السخط ، ويدرك أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها الحكيم العليم . . وأن فيه الصلاح والخير إما في الحال أو المآل . . ولو ظهر له فيه شيء مما تكرهه نفسه وتتألم منه . . فيسلم ويرضى بما يقدره الله ـ عز وجل ـ . . ويطمئن قلبه الموقن أن شيئاً في هذا الكون لا يحدث إلا بعلم الله ـ تعالى ـ وحكمته البالغة . . ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد: ٢٢] . . .

٣٤ـ يستسلم لشرع الله ـ تعالىٰ ـ . يحكم به ويتحاكم إليه . . يرفض كل شرع يخالف شرع الله ـ تعالىٰ ـ . . يؤمن إيماناً جازماً : أن من شرع ديناً ونظاماً لم يأذن به الله ـ تعالىٰ ـ . . وادعىٰ أنه أصلح لحياة البشر ومعاشهم . . أو ساواه بشرع الله ـ تعالىٰ ـ . . أو أجاز الحكم به . . فقد أشرك بالله ـ تعالىٰ ـ . . وأن من أطاعه في ذلك علىٰ علم فقد أشرك بالله ـ تعالىٰ ـ . . . .

يعلم أن الله تعالىٰ لم يكتف منه بالتحكيم مجرداً . . بل إن إيمانه لن يتم حتىٰ ينتفي عن صدره الحرج والضيق من قضاء الله ـ تعالىٰ ـ وحكمه . . ويعلم أن الله ـ تعالىٰ ـ لم يكتف منه بذلك . . بل حتىٰ يسلم تسليماً وينقاد انقياداً . . ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] . . .

وليس له أن يختار بعد قضاء الله ـ تعالىٰ ـ وقضاء رسوله ﷺ . . يدرك أنه إن تخير بعد ذلك فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً . . ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] . . .

٣٥ـ بكل دقة . . وأمانة . . وتقوىٰ . . يُحصي زكاة أمواله . . وينفقها في مصارفها المشروعة . . حتىٰ لو بلغ مقدارها ألوفاً أو ملايين . . لا يفكر لحظةً أن يتهرب منها . . أو من بعضها . . لأنه يعلم أنها فريضة مالية . . يتعبد الله ـ تعالىٰ ـ بها . . لا يسعه وهو المسلم الصادق . . أن يتهاون في إخراجها . . أو يتلكأ في صرفها . . ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٥] . . .

٣٦ـ في رمضان . . يعيش شهراً ليس كالشهور . . بإيمان يملأ قلبه . . واحتساب ، يصومه . . ويعرف حقه . . يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يخدش صومه . . أو يحبط أجره . . «**إن من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه**» . . يدرك أن جزاء الله ـ تعالىٰ ـ الغني المتفضل أكبر من أن يتصوره

خياله . . **«كلُّ عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، قال الله تعالىٰ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»** . . .

لذلك . . فهو يغتنم أوقات هذا الشهر . . فيملأها بالأعمال الصالحة . . عن عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ قالت . . . **«كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره»** . . يتحرىٰ ليلة القدر لعله يكون من أهلها . . يحيي ليالي العشر الأواخر دون تهاون أو كسل . . حتىٰ يدرك فضلها وأجرها العظيم . . . **«كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل كله وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر»** . . وقال ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه»** . . .

لا يجد مجالاً . . وهومسلم جادٌّ . . أن يقضي ليله في اللهو والسهر وما لا فائدة منه . . أو يقضي نهاره في النوم وتضييع الفرائض . . يدرك أن ذلك يُذهب الأوقات سدىٰ . . وربما كانت وبالاً عليه . . وسيفوته أجر عظيم لن يجده في بقية الشهور . . .

٣٧ـ يتسحر لصومه . . يتبع أمر النبي ﷺ . . مدركاً بركته وخيره . . **«تسحَّروا فإنَّ في السحور بركة»** . . يستيقظ للسحور ويوقظ أهل بيته . . يتذكر بذلك قيام الليل . . وتنشط نفسه لصلاة الفجر في المسجد . . لا يثقل علىٰ أهله بطلب أصناف من الطعام . . بل يكتفي بما يقيم جسده ويقويه علىٰ الصيام . . حتىٰ ولو كان بتمر أو شربة ماء . . فلا يكسل عن العبادة ويثقل جسمه عن الصلاة فينام . . .

عن زيد بن ثابت ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: **«تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلىٰ الصلاة . . قيل: كم كان بينهما؟ . . قال: خمسون آية»** . . .

٣٨ـ لا يفوته تحرِّي الأيام التي رغَّب الرسول ﷺ في صيامها . . يتقرب بها إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . ويكسب أجرها . . ويكفر بها عن ذنوبه . . قال ﷺ: **«من صامَ رمضانَ ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»** . . .

وعن أبي قتادة - رضي الله تعالىٰ عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال: **«يكفر السنة الماضية والباقية»**.. وعن ابن عباس - رضي الله تعالىٰ عنه -.. **«أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه»**.. وسُئل عنه ﷺ فقال: **«يكفر السنة الماضية»**...

ويعلم أن من الأيام المستحب صيامها: ثلاثةُ أيام من كل شهر.. وفي ذلك يقول أبو هريرة - رضي الله تعالىٰ عنه -: **«أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحىٰ، وأن أوتر قبل أن أنام»**.. ويقول ﷺ: **«صومُ ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»**... وصيام يومي الاثنين والخميس قال ﷺ: **«تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم»**..

٣٩ - يتذكر دائماً أنه منتقل من دار الدنيا إلىٰ دار الآخرة.. مسافر.. الأيام تُطوىٰ.. يقترب الرحيل.. سفره يحتاج إلىٰ زاد ونور يضيءُ له الطريق.. زاده التقوىٰ.. ونوره العلم.. **«مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها»**...

يتذكر الموت وسكراته.. القبر نعيمه وعذابه.. بعثه ونشوره.. وقيامه.. بين يدي رب العالمين.. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].. يتذكر الحساب.. العرض والميزان.. يأخذ كتابه بيمينه أم بشماله.. ينظر إلىٰ الحوض والصراط.. الجنة والنار... ينقل قلبه هنا وهناك.. يتذكر.. يعيش ويتدبر.. فيكثر الاستغفار.. يجدّد التوبة دائماً.. ويبادر إليها.. فإن الله - تعالىٰ - يقبلها ما لم تصل الروح إلىٰ الحلقوم أو تطلع الشمس من مغربها.. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]...

عن ابن عمر - رضي الله تعالىٰ عنهما -.. (كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئةَ مرة: **«ربِّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»**)...

يحاسب نفسه قبل العمل وفيه وبعده.. ماذا قدم وماذا أخّر؟.. يقول عمر بن الخطاب.. - رضي الله تعالىٰ عنه -: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا،

وزنوها قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر يوم لا تخفىٰ منكم خافية). .

ويقول الحسن البصري رحمه الله ـ تعالىٰ ـ: (ما ترىٰ المؤمنَ إلا وهو يلومُ نفسه يقول: ما أردتُ بكلمتي هذه؟ ما أردتُ بعملي هذا؟) ويقول مالك بن دينار: (رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبةَ كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم زمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائداً). . .

٤٠ ـ لديه اليقظة الدائمة التي تبعد عن قلبه أولاً بأول كل خالجة شيطانية تريد أن تدس له الشرك في أيِّ صورة من الصور. . فيبقىٰ إيمانُه خالصاً. . وقلبه مديناً لله ـ تعالىٰ ـ. . وحياته عبودية لله الواحد الأحد. . ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. . لا يبتغي بأعماله مطالب دنيوية. . من حب مدح أو ثناء وشهرة. . مناصب وشهادات. . أموال وأعراض حقيرة زائلة. . يزهد في مدح الناس وثنائهم. . يعلم أن الأمور بيد الله ـ تعالىٰ ـ. . وهو الضار والنافع. . وأن أمره كله لله ـ تعالىٰ ـ. . فيتوجه إليه. . ويتعلق به ـ سبحانه ـ. . يدرك أنه لن يجد للعلم والعمل لذة وسعادة وانشراحاً إلا بالإخلاص. . وأن الله ـ تعالىٰ ـ لا يقبل علمه وعمله إلا إذا كان خالصاً وصواباً. . ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. . .

يجاهد نفسه. . ليعينها على الإخلاص. . وحتىٰ ينصره الله ـ تعالىٰ ـ على نفسه. . وشيطانه. . يصدق مع الله ـ تعالىٰ ـ. . فإن من صدق الله ـ تعالىٰ ـ أعانه. . ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. . قال **سفيان الثوري** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (ما عالجت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي لأنها تتقلب عليّ). . .

٤١ ـ ذكر الله ـ تعالىٰ ـ من أعظم الطاعات التي يحبها الله ـ تعالىٰ ـ من عباده. . ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. . ومن أعظم الفضل أن يذكر الله ـ تعالىٰ ـ عبده إذا ذكره. . ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. . يدرك ذلك. . فَكَثَّرَ من ذكر الله ـ تعالىٰ ـ. . ويكفيه شرفاً أن يذكره الله ـ تعالىٰ ـ. . ويكفيه خيراً

أن يجعله الله ـ تعالىٰ ـ من أهل الفلاح . . ويكفيه سعادة أن يكون الله ـ تعالىٰ ـ معه . . **«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني»** . . يذكر الله ـ تعالىٰ ـ في كل وقت . . فهو غذاؤه . . الذي يعينه علىٰ القيام بأعمال كثيرة . . يتبع الهدي النبوي في أذكار اليوم والليلة . . فيكسب بذلك أجرين : أجر الذكر وأجر اتباع السنة وطريقة الرسول ﷺ . . .

قال ﷺ : **«سبق المفردون»** قالوا : (وما المفردون يا رسول الله؟ قال : **«الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»** . . يعلم أنَّ من أفضل أنواع الذكر القرآن . . **«اقرءوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** . . فيجعل لنفسه ورداً من القرآن في كل يوم . . ومن الذكر والثناء لله ـ تعالىٰ ـ . . ومن أنواع الأدعية . . **«فلقد كان النبي ﷺ إذا صلىٰ الفجر ؛ تربع في مجلسه وجلس بعد الفجر في المسجد، وذكر الله تعالىٰ حتىٰ تطلع الشمس»** . . وكان **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . إذا صلىٰ الفجر دخل في غوطة في دمشق يذكر الله ـ تعالىٰ ـ حتىٰ الضحىٰ ويقول . . (هذه غدوتي إن لم أتناولها سقطت قوتي) وكان يقول : (الذكر للمؤمن كالماء للسمكة) . . يقول **ابن القيم** ر ـ حمه الله تعالىٰ ـ : (كان النبي ﷺ ذاكراً لله ـ عز وجل ـ بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان سكوته وصمته ذكراً لله ـ تعالىٰ ـ بقلبه ، فكان ذاكراً لله ـ تعالىٰ ـ في كل أحيانه وأحواله ، فكان ذكر الله ـ تعالىٰ ـ يجري مع أنفاسه قاعداً وقائماً وعلىٰ جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وقعوده وإقامته . .) . . .

٤٣ ـ يحافظ علىٰ الصلاة في الصف الأول . . يجتهد أن لا تفوته تكبيرة الإحرام . . يُبكر إلىٰ المسجد لما يعلم في التبكير من أجر عظيم . . **«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا عليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»** . . .

يحرص علىٰ السنن الراتبة . . **«ما من عبد مسلم يصلي لله تعالىٰ في كلِّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة ، إلا بنىٰ الله له بيتاً في الجنة»** . . يجعلها في بيته ابتغاء

الفضل والخير، يطرد الشيطان منه ويعلم أهله.. قال ﷺ.. **«صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإنَّ أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته إلا المكتوبة»**...

٤٣ ـ سمَّىٰ الله ـ تعالىٰ ـ نفسه الأعلىٰ.. ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١].. وسمىٰ نفسه العلي.. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤].. إنه وصف للعلو يتضمن علو المكانة وعلو المكان.. فمنزلته ـ سبحانه ـ فوق كل منزلة.. ومكانته فوق كل مكانة.. ليس له شبيه من خلقه.. بل جميع الخلق عبيده وفي قبضته وقهره وتحت سلطانه.. وهو كمؤمن يستشعر هذا المعنىٰ. فيتوجه في طلبه واحتياجاته إلىٰ الله وحده.. يشعر بالعزة لأنه ينتمي إلىٰ صف الأعلىٰ.. يشعر بالانتصار دائماً ما دام أنه في حزبه.. حزب الأعلىٰ ـ سبحانه ـ.. لا يهوله حزب الشيطان. وتجمعه.. وكثرته.. فمهما ملك من السلاح والعلم والمكر.. فإنه لن يستطيع أن يتغلب علىٰ حزب الأعلىٰ. فالنصر في النهاية له.. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]...

٤٤ ـ يتفكر في النعم التي منّها الله ـ تعالىٰ ـ عليه.. يحصيها.. ويتذكرها في لحظة خشوع وحين يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٣].. يتفكر في حاله قبل حصول هذه النعم.. فيستشعر الفرق.. وتعظم في نفسه نعمة الله ـ تعالىٰ ـ.. فيؤدي شكرها.. بمضاعفة أعماله الصالحة.. ولا يغفل عنها لحظة.. حتىٰ لا يكون ممن يحصي الله ـ تعالىٰ ـ عليهم يوم القيامة نعمه ولم يؤدوا شكرها.. يقول الله ـ سبحانه ـ لعبدٍ يوم القيامة.. **«أي فُل: ألم اكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرْكَ ترأسُ و تربعُ»**. فيقول: بلىٰ.. فيقول.. **«افظننتَ أنك ملاقيَّ؟»** فيقول: لا.. فيقول.. **«فإنِّي أنساك كما نسيتني»**..[أي: فُلْ، معناه: يا فُلان]..

٤٥ ـ يفقه العبادة التي يقوم بها.. تسري الروح فيها.. فيشعر بلذتها.. فتكون عبادة حية.. توقظ الروح والنفس.. يقوم بأعمال وأقوال تعبدية في



يومه وليلته.. ولكنه يفقه معنىٰ ما يقول.. وما يفعل..

يركب سيارته ويقول.. ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].. فيدرك حينها أنه: لولا تذليل الله - تعالىٰ - سيارته له ليركبها فتعينه علىٰ اختصار الطريق.. وقضاء حوائجه بيسر وسهولة.. لما قدر عليها.. فيُعظِّم الله - تعالىٰ -.. ويشكره ويحمده علىٰ هذه النعمة.. يستشعر وهو يسير بها في الدنيا.. سيره نحو الله - تعالىٰ - والدار الآخرة.. فيتذكر الانطلاقة الكبرىٰ.. ويسعىٰ لها سعيها...

حينما يتوضأ للصلاة.. يستشعر تساقط الذنوب مع تساقط الماء من يديه ووجهه وقدميه.. كل بطش.. كلمة محرمة.. نظرة محرمة.. كلمة مسموعة فاحشة.. أو خطوة لأماكن المعصية والغفلة.. **«إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كلُّ خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتىٰ يخرج نقياً من الذنوب»**...

٤٦ - يتبع.. ويتأسىٰ.. ويُقلد رسوله ﷺ.. في جميع أقواله وأعماله.. في معاملاته وأحكامه.. وإن وجد في نفسه شيئاً علىٰ أمرٍ ما.. رده إلىٰ حكم الله - تعالىٰ -.. وحكم رسوله ﷺ.. فإذا علم الحق اتبعه.. ولو لم تَمِلْ إليه نفسه.. بل يرضىٰ ويسلم.. ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٦].. يقول ﷺ: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**..

يتبع الحق حيثما يجده عند العلماء.. ويميل مع الحق حيث مال.. يقول **ابن تيمية** - رحمه الله تعالىٰ -: (.. ومن كان موالياً للأئمة محباً لهم؛ يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك، بل هذا أحسن حالاً من غيره.. ولا يقال لمثل هذا: مذبذب علىٰ درجة الذم، وإنما المذبذب المذموم الذي لا يكون مع المؤمنين ولا مع الكافرين)...

وإذا ظهر له من الأدلة ما يستطيع أن يرجح به بين أقوال أهل العلم اتجه إليه. . لا يتخير فيتبع هواه وما يوافق غرضه. . بل ينظر لما هو أرجح وأصح فيتبعه. . يقول الشاطبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (ليس للمقلد أن يتخير في الخلاف، كما إذا اختلف المجتهدون على قولين فوردت كذلك على المقلد فيتبع هواه وما يوافق غرضه دون ما يخالفه. . فليس إلا الترجيح بالأعلمية وغيرها، وأيضاً فالمجتهدان بالنسبة إلى العامي كالدليلين بالنسبة للمجتهد فكما يجب على المجتهد الترجيح أو التوقف كذلك المقلد). . .

٤٧ ـ يعلم أنه لا سبيل إلىٰ احتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله ـ تعالىٰ ـ. . ولا سبيل إلىٰ الفرج إلا بالتوجه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ. . ولا سبيل إلىٰ الاستعلاء على الضر إلا بالاستعانة بالله ـ تعالىٰ ـ. . يوقن أن كل حركة يائسة لا ثمرة لها. . ولا نتيجة. . إلا زيادة الكرب. . ومضاعفة الشعور به. . والعجز عن دفعه. . إلا إذا طلب العون من الله ـ تعالىٰ ـ. . ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. . والخالق ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الذي من صفاته العدل. . لا يمكن أن يرضىٰ ببقاء الظلم دون أن يأذن بذهابه بمن شاء وكيفما يشاء. . ويأخذ الحق لأصحابه. . .

إنه لا ييأس من انجلاء الظلام. . والظلم. . لا يتصف بصفة من صفات الكافرين. . ولا يكون ممن قال الله تعالىٰ فيهم. . ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]. . .

٤٨ ـ يستحث النفس لكي يسير مع قافلة الربيين. . الذين أحبهم الله ـ تعالىٰ ـ. . الذين علموا أنه لا بد من الابتلاء. . وأنه لا بد من صبر يقابله. . صبر لا يعرف. . الوهن. . ولا الضعف. . ولا الاستكانة. . صفات المتذبذبين. . الشاكين بوعد الله ـ تعالىٰ ـ. . والجاهلين بطبيعة الطريق. . .



يركن إلىٰ من بيده ملكوت كل شيء . . يراجع نفسه . . ربما هي السبب في المصائب . . والهزائم . . بسبب ذنوبها وإسرافها . . فيتوب . . ويستغفر الله ـ تعالىٰ ـ . . ويسأله الثبات علىٰ الدين . . والانتصار علىٰ الكافرين . . صفات الربيين عند حلول المصيبة والقرح . . ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٧] . . .

٤٩ ـ بعلمه أن الله ـ تعالىٰ ـ هو الأعلىٰ . . وأن حزبه هم الأعلون . . وبعلمه أن الله ـ تعالىٰ ـ معه فهو مؤمن . . والله ـ تعالىٰ ـ مع المؤمنين . . بعونه ونصره وتأييده . . مما يهب له قوة القلب والإقدام . . وبعلمه أن الله ـ تعالىٰ ـ لا ينقصه من أعماله شيئاً . . بل سيوفيه أجره ويزيده من فضله . . مما يهب له النشاط . . وبذل الجهاد . . يدرك أن الله ـ تعالىٰ ـ قد هيأ له أسباب النصر . . ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥] . . .

٥٠ ـ يلتزم بالدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . ولو لم يبق له من حظ الدنيا إلا القليل . . إرضاءً لربه ـ سبحانه ـ . . ونشراً لدينه . . واتباعاً لنبيه ﷺ . . ورغبة في جنته والفردوس الأعلىٰ ورؤيته ـ سبحانه وتعالىٰ ـ . . .

يلتزم بالدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . اتباعاً لأمره . . ومبادرة لتنفيذه . . ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [الشورىٰ: ١٥] . . .

يلتزم بالدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . طلباً للخير والفلاح . . ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] . . طلباً للهداية . . ولكسب معية الله ـ تعالىٰ ـ . . فيكون من المحسنين . . ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] . . .

يلتزم بالدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . ليهدي الحائرين . . الضائعين . . ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ

الْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٧١]. . .

يدعـو إلى الله ـ تعـالى ـ . ليـصلح عـمله . . ويغفـر الله ـ تعـالى ـ له ذنوبه . . ويفوز بالفوز العظيم . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ـ٧١]. . ليكون ممن يدافع الله ـ تعالى ـ عنهم يوم القيامة . . ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ـ١١١]. . .

يلتـزم بالدعـوة إلى الله ـ تعـالى ـ . . حـتى ينجـو بنفسـه إذ يحل الدمـار على المفسدين . . ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٤ـ١٦٥]. . .

يلتـزم بـالدعـوة إلى الله ـ تعـالى ـ . . لكـي يسـتـعـد لسـؤاله . . الذي لا مـفـر منه . . ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]. . .

٥١ ـ لا يعرف التواءً ولا غموضاً . . مستقيم واضح . . في حياته وسلوكه . . إنه مرتقى صعب لا يبلغه إلا المؤمنون الأتقياء . . أخلص وجهه لله ـ تعالى ـ . . انخلع من ربقة العبودية لغيره . . من مالٍ أو جاه . . سلطانٍ أو لذّات . . بصير بأبعاد الاستقامة وضخامة مدلولها . . وخطرها في تقرير المصير . . .

يقول ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ في تفسير قوله تعالى . . ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. . (ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آيةٌ كانت أشدَّ ولا أشقَّ عليه من هذه الآية). . .



ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا له: (قد أسرع إليك الشيب).. قال: «**شيبتني هودٌ وأخواتها**».. مشيراً إلى قوله تعالى.. ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]...

٥٢- يستحضر فضل الله - تعالى - عليه في كل لحظة.. في كل حركة وسكنة.. فهو الذي اختاره وعلمه.. وأعانه. ووفقه وأعزه بدينه.. والدعوة إليه.. فلا ينظر إلى من يدعوهم نظرة المستعلي.. ولا يكلمهم كلام المترفع.. وكأن لسان حاله يقول: أنا العالم وأنتم الجاهلون.. أنا الطائع وأنتم المذنبون.. أنا التقي وأنتم الفاسقون.. أنا المتبع وأنتم المبتدعون.. أنا المهتدي وأنتم الضالون.. بل يستشعر قدرة الله - تعالى - ونظره إليه.. فيتوج نفسه بالتواضع.. ويسجد لربه منكسراً ذليلاً.. ضارعاً إليه أن لا يكله لنفسه طرفةَ عين.. فيهلك.. ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]...

فلا يرى لنفسه بدعوته على الله - تعالى - حقاً.. بل يدعو الله - تعالى - أن يثبته على الحق.. فإنّ قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء.. لأنه يعلم أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله إلا أن يتغمده الله - تعالى - برحمته...

قال ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخل أحدَكم عملُه الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**»...

٥٣ - يدرك أن للنصر صوراً متعددة يتم بها: وجود أرض والحكم فيها بمنهج الله - تعالى - ليس هو الصورة الوحيدة للنصر.. إن هناك أموراً كثيرة هي في حد ذاتها نصرٌ من الله - تعالى -.. قد لا تتحقق في كل جيل.. وقد يتحقق منها القليل أو الكثير.. ومن ذلك قول المستشرق غاردنر.. (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا).. ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً.. (لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو

الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر) . . الرعب الذي ينتاب المعسكرات العالمية من العقيدة الإسلامية . . كل ذلك نصر للإسلام . . استشهاد الدعاة . . إصرارهم على عقيدتهم، وإن أزهقت أرواحهم يختفون هم ليُبرزوها . . كل ذلك نصر للإسلام . . .

يقول أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - . . (لما طُعن حرام بن ملحان يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة) . . .

هذا الفهم للفوز . . جعل القاتل يسلم بعد حين . . يقول: (مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم فسمعته يقول: فزت والله . . فقلت في نفسي: ما فاز؟! أليس قد قتلته؟ . . حتى سألت بعد ذلك عن قوله . . فقالوا . . الشهادة . . فقلت: فاز لعمر الله) . . .

ويعلم أن الله - سبحانه وتعالى - لم يجعل الشهادة نهاية بل عدّها حياة طيبة . . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] . . يدرك أن الانتقام ممن آذى الأنبياء . . والدعاة . . هو بحد ذاته نصر . . حتى وإن لم يكن في حياتهم وعلى أيديهم . . فلا ييأس من زوال الظالمين بسبب طول ظلمهم . . لأنه يعلم أن الظالمين السابقين زالوا ولم يبق منهم أحد . . وسيلحق بهم الباقون . . وعداً من الله - تعالى - . . فأين فرعون وهامان . . وأين أبو لهب وأبو جهل . . وأين هولاكو وأتاتورك . . وغيرهم كثير . . فيطمئن لانتقام الله - تعالى - من الطغاة وإزالتهم . . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . . .

وأن الله - تعالى - إذا لم يشأ أخذهم في الدنيا، فإنه لن يتركهم في الآخرة . . . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣] . . .

٥٤ ـ قد يتألم . . ويشعر بالمرارة والحسرة . . عندما يرىٰ أن أعداء الإسلام قد اتفقوا علىٰ اختلاف مشاربهم ومآربهم للقضاء علىٰ الإسلام . . واستئصال شأفة المسلمين . . لكنه يعود ويدرك أن أشد ساعات الليل سواداً هي الساعة التي يليها ضوء الفجر . . وأن الذي يفصل في النهاية ليس قوة الباطل . . وإنما قوة الحق . . ولا يشك أن الحق معه . . وقبل كل ذلك وبعده . . أن الله ـ تعالىٰ ـ معه . . ويالها من معية . . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] . . .

وأن هذا الوعد سنة من سنن الله ـ تعالىٰ ـ الكونية الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير . . وأنه قادم مهما رصد أهل الباطل من قوة وعتاد . . .

إنه القرآن يتحدث . . والرسول ﷺ يبشر . . والتاريخ والواقع يشهد . . فمن كان يظن . . ورسول الله ﷺ مع قلة مؤمنة في مكة يعذبون ويحاربون ويطردون من بيوتهم وبلدهم . . ونال البلاء رسولهم ﷺ فاتُّهم بالسحر والجنون، ووضع الترابُ وسلا الجزور علىٰ رأسه وهو ساجد . . فخرج يبحث عن أرض أخرىٰ . . علىٰ قدميه الداميتين بلا راحلة . . إلىٰ الطائف . . يبحث عن معين ويد حانية تحمل هذا الدين . . فوجد قوماً طردوه وأغروا به العبيد والسفهاء فرموه بالحجارة حتىٰ سالت الدماء من قدميه . . وعاد مجروحاً منكسر القلب . . ولكن وعد الله ـ تعالىٰ ـ يتحقق بعد سنوات ثقيلة . . ويرجع رسول الله ﷺ إلىٰ مكة فاتحاً منتصراً . . يحيط به عشرة آلاف رجل رباهم علىٰ عينه . . ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] . . .

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة بعد موت رسول الله ﷺ . . وبروز فتنة الردة بوجهها الكالح؟؟ يصف عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ هذه الأيام بقوله: (وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم وقلة عددهم وكثرة عدوهم) . . .

لكن الصديق ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . الذي ملأ الله ـ تعالىٰ ـ قلبه إيماناً وثباتاً ويقيناً . . وقف وقفته . . وقال لعمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (مه يا

عمـر، رجوت نصـرتَك وجئـتني بخذلانك، أجبار في الجـاهلية وخـوار في الإسلام؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر يفترىٰ؟ هيهات هيهات مضىٰ رسول الله ﷺ وانقطع الوحي فوالله لأجاهدنَّهم ما استمسك السيف في يدي، فوالله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فوالله لو منعوني عقالَ بعير كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه) . . .

وفي وسط هذه الظروف الحرجة أنفذ جيش أسامة بن زيد ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . وقال للمعارضين . . (والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، وما كنت لأحلَّ عقداً عقده رسول الله ﷺ بيديه) . . .

وانتهت الفتنة وهلك مدّعو النبوة . . وزاد الإسلام عزة ورفعة . . وتحطمت علىٰ أيدي الأطهار أعظم الإمبراطوريات . . وحُمل تاج كسرىٰ لفاروق الأمة عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ في مدينة رسول الله ﷺ . . .

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة بعد ما استولىٰ الصليبيون علىٰ كثير من بلدانهم ودنسوا المسجد الأقصىٰ ما يقارب قرناً من الزمان . . حتىٰ حرر الله ـ تعالىٰ ـ الأرض وطهر المسجد الأقصىٰ علىٰ يد صلاح الدين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . في معركة حطين الحاسمة؟! . . .

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة بعد هجمة المغول والتتار الشرسة علىٰ العالم الإسلامي . . وقد سفكوا الدماء . . ونهبوا الأموال . . وفتكوا بالأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً مريعاً . . حتىٰ قال المؤرخ **ابن الأثير الجزري** . . (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرىٰ، فمن ذا الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فياليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً)!!!

حتى قيض الله ـ تعالى ـ البطل (قطز) ليحرر الأرض ويعيد المجد بعد المعركة الحاسمة (عين جالوت). .

أدرك أنه وعد الله ـ تعالى ـ . واستيقن . . أن أمة الإسلام قد يعتريها فتراتٌ من الركود . . ولكنها بفضل الله ـ تعالى ـ لن تموت . . وأن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر . . بإذن الله ـ تعالى ـ . . .

٥٥ـ إن الدعوة أبقى من الداعية . . والدعاة والعلماء جميعاً إلى فناء . . والدعوة إلى بقاء . . وهي أبداً أكبر من دعاتها وأبقى . . لأن الدعاة يجيئون ويذهبون . . وتبقى الدعوة على مرّ الأجيال والقرون . . .

لذلك فهو يجعل ولاءه لدعوة الله ـ تعالى ـ . . لا لشخص الداعية . . يتحرر . . فلا تتوقف دعوته أو تتعطل . . أو تصاب بالإعياء بموت الداعية . . أو لتركه مجال الدعوة لسبب أو لآخر . . ولذلك أيضاً . . أدرك لماذا أراد الله ـ تعالى ـ أن يربي الصحابة رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم ويعلمهم هذا الدرس المهم . . ففي غزوة أحد تعرض النبي ﷺ للموت . . وشجت رأسه . . ونزف دمه . . حتى صاح صائح في أرض المعركة قائلاً . . (إن محمداً ﷺ قد قُتل!) وهنا أحس بعض المسلمين أن أمر هذا الدين قد انتهى وأنه لا جدوى إذن من قتال المشركين . . فنزل قول الله تعالى . . . ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. . .

٥٦ ـ إن من أخطر التحديات التي تواجه الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ . . على بصيرة . . هو التعامل الخاطئ مع النصوص العامة أو الخاصة . . بسوء فهمها . . ومن ثَمّ الاستشهاد بها في غير محلها . . .

وليخرج من هذا العمل الخاطئ . . فإنه يعود إلى سلف الأمة وعلمائها الثقات لفهم كتاب الله ـ تعالى ـ والسنة . . مدركاً أن طلب العلم بدون فهم دقيق . . ووعي عميق . . قد يضر ولا ينفع . . بل إن سوء الفهم عن الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديماً وحديثاً، يقول ابن القيم ـ رحمه

الله تعالىٰ عنه ـ . (وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والروافض وسائر طوائف أهل البدع إلا سوءُ الفهم عن الله ورسوله؟) . . .

ويقول **ابن حجر** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (والفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو عمل) . . ويعلم أن الناس يتفاوتون في ذلك . . ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٤] . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (دلالة النصوص نوعان : حقيقية وإضافية ، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرداته وهذه الدلالة لا تختلف ، والإضافية تابعة للسامع وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها ، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك) . . فهذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . يقول للصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ : (ما تقولون في ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . . فقالوا : (أمر الله ـ تعالىٰ ـ نبيه إذا فتح الله عليه أن يستغفره) فقال عمر لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (ما تقول أنت؟) فقال ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : (هو أجلُ رسول الله ﷺ أعْلَمَهُ إياه) فقال عمر : (ما أعلمُ منها غيرَ ما تعلم) . . يقول **ابن القيم** : (وهذا من أدقِّ الفهم وألطفه ، ولا يدركه كل أحد) . . ومن ذلك . . ما فهمه ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . من قوله ـ تعالىٰ ـ . ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] مع قوله تعالىٰ . . ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . . وهو أن المرأة قد تلد لستة أشهر . . ولكن عثمان ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ لم يفهم ذلك منها فهمَّ برجم امرأة ولدت لستة أشهر حتىٰ ذكَّره ابن عباس فأقرَّ به . . إذاً فهو يعلم تماماً . . أنه بحاجة ماسة إلىٰ عدم التعجل . . وإلىٰ فهم دقيق للنصوص التي يتعامل معها . . حتىٰ لا يُخطيء ولا يضر دعوته من حيث لا يشعر . .

٥٧ ـ يتأمل في عصره الحاضر . . ما فيه من صراعات . . الصراع . . بين الحق والباطل قد بلغ أشده . . ملل الكفر جمعت كل إمكانياتها ضد الإسلام . ودعاته

الصادقين.. الذين يصفونهم تارة بالمتطرفين.. وتارة بالأصوليين.. وتارة بالإرهابيين.. ومراقبته للأحداث.. أظهرت له نشوء ما يُسمى بالنظام العالمي الجديد.. الذي يحمل في طياته الكثير من الخبث والمكر للإسلام والمسلمين.. والذي يريد للعالم أجمع على اختلاف ملله.. أن يكون تحت راية واحدة.. راية الصليب.. والانصياع التام.. والطاعة المطلقة.. والله ـ تعالى ـ يقول.. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]...

وفي ظل تلك الحملة الشرسة على المسلمين ودينهم وأعراضهم.. يسمع كثيراً من الدعاة يتساءلون.. متى ينجلي هذا الليل الطويل..؟ أما آن لهذه المهانة أن تنقشع..؟ متى يبزغ فجر الإسلام..؟ ويظهر ذلك السؤال الكبير.. السؤال الذي سأله الرسول ﷺ والذين آمنوا معه.. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]...

ولكنه بمعرفته سنن الله ـ تعالى ـ في نصرة دينه.. ويقينه بوعد الله ـ عز وجل ـ.. عرف الجواب.. واهتدى إلى الطريق.. طريق نصرة دين الله ـ تعالى ـ.. والتمكين له في الأرض.. يتأمل في قوله تعالى.. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].. فيعلم أن نصر الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين آتٍ لا محالة.. وأن التمكين سيتم بعز عزيز أو بذل ذليل.. وعد الله ـ تعالى ـ والله لا يخلف الميعاد.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١]...

يتأمل في قول الله تعالى.. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].. فيدرك أنها المدخل لتغيير الواقع.. وأنها مفتاح النصر والتمكين.. وأنه متى ما تأخر النصر مع الحاجة الماسة إليه.. فإن الذين يبحثون

عن النصر لم يغيروا ما بأنفسهم بعد . . .

فيوجه جهوده إلى العمل الجاد في التغيير . . والذي يبدأ من داخل نفسه . . ومن داخل صفوف المسلمين . . حتى يغير الله ـ تعالى ـ ما به وبهم . . فتتهيأ الأسباب الجالبة لنصر الله تعالى . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] . . يتأمل قول الله تعالى . . ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] . . فيقوم بالأسباب التي تهيئه لحمل الأمانة : الإيمان . . والعمل . . ، إيمان يعم نشاطه كله . . وتوجهه كله . . وخواطر نفسه . . لا يبتغي بذلك إلا وجه الله ـ تعالى ـ . ، طاعة واستسلام . . لا يبقي معها هوى في نفسه . . ولا شهوة في قلبه . . إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله ـ تعالى ـ . . .

فيتهيأ ليكون من أهل الاستخلاف والتمكين والأمن والفتح بإذن الله ـ تعالى ـ . . ويتأمل في قول الله تعالى . . ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] . . فيدرك أن الناس إذا لم يغيروا ما بأنفسهم . . فليس معنى ذلك أنَّ نصر الله ـ تعالى ـ لن يأتي . . بل إنه قادم . . ولكن بعد أن تأتي سنة الله ـ عز وجل ـ . . والمتضمنة تبديل من رفضوا تغيير ما بأنفسهم وواقعهم بجيل يحبهم الله ـ تعالى ـ ويحبونه . . فيحققون بذلك أسباب النصر . . فينزله الله ـ تعالى ـ عليهم ويشرفهم به . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] . . .

﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٩] . . .

٥٨ ـ يعري الباطل ويكشف عن وجهه الخبيث . . يبين سبيل الداعين إليه . . سبيل المجرمين . . دعاة على أبواب جهنم . . مَن قَبِلَ دعوتهم قذفوه فيها . . ضربُ الدين بالدين . . تزييف الحقائق وقلب الموازين . . سبيل المجرمين . . الذين يحسنون كل قبيح . . ويقبحون كل حسن . . يلوون أعناق النصوص تارة . . ويحرفونها تارة . . ويتحللون من قيودها تارة أخرى . . .

يخرجون الوثنية في ثوب التوحيد . . والبدعة في لباس السنة . . يوالون اليهود والنصارى . . تحت شعار التعايش السلمي . . والإخاء . . ووحدة الأديان . . يقدمون المعاصي والفجور تحت ستار الرقي والتقدم . . .

يقضون عل حاكمية القرآن لإنهاء التخلف والجمود والرجعية . . وإحلال القومية العربية والوطنية . . والعلمانية . . ينهون الجهاد والعزة والنصرة . . ويحلون التولي والخذلان والمهانة . . .

يعلم أن فضح أولئك . . وكشف خبث طويتهم . . وحقدهم اللئيم على الإسلام والمسلمين . . وتعريتهم . . وإظهار سبلهم وخططهم . . يعلم أن ذلك من أعز مقاصد التشريع . . فلا يتوانى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . . .

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] . . ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٢] . . .

٥٩ ـ أحسن الاستعداد . . وبذل الأسباب . . ولكنه لم ينس التوكل على الله ـ تعالى ـ . . توكل الأنبياء في إقامة دين الله ـ تعالى ـ . . توكل الثقة بقدرة الله ـ تعالى ـ على النصر . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ: (أفضل التوكل التوكل الواجب، أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس، وأوسعه وأنفعه التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ـ تعالى ـ ودفع فساد المفسدين في الأرض) . . .

يقرأ السيرة . . فيلاحظ أن الرسول ﷺ ما ترك سبباً من الأسباب التي تخطر على بال بشر إلا وقام به عند الهجرة . . ترك علياً ـ رضي الله تعالى عنه ـ ينام في مكانه . . وأعدّ الراحلة . . واستأجر دليلاً يدله على الطريق . . .

اتجه جنوباً بدل أن يتجه شمالاً جهة المدينة تعمية للأعداء . . وجعل عامر بن فهيرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ يعفي بغنمه على الأثر . . واختبأ في غار ثور وهو في أعلى الجبل والوصولُ إليه شاق . . وكلف ابن أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بجلب الأخبار من مكة . . وكلف ابنة أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بجلب الطعام لهما وهما في الغار . . .

ومع بذل كل هذه الأسباب . . فإن الكفار وصلوا إلى فتحة الغار . . الأمر الذي جعل الصدّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول . . (يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا) . . فقال الرسول ﷺ . . **«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟!»** . . .

فعلم واستيقن . . أن الاعتماد على التنظيم . . والتخطيط . . والأفراد والعدة لا ينفع دون الاعتماد على الله ـ تعالى ـ . . والتوكل عليه . . فهو أول خطوة في الطريق . . ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] . . .

٦٠ ـ يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) . . الجاهلية يمكن أن توجد في أي وقت . . وفي أي مكان . . في أي مستوى من المعرفة والحضارة والتقدم . . في أي من القيم الفكرية والسياسية . . الاجتماعية والإنسانية . . حينما لا تهتدي بهدى الله ـ تعالى ـ . . وتتبع أهواءها . . وتخالف ما جاء به الرسول ﷺ . . .

لذلك فهو يدرك النتيجة الحتمية لهذه الجاهلية . . من اضطراب في حياة البشر، شقاء وقلقلة . . تدمير وعذاب . . .

ولذلك أيضاً . . فهو يدرك ضرورة معرفته للنظام الاقتصادي الجاهلي . . وما يسببه للعالم من فقر وظلم واحتكار وأحقاد . . لا بد أن يعرف النظام الاجتماعي الجاهلي الذي ساوىٰ المرأة بالرجل . . فامتهنها ووضع من قيمتها . . الذي نشر الفاحشة بخروجها وتبرجها . . الذي أضاع الأطفال بغيابها وانشغالها . . لا بد أن يعرف النظام السياسي الجاهلي الذي احتكم إلىٰ تشريع البشر . . يعرف خططه ووسائله في القضاء علىٰ الفئة المسلمة . . ويحذر منها . . وهو بذلك يبذل سبباً كبيراً من أسباب النصر . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (. . فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، و سبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان كما يتبين للسالك الطريق الموصل إلىٰ مقصوده، والطريق الموصل إلىٰ الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة علىٰ جميع من أتىٰ بعدهم إلىٰ يوم القيامة . . وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام غيرَ عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين، فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما . .) . . .

٦١ـ يستعين بربه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الذي لا يخيب أبداً من لجأ إليه صادقاً . . واستعان به مخلصاً . . يطلب منه العون والمدد . . علىٰ هواه وشهواته . . ونفسه الأمارة بالسوء . . .

يدرك أن الفضل كله بيد الله ـ تعالىٰ ـ يؤتيه من يشاء . . يتوكل عليه فيكفيه . . ويعتصم به فينجيه . . ويفوض إليه أمره فيهديه . . ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] . . ويقول الله ـ تعالىٰ ـ في الحديث القدسي . . «**يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**» . . .

٦٢ـ يرىٰ إقبال الدنيا علىٰ المبطلين . . يراهم ناجحين مرموقين . . تذلل لهم الصعاب . . وتيسر لهم الأسباب . . في الوقت الذي يرىٰ فيه أهل الحق

يتـعـرضـون للأذى . . والفتن والابـتـلاء . . مع قلتـهـم . . وكـثـرة أولئك . . فيثبت . . لأنه صاحب القلب الحي العامر بالإيمان . . واليقين . . .

يدرك أن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ أمانة عظيمة . . وأنه لا بد من الصبر الجميل على جميع الفتن والابتلاءات . . فيستعلي على جميع الآلام . . يثق بنصر الله ـ تعـالى ـ لأهل الحق وإن كـانوا قلة . . لأنه يعلم أن الكثـرة ليست دليـلاً على الحق . . وأن الله ـ تعالى ـ ما ذكر الكثـرة إلا وذمهـا . . ومـا ذكـر القلة إلا ومدحها . . .

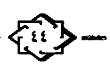
قال تعالى . . ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] . . ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٨] . . ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٣] . . .

وفي مـدح القلة . . يقـول سـبـحـانه وتعـالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] . . ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤] . . ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] . . .

ويقول ﷺ . . **«عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبيَّ ومعه الرهط ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد . . »** . . .

فـلا يغتر بالكثرة الهالكة . . ولا يحتقر القلة السالكة طريق الحق والهدى . . يقـول الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : (السنة ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها ـ رحمكم الله ـ فإن أهل السنة كانوا أقلَّ الناس فيما مضى وهم أقلُّ الناس فيما بقي) . . ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . . .

٦٣ ـ يفهم الإسلام فهماً صحيحاً كما فهمه سلف الأمة . . ينطلق لدعوة الناس إلى الإسلام بشموله . . يدعوهم إلى الأصول قبل الفروع . . وإلى الكليات قبل الجزئيات . . ويحذر في نفس الوقت . . من أن يدعو إلى الأصول ويهزأ بالفروع . . أو يدعو إلى الكليات ويسخر بالجزئيات . . فهذه مزلة كبيرة



يحفظ نفسه من أن يقع فيها. . .

إن الدين عنده كل لايتجزأ بأصوله وفروعه. . وكلياته وجزئياته. . وفرق كبير بين فقه الأولويات. . وبين السخرية وتحقير الفرعيات والجزئيات. . .

٦٤ـ. ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. . ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]. . زاد التقوىٰ والإخلاص. . يتزود بهما. . يكشف بهما الشبهات والشهوات. . يستعلي بهما عن المطامع. . ويزيل بهما المخاوف. . وتثبته عند الفتن. . يقول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ عن التقوىٰ: (أن يطاع الله ـ سبحانه ـ فلا يُعصىٰ، ويذكر فلا يُنسىٰ، وأن يشكر فلا يكفر). . .

وجاء سائل لأبي هريرة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ يسأله عن التقوىٰ، فقال أبوهريرة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: (هل أخذت طريقاً ذا شوك؟). . قال: نعم. . قال أبو هريرة: (فكيف صنعت؟). . فقال: إذا رأيت الشوكَ عدلتُ عنه أو جاوزته أو قصرت عليه. . فقال أبو هريرة: (ذاك التقوىٰ). . ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]. . .

وإن جاذبته بعضُ أشواك الطريق ووقع منه تفريط في التقوىٰ. . فترك مأموراً. . أو فعل محظوراً. . يسرع بالتوبة. . ويمحو السيئة بالحسنة. . .

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]. . .

ويدرك أن عمله لا يتم إلا بالإخلاص. . فهو سرُّ قبول الأعمال. . ومفتاح القلوب لقبول كلامه ودعوته. . والله ـ تعالىٰ ـ لا يقبل إلا ما كان خالصاً له. . ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. . .

فعمله بغير نية عناء. . ونيته بغير إخلاص رياء. . يقول ـ سبحانه ـ في الحديث القدسي. . **«أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**. . .

10ـ هناك نموذج من الناس . . يعلن كلمة الإيمان في وقت الدَّعة والراحة والرخاء . . وهو يحسبها خفيفةَ الحمل . . هينة المؤونة . . سهلة التكاليف . . ، فإن تعرض لفتنة أو محنة . . أو ابتلاء . . هَلَعَ وجَزِعَ وسقط . . واختلت في نفسه القيم . . وتزعزعت في قلبه العقيدة . . .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠] . . .

إن إيمانه ليس كلمة يقولها باللسان فحسب . . بل إنه حقيقة ذات تكاليف ثقيلة وأمانة عظيمة . . تحتاج منه إلى صبر جميل . . مدركاً أنه لا بد أن يتعرض للفتن . . سنة جارية لامتحان القلوب . . وتمحيص الصفوف . . ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت: ٢-٣] . . .

إنه يتعرض لفتنة الغربة في الدين . . أصبح غريباً في بيته . . بين أهله وإخوانه . . ولكنه يصبر . . ويثبت . . ولا يتزعزع . . ويطلب العون من الله ـ تعالى ـ . . .

يقول ابنُ القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (. . فالإسلام الحقيقي غريب جداً، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس، وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً . . غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات مناصب وولايات ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ، فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإرادتهم، فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شُحَّهم، وأُعجب كل منهم برأيه) . . .

قال ﷺ . . «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**» قيل: ومن هم يا رسول الله؟ . . قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**» . . .

٦٦- يؤمن إيماناً تاماً أن نصر الله ـ تعالىٰ ـ دائماً وحتماً في نهاية الطريق . . سنة لابد منها . . وعد بها الله ـ سبحانه ـ . . ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . . ولكنه يوقن في نفس الوقت . . أنها لا تأتي إلا في موعدها المحدد من الله ـ تعالىٰ ـ . . ولا يعجلها عن موعدها أن الدعاة يصابون بالأذىٰ . . ولا أن المجرمين الظالمين يقدرون على صبِّ الفتن . . فإن الله ـ تعالىٰ ـ لا يعجل لعجلة أحد من خلقه . . ولا مبدل لكلماته . . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] . . .

إنه يتعامل مع وعد الله ـ تعالىٰ ـ على أنه الحقيقة الواقعة . . ويجعل نصب عينيه أسباباً كثيرة قد تؤخر النصر . . فيحاول أن لا يتلبس بها . . ويعمل على إزالتها . . يدرك أن الله ـ تعالىٰ ـ قد يؤخر النصر لأن بنية المسلمين لم تزل ضعيفة . . ولم يتم تمامها . . ولم تحشد بعد طاقتها . . فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً . . لعدم قدرتها على حمايته طويلاً . . .

قد يتأخر النصر لأن أمة الإسلام لم تصل بعد إلىٰ مستوىٰ الإيمان . . فكثير من المسلمين ما زال متلبساً بالشرك في معتقدهم أو أقوالهم أو أفعالهم . . وقد يبطئ النصر حتىٰ تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة . . لا تستبقي عزيزاً ولا غالياً إلا وتبذله رخيصاً هيناً في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . .

قد يبطئ النصر . . حتىٰ تجرب الأمة آخر قواها . . ثم تدرك أن هذه القوىٰ بدون سند من الله ـ تعالىٰ ـ لا تكفل النصر . . إنما يتنزل النصر عندما تكل الأمر بعدها إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . وتزيد من صلتها بالله ـ تعالىٰ ـ وهي تعاني . . وتتألم . . وتبذل . . ولا تجد لها سنداً إلا الله ـ تعالىٰ ـ . . ولا متوجهاً إلا إليه وحده . . .

الصلة التي هي الضمانة الأولىٰ لاستقامتها علىٰ النهج بعد النصر . . فلا تطغىٰ ولا تنحرف عن الحق والعدل الذي نصرها الله ـ تعالىٰ ـ به . قد يُبطئ النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والعدل . . وأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً . . فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له

أنصاراً من المخدوعين فيه . . ولم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله . . .

ويدرك أيضاً . . أن النصر قد يتأخر . . لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها لله ـ تعالىٰ ـ ولدعوته . . لأن الله ـ تعالىٰ ـ يريد أن يكون الجهاد له وحده . . وفي سبيله بريئاً من المشاعر الأخرىٰ التي تلابسه . . .

فيعلم أن النصر لم يكن يوماً بالعَدد . . ولا بالعُدَد . . إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله ـ تعالىٰ ـ التي لا تقف لها قوة العباد . . بعد ما يبذل أصحابها أقصىٰ ما عندهم من أسباب . . ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] . . .

٦٧ ـ يطمئن قلبه الجريح . . وتسكن نفسه القلقة . . ويعلم أن الإسلام قادم رغم كيد المجرمين . . حينما يتدبر البشائر القرآنية . . في قوله تعالىٰ . . ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠] . . .

وقد تحقق وعد الله ـ تعالىٰ ـ للحفاة العراة الجياع المستضعفين المعذبين من أصحاب رسول الله ﷺ . . لما نصروا دين الله ـ تعالىٰ ـ وصدقوه . . فحولهم الله ـ سبحانه ـ بهذا الدين من رعاة للإبل والغنم إلىٰ قادة وسادة لجميع الدول والأمم . . .

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: (لقد كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزَّ في غيره أذلنا الله) . . .

ووعد الله ـ تعالىٰ ـ قائم لكل من يسير علىٰ نفس الطريق بإذن الله ـ عز وجل ـ . .

ومن البشائر قوله تعالىٰ . . ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ



الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. . .

وتحقق وعد الله تعالىٰ في حياة رسوله ﷺ. . وحياة الصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ من بعده. . حتىٰ بلغت حدود الدولة الإسلامية أقصىٰ المشرق والمغرب. . . وكُسر كسرىٰ. . وأُهين قيصر. . .

فيدرك أن وعد الله تعالىٰ مدخور له إن أقام حقيقة الإيمان. . وصفاء التوحيد. .

ومن البشائر التي يتدبرها. . قوله تعالىٰ. . **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٦]. . .

فكم من المليارات أُنفقت ولا زالت للصد عن سبيل الله ـ تعالىٰ ـ. . وتنحية دين الله ـ تعالىٰ ـ. . ولكن بموعود الله ـ عز وجل ـ. . **﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٦]. . كم من الأموال بُذلت لتنصير المسلمين!! كم أنفق من أموالٍ للقضاء علىٰ طلائع البعث الإسلامي!! وكم أنفق من أموال لتدمير كيان الأسرة!!! وتقويض صرح الأخلاق!!! وإشاعة الرذيلة!! عن طريق الأفلام الداعرة. . والمسلسلات الفاجرة. . والمجلات الخليعة الماجنة. . والقصص الساقطة الهابطة!!!

وكم أُنفق من أموالٍ علىٰ أندية الروتاري والماسونية وغيرها!! ولكنه يوقن تماماً أنه بموعود الله تعالىٰ. . **﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٦]. . .

٦٨ـ بشائر الرسول ﷺ. . تحيي في قلبه الأمل. . قلبه المطمئن الواثق بنصر الله ـ عز وجل ـ. . وإن تأخر النصر. . وطال الطريق. . .

عن تميم الداري ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»**. . .

يقول تميم الداري ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزُّ، ولقد أصاب من كان كافراً الذل والصغار والجزية). . .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ نكتب، فقال رجل: أيُّ المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية؟. . فقال ﷺ: «**مدينة هرقل**». . يعني القسطنطينية. . . وبما أنه يعلم أن القسطنطينية فتحت أولاً علىٰ يد الشاب محمد الفاتح. . بعد البشارة النبوية بثمانية قرون تقريباً. . فإنه يوقن أن الشطر الثاني من البشارة. . فتح رومية وهي روما. . وعد سيتحقق بإذن الله ـ تعالىٰ ـ. فإنه لا يخلف وعده رسله. . ولعله يكون ـ والله أعلم ـ. في الخلافة التي جاءت البشارة بها بقول الرسول ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ علىٰ منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة ثم سكت**». . مما يزيده استيقاناً بالنصر. . والاستخلاف. . والتمكين. . .

من البشائر التي تزيده اطمئناناً. . قوله ﷺ: «**إنَّ الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**». . .

ومن أعظم البشارات. . قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتي يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود**». . .

ولقد حدَّد من لاينطق عن الهوىٰ ﷺ أرضَ المعركة تحديداً دقيقاً في رواية أخرىٰ. «**أنتم شرقيَّ الأردن وهم غربيَّه**». . ولم تكن آنذاك دولة تُعرف بالأردن. .

ولكنهـا النبـوة . . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٣ ـ٤]. . يتدبر هذه البشائر النبوية على نصرة هذا الدين . . فيوقن أن الإسلام قادم لأنه الدين الذي ارتضاه الله ـ تعالى ـ للبشرية كلها ديناً . . ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] . . ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ [القصص: ٥]. . .

٦٩ـ طاعةً لربه ـ عز وجل ـ . وحباً له سبحانه ـ . وترقباً لأجره . . ويقيناً بقدومه عليه . . فيوفيه حسابه . . يؤدي عبادته . . .

يسمع آيات الوعيد والترهيب . . فينتفض فؤاده . . خوفاً ورعباً . . ، قلبه بين كفتين : الرجاء واستشعار الثواب . . والخوف واستشعار العقاب . . يسمع آيات الوعد والترغيب . . فيطير قلبه فرحاً واستبشاراً . . .

ينظر إلى من يؤدي عبادته أداء الواجب . . متثاقلاً . . متذمراً . . لا يتمثل ثواب عبادته . . مستبعداً ليوم ملاقاة عمله . . غافل لا يعقل بقلبه وعقله إلا ما يعقله بصره وسمعه وشهواته . . يقرأ آيات الوعد فلا يشمر . . يقرأ آيات الوعيد فلا يعتبر . . فيدرك أنهم ليسوا حجارة أو جبالاً . . فالله تعالى يقول : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. . .

إنما هم بصفاتهم وأفعالهم واتباعهم لشهواتهم . . كما يقول تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] . . أما مصيرهم . . فليس كمصير الأنعام ، والتي ستكون تراباً إنّما هو مصير آخر ، ويا له من مصير ! ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ﴾ [هود: ١٠٦]. . .

٧٠ـ يقبل على خالقه ـ سبحانه ـ . يتقرب إليه . . يسأله الرحمة والرضوان . . يتمسك بمنهجه . . يتبع سنة رسوله ﷺ . . حتى يصير محلاً لهداية الله ـ تعالى ـ . . وعنايته . . ومعيته . . ولطفه . . فيكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ

﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. . .

ينظر إلىٰ الذين ابتعدوا عن الله ـ تعالىٰ ـ . ولم يحرصوا علىٰ مغفرته وعفوه. . فلا يكونوا محلاً للهداية. . ولا التوفيق. . ولا الإعانة. . فيحذر أن يكون ممن قال الله تعالىٰ فيهم. . . ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]. . و. . ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]. . .

٧١ـ إذا رأىٰ أن الله ـ تعالىٰ ـ يوسع علىٰ إنسان وهو ظالم. . يفعل المعاصي. . . ينتهك المحرمات. . ومع ذلك تزداد مكانته. . ومنزلته. . وماله. . ويزداد في طغيانه ومعصيته. . فيعلم أن ذلك ليس لكرامته علىٰ الله ـ عز وجل ـ . وإنما هو استدراج منه ـ سبحانه ـ . . . فينتبه. . ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]. . ويقول ﷺ. . **«إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يُفلته»** وقرأ قول الله تعالىٰ. . ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. . .

٧٢ـ يعلم ما للمعاصي والذنوب. . من آثار كبيرة علىٰ صاحبها. . وعلىٰ أسرته. . وعلىٰ مجتمعه. . وعلىٰ الأرض ومن فيها. . يدرك ما لأثرها من محق البركة. . وقلة الخيرات. . ومنع الأرزاق. . وظهور الفساد. . وتمكن الأشرار. . وتسلطهم علىٰ الأخيار. . ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. . .

يشاهد المحرمات. . هنا. . وهناك. . اعتادها كثير من الناس. . ويشعر بإمهال الله ـ تعالىٰ ـ لهم. . يؤخرهم. . فلو عاجلهم لأحلَّ بهم العقوبة الصارمة. . ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. . .

فيحذر من الذنوب والآثام. . صغيرها وكبيرها. . وإن وقع في شيءٍ منها سارع إلىٰ التوبة. . عسىٰ الله ـ تعالىٰ ـ أن يغفر له. . **«والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»**. . .

وبلزومه الطريقة المستقيمة يشعر بإعانة الله ـ تعالىٰ ـ له . . وإغاثته . . وعطائه . . ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦] . . .

٧٣ـ يقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] . . فيعلم أنّ صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر عندما يؤديها بخشوع وخضوع وحضور قلب . وليس نقراً كنقر الغراب . . لا يدري ماذا قال فيها . . .

صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر . . حين يتعبدّ الله ـ تعالىٰ ـ فيها . . يكبره . . ويعظمه . . يدعوه . . ويسبحه . . يركع ويسجد . . كل ذلك لله ـ تعالىٰ ـ وحده . . .

صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر . . يوم يستحضر عظمة الله ـ تعالىٰ ـ في قلبه . . يستحضر كبرياءه ومشاهدته له وإقباله عليه . . .

صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر . . حين يثبت عليها . . وأنه مأمور بها حتىٰ يأتيه اليقين . . .

٧٤ـ يطير قلبه شوقاً إلىٰ الجهاد . . وكلما دعا الداعي رَغب فيه وحنَّ إليه . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١] . . ولكنه يرىٰ أن الناس بحاجة كبيرة إلىٰ المعلمين والدعاة . . وإلىٰ العلم والتعليم . . فيدرك . . أن دعوتهم وتعليمهم أفضل من الجهاد الكفائي في بعض الأحيان . . يقول يحيىٰ بن معين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (الذَّبُّ عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله) . . فقال له محمد بن يحيىٰ الذهلي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ (الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟) . . قال: (نعم بكثير) ولكنه لا ينسىٰ أن يستعد للجهاد نفسياً وبدنياً . . يكثر من ذكره ويتمنىٰ الشهادة . . ويرغب فيها ويجعلها أسمىٰ أمانيه . . فهذا الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كان يركب إلىٰ الرمي كثيراً وكان لا يُسبق في إصابته الهدف . . ونظر يونس بن عبيد الإمام التابعي إلىٰ قدميه عند الموت وبكىٰ . . فقيل . ما يبكيك أبا عبدالله؟ قال

(قدماي لم تغبراً في سبيل الله) . . لا ينسى أن يجاهد بماله وبلسانه وقلمه . . فتكون حياته كلها جهاداً . . فلا يركن إلى حب الدنيا أو التعلق بها . . .

٧٥ـ يجد المنة لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن جعل له مواسم متكررة . . يستكثر فيها من الأعمال الصالحة . . وينافس فيما يقربه إلى الله ـ تعالى ـ . . ويعطيه فيها من الفضل والكرم والأجر والثواب العظيم . . .

يقول الرسول ﷺ : «**ما من أيام العملُ الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام**» . . . يعني أيام العشر من ذي الحجة . . قالوا : (يا رسولَ الله ولا الجهاد في سبيل الله) . . قال : «**ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**» . . .

ينتظر هذه الأيام . . يستعد لها بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والآثام . . حتى لا يحرمه الله ـ تعالى ـ بسببها من خير هذه الأيام . . ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] . . وليس من مصيبة أكبر عنده من فوات الأجر فيها . . وفي غيرها من المواسم . . .

يعزم على أن يعمرها بما يرضي الله ـ تعالى ـ . . فإنه إن عزم على خيرٍ أعانه الله ـ تعالى ـ . . وإن صدق الله ـ تعالى ـ صدقه الله . . فيهيِّئُ له الأسباب التي توصله إلى الخير ويعينه عليها . . ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] . . وعد من الله ـ سبحانه ـ والله لا يخلف الميعاد . . .

يكثر في هذه الأيام من الأعمال الصالحة . . من صلاة وصيام . . وصدقة وتلاوة قرآن . . تكبير وذكر لله ـ تعالى ـ . . .

عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ . . أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر فيكبِّران ويكبر الناس بتكبيرهما . . وروى إسحاق عن فقهاء التابعين ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ . . أنهم كانوا يقولون في أيام العشر . . «**الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ولله الحمد**» . . .

يقول الله ـ تعالى ـ . . . ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج:٢٨]. .
ولا ينسى الأضحية وما لها من أجر عظيم في هذه الأيام . . شعيرة من شعائر الإسلام . . وعبادة عظيمة قرنها الله ـ تعالى ـ بالصلاة . . ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢] . . سنة واظب عليها النبي ﷺ . . جاء عنه ﷺ . . **«أنه ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده وسمَّى وكبَّر ووضع رجله على صفاحهما»** . . وقال ﷺ حاضاً عليها : **«من وجد سعةً ولم يضحِّ فلايقربَنْ مُصلانا»** . . .

٧٦ ـ يبتغي بحجِّه وجه الله ـ تعالى ـ . . لا يقصد رياءً ولا سمعة . . ولا مباهاة أو خيلاء . . لا يريد به قضاء الوقت بين الأصحاب والإخوان . . للتسلية والترويح . . لا يقوم به لمجرد قضاء فرض عليه وكفى . . إنما يدخل فيه برغبة وشوق . . وحب للقاء الله ـ تعالى ـ . . وذكره ودعائه . . بخشوع وخضوع وتواضع يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن النبي ﷺ حجَّ على رحل رثّ وقطيفة ما تساوي أربعة دراهم، وقال . . **«اللهم اجعلها حجَّة لا رياء فيها ولاسمعة»** . . يطيب نفقته فيها . . فلا تكون إلا من كسبٍ حلال . . فـ **«إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً»** . . .

يُكثر من ذكر الله ـ تعالى ـ في كثير من أوقاته . . ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة:٢٠٠] . . .

وقد كان عمر ـ رضي الله تعالى ـ عنه يكبر بمنى في قبته فيسمعه الناس فيكبرون فتُرتجُّ منى تكبيراً . . يجتنب أفعال الإثم . . من رفث وفسوق ومعاصي وجدال . . وخلاف وخصام . . حتى لا يفوته ذلك الأجر العظيم : **«من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»** . . .

يقف في يوم عرفة . . يستشعر مباهاةَ الله ـ تعالى ـ به وبغيره الملائكة . . يوم مغفرة الذنوب . . والتجاوز والعتق من النار . . فيطمع أن يكون ممن تجاوز الله ـ تعالى ـ عنه وأعتقه من النار . . **«ما من يوم أكثرُ من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»** . . .

فيكثر في هذا اليوم من الذكر والدعاء . . لا يفوته أجر هذا اليوم العظيم فيدعو فيه بالعتق والمغفرة . . **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة»** . . .

يقول **ابن المبارك** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (جئت إلىٰ سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ علىٰ ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له: من أسوأُ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظنُّ أن الله لا يغفر لهم) . . .

فإذا أتمَّ حجه . . دعا الله ـ تعالىٰ ـ أن يتقبل منه أعماله وأقواله . . يقول عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: (كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] . . .

واضعاً نصب عينيه أنَّ من عمل طاعةً من الطاعات فعلامةُ قبولها أن يصلها بطاعة أخرىٰ . . وأخرىٰ . . وعلامة ردها أن يعقبها بفعل الذنوب والمعاصي . . فيحذر وينتبه . . سائلاً ربه الثبات . . .

٧٧ـ عرف ربه ـ سبحانه ـ . . خالقه ومدبر شؤونه كلها . . فأقبل عليه وتوجه إليه وكان ممن قال الله ـ تعالىٰ ـ لهم . . ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] . . .

عرف طريقه . . فسار عليه . . صابراً علىٰ ما فيه من المكاره . . والصعاب . . محتسباً الأجر عند رب العباد . . فكان ممن قال الله ـ تعالىٰ ـ فيهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] . . .

وتزود بخير الزاد . . ليعينه علىٰ مواصلة الطريق . . لزم تقوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في السر والعلانية . . استشعر مراقبته المستمرة . . وكان ممن قال الله ـ تعالىٰ ـ لهم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] . . .

وأدرك أنه لن يكفيه ذلك للوصول إلىٰ رضا الله ـ تعالىٰ ـ . . والحصول علىٰ سلعته الغالية دون جدٍّ وجهاد ومجاهدة . . ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] . . .

فجاهد نفسه . . وألزمها بما يحبه الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ . . لينال وعد الله ـ تعالىٰ ـ . . ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] . . فيسهل

الله ـ تعالىٰ ـ له سبيله، ويوصله إلىٰ مراده . . ولا بد . .

٧٨ـ يسمع قول الله ـ تعالىٰ ـ . . ﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٤] . . فيبادر . . غير متثاقل . . في عمل الخير . . ولا يتوانىٰ أو يتردد . . مدركاً أنَّ التأني مطلوب في أمور الدنيا . . بينما لا يطلب في أمور الآخرة . . يقول الرسول ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير، إلا في عمل الآخرة**» . . .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . يسابق أبا بكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . فلم يظفر بسبقه أبداً . . فلما أصبح أبوبكر خليفة المسلمين . . قال عمر: (والله لا أسابقك إلىٰ شيء أبداً) . . وقال . . (والله ما سابقته إلىٰ خير إلا ووجدته قد سبقني إليه) . . .

٧٩ـ يسير في طريق طاعة الله ـ تعالىٰ ـ . . ورسوله ﷺ . . الذي يعني له سلامة المنهج والاعتقاد . . ووحدة التلقي والتوجيه . . والذي يعني له أن الفشل حصيلة للتفرق واختلاف القلوب . . .

يسعىٰ لإصلاح قلبه . . ومداواة أمراض نفسه . . واضعاً نصب عينيه ما بيَّنه الله تعالىٰ أنه من أهم أسباب فشل المسلمين في غزوة أحد: تنازع الرماة . . اختلافهم . . عصيان الأوامر . . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] . . .

٨٠ ـ يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (لا تدخل محبةُ الله ـ تعالىٰ ـ في قلبٍ فيه حبُّ الدنيا، إلا كما يدخل الجمل في سَمِّ الإبرة) . . .

حب الله ـ تعالىٰ ـ . . يملأ قلبه، يتحرك من أجل الله ـ تعالىٰ ـ، يتفانىٰ في سبيل إرضاء الله ـ تعالىٰ ـ . . لا يخاف علىٰ منصب . . إن هو شغل وقته في أمور الدعوة . . ولا يخشىٰ علىٰ الزوجة والأبناء . . فيكتفي لذلك بالقليل من العمل . .

بل يؤمنهـم . . ويؤدىٰ حقـهم ما استطاع . . ثم يوكل أمرهـم إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وهو معهم . .

لا يفتنه جمال الزوجة . . ولا يجعل حقها : **«إن لزوجك عليك حقاً»** . . البقاء الدائم معها . . وتلبيةَ طلباتها . . والتفانيَ في إرضائها . . وينسىٰ شطر الحديث . . **«إن لربك عليك حقاً»** أو يجعل حق الله ـ تعالىٰ ـ في الصلوات المفروضة والصيام والزكاة والحج فقط . . ويخشىٰ إذا انشغل بالدعوة وتحرك لها أن يقصر في واجب الزوجة فيأثم . . أو يفقد رضاها . . .

إنه يجعل لكل ذي حقٍّ حقه دون تقصير . . ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً . . ينظم وقته ، ينظم عمله . . مع زوجة تعينه علىٰ حق الله ـ تعالىٰ ـ . .

لا ينسىٰ أنَّ تلك النوعية من الزوجات والأبناء الذين يعيقون الداعية عن أداء رسالته . . وعن التحرك في سبيلها . . لاينسىٰ أنهم أعداء قد حذره الله ـ تعالىٰ ـ منهم . . ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] . . .

يقول **الإمام الطبري** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : (عن عطاء بن يسار قوله . . إن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه وقالوا : إلىٰ من تدعنا؟ فيرقّ فيقيم . . فنزلت . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] . . .

٨١ ـ أعمال البر تثمر الهدىٰ . . فكلما ازداد منها اذاد هدىٰ . . وأعمال الفجور بالضد من ذلك . . ذلك أن الله ـ تعالىٰ ـ يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدىٰ والفلاح . . ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالشقاء والضلال . . فالزيغ سببٌ لأن يُزيغ الله ـ تعالىٰ ـ قلب صاحبه . . فيحذر . . ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] . . وأن الانصراف سبب لصرف قلب صاحبه . . فينتبه . . ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة : ١٢٧] . . .

والذين يتكبرون عن آيات الله ـ تعالىٰ ـ ، ويُعرضون عن الحق بعد أن رأوه واضحاً . . يصرفُهم الله ـ تعالىٰ ـ عن الانتفاع بها . . ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ



يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ﴾ [الأعراف: ١٤٦] . . .

والقلب إنما يطبع عليه لتراكم الذنوب على صاحبه . . ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين: ١٤] . . يدرك بذلك كله . . أنه إن بَعُد عن الله ـ تعالىٰ ـ . . فهو مسؤول عن بعده وتنكبه عن الحق . . وأن ربه ـ سبحانه ـ لا يظلم أحداً فيضله وقد أقبل عليه . . أو يصرفه وهو يريد الحق ويلتمسه . . فالعدل من صفاته ـ سبحانه وتعالىٰ ـ . . ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ [التوبة: ١١٥] . . .

٨٢ ـ يقول الله ـ تعالىٰ ـ . . ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف: ١٠٦] . . يجعله ذلك . . يقظاً دائماً . . يقظة تبعد عن قلبه أولاً بأول كل خالجة شيطانية . . تريد أن تدس له الشرك في أي صورة من الصور . . فيبقى إيمانه خالصاً . . وقلبه مديناً لله ـ تعالىٰ ـ . . وحياته عبودية لله الواحد الأحد . . .

يحذر من أن يشرك سبباً من الأسباب مع قدرة الله ـ تعالىٰ ـ في النفع أو الضر . . أو يشرك قوة غير قوة الله ـ تعالىٰ ـ من حاكم أو موجه . . أو يشرك في تضحية يشوبها التطلع إلى تقدير الناس . . أو يشرك في جهاد لتحقيق نفع أو دفع ضر لغير الله ـ تعالىٰ ـ . . أو يشرك في عبادة يلحظ فيها وجه مع وجه الله ـ تعالىٰ ـ . . **«يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»** . . .

٨٣ ـ يعلم: لماذا يقاتل؟ . . ومن يقاتل؟ . . وما هو الهدف من وراء القتال؟ . . جهاده عقد مع الله ـ تعالىٰ ـ . . وثمنه . . ما لا عين رأت . . ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر . . ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة: ١١١] . . .

ينتظر في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار . . أو النصر والظفر بالعدو والفتح المبين . . ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢] النصر عنده واضح المعالم . . إنه لدين الله ـ تعالىٰ ـ . . ولتكون كلمة الله ـ تعالىٰ ـ هي العليا . . وكلمة الذين كفروا السفلىٰ . . وليس النصر لقائد أو جماعة . . **«من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله»** . . .

يدرك أنه لا بد لكل مسلم أن يتوفر عنده حد أدنىٰ من العلم . . ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] . . وهو كداعية مجاهد . . لا بد أن يكون أكثر المسلمين تفهماً لقول الرسول ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»** . . وأن الجيش المجاهد في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ لا بد أن يكون محيطاً بعلوم كثيرة . . من شروط الحرب . . والأسرىٰ . . والجزية . . والغنائم . . والعهود . . والمواثيق . . ومتىٰ يكون الجهاد فرض عين؟ . . ومتىٰ يكون فرض كفاية؟ . . وهل يجوز الاستعانة بالكفار؟ . . إلىٰ غير ذلك من الأحكام الشرعية . . حيث لا يجوز أن يكون الجيش كله جاهلاً بهذه الأحكام . . وأنه لا بد أن يكون فيه علماء قادرون علىٰ وضع حلول سريعة لكل مشكلة تواجهه . ويعلم أنه لا يغني عن العلم . . صدقُ النية . . وقوة العزيمة والإخلاص . . بل إن كل ذلك يكمل بعضه بعضاً . . وأن الجاهل الذي يبطش بهذا . . ويسفك دم ذلك . . دون أن يتبين حكم الله ـ تعالىٰ ـ ومعرفة الحلال من الحرام فعمله فاسد غير مشروع . . ذلك . . حتىٰ لا يكون ممن قال الله تعالىٰ فيهم . . ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤] . . .

٨٤ ـ يوقن أن النصر من عند الله ـ تعالىٰ ـ . . فهو ـ سبحانه ـ الذي نصر المسلمين ببدر وأمدهم بالملائكة مسوِّمين . . وهو الذي أمرهم أن يتكلوا عليه وحده، وليس علىٰ قوتهم أو علىٰ الملائكة . . ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠] . . .



فإذا أراد النصر من الله ـ تعالىٰ ـ . . لا بد أن يكون متوكلاً عليه وحده . . ولا بد أن يكون من المؤمنين . . ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] شاكراً لله تعالىٰ . . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] وأن يكون تقياً . . شاكراً لله تعالىٰ ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . . يحسن التوكل علىٰ الله سبحانه . . ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . . .

صابراً . . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] . . لا يُصر علىٰ ذنوبه . . ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] . . .

يشعر بأهمية هذه الصفات . . وشدة حاجته إليها . . وأنها شرط أساسي من شروط النصر والتمكين . . .

٨٥ ـ توالي النصر من الله ـ تعالىٰ ـ قد يكون ابتلاءً منه ـ سبحانه ـ . . فلا يغريه . . النصر . . فيضعف اعتماده وتوكله علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ، ويعتمد علىٰ الكثرة والقوة . . بل تتضاعف ثقته وإيمانه بالله ـ سبحانه ـ . . .

يعلم أن المسلمين قد انتصروا في مواطن كثيرة . . في قريظة والنضير والحديبية وخيبر . . وفتح مكة . . الفتح الذي أصبحوا بعده قوة عزيزة الجانب . . وجاء يوم حنين . . الذي كان فيه المسلمون اثني عشر ألفاً . . فقال بعضهم . . (لن نُغلب اليوم من قلة) . . ولكنهم هزموا . . وولىٰ المسلمون لا يلوي أحد علىٰ أحد . . وثبت النبي ﷺ ومعه نفر قليل . . وعندما نادىٰ . . «**يا معشر الأنصار . . يا أصحاب البيعة**» . . رجع بعضهم واجتمع منهم حوله نحو المائة . . واستقبلوا هوازن . . وعندما حمي وطيس المعركة قذف الله ـ تعالىٰ ـ في قلوب هوازن الرعب فانهزموا شر هزيمة . . أدرك بذلك أن النصر من عند الله ـ تعالىٰ ـ . . ومن ينصره فلا غالب



له . . ﴿ ولينصُرَنَّ اللَّهُ مَن ينصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لقويٌّ عزيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] . . ومن يخذله فلا ناصر له . . وأن النصر ليس بالكثرة أو القلة . . .

﴿ لقدْ نصركُمُ اللَّهُ في مواطن كثيرةٍ ويوْمَ حُنيْنٍ إذْ أعجبتكُمْ كثرتُكُمْ فلمْ تُغْنِ عنكُمْ شيْئًا وضاقتْ عليْكُمُ الأرْضُ بما رحُبتْ ثُمَّ ولَّيْتُم مُّدْبرين (٢٥) ثُمَّ أنزل اللَّهُ سكينتهُ علىٰ رسُوله وعلى المُؤْمنين وأنزل جُنُودًا لَّمْ ترَوْها وعذَّب الَّذين كفرُوا وذلك جزاءُ الكافرين (٢٦) ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦] . . .

٨٦ـ تأمل كثرة الخوض في بيان حقيقة الإيمان ومسألة التكفير . . ورأىٰ من لا يريد خيراً بالمسلمين كيف يلقي بذورها المنحرفة بينهم من خلال وجهتين ضالتين . . ومذهبين باطلين . . **أحدهما** . . في جانب الغلو . . والإفراط في نصوص الوعيد . . مذهب الخوارج الذين ضلوا في بيان حقيقة الإيمان فجعلوه بشقيه شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه . . ما أنتج مذهبهم الضال . . وهو (تكفير مرتكب الكبيرة) . . وأدرك أن ذلك مما يفتح باب التكفير علىٰ مصراعيه . . فيصيب الأمة بالتصدع . . والانشقاق . . وهتك حرمات المسلم في دينه وعرضه . . .

وثانيهما . . في جانب التقصير والجفاء والتفريط في فهم نصوص الوعد . . والصدِّ عن نصوص الوعيد . . مذهب المرجئة . . الذين ضلوا في بيان حقيقة الإيمان فجعلوه شيئاً واحداً لا يتفاضل وأهله فيه سواء وهو . . (التصديق بالقلب مجرداً من أعمال القلب والجوارح) . . وجعلوا الكفر هو . . (التكذيب بالقلب وإذا أثبت بعضه ثبت جميعه) . . مما أنتج مذهبم الضال . . وهو . . (حصر الكفر بكفر الجحود والتكذيب) . . .

وأدرك أيضاً ما يفتحه ذلك . . من التخلي عن الواجبات والوقوع في المحرمات . . وجرأة كل فاسق وقاطع طريق علىٰ الموبقات، مما يؤدي إلىٰ الانسلاخ من الدين وهتك حرمات الإسلام . . .

وكيف أن هذا المذهب يلزم منه عدم تكفير الكفار . . لأنهم في الباطن لا يكذبون رسالة الرسول ﷺ . . وإنما يجحدونها في الظاهر . . ﴿ فإنَّهُمْ لا يُكذّبُونك



وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]. . .

ولذلك قال **الإمام الزهري** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ (ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضرُّ علىٰ أهله من هذه) ـ يعني ـ الإرجاء. . .

وبما أنه يعلم ما في هذين المذهبين من البطلان والضلال. . والظلم للعباد. . وما يؤديان إليه من إشعال الفتن. . ووهاء المد الإسلامي. . وهتك حرماته وضرورياته. . إلىٰ غيرها من المفاسد التي يجمعها الخروج علىٰ ما دلت عليه نصوص الوحيين الشريفين. . والجهل بدلائلها تارة. . وسوء الفهم لها تارة أخرىٰ. . وتوظيفها في غير ما دلت عليه. . وبتر كلام العالم تارة. . والأخذ بمتشابه قوله تارة أخرىٰ. . .

فإن الله ـ تعالىٰ ـ هداه إلىٰ القول الحق. . والمذهب العدل. . والمعتقد الوسط بين الإفراط والتفريط. . مما قامت عليه دلائل الكتاب والسنة. . ومضىٰ عليه سلف الأمة من الصحابة ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ. . والتابعين لهم بإحسان. . من أن الإيمان. . قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. . ولا يزول بها. . وأن الكفر يكون بالاعتقاد بالقول وبالفعل وبالشك وبالترك. . وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب. . ولا يلزم من زوال بعض الإيمان زوال كله. . .

﴿ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢) ﴾ [الشعراء: ١٥١ـ١٥٢]. . .

٨٧ ـ رضي بالله ـ تعالىٰ ـ رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً. . فهو يحمد الله ـ تعالىٰ ـ آناء الليل والنهار. . ويُثني عليه الخير كله. . علىٰ هذه النعمة العظيمة التي هي أعظم النعم وأجلها. . وهو بذلك يقيم ما أمره الله ـ تعالىٰ ـ به من خصال الإسلام. . وما افترضه الله ـ تعالىٰ ـ عليه. . فيأتمر بأوامره. . وأعظمها. . توحيد الله ـ تعالىٰ ـ وإخلاص العبادة لله ـ تعالىٰ ـ. . والعمل وفق سنة رسول الله ﷺ. . بإقامة الصلوات الخمس وسائر أركان الإسلام وأسباب

طاعة الله - تعالىٰ - ومرضاته . . وينتهي عما نهىٰ الله - تعالىٰ - عنه . . وأسوؤها الشرك بالله - تعالىٰ - . . وما يتبع ذلك من البدع والمعاصي والضلالات . . التي هي من أسباب سخط الله - تعالىٰ - وعقابه . . ثم إنه لا ينسىٰ أن يتواصىٰ مع غيره . . بهذه النعم . . وبلزوم الكتاب والسنة . . يدعو إلىٰ ذلك علىٰ بصيرة . . يقيم الأمر بالمعروف . . وينهىٰ عن المنكر . . ويصبر علىٰ الأذىٰ في سبيل الله - تعالىٰ - . . ويلزم جماعة المسلمين . . يتراحم ويتعاطف فيما بينه وبينهم . . ويشفق عليهم . . ويناصرهم علىٰ الحق . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣] . . . .

٨٨ - يحذر أن تزل به قدم عن الإسلام بعد ثبوتها . . **«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»** . . .

فيحذر من أسباب الفتنة والفساد . . والزيغ والانحراف . . والردة والإلحاد . . وأعظمها الفتنة في الدين . . وشق عصا المسلمين . . وتفريق جماعتهم . . يتنبه إلىٰ الدعوات المضللة . . والوسائل المغرضة . . والأفكار الهدامة . . والتوجهات العقدية المضلة . .

يبتعد عن المجادلة بالباطل لدحض الحق . . ونشر الإباحية وفساد الأخلاق . . مما يوهن المسلمين . . ويضعف المد الإسلامي . . .

متأملاً في ذلك قول الله تعالىٰ . . ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠] . . .



الجزء الثاني

علاقته بوالديه ورحمه



علاقته بوالديه ورحمه

١ـ برُّه بوالديه.. صفةٌ من صفاته.. بل من أبرزها وألزمها.. يضع مرضاة والديه بعد مرضاة ربه ـ سبحانه ـ. والإحسان إليهما بعد إيمانه بخالقه ـ عز وجل ـ. ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]...

يبر والديه أكثر من أي إنسان في الوجود.. في صورة قضاء حتمي.. لا فكاك له منه.. ولا معدل له عنه.. حين يستمع إلى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]...

يرق قلبه وتلين جوارحه بالرحمة والعطف عليهما.. وخصوصاً حين يبلغا درجة الهرم والضعف.. فيحذر من أن تخرج منه كلمة تذمر أو ضيق.. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]...

يفكر طويلاً قبل أن يتكلم معهما.. يبحث عن كلمة طيبة يوجهها إليهما.. يطيّب أنفسهم بها ويقرّا بها عيناً.. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]...

يقف بين أيديهما وقفة احترام بالغ وتقدير متناهٍ رحمةً بهما.. ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]...

يلهج لسانه دائماً بالدعاء لهما.. متذكراً ما قدماه له من أيادٍ لا تُنسى.. حين ربياه صغيراً قاصراً ضعيفاً.. ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].. سأل رجل سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ. لقد فهمت آية بر الوالدين كلها إلا قوله تعالى.. ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].. فكيف يكون القول الكريم؟.. فأجابه سعيد.. (يعني: خاطبهما كما يخاطب العبد سيده)...

وكان **ابن سيرين** يكلم والدته بصوت ضعيف كأنه صوت مريض إجلالاً لها واحتراماً . . .

٢ـ يقدّر بقلبه الرقيق ضعف والديه وحاجتهما إليه . . فينصرف عن تطوعه للجهاد . . ومن باب أولىٰ عن أمور أخرىٰ يبتعد بها عنهما . . ويلتفت برفق إلىٰ العناية بهما . . ويحسن القيام علىٰ شؤونهما . . مدركاً أن الرسول ﷺ جعل بر الوالدين بين أعظم عملين في الإسلام . . .

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال . . سألت النبي ﷺ . . أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله؟ قال . . «**الصَّلاة علىٰ وقتها**» . . قلت . . ثم أيٌّ؟ قال . . «**برُّ الوالدين**» . . قلت . . ثم أيٌّ؟ قال . . «**الجهاد في سبيل الله**» . . وعندما أتىٰ الرسولَ ﷺ رجل يبايعه علىٰ الهجرة والجهاد . . سأله . . «**فهل من والديك أحد حيٌّ؟**» فقال الرجل . . نعم بل كلاهما . . فقال ﷺ: «**فتبتغي الأجر من الله تعالىٰ؟**» فقال : نعم . . فقال ﷺ: «**فارجع إلىٰ والديك فأحسن صحبتهما**» . . .

وفي رواية . . أن رجلاً استأذن الرسول ﷺ في الجهاد . . . فقال . . «**أحيٌّ والداك؟**» قال : نعم . . قال : «**ففيهما فجاهد**» . . .

٣ـ بره بوالديه . . إقباله عليهما . . بمحبة قلبه . . وبذل يده . . وكلمته . . المؤنسة الطيبة . . وبسمته الودود . . لا تغيب عنه مهما تعقدت أمور الحياة . . ومهما طرأ عليها من تطور . . ومهما تجمع فوقها من ركام العادات . . والنظم الغربية . . التي غزت عقول كثير من المسلمين . . فلا تحسب حساباً لبر الوالدين . . وحفظهما . . فلا يلتفت إلىٰ الوراء قليلاً ليلقي نظرة حب وبر ووفاء . . لجيل قدم من أجله الكثير . . طالما سهرا الليالي . . وأنفقا المال في تربيته وإعداده للحياة . . حتىٰ إذا ما كبر وقوي عوده . . وإذا ما فكر بالسكن المريح . . والملبس الفاخر . . والطعام الطيب . .

والرحلة الممتعة.. التفت قلبه إلى زوجته وأطفاله.. ونفسه...

لا يتذكر نصيب والديه من هذا النعيم.. وإنهما لفي أمسّ الحاجة إليه.. لا.. إن بره بوالديه لا يغيب عنه أبداً.. إنهما من صفاته التي تحفظه من تحجر القلب.. وتقيه من أنانية السلوك.. وترده إلى إنسانيته ووفائه إذا ما تردىٰ غيره في حضيض الجحود.. والكفران...

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]...

٤ ـ جسدان طالما تعبا في توفير حاجاته.. قلبان رقيقان رحيمان.. طالما راقبا مشاعره وأحاسيسه.. يفرحان لفرحه.. يحزنان لحزنه.. عينان طالما ذرفتا الدمع خوفاً عليه.. وسعادة لسروره.. لسانان طالما لهجا بالدعاء له ليل نهار...

هاهما.. قد أصابهما الكبر.. تبدلت الأيام.. نحلت أجسادهما.. ضعفت نفوسهما.. أسيران عنده.. لا ملجأ لهما بعد الله ـ تعالىٰ ـ إلا هو.. لايحتاجان لكثير من طعام.. أو لباس.. أو مال.. يريدان رحمة.. وعطفاً.. وحناناً، كلمة طيبةً.. ودعاء.. يريدان براً وإحساناً...

إنه يقبل رأسيهما.. يمازحهما.. لا يلقي إليهما كلمات تكدر صفوهما.. يشاورهما في بعض أموره.. يرفع بذلك معنوياتهما.. ويشعرهما أنه مازال بحاجة إليهما.. وإلى رأيهما.. لا يعوضهم بالإحسان.. إساءة.. ولا بالرحمة غلظة وقساوة.. فإنه يعلم أن قضاء حقهما عبادة.. ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]..

يبتغي في برهما الجنة.. ولا ينسىٰ أنَّ برَّهما.. دَين.. يفي به أولاده.. حينما يصير في يوم مثلهما..

قال ﷺ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف».. قيل.. من يا رسول

الله؟ قال: **«من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»** . . .

يكون قدوة لأبنائه . . ببره هو بوالديه . . حينما يُلين لهما الكلام . . ويبش في وجهيهما . . ويستبشر بهما . . يقبل رأسهما . . يقدم لهما الهدية . . ولو كانا أغنياء عنه وعنها . . يدعو لهما سراً وجهراً وهما يسمعان . . فيدخل السرور عليهما . . .

٥ ـ سبباً لوجوده . . يحبانه ويحرصان عليه . . يهتمان به ويقومان بشؤونه . . يسهران على راحته . . .

حملته أمه وعانت من حمله وولادته ورضاعته . . والسهر على راحته . . تعهدته في طعامه وشرابه . . في لباسه ونظافته . . .

ضحىٰ والده . . وسعىٰ للكسب حتىٰ يوفر ما يحتاجه هو وإخوانه . . وبذل الكثير من الجهد والوقت حتىٰ يوفر له الحياة الطيبة . . .

تأمل في هذا الفضل العظيم . . فأدرك أنه لن يستطيع أن يجازي والديه علىٰ معروفهما وبذلهما قبل أن يكون شيئاً مذكوراً . . إلىٰ أن كبر وبلغ مبلغ الرجال . . لن يستطيع أن يجازيهما إلا بأمر واحد . . .

«لن يجزي ولدٌ والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه» . . .

٦ ـ ما أقسىٰ العقوق وما أمرّه!! حين يصدر من فلذة الكبد . . وثمرة الفؤاد . . وأقرب إنسان علىٰ وجه الأرض . . فما أسوأه!! وأشد تأثيره علىٰ الوالدين!! وهو الحريص . . والمتفاني في أمر الله ـ تعالىٰ ـ . . الشديد العناية بالسنن . . والمستحبات . . يهتم اهتماماً كبيراً بوالديه . . بل هما لديه من أهم الأولويات يأمرانه فيطيعهما . . يقسمان عليه فيبرهما . . يسألانه فيعطيهما . . يأتمنانه فلا يخونهما . . .

لا تجعله الألفة وطول العشرة . . أن يذهب الكلفة بينه وبينهما . . فلا يهتم بهما وبمشاعرهما . . بل إنه يتواضع لهما . . ويذل بين أيديهما . . يُجلُّهما

. . . ويحترمهما . . . بل يفرح وتقرُّ عيناه حينما يطلبان منه شيئاً مما رزقه الله ـ تعالىٰ ـ . . .

ويعلم أن الله ـ تعالىٰ ـ حينما نهاه عن قول كلمة أفٍّ لهما . . فإن نهيه ـ سبحانه ـ عما هو أشد منها من باب أولىٰ . . ويدرك أنه منهيٌّ عن ذلك في كل وقت . . ولكنهما في حال الكبر . . قد يصدر منهما كلام . . أو يرىٰ منهما شيئاً . . أو يشمه . . أو يكثرا عليه الطلبات . . ولكنه يصبر . . ويتحمل بسعة صدر . . يتذكر كيف كانا يصبران عليه . . وعلىٰ طلباته . . وعلىٰ قذارته . . وكيف كانا يزيلان عنه الأذىٰ في صغره . . .

فيحمد الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ أن بلغه مبلغ الرجال وأقدره علىٰ قضاء حوائجهما حين احتاجا إليه . . فإنهما مدخلٌ له من مداخل الجنة . . .

بكىٰ الحارث العكلي في جنازة أمه فقيل له . . تبكي؟ . . قال : ولم لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة؟ . . .

٧ ـ كبر . . وكبرت معه اهتماماته . . وكثرت أعماله . . ولكنه وسط هذه الأعباء والانشغالات . . لا ينسىٰ . . أبداً . . والديه . . يقدم حاجاتهم علىٰ حاجاته . . وأعمالهم علىٰ أعماله . . لا يعتذر لهم بارتباطات . . أو مواعيد . . .

إنه يجلس إليهما . . يؤانسهما . . يسأل عن حوائجهما . . وعما يعانونه من مشاكل وهموم . . يخصص وقتاً لهما . . .

يستشيرهما في أموره . . ولو لم يأخذ برأيهما . . لا يمتنع عن ذلك بحجة أن مشاكله وقضاياه لا يدركها والداه . . بل يشعرهما أنه ما زال بحاجة إليهما . . وإلىٰ مشورتهما . . لا يستغني عنهما مهما بلغا . . وبلغ به العمر . . .

يستأذنهما . . يخبرهما بما يفعل . . وإلىٰ أين يذهب . . ما أمكنه ذلك . .

هاجر رجل من اليمن إلىٰ رسول الله ﷺ . . فقال له : **«هل لك أحد**

باليمن؟ . . قال: أبواي . قال: **«أذنا لك؟»** . . قال: لا . . . قال: **«ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك وإلا فبرَّهما»** . . .

٨ ـ لا ينظر إلىٰ والديه بمنظار النقص . . لا يعجب بنفسه حينما يتمتع بميزة من غنىٰ أو جاه . . أو مركز مرموق . . أو بطاعة لله ـ تعالىٰ ـ ليست عندهما . . .

لا يستخفُّ بهما . . أبوه أمي لا يقرأ القرآن . . أمه حادة الطبع . . أبوه فقير وأمه جاهلة لا تعلم كثيراً من أمور الدين . . لا يستغل ذلك النقص فيهما . . ويحتج بالخروج علىٰ أمرهما . . ويستسهل عقوقهما . . ويهمل العناية ببرهما . . ويبرر لنفسه الأعذار علىٰ ذلك . . .

إنه لا يعاملهما بالمثل . . فليس أعظم من حال الشرك . . ومع ذلك أمر الله ـ تعالىٰ ـ بالصلة والبر . . والمصاحبة بالمعروف . . إن معاملة الوالدين تختلف عن معاملة سائر الناس . . يدرك ذلك . . ويدرك أنه مأمور ببرهما والإحسان إليهما علىٰ أي خُلق كانا عليه . . ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان: ١٥] . . .

٩ ـ يذل ويستسلم . . يخفض لوالديه الجناح . . حتىٰ ولو كانت الحجة معه . . يحاورهما . . يناقشهما . . ولكن ليس حوار النِّدِّ للنِّدِّ بالحجة والدليل . . لا يخاصم ولا يجادل . . لأنهما ليسا نداً له . . وليس مطالباً بالحجة يقيمها علىٰ دعواهما إلا إذا أمراه بمعصية . . .

وحينما يشعر بانحرافهما عن جادة الصواب . . أو بعدهما عن طريق الحق . . فإنه يأتي إليهما برفق ولباقة . . وأسلوب مهذب حكيم . . ليصرفهما عن الباطل الذي يتمسكان به . . لا يشتد . . أو يغلظ . . أو يقسو . . بل يحاول إقناعهما بذكاء وتلطف . . حتىٰ يلفتهما إلىٰ الحق الذي يؤمن به . . .

قد تكون هناك مشكلة ما بين والديه . . فيصلح بينهما ما استطاع إلىٰ ذلك

سبيلاً . . ولا يقف مع أحدهما ضد الآخر . . يُنصف . . ويظهر المحبة لكليهما . . .

١٠ - يقوم بأعمال الخير . . يحفظ القرآن . . يحضر الدروس والمحاضرات . . يطلب العلم يقوم بكثير من مهام الدعوة . . يزور إخوانه في الله - تعالى - . . قائم على متعلقات الجهاد في سبيل الله - تعالى - . . .

يطلب والديه أداء حاجة من حوائجهما . . لا يتعلل بكل ذلك . . ويعتذر بأنه مشغول بأمر أهم . . أو يظهر الكراهة . .

إنه يتقبل ما يريدان بصدر رحب . . يفرح بذلك . . إنه لا ينسى قول الرسول ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله - تعالى - فقال : «**الصلاة على وقتها**» . . قيل : ثم أيٌّ؟ قال : «**برُّ الوالدين**» . . قيل : ثم أيٌّ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**» . . .

كان **الإمام حيوة بن شريح** - رحمه الله تعالى - . . يقعد في حلقته يُعلم الناس . . فتقول له أمه . . (قم يا حيوةُ فألق الشعير للدَّجاج) . . فيقوم ويترك التعليم . . .

١١ - يدرك أنه إذا برّ والديه . . وكسب رضاهما . . كسب رضا الله - تعالى - . . «**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**» . . وإذا رضي الله - تعالى - عن عبد من عباده . . رحمه . . وأدخله جنته . . وأمنه من عذابه . . .

وفي الدنيا يصلح له ذريته . . ويعاملونه بالبر والإحسان كما كان يعامل والديه . . ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] . . .

يطيل الله - تعالى - في عمره . . يوسع له في رزقه . . «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» . . . ووالداه من أقرب الرحم التي يجب عليه أن يصلها . .

ببره لوالديه . . ينال تقديرهما . . وحبهما . . ودعوتهما الصالحة . .

فدعاؤهما مستجاب. . فيحرص أن ينال منهما دعوات صالحات تسعده في دنياه وآخرته . . **«ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»** . . .

١٢ ـ عندما يتحدث والداه. . يظهر العناية بكلامهما. . ويركز الذهن والنظر إليهما بأدب. . يتحامل على نفسه بلزوم الصمت. . والاحترام إذا اشتدّا عليه. . أو غضبا. . وخصوصاً أمام أحد من الناس. . .

لا يسمح لأحد من والديه أن يقدم له خدمة. . أو لغيره وهو جالس. . بل يبادر بخدمتهما. . ومساعدتهما. . والأخذ عنهما. . تقرباً إليهما. . وإشفاقاً ومحبةً لهما. . .

يغتنم حياة والديه. . فيسعى جهده لخدمتهما بكل وسيلة. . وبكل سبيل يدرك أن إدراكه لهما نعمة عظيمة. . وأنه خاسر كل الخسارة إذا لم يبرّهما ولم يحسن إليهما. . .

قال ﷺ: **«أتاني جبريل فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين»** . . .

١٣ ـ يبذل الصدقة عن والديه. . يخبرهما بذلك ليفرّحهما. . يشارك مشاركة صادقة في تخفيف ما يؤذيهما ويضايقهما. . من الهموم. . والديون. . والأمراض يعينهما ما استطاع على ظروف الحياة. . لا ينتظر منهما العرفان والشكر. . بل إنه قد يجد منهما مع ذلك الظلم. . أو الجفاء. . أو الغضب. . فلا يتغير برّه أو يقل. . بل يصبر ويحتسب. . فما أعظم أجر الصابرين. . ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. . .

١٤ ـ يربي نفسه على سرعة الاعتذار منهما. . وإظهار الأسف على ما يصدر منه تجاههما مما لا يرضيهما. . وإن رضيه هو. . حتى ولو صدا أو

أعرضا عنه.. لا يعاملهما بالهجران والقطيعة.. بل يكون سباقاً إلى الجميل.. مسارعاً إلى طلب رضاهما وعفوهما.. مبتعداً عن كبر النفس وفظاظة القلب.. متذكراً قول الرسول ﷺ: **«ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ على كل قريب سهل»**...

١٥ - يتمسك بأعلى مراتب الحب والوفاء والبر بوالديه.. يصل أصدقاءهما في حياتهما وبعد مماتهما.. يبقى حبه.. واحترامه لهم.. ولا ينسى ذلك الود القديم.. والعلاقة الحبيبة التي أحكم نسجها والداه الحبيبان.. بود خالص لهم.. يوطد علاقته بهم.. وأواصر الصلة والصداقة...

قال ﷺ: **«أبرُّ البر أن يصل الرجل ودّ أبيه»**.. لقي عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - صديقاً لوالده عمر - رضي الله تعالى عنه -.. فبالغ في بره وإكرامه.. فقال له بعض من معه.. أما كان يكفيه أن تتصدق عليه بدرهمين؟.. فقال ابن عمر.. قال النبي ﷺ: **«احفظ ودَّ أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك»**...

وسأل رجل النبي ﷺ.. يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيء بعد موتهما أبرُّهما؟.. قال: **«نعم خصال أربع: الدعاء لهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما»**...

صلة الأرحام

١ ـ يتطلع إلىٰ رضوان ربه ـ سبحانه ـ . . وسلامة دنياه . . وآخرته . .

وصلة الرحم من أجلِّ الأعمال الصالحة التي تضمن له الجنة . . وتقيه من النار . . سأل رجل الرسول ﷺ . . أخبرني بعمل يدخلني الجنة . . فقال ﷺ : **«تعبد اللهَ ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم»** . . .

صلة الرحم . . بركة عليه في رزقه . . وبركة عليه في عمره . . تزيد في ماله وتنميه . . وتطيل في أجله وتبارك فيه . . **«من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه»** . . .

ويعلم أن قطيعته لرحمه . . بلاء عليه . . ومقت من الله ـ تعالىٰ ـ . . **«لا يدخلُ الجنةَ قاطع رحم»** . . قطيعته لرحمه . . قطع له من ظلال رحمة ربه ـ تعالىٰ ـ . . فيظل شقيّاً مهاناً . . .

قال ﷺ : **«إن الرحم شِجْنة من الرحمن تقول . . ياربِّ إني ظُلمت يا رب إني قُطعت يا رب إني . . فيجيبها : ألا ترضَين أن أقطع من قطعك وأصلَ من وصلك»** . . .

٢ ـ بما أنه يبتغي بصلته لأرحامه رضوان الله ـ تعالىٰ ـ . . فإنه لا ينتظر علىٰ صلته أن يكافأ بمثل فعله . . بل يصل رحمه ولو لم يصلوه . . يقول ﷺ : **«ليس الواصلُ بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»** . . .

من حلمه . . وصبره . . وعفوه . . وسماحته . . يصل قرابته . . حتىٰ ولو قابلوه بالقطيعة والجفاء والإساءة . . .

جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون



عليّ . . فقال ﷺ : **« لئن كنت كما قلتَ فكأنما تُسفُّهم الملَّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »** . . .

يترفع عن جهالاتهم وإساءاتهم . . إنه أكبر من أن تؤثر مثلُ تلك التفاهات على صلته برحمه وبره بهم . . وهو يسمع قول الرسول ﷺ **«الرحم معلقةٌ بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»** . . .

لا تلهيه الدنيا . . ولا الزوجة والأطفال . . والأموال . . عن تفقده لذوي رحمه . . وقرابته . . يبرُّهم . . يكرمهم . . يعينهم . . يغنم بذلك أجرين : أجر القرابة وأجر الصدقة . . .

يبذل ماله لهم . . يزورهم ويسأل عنهم . . يتوددً إليهم . . بالكلمة الطيبة . . والوجه الطلق . . واللقاء الحسن . . فتخفق القلوب بحبه . . ليدعوهم . . وينصحهم . . ويؤثر فيهم . .

٣ـ يصل قرابته . . حتى لو كانوا على غير دين الإسلام . . يقول ﷺ : **«إنَّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليِّيَ الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبُلّها ببلالها»** . . .

ولم يجد عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ حرجاً من أن يهدي حلةً بعث بها إليه الرسول ﷺ إلى أخ له من أمه مشرك . . .

٤ ـ يعلم أنه مأمور بصلة رحمه . . وأن ترك زيارة أقاربه ربما كان من القطيعة . . . فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»** . . .

ويدرك أن صلة الرحم ثوابها الأجر وبسطة الرزق والنسأ في الأثر ، كما روى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : **«من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه»**[1] . . .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .



يقرأ قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].. فيكفيه ذلك حثاً على الصلة... وترهيباً من القطيعة...

٥- يأتي رمضان.. فينكسر قلبه.. وتذلّ نفسه وتزداد رحمته وشفقته.. وأحق الناس برحمته.. وبره وصلته.. هم أقاربه وأرحامه...

يزورهم.. ويصلُهم.. ويبرهم.. ويتودد إليهم.. فصلة الرحم عنده لا تكون ببذل المال فحسب.. بل هي أعمّ من ذلك وأوسع.. إنه يبذل ماله للفقراء منهم.. ويزورهم فيوطد أواصر القرابة.. ويمد بذلك في التواد والتراحم.. يناصحهم.. ويعينهم.. ويؤثرهم.. صلته تكون.. بالكلمة الطيبة.. والوجه الطلق.. واللقاء الحسن.. والابتسامة الودود.. وأعمال الخير التي تفجر ينابيع الحب في القلوب.. وتبسط رواق الألفة والتراحم...

٦- دأب الصالحون من سلف الأمة على صلة أرحامهم رغم صعوبة وسائل الاتصال.. وفي وقتنا المعاصر.. فرغم توافر مختلف وسائل النقل والاتصال كالهاتف.. والسيارة والبريد.. والتي ينعم بها كثير من الناس.. ولله الحمد والمنة..

إلا أنه يلاحظ أن هناك تقصيراً في صلة الرحم.. فيجد من قد يشد رحاله إلى بلد بعيد للسياحة.. ولكنه يتثاقل عن زيارة أحد أرحامه.. وربما كان في نفس مدينته.. إن لم يكن في نفس حيه...

فيتذكر قوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة قاطعُ رحم»**[1]..

ويدرك أن سبب انشغال الناس عن صلة أرحامهم.. هو سوء إدارتهم لأوقاتهم...

---

(١) متفق عليه.

٧ ـ إن بعض الناس لا يصل أقاربه إلا إذا وصلوه . . وهذا في الحقيقة مكافئ وليس بواصل . . لذلك فهو يصل رحمه وإن قطعها أقاربه . . حتى يكتبه الله ـ تعالى ـ من الواصلين . . .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ . . قال : **«لئن كنت كما قلتَ فكأنما تُسفُّهُم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . . »** . . .

وقال ﷺ . . **«ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قُطعت رحمه وصلها»**[1] . . وقال . . **«أفضل الفضائل . . أن تصلَ من قطعك ، وتعطيَ من حرمكَ ، وتعفوَ عمن ظلمك»** . . .

٨ ـ ينظر إلى أقاربه نظرة القريب لقريبه . . فيعاملهم معاملةً تليق بهم . . لا يخاصمهم في أقل الأمور أو يعاديهم لأتفه الأسباب . . ودون سبب شرعي مسوغ . . .

ثري وأقاربه محتاجون . . فيقوم بصلتهم . . وقد يكونون ممن تجب عليه نفقتهم لعجزهم عن التكسب . . وقدرته على الإنفاق عليهم . .

وقد قال أهل العلم : كل من يرث شخصاً من أقاربه فإنه تجب عليه نفقتهم إذا كان محتاجاً عاجزاً عن التكسب وكان الوارث قادراً على الإنفاق . . لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . . أي مثل ما على الوالد من الإنفاق . . فمن بخل بما يجب عليه من هذا الإنفاق فهو آثم محاسب عليه يوم القيامة ، سواء طلبه المستحق منه أم استحى وسكت . . فيحذر . . .

---

(١) متفق عليه .



٩ ـ هادئ النفس . . مرتاح الخاطر . . مطمئن القلب . . فهو واصل لرحمه . . يزكي بذلك أعماله . . وينمي أمواله . . ويطيل في عمره . . طالباً . . لتماسك الأسرة . . وقوة المحبة . . متفادياً للعداوة والأحقاد . . التي تستشري بين الأقارب فلا تدع ولا تذر . . قال تعالى: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ به والأرحام إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] . . وقال تعالى . . ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾ [الرعد: ٢١-٢٢] . . .

مبتعداً عن دخول النار . . . وغضب العزيز الجبار . . وعن حلول النقم . . وتعجيل الفناء . . وحبس الرحمة . . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] . . .

ليس أرضى لله ـ تعالى ـ من صلة الرحم التي أمر أن تُوصل . . وبرِّ الأهل والعشيرة . . الذين يزكو عندهم إسداء المعروف . . وليس أجلبُ لسخط الله ـ تعالى ـ من إهدارِ هذه الحقوق التي يوغر إهدارها الصدور . . ويثير العداوة ويورث الأحقاد . . ويجعل الأسرة المتعاطفة متدابرة متخالفة . . .

فيرعى أولي أرحامه . . ويوسع عليهم . . بما لا يشق عليه إسداؤه إليهم . . حفظاً لأسرته من التفكك . . وحمايةً لها من الانحلال والزوال . . ودواء لأنفس إن غفلت عن مغزى قول طرفة بن العبد الجاهلي . . .

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
على النَّفس من وقع الحسام المهنَّد

لا ينبغي أن يعقل عن صورة الرحم الفذة في قول الرسول ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم»** فقالت . . هذا مقام العائذ بك



من القطيعة . . قال: «نعم، أما ترضَين أن أصلَ من وصلك وأقطعَ من قطعك؟» قالت: . . بلىٰ . . قال: «فذلك لك» . . قال رسول الله ﷺ: «اقرأ وإن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]» . . .

١٠ - إن في بعض الأسر من الجفوة والجحود . . والانحراف عن صراط الله المستقيم . . قدراً كما شكا منه أحد صحابة رسول الله ﷺ . . يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ . . فقال ﷺ: «إن كنتَ كما قلت فكأنما تُسفُّهُم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت علىٰ ذلك» . . .

ولهؤلاء الجاحدين حقوقٌ علىٰ قلبه الكبير . . فالإحسان إلىٰ المسيء من أدب الإسلام الذي تأدب به . . والذي يقول فيه ﷺ: «يا عقبة صل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك» . . .

فمن بشاشة عند اللقاء . . ولين في المعاملة . . إلىٰ طيب في القول . . وطلاقة في الوجه . . زيارات وصلات . تفقد واستفسارات . . مكالمة ومراسلة . . إحسان إلىٰ المحتاج . . بذل للمعروف . . تبادل للهدايا . . غض عن الهفوات . . عفو عن الزلات . . وإقالة العثرات . . عدل وإنصاف . . اجتهاد في الدعاء بالتوفيق والصلاح . . .

مدركاً أن مقابلة الإحسان بالإحسان مكافأة ومجازاة . . ولكن الصلة الواصلة تتبين له في قول النبي محمد ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قُطعت رحمه وصلها» . . .

١١ - من الناس من تموت عواطفه . . ويزيغ عن الرشد فؤاده . . فلا يلتفت إلىٰ أهل . . ولا يسأل عن قريب . . .

من الناس من يمنحه الله تعالىٰ جاهاً ويحسن له الرزق . . ثم هو يتنكر

لأقاربه ويتعالىٰ عليهم . . بل قد يترفع أن ينتسب إليهم . . فضلاً عن أن يشملهم بمعروفه ويمد لهم يد إحسانه . . .

من الناس من يقطع صلاته بأقاربه لأدنىٰ سبب . . لكلمة سمعها . . أو شيئاً صغيراً رآه . . .

يحذر من ذلك . . لأنه يعلم أنه بهذه الأعمال قد يجر علىٰ نفسه وأهله العداوة والجفاء فيستحقون اللعنة وزوال النعمة وسوء العاقبة . . ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥] . . .

يعلم أن في ذلك شؤماً وخراباً . . وعمىٰ البصر والبصيرة . . ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] . . .

يعلم أن تقطيع الأرحام من أعظم كبائر الذنوب . . وعقوبتها معجلة في الدنيا قبل الآخرة . . قال ﷺ: **«ما من ذنب أجدرُ أن يعجل اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدَّخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»** . . .

وقال ﷺ: **«إن أعمال بني آدم تُعرض كلَّ عشية خميس، ليلةَ الجمعة فلا يُقبل عمل قاطع رحم»** . . .

ونقل عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أنه كان جالساً بعد الصبح في حلقة فقال . . (أنشد الله قاطعَ الرحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربَّنا وإن أبواب السماء مرتجة ـ أي مغلقة ـ دون قاطع الرحم) . . .

وأوصىٰ زين العابدين بن علي بن الحسين ابنه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فقال: (لا تصاحبْ قاطعَ رحم فإنِّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع) . . .

١٢ ـ الشهور تمر بعد الشهور . . وهم في بلد واحد . . وربما في حي

واحد. . فلا يتزاورون ولا يتواصلون. . .

والسنوات تمر بعد السنوات وهم متنازعون. . على ممتلكات وأموال. . لتجد تأثيرها على أبنائهم. . فلا يعرف بعضهم بعضاً. . بل وينكر بعضهم بعضاً. . .

الزمن يمر. . فتجد أن الزيارة بينهم. . تحولت إلى مكالمة هاتف. . أو برقية تهنئة. . عندها تبقى الصلة في الأعياد. . والتي تحولت هي أيضاً إلى مجرد رسالة عبر المحمول والذي وفر على الكثيرين فكرة السفر أو الزيارة. . .

وهكذا تتقلص العلاقات. . إلى أن وصلت إلى مجرد حروف محفوظة في رسالة ترسل لكل الناس بشكل موحد. . لتلغي المودة والرحمة ووصل الرحم. . .

ينظر إلى كل ذلك. . فيحذر. . أن ينغمس في زحام الدنيا. . وينشغل مع انشغال البشر. .

١٣ ـ نفسه بطبيعتها محبة للخير. . تعمل على التماس السبل التي تسوق لها السعة في الرزق والبركة في العمر والأجر. . .

و الرسول ﷺ يخاطب هذه النفس. . فيرشدها إلى طريق السعة في الرزق وكثرته. . وإلى طريق التوفيق في العمل. . حين يهديه إلى العمل الكثير ذي الأجر الجزيل في عمره القليل. . إلى باب خير عميم تمتليء فيه نفسه شعوراً بالراحة والاطمئنان. . ويُبقيه دوماً بمنجى عن الوحدة والعزلة. . حين يتأكد أن أقاربه يحيطونه ويحيطهم بالمودة والرعاية. . ومد يد العون عند الحاجة. . .

يتأمل قول الرسول ﷺ: **«من سرَّه أن يُبسطَ له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليَصل رحمه»**. . فيهديه ذلك التأمل إلى إدراك شفقة الرسول ﷺ بأمته. . وحرصه على توجيهها إلى ما ينفعها. . وحين يتأمل قوله ﷺ: **«من سرَّه أن**

يُبسط له في رزقه» تهفو نفسه إلى الوسيلة التي تحقق هذا البسط في الرزق، لكن هذه الوسيلة يؤخرها قوله ﷺ: **«وأن ينسأ له في أثره»**.. فيتضاعف الشوق لديه.. إذا انضافت فائدة أخرى تحققها هذه الوسيلة وهي البركة في العمل الذي يؤديه في عمره.. وحين يبلغ الشوق لديه غاية مداه.. ينكشف له ما يتطلع إلى معرفته.. وهو قوله ﷺ: **«فليصل رحمه»**..

الفضل الكبير الذي يخص به الله ـ تعالى ـ عباده الواصلين أرحامهم مقصوراً عليهم لن يناله غيرهم.. مما يجعله يحرص حرصاً على أن يكون ضمن هؤلاء الفائزين بالأجر العظيم.. داعياً الله ـ تعالى ـ أن يجعله من عباده الذين يؤدون حق الرحم.. وأن يرزقه سعة الرزق.. والبركة في العمر...

١٤ ـ نفسه رحيمة واصلة.. كريمة باذلة.. ترجو من الله ـ تعالى ـ أن يورث لها ذكراً حسناً في الحياة وبعد الممات...

الألسن تلهج بالثناء عليه.. والأيدي تمتد بالدعاء له.. يبارك له في الحياة فتكون حافلة بجليل الأعمال وجميل الفعال.. وكثرة الآثار...

يدرك أن من وصل أقاربه أحبه الله ـ تعالى ـ.. وأحبه الناس.. ووضع له الذكر والقبول.. فقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها.. ألم تقل الرحم وهي متعلقة بعرش الرحمن: **«من وصلني وصلّه الله، ومن قطعني قطعَه الله»** وقال لها الرب ـ سبحانه وتعالى ـ في الحديث القدسي: **«من وَصَلَك وصَلْتُه ومن قطَعَك قَطَعْتُه»**.. وهو يعلم أن من وصله الله ـ تعالى ـ فلن ينقطع أبداً...

يطلب من الله ـ تعالى ـ التوفيق.. ليكون آلفاً مألوفاً محباً لأهله.. رفيقاً بأقربائه.. حفياً بعشيرته.. حتى ينتصر بالألفة على أعاديه.. ويمتنع بالإحسان من حاسديه.. فتسلم له نعمته.. وتصفو له معيشته.. ويجتمع



عليه الشمل . . ويمتنع عن الذل . . فخير الناس أنفعهم للناس . . .

١٥ ـ من صلته لرحمه . . غفران الهفوة . . وستر الزلة . . فأيُّ صارم لا ينبو؟ . . وأيُّ جواد لا يكبو ؟ . . .

من عقله وفضله ونبله . . وصلُه لمن قطعه . . وعطاؤه لمن حرمه . . وعفوه عمن ظلمه . . وحلمه على من جهل عليه . . وإحسانه لمن أساء إليه . . .

ويزداد نبله . . ويعظم فضله . . وتسمو نفسه . . حين يحسن الظن بهم . . ويحمل أخطاءهم على المحمل الحسن . . وينظر في عثراتهم نظر العاذر الكريم . . فيجعل قبيح فعلهم حسناً . . وظاهر غدرهم وفاءً . . محض الكرم ولباب الفضل . . .

(حُكي عن بنت عبدالله بن مطيع، أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن ابن عوف وكان أجود قريش في زمانه قالت . . يا طلحة ما رأيت قوماً ألأم من هؤلاء . . يأتوننا في حال القوة بنا عليهم . . ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم) . . .

تغافل مع فطنة . . وتآلف صادر عن وفاء . . وعلاقات رحم ووشائج قربى لا تستقيم ولا تتوثق إلا بالتغافل . . فإنه إن شدّد نفّر وإن تغاضى تآلف . . فالشرف في التغافل . . وسيد قومه المتغابي . .

بر الوالدين

١ ـ عن أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . أن النبي ﷺ لما صعد المنبر قال : **«آمين آمين آمين»** . . قيل . . يا رسول الله : علام أمنت؟ . . .

قال : **«أتاني جبريل فقال : يا محمد رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلّ عليك ، قل آمين ، فقلت : آمين . . ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت : آمين . . ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين فقلت : آمين»** تحمّلت أمه الآلام والأوهان في حمله ورضاعته . . في ولادته وتربيته قدمت مع أبيه في أيام ضعفه العناية والرعاية . . بل هما سبب وجوده في هذه الحياة . . .

اهتما به في صغره إلىٰ أن كبر واشتد عوده . . في صحته وفي تعليمه . . في توجيهه وفي الإنفاق عليه . . وفي كل ما يصلح من شأنه . . إحسان متواصل . . لا يقابله بالإساءة . . ومعصية الله في حقهما . . لا يسلمهما في حال الكبر إلىٰ دور العجزة والمؤسسات الخيرية . . يدرك أن ذلك من العقوق والذي هو من كبائر الذنوب . . وسبب لدخول النار . . والخسارة الأبدية . . .

إنه يضعهما في مكانتهما الطبيعية . . في حبة قلبه . . ونبضات روحه . . فإن الله ـ تعالىٰ ـ . جلت قدرته . . قد قرن طاعته بطاعتهما والإحسان إليهما . . وجعل رضاه موقوفاً علىٰ رضاهما عن أبنائهما . . ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] . . .

٢ ـ حملته وليداً في أحشائها تسعة أشهر . . مشقة من بعد مشقة . . ثقل وكرب . . لا يزيدها نموه إلا ثقلاً وضعفاً . . أما الوضع . . فذلك إشراف

علىٰ الموت . . لا يعلم شدته إلا من قاساه من الأمهات . . فإذا بها تعلق آمالها بطفلها . . رأت فيه بهجة الحياة وزينتها . . فاشتغلت بخدمته ليلها ونهارها . . تغذيه بصحتها . . وتريحه بتعبها . . تحوطه وترعاه . . تجوع ليشبع . . وتسهر لينام . . رحيمة به . . وعليه شفيقة . . إذا غابت دعاها . . وإذا أعرضت عنه ناجاها . . وإن أصابه مكروه استغاث بها . . يحسب أن كل الخير عندها . . وأن الشر لا يصل إليه إذا ضمته إلىٰ صدرها أو لحظته بعينها . . .

أما أباه . . فإنه يكد ويسعىٰ . . ويدفع صنوف الأذىٰ بحثاً عن لقمة العيش لينفق عليه ويربيه . . إذا دخل عليه هشَّ . . وإذا أقبل إليه بشَّ . . إذا حضر تعلق به . . واحتضن حجره وصدره . . يخوِّف كل الناس به . . ويعدهم بقوله وفعله . . .

أفبعد هذا يكون جزاؤه التنكر والصدود . . ؟؟!!

إنه الإحباط . . كل الإحباط . . أن يفجأ والديه بالتنكر للجميل . . وقد كانا يتطلعان للإحسان . . والصلة بالمعروف . .

يتخاذل ويتناسىٰ ضعفه وطفولته . . ويعجب بشأنه وفتوته . . ويغره تعلمه وثقافته . . يترفع بجاهه ومرتبته . . يؤذيهما بالتأفف والتبرم . . يجاهرهما بالسوء وفحش القول . . يقهرهما وينهرهما . . يدعهما يتكففان الناس . . من غير مُعيل لهما . . يقدم نفسه وزوجته وأصدقاءَه عليهما . . يناديهما باسمهما تنقصاً لهما . . يريدان أن حياته ويريد موتهما . . .

كأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين . . تبكي من أجلهما الفضيلة والمروءة . . لفضلهما الذي لا يتنكر له إلا جحود . . ظلوم . . غاشم . . قد علقت في وجهه أبواب التوفيق . . ولو حاز الدنيا بحذافيرها . . .

قـال رسـول الله ﷺ : «**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يومَ القيامة . . العاقُّ لوالديه . . والمرأة المترجِّلة المتشبِّهة بالرجال . . والدَّيوث . . وثلاثة لا يدخلون الجنة . . العاقُّ لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى**» . . .

وعن معاوية بن جاهمة السلمي . . أنه استأذن الرسول ﷺ في الجهاد معه فأمره أن يرجع ويبرَّ أمه ولما كرر عليه . . قال ﷺ : «**ويحك الزم رجلها فثمّ الجنة**» . . .

يقول حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - . . (ثلاثُ آياتٍ مقرونات بثلاث . . ولا تقبل واحدة بغير قرينتها . . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [المائدة: ٩٢] . . فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . . ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] . . فمن صلى ولم يزكِّ لم يُقبل منه . . ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] . . فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . . .

ينظر إلى تلك النفوس الظالمة . . فيحذر . . وهو العاقل ذو النفس الكريمة . . فلا يقصر في حق والديه . . يدرك أن عاقبة ذلك وخيمة . . ينشط في برِّهما فإنهما عن قريب راحلان . . فلا يعضّ أصابع الندم حينها . . ولات ساعة مندم . . ببرهما . . يكفر الله - تعالى - سيئاته . . ويجيب دعاءَه . . ويشرح صدره ويطيب حياته . . ويبقى له الذكر الحسن بعد مماته . . .

٣- يقرأ القرآن . . فيجد كيف أنه يحرك الوجدان للبرد والرحمة في قلوب الأبناء . . وعاطفة الخير والرحمة في نفوسهم . . ويؤمن الود والصلة في أفئدتهم . . حيث لا خير فيمن لا خير فيه لوالديه . . ولا بر لمن لا بر له في أبويه . . ولا رحمة لمن لا رحمة عنده لأمة وأبيه . . مدركاً أن بره بوالديه أمانة واجبة . . وكما يدين يدان . . .

يقرأ القرآن. . فيتأمل كيف أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عطف في أربع مناسبات بر الوالدين علىٰ الإخلاص بالعبادة له. . فهما طرف من الميثاق الذي أخذه علىٰ الأمم السابقة فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]. . .

وهما أمره الذي أمر. . ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]. . .

وهما قضاؤه وحكمه الذي لا يُردُّ. . ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. . .

وهما وصيته النافذة. . ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. . .

فمن قصر في بر والديه والإحسان إليهما كان فاسد الفطرة. . مضيعاً للحقوق. . فلا يرجىٰ منه خير لأحد. . .

يقرأ القرآن. . فيلاحظ قول الله تعالىٰ. . ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] ويقف عند لفظ (عند) الذي يصور معنىٰ الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف والألم وحين ينقطع منهما الرجاء والأمل. . ويشعر بمعنىٰ الأمانة التي ترد علىٰ صاحبها بعد الانقطاع والغياب. . مما يجعله يتأدب بأدب القرآن ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. . .

ولما كانت العبرة في هذه الوصية بما في نفسه من قصد البر والإحسان. . فإن تقصيره بدون عمد مرجو الغفران عندما يقرأ قول الله تعالىٰ بعد ذلك. . ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]. . .

٤ ـ إن رابطة الأبوين بأبنائهـمـا عظيـمـة . . وأعظم منهـا رابطة الـدين والعقيدة . . فإن كان الوالدان مشركين أو الأبوان كافرين . . فلهما الإحسان والرعـاية دون الطاعـة والاتبـاع . . ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨] . . .

نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وأمه . . كان باراً بأمه . . فقالت له . . ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أوأموت فتُعَيَّر بذلك أبد الدهر فيقال . . يا قاتل أمه . . ثم إنهـا مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشـرب . فجاء سعد إليـها وقال . . يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني ، فكلي إن شـئت وإن شـئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشـربت . . فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية . . آمراً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم طاعتهما في الشرك . . وهنا ينتصر الإيمان في قلوب أصحابه وأفئدة أتباعه على فئة القرابة ووشيجة الرحم . . .

وإنه كمؤمن لعرضة لمثل هذا في بعض المواطن . . وحينها يجعل بيان الله ـ تعـالى ـ . وفـعـل سـعـد ـ رضي الله تعـالى عنه ـ . راية النجـاة والأمان . . وشارة السلامة والاطمئنان . . .

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] . . .

٥ ـ لا يمشي إليهما . . بل هو مثل الطائرة في سرعة إجابتهما . . وتلبية حاجتهما والوصول إلى رضاهما . . يتبع خدمتهما بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة . . وما أحسبه بلغ بعض حقهما . . ولكن الله ـ تعالى ـ يثبت على



القليل ويبارك فيه . . رأىٰ ابن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ رجلاً قد حمل أمه علىٰ رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة . . فقال . . يا ابن عمر . . أتراني جازيتها؟ قال . . (ولا بطلقة واحدة من طلقاتها . .) . . .

إلا أنه يلاحظ اختلالاً في الموازين . . ونقصاً في الأفهام . . فيرىٰ من يقدم الصديق والرفيق علىٰ الوالدين . . من يهرب من أبيه حال كبره . . ولا يزوره إلا في فترات متباعدة . . بل ربما وضعه في أحد دور المسنين . . وربما . . .

قال **مجاهد** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه ، ومن شدَّ النظر إلىٰ والديه فلم يبرَّهما ، ومن أدخل عليهما حزناً فقد عقَّهما) . . .

يرىٰ في مجتمعه من يُبكيهما ويُحزنهما . . ويدخل المنكرات ويتهاون في طاعة الله مما يسوؤهما ويدخل الحزن علىٰ قلوبهما . . من لا يقوم لهما ولا يقبل رأسهما ولا يجيب طلبهما . . من يستحوذ الغرور عليه فيستحي أن يُنسب إلىٰ أبيه أو أمه . . لا سيما إذا كان في مراكز اجتماعية مرموقة وبسطة في المال واسعة . . .

جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال . . يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال : **«أمك»** قال . . ثم من؟ قال : **«أمك»** قال . . ثم من؟ قال : **«أمك»** قال . . ثم من؟ قال : **«أبوك»** . . .

قال **ابن بطال** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (إن الأم تنفرد عن الأب بثلاثة أشياء . . صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع) . . .

وفي تقديم الأم علىٰ الأب حكمة بالغة فيه ، بالإضافة إلىٰ ما تبذله من جهد يفوق جهده . . إلا أنها في حاجة إلىٰ من يعولها ويبرُّها . . لأنها ضعيفة الجسم عديمة الكسب . . تحتاج إلىٰ المداراة والعاطفة . . ومن أحق

الناس بذلك سوى ابنها؟! . . .

قـال **هشـام بن حسـان** . . قلت للحسن . . (إني أتعلم القـرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء) . . قال الحسن . . (تعشَّ العشاء مع أمك، تقرُّ به عينها أحبُّ إلي من حجَّة تحجُّها تطوُّعاً) . . .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال . . يا رسول الله جئت أبايعْك على الهجرة وتركت أبويَّ يبكيان . . فقال . . **«ارجع فاضْحِكهُما كَمَا أبكيتهما»** . . . وفي لفظ آخر . . **«لا أبايعُك حتَّى ترجعَ إليهما فتُضحكَهما كما أبكَيتَهما»** . . إنها وصية من الله ـ تعالى ـ له من فوق سبع سماوات . . من كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة نبيه ﷺ . . .

هاهما بجواره قد بدأ المشيب إليهما . . واحدودب الظهر . . وارتعشت الأطراف . . لا يقومان إلا بصعوبة ولا يجلسان إلا بمشقة . . أنهكتهما الأمراض . . وزارتهما الأسقام . . فلا يجد إلا أن يبرهما . . ويحسن إليهما . . ولا يبخل عليهما . . بماله . . وجهده . . وحسن خلقه . . وطيب معشره . . فيما يرضيه وما لا يرضيه . . من احتجاج ولا جدل . . ولا مناقشة . . .

٦ ـ ينظر إلى شباب هذه الأمة . . فيشاهد بعضهم وقد وقع في شباك العقوق . . فمنهم من عصى والديه . . وأبى إلا الاستكبار . . فيتعالى عليهما . . ويفتل عضله كأنَّه المنعم المتفضل . . كبر وغرور . . غطرسة وفجور . . لا ينظر إليهما إلا بطرف عينه . . يتوعدهما . . وهما سبب وجوده بعد الله ـ تعالى ـ . . يهددهما . . وهما اللذان حزنا عليه في مرضه . . يستخف بهما . . وهما اللذان يفرحان لفرحه . . إن حذراه ووعظاه : أي بُنيَّ اتق الله واجتهد في الطاعة . . تنتفخ أوداجه . . وتحمرُّ عيناه . . ويغلظ القول . . لم يعلم أن السنة قد نوهت بكبير جرمه . . وعظم وزره . . فعن



أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال: **«آمين آمين آمين»** . . . قيل . . يا رسول الله علام أمنت؟ قال: **«أتاني جبريل فقال . . يا محمد رغم أنف رجل ذكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليك قل . . آمين فقلت . . آمين . . ثم قال . . رغم أنف رجل دخل عليه شهرُ رمضان ثم خرج فلم يُغفر له قل آمين . . فقلت: آمين . . ثم قال . . رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين . . فقلت آمين»** . . .

ينظر إلىٰ ذلك فيحذر . . ويدرك أن الخير كل الخير في البر والصلة . . ييسر الله أموره . . ويسهل دروبه . . ويحفظه من كل مكروه . . ينظر بعين باصرة إلىٰ حال النفر الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم تلك الصخرة فكان أولهم يدعو الله بصالح عمله وهو بره بوالديه . . الحديث الذي بوب البخاري له باباً فقال . . باب إجابة دعاء بار والديه . . راحة وطمأنينة . . أمناً ورزقاً . . ورضواناً من الله العظيم . . .

٧ ـ جاء رجل إلىٰ عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . فقال . . إن لي أماً بلغ بها الكبر وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية وأوضئها وأصرف وجهي عنها فهل أديت حقها؟ . . قال . . (لا) . . قال . . أليس قد حملتها علىٰ ظهري وحبست نفسي عليها؟ . . قال . . (إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنىٰ بقاءك، وأنت تتمنىٰ فراقها) . . يتأمل ذلك . . ويتساءل . . هل بلغ بره بوالديه بر هذا الرجل بأمه؟ . . بل هل بلغ ببره ما قال ﷺ: **«وأطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من الدنيا فافعل»** . . هل طبق شروط البر كلها . . يعرض معاملته مع والديه عليها ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب . . .

هل يؤثر رضا والديه علىٰ رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين . . ؟ . .



الجزء الثالث

علاقته

مع نفسه



علاقته مع نفسه

١ـ هويته الوحيدة كمسلم. . هي الإسلام . . وكل ما عدا ذلك . . إنما هو انتماءات تستمد هويتها من نسبتها إلى الإسلام . . فالتاريخ . . التراث . . الحضارة . . لا يستمد هويته منها . . وإنما من الإسلام . . الذي منح التاريخ والتراث والحضارة هوياتها . . .

وبذلك . . ففخره بتاريخه . . وتراثه . . وحضارته . . ينبع . . من فخره بالإسلام ذاته . . من خلال هيمنة الدين الحق على . . مجد التاريخ . . ونور التراث . . وصرح الحضارة . . وبالتالي فهو يدرك . . أن كل حدث تاريخي . . أوتراث فكري . . أو معرفة حضارية . . يثبت خروجها عن الإسلام . . أومناقضتها لأصوله . . فهي . . غير إسلامية . . وينزع منها هوية الإسلام . . ولتكن أيَّ شيء آخر . . .

إن فهمه الكامل . . ووعيه التام . . بذلك يتيح له الكشف عن الوجهات الصريحة التي تهدف إلى إحياء تراث الفرق الضالة أو المنحرفة في التاريخ الإسلامي . . ومحاولة تجميل قبحها . . وإضفاء هالة من التعظيم عليها . . ووصفها . . بالعقلانية . . والاستنارة الثورية . . والتقدمية . . والتحررية . . بحيث يجعلونها نماذج راشدة من تجليات الإسلام . . بما يوهم أن هؤلاء المنحرفين الضالين هم الأنموذج الإسلامي العملي . . الراشد والمستنير . . .

مما يمهد وجدان القارئ المسلم . . وعقله . . لتقبل مقولاتهم المنحرفة . . والاعتقاد بأفكارهم الضالة . . .

إنها محاولة من أصحاب الاتجاهات الفكرية المفترية لإيجاد جذور تراثية وتاريخية لهم في الإسلام . . مما يتيح لهم نفي صفة الاغتراب عنهم . . تجملاً أمام

المثقفين المسلمين . . عندها يدرك . . ويجعل ذلك إدراكاً للآخرين . . أن القرامطة لم يكونوا أبداً حركة ثورية لتحقيق مفهوم العدل الاجتماعي في الإسلام . . وإنما هي فرقة ضالة من القتلة المحترفين . . تبيح المحرمات الأساسية في الإسلام . . تحمل أسساً فكرية تبطلها نصوص الإسلام القاطعة . . وأن نسبتها إلىٰ الإسلام . . وإضفاء الهوية الإسلامية عليها . . إنما هو باطل وزور . . وحينها أيضاً يدرك . . أن الريوندية . . وهي إحدىٰ حركات الإلحاد الصريحة . . من العبث المهين . . أن يضفي عليها أحد . . الهوية الإسلامية . . ويجعل من ابن الريوندي ممثلاً للعقلانية والتحرر الفكري في الإسلام . . إذ كيف تُعطىٰ هوية الإسلام لمن ينقض أسس الإسلام ذاته . . . ؟!! . .

من هنا . . يتنبه . . ويحذر . . من تعميم مفهوم الهوية الإسلامية وتسطيحه . . بل يحدد الهوية الإسلامية بما يؤكد انحصارها في دين الإسلام . . ليس غير . . .

٣ ـ حاجته ماسة لسماع الرقائق والمواعظ . . يدرك عمق تأثيرها عليه . . حتىٰ وإن قطع مراحل في طريق الاستقامة . . لا يأتيه الشعور بأنه يحتاج فقط لقضايا علمية أو فكرية أو دعوية . . أما المواعظ والرقائق فهي لأولئك الذين ما يزالون حديثي عهد بتوبة . . .

يعلم أن ذلك منطق يعكس الشعور بالاستعلاء والثقة بالنفس . . وهو بداية التساقط والطريق إلىٰ الهلاك . . إنه دليل علىٰ جهل صاحبه بسنة النبي ﷺ . . وبطبيعة النفوس . . وحاجتها الدائمة إلىٰ ما يرقق القلوب . .

فقد كان النبي ﷺ يدرك أن أصحابه مع ما هم عليه من الإيمان والصلاح والجهاد . . لا يزالون بحاجة ماسة للوعظ والرقائق . .

يقول العرباض بن سارية ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : . . (وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة ، موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها

القلوب) . . .

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] . . .

٣ـ يرتقي بأخلاقه . . يتنازل عن حقوقه . . يصل إلىٰ درجة عالية من التصفية القلبية . . لا يعرف القلق والتفكير . . والانتصار للنفس . . لا يوجد في نفسه شيء سوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . .

يأوي إلىٰ فراشه . . سليم الصدر من الضغينة . . الغدر . . الحسد . . يتفكر في سائر يومه . . فإن رأىٰ استنقاصاً لحقه من أحد . . دعا له وسامحه . . ينهي بذلك يومه بعمل من أعمال أهل الجنة . . الذين رفع الله ـ تعالىٰ ـ مكانتهم . . وتقبل عملهم . . وإن قلَّ كما هو حال ذلك الرجل الذي شهد له الرسول ﷺ بأنّه من أهل الجنة ، فتتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ ، فلمّا لم ير منه كثير عمل تعجّب فقال له الرجل : (. . ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً علىٰ خير أعطاه الله إياه) . . .

٤ـ الإنسان عندما يغلق جهاز الإحساس . . تتوقف عنده عملية اليقظة . . بسبب تبلد الحس . . أما هو . . ، فإنه ذو إحساس مرهف . . متفتح دوماً لكل ما يسمع ويرىٰ . . ، تُغير الكلمة الواحدة والمنظر الواحد . . من حياته . . وعاداته . . ومألوفاته . . فيقطع المسافات الطويلة في وقت قصير . . .

عندما كان الإمام **الطبري** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . غلاماً . . رأىٰ خطه أحد العلماء . . فقال له : إن خطك يشبه خط العلماء . . أثرت فيه هذه الكلمة . . فأصبح شيخ التفسير والتاريخ وغيرها من العلوم . . .

الإمام سيبويه . . قيل له في حلقة الفقه . . بعد ما لحن بسبب أعجميته . . أخطأتَ . . فقام من الحلقة وقال . . والله لأتعلمن علماً لا يقال لي فيه



أخطأت.. وأصبح شيخ اللغة بلا منازع...

إنها لحظات اليقظة التي لا يرزقها.. إلا من فتح أبواب الإحساس في نفسه.. ولم يقل ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]...

٥- يتعامل مع القضايا بجد وقوة. يسير على الطريق.. ولا يتركه أو يجاوزه.. لأدنى صارف.. لعلمه أن طريق الاستقامة والصلاح يحمل المشقة والمكاره.. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].. إنه طريق.. يصعب على أصحاب النفوس الضعيفة.. التي لا تطيق احتمال المكاره..

يصبر نفسه.. يحبسها على الطاعة.. يحجزها عن الشهوات.. ينهاها عن الهوى.. ويعلم.. أن من سنة الله - تعالى - مع مشقة هذا الطريق أن يتعرض للفتن والابتلاء.. ﴿الم ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت: ١-٢].. ليتميز الجاد من الهازل والمؤمن من المنافق...

وحين يتعرض للفتنة.. يصبر ويتحمل ويدعو الله - تعالى - الثبات.. حتى لا يكون ممن قال الله - تعالى - فيهم.. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].. إنها النفوس غير الجادة.. والتي هي أكثر انهياراً في مثل تلك المواقف.. واستجابة لها...

٦- لا يصيبه الكبر.. فيمنعه من الاستماع لنصح الآخرين. ويبعده عن الاستنارة بآرائهم، لا يعاند.. فيأبى الانقياد للغير.. ويعتز بوجهة نظره لا يتزحزح عنها...

لا يفوته.. أن الكبر والعناد هو أول باب عُصي الله - تعالى - منه.. ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]..

وهو الباب الذي توعد النبي ﷺ صاحبه أن لا يدخل الجنة . . **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** . . **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»** . . .

٧ـ يسيطر عليه هاجسُ الخوف من سوء الخاتمة . . ومن أسبابها . . يشفق على نفسه أبداً . . إنه لا يدري على ماذا يموت . . .

وبماذا يُختم له . . وعلى أي حال سيلقى الله ـ تعالى ـ . يخاف من حلول مكر الله ـ تعالى ـ به في سوء الخاتمة . . يعمل الصالحات ويخاف من تركها والرجوع عنها . . يبتعد عن المنكرات والمعاصي وهو خائف من فعلها والوقوع فيها . . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] . . .

يتبرأ من الحول والقوة . . يسلم لله ـ تعالى ـ . يتوجه له بالدعاء . . ويجتهد في الطاعة . . ويحقق الوسائل التي تعينه على الثبات بإذن الله ـ تعالى ـ . . .

قد يواجه في حياته ما يكون سبباً في فتوره . . وضعف إيمانه . . فيشعر أنه بحاجة دائمة إلى تعاهد إيمانه . . والسعي لزيادته . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] . . .

٨ ـ يبحث عن حياة فكرية ومعرفية راشدة . . يحقق بها آمال الأمة . . وطموحاتها . . ، لذلك . . فإن هناك تساؤلات . . لا بد أن يلقيها على نفسه . . تساؤلات أولية في قضية الإسلام . . يستحيل تجاهلها أو التمويه عليها . . أو تأجيلها . . .

يسأل . . عن موقع الدين في حياته الفكرية . . هل هو موضوع للحوار . . ؟ هل هو رؤية ثقافية وحضارية تقبل الجدل . . والأخذ والترك . . ؟ أم أنه قضية عَقَدية انتهت في ضميره المؤمن ويقينه . . بحيث أن عليه أن يتدين بها ويعمل بمقتضاها . . ؟ . . .



هل الدين مجرد عبادات وشعائر وطقوس يؤديها بينه وبين ربه . . ؟ أم أنه يمتد ليوجه ويحكم شرائع وقوانين المجتمع . . ؟ . . .

أليس للدين رسالة تمتد لتخترق مجالات الحياة الدنيا . . لتصله . . بعالم الغيب وباليوم الآخر . . وتجمع في ضميره . . بين صلاح الدنيا وصلاح الآخرة . . وتنسق في فعالياته بين حق الله ـ تعالىٰ ـ وحق العباد . . وحق نفسه . . ؟ . . .

هل يؤمن أن ما بين يديه من قرآن وسنة هما وحي من عند الله ـ تعالىٰ ـ خالق الخلق أجمعين . . علىٰ قلب نبيه محمد ﷺ ليبلغه إلىٰ العالمين علىٰ سبيل الإلزام وإيجاب الطاعة الصارمة والتامة له . . ؟ . . .

هل يعتقد بعد ذلك . . أن الإسلام دين الله ـ تعالىٰ ـ الحق . . أم أنه كأي دين وضعي آخر . . ؟

إنه يستشعر أهمية هذه الأسئلة . . ليستقيم أيُّ حوار . . أو أي مشروع لنهضة جادة . . عندما يفاجأ بروح الاستخفاف بالقضايا المطروحة حول الدين . . ! . . .

عندما يرىٰ الإشفاق العلماني عليه عندما يكثر من ذكر نصوص القرآن والسنة في الحوار . . عندما يجد المماحكة والتهرب من موجبات الشريعة وإلزاميات النصوص . . بأسلوب غير علمي . . وغير جاد . . بخفة الروح . . والاستظراف . . ! .

يستشعر أهميتها . . حينما يواجه وجوه الغضب والتأفف عندما يحاول ضبط مفهوم سياسي أو اقتصادي أو قيمي وفق أصول الإسلام وقواعد شريعته . . .

وبذلك . . يدرك يقيناً . . أن من حاول قولبة الإسلام وفق قوالب وُضعت فيها ديانات أخرىٰ . . فهو معتدٍ علىٰ كتاب الله ـ تعالىٰ ـ ودينه . . .

ومن استشهد علىٰ الإسلام بوضعية دين آخر في أي مجتمع فهو مبطل دينياً . . ومضلل علمياً . . وأن أية معرفة بهذا الدين . . دين الإسلام . . وفهم

له . . لا يمكن قبولهما إلا إذا كانا صادرين عن الله ـ تعالىٰ ـ العزيز الحكيم . . وعن رسوله ﷺ . . .

وأن كل حديث عن الإسلام من حيث طبيعة رسالته . . أو مكانته . . أو دوره في الحياة . . أو موقعه من الفكر والاجتماع . . يعتبر ساقطاً ولاغياً . . إذا لم يستند إلىٰ أدلة علمية متصلة السند بوحي الله ـ تعالىٰ ـ . وحديث رسوله ﷺ . . .

وكل دليل من علم اجتماع أو تاريخ أو غيره في ذلك . . فهو تهويم باطل مزور . . مالم يتصل بنسب إلىٰ الوحي المنزل من عند الله ـ تعالىٰ ـ . . .

يدرك أنها بَدَهيات إيمانية وعَقَدية . . يجب أن تسبق في قلبه . . وعقله . . {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: ٣٥] . .

٩ـ التوبة . . وتغيير واقعه . . ليست الخطوة الأولىٰ والأخيرة . . بل هي خطوة في الطريق . . ، يعقبها . . بذلُ الجهد لتربية نفسه علىٰ الإيمان والتقوىٰ . . وإزالة ركام الماضي وآثاره . . ، يحتاج إلىٰ تربيةٍ عميقة . . لتتأصل في نفسه معاني الإيمان . . وعلمٍ شرعي ينير له الطريق . . ويضيء له المحجة . . يمحو بذلك كل ما ران علىٰ فطرته السليمة . . .

١٠ـ الدنيا لها بريق لامع تأسر صاحبها وتشده إليه . . إنه يسعىٰ جاهداً للانفلات منها . . ، لا يشغل وقته في تحصيلها علىٰ حساب طلبه للعلم ودعوته . . فيزداد تعلقاً بها . . ويصبح لها عبداً . . فيهون عليه التفريط في الواجب للاستكثار منها . . فيسقط . . وينسىٰ دعوته . . وتربية نفسه . . ، إنه إن انشغل شيئاً بالدنيا فمن أجل الكفاف . . والاستغناء عن الآخرين . . وحتىٰ لا يُصبح أسيرَ وظيفة طول حياته . . .



إذا انفتحت عليه الدنيا . . وآتته رزقاً واسعاً من الله ـ تعالى ـ . . لا تتحرك المطامع بين جنبيه . . لا يترك للشيطان مجالاً في التزيين له . . فيتعلق قلبه بها . . ويسير . . باسم المشاريع والدعوة وينشغل بها عن علمه ودعوته . . وكان يكفيه الكفاف . . .

«فوالله لا الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» . .

يقوله الله تعالى . . ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦] . . .

١١ـ نفسه البشرية مجبولة على الاعتدال . . والوسطية . . يتعاهد نفسه حتى لا تجنح إلى الغلو . . لا يشدِّد على نفسه حيث يسّر الله ـ تعالى ـ عليه . . .

إنه إن سار في طريق الغلو والتشدد برهة من الزمن . . فإنه سرعان ما سَيَكَلّ ويمل . . ويستطيل الطريق . . حينها سيفكر في التراجع . . وربما دَفْعته التي أوصلته إلى الغلو . . لن تعيده إلى الاعتدال والتوازن . . بل قد تنقله للطرف الآخر من التساهل . . والتفريط . . .

يقول **عبدالرحمن السعدي** ـ رحمه الله تعالى ـ . . (وأما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به النبي ﷺ ولا بما علّمه للأمة وأرشدهم إليه . . بل غلا وأوغل في العبادات، فإن الدين يغلبه وآخر أمره العجز والانقطاع) . .

قال ﷺ . . **«سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدُخل أحدَكم عملُه الجنة، وأن أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ . .» . . .**

١٢ـ حينما يستقيم على الطريق ويرجع إلى الله ـ تعالى ـ . . يتخلص من كل عوائق الماضي . . ورواسبه . . يفارق الأحوال التي اعتادها . . يتحول عنها . .

ينشغل بغيرها . . لا يعود إليه الحنين إلى الماضي . . في فترة تضعف فيها نفسه ويستولي عليها الشيطان . . « . . **نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها ناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء**» . . .

١٣ـ نظيف في جسمه . . يغتسل دائماً . . في فترات متقاربة . . فيظل دائماً ذا رائحة طيبة تحببه إلى الناس . . «**اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، وأصيبوا من الطيب**» . . .

نظيف في ثوبه وجوربه . . يتفقدها بين الحين والآخر . . فلا تفوح منه رائحة منفرة . . .

ينظف أسنانه دائماً بالسواك . . فيبقى فمه نقياً معطر الأنفاس . . « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» . . .

سُئلت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ . . عن أي شيء يبدأ به الرسول ﷺ إذا دخل بيته فقالت . . (السواك) . . .

لا يغشى المساجد ومجالس الذكر والدروس ورائحته تؤذي إخوانه . . وتنفر الملائكة التي تحف هذه الأماكن الطيبة المباركة . . .

قال ﷺ : « **من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**» . .

يقول أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (ماشممتُ عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ) . . .

١٤ ـ صحيح الجسم . . قويّ البنية . . معتدل في طعامه وشرابه . . يصيب منه ما يقيم صلبه . . ويحفظ عليه صحته . . وقوته . . ونشاطه . . .

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] . . .

ينام مبكراً. . يستقيظ مبكراً. . يعلم ما في البكور من البركة وتقسيم الأرزاق. . يجتنب المنبهات والسهر. . مما يوهي العزيمة ويحط الجسم. . .

يزاول رياضةً مدروسة تناسب جسمه وعمره. . تهبه القوة والحيوية والمناعة. . وتعينه على حياة الدعوة والجهاد. . .

كل نظام في حياته يساعده على الصحة والنشاط. . فهو يعلم. . أن المؤمن القوي أحب إلى الله ـ تعالى ـ من المؤمن الضعيف. . وفي كلٍّ خير. . .

١٥ـ الإيمان بالله ـ تعالى ـ. . هو النواة التي ينطلق منها في سائر أموره العلمية والعملية. . وبقدر قوة إيمانه يستطيع ترك المعصية. . ومجاهدة النفس. . وفعل الطاعة. . وأطر النفس عليها. . وفي نفس الوقت يدرك. . أن قوة الإيمان ليست هي مجردَ أعمال ظاهرة. . وطولَ صلاة وصيام وإن كان ذلك أمارةً عليها. . .

إنما الإيمان. . هو. . ما يَقرُّ في القلب. . ولذلك جعل الرسول ﷺ عوامل ذوق الإيمان وحلاوته أموراً قلبية. . فقال: **«ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»**. . .

١٦ـ حياته متوازنة. . لاتناقض فيها. . لا يقفز في طلب العلم من الصفر إلى المائة. . لا يبدأ بعلم النافلة. . ويترك العلم المفروض عليه. . إن ذلك خطأ كبير في بناء شخصيته. . يؤدي به إلى التقصير في عمله أو في دراسته أو في معاملته مع الآخرين. . وإلى الجهل. . فتكثر أخطاؤه الفعلية والقولية في حياته. . سواء في أداء حق الله تعالى. . أو أداء حق عباده. . يفشل ويتأخر. . ويعطي صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين. . .

إنه يبدأ بالأهم ثم المهم. . العلوم الشرعية قسمان. . . علم الأصول. . وعلم الفروع. . فيبدأ بعلم الأصول وهو الأهم. . من معرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه

وصفاته وأفعاله ووحدانيته وتحقيق. . الإيمان. . وتصديق الرسل. . ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. . .

ويجمع مع ذلك من علم الفروع ما هو فرض عين عليه. . من علم الفقه ومعرفة الأحكام. . وشروطها وأركانها وواجباتها. . .

أما فرض الكفاية. . بأن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا. . فإن تعلمه واستطاع أن يصل إليه. . فقد أحسن وأكمل. . ، وإن لم يستطع فما عليه إلا أن يقلد العلماء من أهل الاجتهاد والفتيا. . ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. . .

١٧ـ يسعىٰ إلىٰ تكميل بناء شخصيته الإسلامية. . بعد طلبه للعلم. . ويحرص في القراءة علىٰ الجمع بين الكتب السلفية والكتب المعاصرة. . يصل الماضي بالحاضر. . .

شخصيته تفهم الواقع. . وتسعىٰ لقيادة الآخرين. . فيحرص علىٰ الجوانب المختلفة من العلم. . من توحيد وحديث وسيرة وفقه ومذاهب. . علوم قرآن ولغة عربية وأخلاق وسلوك. . ودعوة وفكر إسلامي. . .

يعرف واقع العالم. . يقرأ المجلات الإسلامية. . يستمع إلىٰ الأخبار. . ينمي عقله وفكره لبناء نفسه. . بالتوازن المطلوب. . وبتقديم الأهم علىٰ المهم. . .

١٨ـ يقرن العلم بالعمل. . في عباداته ومعاملاته وأخلاقه. . وسائر شؤون حياته. . ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٦]. . .

يحذر من أن تنزل به عقوبة من الله ـ تعالىٰ ـ إن لم يعمل بما علم. . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصف: ١ـ٣]. . .

يدرك أن الذي لا يعمل بعلمه إثمه مضاعف. . ويصبح أسوة سيئة يصدُّ الناس عن الإسلام **«يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقىٰ في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار**



كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلىٰ قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» . . .

يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالىٰ -: (علماء السوء جلسوا علىٰ باب الجنة، يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعونهم إلىٰ النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعو إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قُطَّاع طرق) . . .

١٩ - لا يضيع وقته في قراءة الصحف والمجلات والكتب التي لا تنفع . . أو مشاهدة ما يصده عن ذكر الله - تعالىٰ - . . وعن الصلاة . . لا يضيع وقته في الزيارات ومجالس اللغو أو النوم والذهاب إلىٰ الأسواق لغير حاجة . . .

يدرك أن الأوقات سريعة الزوال . . تمر أسرع من السحاب . . ينقضي الوقت بما فيه فلا يعود عليه منه إلا أثره . .

فيختار لنفسه ما يعود عليه بخير . . يشغل وقته في رضا الله - تعالىٰ - . . وتتبع ما يحبه - سبحانه - . . يتقلب في ذلك . . ويسير إليه . . .

يكون في صلاة فإذا هو في ذكر . . ثم طلب علم . . ثم في صدقة . . ثم في أمر بمعروف ونهي عن منكر . . في إحسان للأهل والأقارب . . في عيادة مريض . . وتشييع جنازة . . نصرة مظلوم . . وإغاثة محتاج . . دعوة إلىٰ الله - تعالىٰ - . . وعمارة للدين والدنيا وما ينفعه فيها . . .

ثم يرىٰ أنه ما قدم شيئاً . . وأن ما يستحقه الله - تعالىٰ - أعظم . . وأنه ما وُفق لشيء من ذلك إلا بفضل الله - تعالىٰ - ومنته . . يسعىٰ دائماً إلىٰ العلا والفلاح . . فهو في نفسه في تعب . . والناس منه في راحة . . .

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . (لولا ثلاث ما أحببت البقاء : لولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله ، ومكابدة الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقىٰ أطايب التمر) . . .

يقول **الحافظ الذهبي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (فوالله إن ترتيل سُبع القرآن في تهجد قيام الليل ، مع المحافظة علىٰ النوافل الراتبة والضحىٰ وتحية المسجد ، مع الأذكار المأثورة الثابتة ، والقول عند النوم واليقظة ودبر المكتوبة والسحر . . مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله ، مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمه ، وزجر الفاسق ونحو ذلك ، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان ، مع أداء الواجب واجتناب الكبائر وكثرة الدعاء والاستغفار والصدقة وصلة الرحم والتواضع والإخلاص في جميع ذلك : لشغل عظيم جسيم ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإن سائر ذلك مطلوب) . . .

٢٠ ـ يترك الفضولَ . . يغلق مدخلاً من مداخل الشيطان . . يقطع به عليه السفر . . ويعيقه عن السير . . ويصده عن الخير . . .

يترك فضول الكلام . . والسماع . . والنظر . . والخلطة . . والطعام . . والمنام . . إن لها آثاراً ظاهرة في إعاقته عن المنازل العالية . . والدرجات الرفيعة . . والأنوار المضيئة . . والتي يصل إليها . . بشغل لسانه بالذكر . . ومراقبة الله ـ تعالىٰ ـ . . وتذكر الكرام الكاتبين . . وتوقع نزولِ الموت في أي وقت . . ومجاهدة النفس في حبس اللسان علىٰ الصمت . .

قال ﷺ . . « **أتدرون من المفلس؟** » . . قالوا . . (المفلس من لا درهم له ولا متاع) . . فقال : « **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطىٰ هذا من**



حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» . . .

٢١ ـ يخالط من هم أكثر منه علماً وتقوى . . حتى يدرك أنه ليس عنده من العلم إلا اليسير . . ومن التقوى . . إلا القليل . . فيزداد علماً إلى علمه وحرصاً في طلبه . . .

لا يكثر من مخالطة من هم أقلُّ منه علماً وتقوى . . فيشعر بأنَّ عنده شيئاً غير الذي لديهم . . فيصيبه الغرور والإعجاب . . ولا يتقدم في طلب العلم . . وقد يصل إلى الركون والانحراف . . يعيش مع السلف الصالح . . يقرأ كتبهم . . ويجالس من يسيرون على نهجهم من أهل العلم . . .

كان **عبدالله بن المبارك** ـ رحمه الله ـ . إذا صلى العصر توجه إلى بيته فيقولون له . . إلى أين أنت ذاهب؟ . . فيقول: (ذاهب كي أعيش مع السلف، علومُهم موجودة وسيرهم مكتوبة) . . .

يتلقى العلم من أهله . . فإنه أعرف به من غيرهم . . يحذر من أن يجعل كتابه أستاذه . . إنما هو مُعين له على دراسته وتعلمه . . إنه لا يمكن أن يفهم كل شيء بمفرده دون الرجوع إلى أهله . . أهل العلم . . بل إنه لا يستغني عنهم . . يوجهونه لطلب العلم . . ويفتحون الطريق أمامه للخير . . .

يحرص على مراجعة علمه مع إخوانه ليثبت . . وتعليمه للآخرين فهو زكاته . . قال مالك ابن الحويرث ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما مكثوا عند النبي ﷺ زماناً يتعلمون فيه العلم . . قال لنا النبي ﷺ: **«ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم»** . . .

يدرك العلماء ويحرص على الاستفادة منهم . . قبل أن ينزع العلم بقبض أهله . . فيندم حين يحتاجهم حيث لا ينفع الندم . . **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»** . . .

٢٢ ـ من أهم الأسباب المعينة له على طلب العلم ونيله . . تقوى الله ـ تعالى ـ . . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] كلما ازداد تقوى ازداد علماً . . .

يحقق العبودية في حياته كلها . . يحافظ على ما افترضه الله ـ تعالى ـ عليه من العبادات الظاهرة والباطنة . . القولية والفعلية . . يستزيد من النوافل . . فيحبه الله ـ تعالى ـ ويجعل له القبول في الأرض . . يصبر على المقدور . . . يعمل بما أمره الله ـ تعالى ـ ويجتنب المحظور . . يؤمن بكل ما أوجب الله ـ تعالى عليه ـ الإيمان به . . يحرص في ذلك كله على الإخلاص . . والمتابعة . . فيصبح قلبه إناءً مفرغاً لما يحب الله ـ تعالى ـ . . ومن أعظمها . . العلم . . به حياة قلبه . . وعلاجه من الشبهات والشهوات والتعلقات . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩] . . .

٢٣ ـ لا يسافر إلى بلاد الكفر بحجة السياحة . . أو حضور بعض المنتديات . . أو المعارض . . والمؤتمرات . . والتي لا تكافئ مصلحةُ حضورها المفسدةَ الناجمة عنها . . حيث إنها ليست من الضروريات ولا الحاجيات . . .

وإذا ذهب لضرورة . . لا يصطحب أهله وأبناءه . . إلا إذا وجد أنَّ في اصطحابهم أهمية بالنسبة له . . ولهم . . .

إنه يدرك ما في بلاد الكفر والفساد من الفتن . . والمفاسد العظيمة التي تؤثر في الدين والأخلاق . . وهو دائماً يفر بدينه منها . . وليس إليها . . .

٢٤ ـ بعلم صحيح وفهم دقيق . . يدرأ عن نفسه الشبهات . . وبالصبر والتقوى وحسن القصد . . يدرأ عن نفسه الشهوات . .

يتحلى بالفهم لأحكام الله ـ تعالى ـ وشرعه وبالعلم بالواقع والفقه فيه . . لتتم له البصيرة ويصل إلى الحق . . ومعرفة الحق لا تكفيه حتى يضمَّ إليها التقوى

والصبر وحسن القصد . . فينقادَ إلىٰ الحق ويذعن له . . .

صحة الفهم وحسن القصد . . من أعظم نعم الله ـ تعالىٰ عليه ـ . . بهما يأمن طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم . . وطريق الضالين الذين فسد فهمهم . . ليصبح من الذين أنعم الله ـ تعالىٰ ـ عليهم . . أهل الصراط المستقيم . . الذين حسن فهمهم وحسن قصدهم . . .

بصحة الفهم . . وهو نور رزقه الله ـ تعالىٰ ـ إياه وجعله في قلبه وعقله . . يميز بين الصحيح والفاسد . . الحق والباطل . . الهدىٰ والضلال . . .

وبحسن القصد وتحري الحق وتقوىٰ الرب في السر والعلانية . . ينقطع عن اتباع الهوىٰ وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق . . .

وبهما . . لا يُعرِّضُ نفسه للشبهات . . ولا يتعرض للفتن والشهوات . . .

٢٥ ـ يقوي روحه ويزكي نفسه . . يدفعها دوماً إلىٰ أعلىٰ . . يحميها من الارتكاس إلىٰ أدنىٰ . . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩ـ١٠] . . .

يحسن اختيار الأصحاب والأصدقاء والأخلاء . . والبيئات . . التي تزيده إيماناً وصلاحاً . . وتقوىٰ وتبصرة . . وصبراً . . يتصل بالصالحين ويتقرب منهم . . مهما بلغ من علو المنزلة ورفعة المكانة . . ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] . . .

إن معاشرته للصالحين تزيده خيراً وتقوىٰ . . وسداداً في القول والعمل . . تزيده فقهاً في الدين وإقبالاً علىٰ الحق . . .

فيُعرض بذلك عن رفقاء السوء . . من شياطين الإنس . . وعن مجالسهم . . مجالس الفُحش والمعاصي . . التي تُظلم فيها النفس . . وتصدأ القلوب . . .

٢٦ ـ المحـافظة على الأعـمـال الظاهرة . . والتـورع عـن بعض الصـغـائر والمشتبهات . . لا يحسب أن هذا هو الذي ينقصه . . إن لديه من الأمور ما يوجب عليه التورع منها . . وتقديم معالجتها على غيرها . . لأنه قد يتورع عن شيء قد يكون مباحاً . . وهو مفرط في واجب واضح . . أو مرتكباً محرماً ظاهراً . . .

يقول **الإمام ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ: (لكن قد يقع الغلط في الورع على ثلاث جهات، أحدها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام لا في أداء الواجب، وهذا ما ابتلي به كثير من المتدينة المتورعة ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة لكونه من مالٍ ظالم أو معاملة فاسدة ويتورع عن الركون إلى الظَّلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه إما عيناً أو كفاية وقد تعينت عليه من صلة رحم وحق جار ومسكين وصاحب ويتيم وابن سبيل وحق مسلم وذي سلطان وذي علم . . وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر وعن الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ . . إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه . . أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله ـ تعالى ـ بل من جهة التكليف ونحو ذلك . .) . .

٢٧ ـ إذا أنعم الله ـ تعالى ـ على أحد من إخوانه بنعمة . . من مال . . أو منصب . . أوزوجة . . أو أولاد . . أو غير ذلك . . من طلب علم . . أو عبادة . . أو دعوة . . .

يتفقد قلبه: هل يجد فيه شعوراً بالارتياح والفرح . . أم أنه يجد عكسَ ذلك . . من الشعور بالغم والضيق . . .

وإذا زالت عن أخيه هذه النعم: هل يشعر . . بالتألم والحزن . . أم أنه يشعر . . بالغبطة والسرور والشماتة . . فإن كانت الثانية . . أدرك أنه . . الحَسَدُ بعينه . . .

فيجعله ذلك.. يقف.. ليحاسب نفسه.. ويعالجها من هذا المرض.. الذي يأكل حسناته دون أن يشعر..، فليس أسعدَ له.. ولا أطرد لهمومه.. من أن يعيش سليم القلب.. بعيداً عن الحقد والضغينة.. يحب الخير للمسلمين.. حينها..، يكون لدعوته دور وأثر في حياة الناس.. **«لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً»**...

٣٨ ـ حب الدنيا.. امتلاء القلب به.. استحواذها على التفكير.. السعي وراءها والركون إليها..، لن يستطيع بذلك.. أن يدعو الناس إلى الآخرة.. فيستجيبون له.. إن وجود هذه الشهوات في قلبه ستُعيق دعوته عن تحقيق أهدافها.. بل ربما تؤخرها إلى الوراء.. إن لم تقضِ عليها.. إنه لا يحصر انتماءه إلى الدعوة بإلقاء خطبة أو موعظة أو درس.. ثم ينصرف إلى الدنيا بكليته ويتمتع بها.. ويتوسع فيها.. وتظل شغله الشاغل.. بل يجعل حياته بذلاً وعطاءً في سبيل دعوته لله ـ تعالى ـ.. ومرضاته.. والجهاد في سبيله.. في نفس الوقت الذي لا يمتنع فيه عمَّا أحلَّ الله ـ تعالى ـ له من الطيبات.. دون أن تطغى على دعوته.. بل يستفيد منها في دعوته والتقديم لآخرته...

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]...

٣٩ ـ حسن الخلق يقوم على أربعة أركان:

يقوم على الصبر.. وصبره يحمله على كظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم العجلة...

يقوم على العفة.. وعفته تحمله على اجتناب الرذائل من القول والعمل.. تحمله على الحياء.. تمنعه من الفحشاء.. والبخل والكذب والغيبة والنميمة...

يقـوم على الشجـاعة . . وشـجاعـتـه تحـمـله على عزة النفس وحب مـعـالي الأخـلاق . . وعلى البـذل والعطاء . . وتحـمله على كـظم الغـيظ والحلم . . **«ليس الشديد بالصُّرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** . . .

يقوم على العدل . . وعدله يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط ، يحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين البخل والتبذير . . على خلق الشجاعة الذي هو وسط بين الجبن والتهور . . على الحلم الذي هو وسط بين الغضب والمهانة . . .

٣٠ـ إنه كداعيةٍ . . لا يجعل أكثرَ همه نقدَ الآخرين . . والتفتيشَ عن عيوبهم . . وينسى نفسه . . أو يتناسى . . الأمراض والمخالفات . . التي قد تجتمع عليه يوماً فتفتك به . . .

يقف على سيئات نفسه . . يحرص على إصلاحها . . يزيل ما بها من عوائق . . تُيسر له الانتصار على عوائقه الخارجية . . .

لا يكون ممن قال الله تعالى فيهم . . ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩] . . .

٣١ـ إن من الشروط الأساسية للوصول إلى الحق . . التفكيرَ والعلم . . وإعمال العقل للبحث والنظر . . لديه العلم الشرعي . . ومعرفة دين الله ـ تعالى ـ . . فيقيم الدليل والبرهان على ما يعتقد أنه الحق . . فإذا لم يكن لديه علم بما يختلف فيه مع غيره . . أدرك أنه لا فائدة من التفكير . . لأن أداة التفكير الأساسية . . هي . . العلم بحال القضية المختلف فيها . . والبحث عن الأدلة الشرعية والتحقق من ثبوتها ودلالتها . . .

والجاهل بذلك كله . . لا يستطيع الوصول إلى الحق . . لفقده الأدوات الموصلة إليه . . ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا



بصاحبكم من جنة﴾ [سبأ: ٤٦]. . .

٣٢ـ أمراض القلوب. . من أخطر الأمراض وأشنعها. . حيث إن القلب هو سيد الأعضاء. . بصلاحه تصلح سائر الأعضاء. . وبفساده يحصل الفساد لجميع الأعضاء. . **«ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**. . .

فعلم أنه بصلاح قلبه تصلح نياته ومقاصده. . تصلح العين. . فلا تنظر إلا إلى ما يرضي الله ـ تعالى ـ. . تصلح الأذن. . فلا تسمع إلا ما يرضي الله ـ تعالى ـ . . يصلح اللسان. . فلا ينطق إلا بما فيه مرضاة الله ـ تعالى ـ. . تصلح اليد. . فلا تبطش إلا فيما يحبه الله ـ تعالى ـ ويرضاه. . تصلح الرجل. . فلا تسير إلا إلى ما يرضي الله ـ تعالى ـ. . فيصلح كيانه كله ظاهره وباطنه. . فلا يتحرك إلا في نور الله ـ تعالى ـ. . وبنور الله ـ تعالى ـ. . .

٣٣ـ له دائماً وقفة صادقة وشجاعة مع نفسه. . ينقب في أعماله الظاهرة والباطنة. . يستعرض المثالب الموجودة في حياته. . ويقوم على معالجتها. . يعرف أن الخلل الداخلي له أثر كبير في مصائب الفرد. . والجماعات. . .

لا يدع للشيطان مدخلاً عليه ليحطم نفسه. . ويبث اليأس فيها. . ليقضي على ما فيها من خير. . بقوله. . أنت لست على مستوى الدعوة. . أو لست على مستوى من يدعو إلى الله ـ تعالى ـ. . .

وأنت منافق. . إلى آخر وساوس الشيطان ونفثه. . فيزداد انحرافاً. . وبعداً عن الخير وأهله. . .

إنه ينتبه. . ويحذر. . والله ـ تعالى ـ معه. . ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. . .

٣٤ـ يقول جرير بن عبدالله ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ . (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة . . فأمرني . . أن أصرف بصري) . . .

يعلم أن نظر الفجأة . . هي . . النظرة الأولىٰ . . والتي تقع بغير قصد منه . . التي لم يتعمدها قلبه . . فلا يعاقب عليها . . فإذا نظر الثانية متعمداً أثم . . .

يدرك حينها إرشاد الرسول ﷺ لمن ابتلي بنظرة الفجأة . . **«إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلىٰ امرأته فليواقعها، فإنَّ ذلك يردُّ ما في نفسه»** . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . في فوائد غض البصر . . (**أحدها** . . تخليص القلب من ألم الحسرة . . فإن من أطلق نظره دامت حسرته فلا صبر له عنه ولا وصول له إليه . .

ثانياً . . أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه . .

ثالثاً . . أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته . .

رابعاً . . أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه وذلك بسبب نور القلب . .

خامساً . . أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة . .

سادساً . . أنه يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر . .

سابعاً . . أنه يخلص القلب من أسْر الشهوة فإنه متىٰ أسرت الشهوة والهوىٰ القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب . .

ثامناً . . أنه يسدُّ عنه باباً من أبواب جهنم، لأن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أنَّ لذتها في الشيء الجديد . .



تاسعاً . . أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته ، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب . . .

عاشراً . . أنه يخلِّص القلب من سكرة الشهوة ورقدة الغفلة ، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة العشق ، كما قال الله ـ تعالىٰ ـ عن عشاق الصور . . ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الحجر : ٧٢] . . .

﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور : ٣٠] . . .

٣٥ ـ يستمع إلىٰ قوله ﷺ . . «**البذاذة من الإيمان**» . . . فلا يفهم منه . . ترك النظافة وحسن المظهر . . وعدم الاهتمام بذلك . .

إنه قدوة للناس . . يعلم أن «**الله جميل يحب الجمال**» . . فيدرك أن المقصود . . هو التواضع في اللباس وتحسين المظهر وعدم الإسراف والإسبال والخيلاء . .

وهذا ما فهمه الصحابة ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ . . ومن تبعهم بإحسان . . فكان الإمام **أبو حنيفة** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . حسن الهيئة والثياب طيب الرائحة حريصاً علىٰ دوام التأنق في الملبس . . بلغ من حرصه علىٰ إصلاح الشأن وتحسين الثياب . . أنه كان يحث الناس علىٰ ذلك . . ويبالغ في حثهم علىٰ إصلاح هيئتهم . . ولقد رأىٰ ذات يوم أحد جلسائه في ثياب رثة فانفرد به وقدم إليه ألف درهم ليصلح بها هيئته . . فقال له الرجل . . إني موسر وفي نعمة ولا أحتاج إليها . . فقال له أبو حنيفة معاتباً . . (أما بلغك الحديث . . «**إن الله يحب أن يُرىٰ أثرُ نعمته علىٰ عبده**») . . .

٣٦ ـ يفتش في قلبه . . يعلم أن أمراضه أشد من أمراض البدن . . وأن اكتشافها أخفىٰ . . ليجد أن من أمراض قلبه والتي تفسد علىٰ المرء دينه

ودنياه . . مرض العُجْب . . والذي ينشأ عن الكبر . . .

إن المعجب بنفسه لا يزال يزداد إعجاباً وينفخ الشيطان فيه حتى يزدري الكبار من العلماء والدعاة . . .

وهو . . وإن حاول إخفاء هذا الإعجاب . . لكنه يظهر على فلتات لسانه . . وتصرفاته . . يعرف بذلك نفسه . . فيبادر إلى علاج ما بها . . قبل أن يستفحل الداء . . ويعز الدواء . . .

يقول **ابن حزم** ـ رحمه الله تعالى ـ . (كانت فيّ عيوب فلم أزل بالرياضة (مجاهدة النفس) واطلاعي على ما قال الأنبياء صلوات الله عليهم والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وآداب النفس . . أعاني مداواتها حتى أعان الله ـ عز وجل ـ على أكثرِ ذلك بتوفيقه ومنّه . . وتمام العدل ورياضة النفس والتصرف بأزِمَّة الحقائق هو الإقرار بها ليتعظ بذلك متعظ . . فمنها عُجب شديد . . فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها حتى ذهب كله ولم يبق له والحمد لله أثر بل كلّفت نفسي احتقارَ قدرها جملةً واستعمال التواضع) . . .

٣٧ ـ معرفة الخطأ . . سبيل إلى تداركه . . وعدم تكراره . . إنه يعترف بأخطائه . . ويستفيد منها ولا تضيق نفسه عندما يتحدث غير ه عنها . . خلقه في ذلك القرآن الكريم . . والذي بيّن فيه سبحانه بعض الأخطاء التي تقع من الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ . . أو حتى من الرسول ﷺ . . فهم بشر . . قد يخطئون . . فينبههم الله ـ تعالى ـ إلى أخطائهم . . ويوجههم . . ويرشدهم . . لما هو أحسن وأوجب . . ويظل ذلك قرآناً يُتلى إلى يوم الدين . . تتعلم منه الأمة الإسلامية . . وتستلهم . . طريقاً ونبراساً من نور . . .

من ذلك . . خطأ بعض الرماة في غزوة أحد ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ . . وبعد غزوة بدر . . استشار النبي ﷺ أصحابه في الأسرى . . فقال أبو بكر ـ رضي

الله تعالىٰ عنه ـ . (يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان . . وإني أرىٰ أن تأخذ منهم الفدية . . فيكون ما أخذناه قوة علىٰ الكفار، وعسىٰ أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا) . . فقال رسول الله ﷺ . . **«ما ترىٰ يا ابن الخطاب»** . . قال : (أرىٰ أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه . . وتمكِّن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه . . وتمكِّن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه . . حتىٰ يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هِوادةٌ للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم) . . .

فهوىٰ رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . وأخذ منهم الفداء . . يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (فلما كان من الغد غدوتُ إلىٰ رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت . . يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟) . .

فقال رسول الله ﷺ . . **«للذي عرضَ علي أصحابُك من أخذهم الفداءَ، فقد عُرِض عليَّ عذابهم أدنىٰ من هذه الشجرة ـ شجرة قريبة ـ»** . . .

وأنزل الله تعالىٰ . . ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٧ـ٦٨] . . .

٣٨ ـ المؤمن مبتلىٰ . . حيث لا بد من الابتلاء . . سنة الله ـ تعالىٰ ـ في خلقه . . فإذا تتالت الهزائم علىٰ المسلمين . . فإن ذلك لا يفتنه عن دينه . . ولا يترك للشيطان مجالاً في تخذيله . . فيظن أن أيام النصر قد ولّت إلىٰ غير عودة . . وأن عليه الاستسلام للمفسدين . . وتأييدهم والنفاق لهم . . بل يعلم أن انتصار المسلمين مرة وانهزامهم مرتين أو ثلاثاً بسبب أخطائهم ليس أمراً مستغرباً . . إلا

أن تكون محـاولاتهم ومعاركهم كلها هزائم . . هنا يدرك أن هنـاك خللاً يجب إصلاحه . . .

﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) ﴾ [آل عمران: ١٤٠ـ١٤١] . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (إن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يُدالوا مرة ويُدال عليهم أخرىٰ لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين . . وأنه ـ سبحانه ـ لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والغلبة علىٰ أعدائهم أبداً لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت . . فلا يُصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير) . . .

٣٩ ـ يكره التصدر والشهرة . . لا يحبها ولا يسعىٰ إليها . . وإن تَعيَّن عليه نصح الناس وإرشادهم . . لا يتهرب بحجة كراهية الشهرة والتصدر . . بل يبلغ ما يعلمه من الخير للناس . . ويكون قدوةً لهم . . ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان: ٧٤] . . ﴿ اجعلني علىٰ خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف: ٥٥] . . حتىٰ لو شُهر وعُرف . . لا يجد بأساً في ذلك . . مادام أنه لم يطلبه من نفسه . . ولم يسع إليه بقلبه . . .

يقول **الفضيل** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (إن استطعت ألا تكون محدثاً ولا قارئاً ولا متكلماً . . إن كنت بليغاً قالوا . . ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته فيعجبك ذلك فتنتفخ . . إن لم تكن بليغاً ولا حسن الصوت قالوا . . ليس يحسن

يحدث وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك وشق عليك فتكون مرائياً . . وإذا جلستَ فتكلمت لم تبال من ذمّك ومن مدحك فتكلم) . . .

ويقول **الذهبي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب . . فكم رجلٍ نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله ـ تعالىٰ ـ عليه من يؤذيه لسوءِ قصده وحبه للرئاسة الدينية . . فهذا داء خفيّ سارٍ في نفوس الفقهاء كما أنه سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء . .) . . .

٤٠ ـ يدرك أن المجتمع الإسلامي في أمسِّ الحاجة إلىٰ المال ليقيم به حياة إسلامية كريمة . . فالمال عصب لكثير من المشاريع النافعة . . .

لذلك فهو يبحث عنه . . ويجدُّ في طلبه . . يأخذه من حله . . ويضعه في حِلِّه . . لا يجد حرجاً في ذلك . . .

يقول **سعيد بن المسيب** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه، يعطي منه حقه ويكفُّ به وجهه عن الناس) . . .

ويقول **ابن المنكدر** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (نعم العونُ علىٰ تقوىٰ الله الغِنىٰ) . .

وقال **الثوري** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (كان المال فيما مضىٰ يُكره فأما اليوم فهو تُرس المؤمن) . . ولكن حب المال . . لا يتمكن من قلبه . . ولا يغير نفسه . . إنه يجمع بين الغنىٰ وبين الزهد والتطلع إلىٰ الآخرة وما عند الله ـ تعالىٰ ـ . يتأمل أن أعظم من جمع بين الأمرين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ . وكانا مع ذلك من المبشَّرين بالجنة . . إنه في غمرة جمعه للمال لا ينسىٰ دعوته وعبادته . . حتىٰ لا يقسو قلبه وتجف روحه وينسىٰ آخرته . . .

يقول **أبو الدرداء** ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . (أعوذ بالله من تفرقة القلب) . . قيل . . (وما تفرقة القلب؟) . . قال . . (أن يُجعل لي في كل وادٍ مال) . . .

٤١ ـ يؤسس أعـماله . . يقـوم بدراسـة دقـيقـة لكل عـمل سابق . . وكل فكْرٍ تقدم . . وكل تجربة لداعية أو عالم أو هيئة . . يدرس الإنجازات التي تحققت . . أو الفشل الذي وقع . . منصفاً في تقدير الجهود . . لا يحمل في داخله موروثات مذمومة من الحسد والكراهية تجعله لا يذكر محامد أحد . . محطماً للآخرين . . منقِّصاً للإيجابيات . . مقللاً من شأنها . . مستهيناً بها . . ﴿ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ [النحل: ٩٢] . . .

٤٢ ـ يتعلم العلم ويسعى إليه . . حماسته للدعوة ليست مجردة من العلم . . مدركاً أهمية طلب العلم لتبليغ الدعوة . . منشغل القلب به . . منفقاً ما يستطيع لطلبه . . واجداً اللذة فيه . . يقول ابن القاسم عن الإمام مالك ـ رحمهما الله تعالى ـ . (أفضى بمالكٍ طلبُ العلم إلى أن نقضَ سقفَ بيته فباع خشبه) . . .

وكان الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ يفكر بالعلم حتى في نومه . . يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ . (وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى حتى يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة) . . .

يقول **ابن الجوزي** ـ رحمه الله تعالى ـ . (ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو . . كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى . . في بغداد . . فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم) . . .

٤٣ ـ الشريط الإسلامي الذي يتضمن المحاضرات والدروس القيمة والخطب المؤثرة الصادقة . . قد ساهم مساهمة كبيرة في نشر الوعي بين صفوف طبقات كثيرة من الناس . . ولكنه كداعية . . لا يبني شخصيته بهذه الثقافة وحدها . . بل



يدرك أنه لا بد أن يعيش مع الكتاب . . ومع الكتاب النافع والمهم . . .

إنه يعلم أنه قبلَ كل شريط كانت هناك قراءة وكتابة . . وأنَّ العالم أو الداعية الذي يُستمع له قد أفنىٰ حياته في القراءة قبل أن يقدم الشريط الجيد . . .

وإن كان الشريط قد يتضمن علماً مثل الكتاب أحياناً . . إلا أن مرحلة السماع لا تعطي العمق الذي تعطيه القراءة . . والمعلومات التي في الكتاب لا يستطيع الشريط استيعابها . . لا يحتج بضيق الوقت . . ينظم وقته . . فيجد وقتاً كافياً يعيش فيه مع الكتاب . . إن القراءة متعة في حد ذاتها . . وإن أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] . . .

٤٤ ـ ليس من ذوي الهمم الضعيفة . . والعزائم الواهنة . . والتطلعات القاصرة . . ولا ممن يرىٰ نفسه قزماً أمام المتغيرات . . فلا يفكر في التغيير . . ولا البدء في مشاريع مستقبلية . . ليس أسير تربية ذليلة . .

إنه متدرب علىٰ القيادة . . يقوم بأعمال مستقلة . . وأعمال يتعاون فيها مع الآخرين . . فإذا فاجأه أمر لا يتقوقع وينزوي لأنه يملك الخبرة لإدارته . . والثقة بالنفس . . مدركاً أن أرض الله تعالىٰ واسعة لمن يريد الانطلاق . . وتأسيس أعمال . . وأن الطاقات متوافرة . . ولكنها بحاجة إلىٰ عَزيمة أكيدة وثقة بوعد الله ـ تعالىٰ ـ . . .

إنه يحمل بين جوانحه من الآمال والطموحات ما يغريه على اقتحام الأهوال . . لتبليغ هذا الدين . . .

٤٥ ـ أداة المعصية حينما تكون قريبةً فإنها تذكِّر بالمعصية . . تفتح للشيطان أبواب الوسوسة والمراودة . . والكرة بعد الأخرىٰ . . .

أدرك أن تخلُّصه من هذه الأداة وإتلافها أو إبعادها . . يغلقُ كل الأبواب . . أبواب ضعفه . . وأبواب وسوسة الشيطان التي لا تنتهي . . يفعل ذلك مع كل آلة

معصية . . أو وسيلة إليها . . في منزله . . أو مكتبه . . أو سيارته . . حتىٰ لا يضعف أمامها يوماً ويعاود القرب من المحظور . .

٤٦ ـ لا يعـرف البسـمـة المنافـقـة . . الوعـد الكاذب . . الشـمـاتـة في المبتلىٰ . . والتفاهة في الصداقة والخصومة . . يبرز معدنُه في المحن والضيق . . يتجلىٰ نبلُ خُلقه حين يشتدُّ الأمر . . جريءٌ علىٰ قول الحق ولو علىٰ نفسه . . غير متـأثر بمنصب أوجاه أو عـصبيـةٍ عمياء . . ليس من جيل الأرقَّـاء الذين ذابت شخصياتهم . .

إنما هو مسلم قوي . . يحافظ علىٰ حيويته ومقوماته . . يتعاون مع إخوانه الأقوياء . . إلىٰ تكوين جيل مسلم يعمل لدينه . . لا يستخفُّه انحراف . . ولا يقعد به عجز . . ولا يتلفه غرور . . .

٤٧ ـ البعض يندفع إلىٰ العمل الدعويّ اندفاعـاً شـديداً . . ثم قـد يتـولاه السـأم ويرهقـه العـمل . . ويضـعف عنه . . وينصرف . . وربما مـال إلىٰ غيـر السنة . . ولا يعـدم مـا يبـرر به ضـعـفـه . . فـيلقي المسـؤوليـة علىٰ غيره . . يائساً . . يشيع اليأس فيمن حوله . . خوَّاراً . . يشيع الاستكانة . . يجسم أخطاء الناس ويهون أخطاء نفسه . . .

تنبه لذلك . . فإذا ما مال إلىٰ الفترة بعد العمل . . كانت فترته للاقتصاد . . فترة إلىٰ الراحة المحمودة . . فلا يوقعه الإفراط في السأم . . .

«يا أيُّها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإنَّ الله لا يملُّ حتىٰ تملوا، وإن أحب الأعمال إلىٰ الله ما دام وإن قلَّ» . . .

٤٨ ـ وفقه الله ـ تعالىٰ ـ لطلب العلم . . لكنه يوازن في طلبه للعلم . . فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب . . قيل لمالك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . ما تقول في طلب العلم؟ . . قال: (حسن جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلىٰ أن تمسي فالزمه) . .



يوازن بين طلب العلم وبين ترقيق القلب . . فلا ينسىٰ الرقائق والمرغِّبات والمزهدات . . يحذر من تركها أو التفريط فيها . . .

يقول **ابن الجوزي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به فإذا هو يقوي القلب قوة يميل به إلىٰ نوع قساوة . . ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به ، . . فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه وأبتدئ بالتصنيف أرجو أن أتمه . . فإذا تأملت إلىٰ باب المعاملات القلبية (مع الله ـ تعالىٰ ـ) قلّ الأمل . . ورقّ القلب . . وجاءت الدموع . . وطابت المناجاة . . وغشيت السكينة . .

إلا أن العلم أفضل وأقوىٰ حجةً وأعلىٰ رتبة وإن حدث منه ما شكوت منه . . فالصواب العكوف علىٰ العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم) . . .

٤٩ ـ لقد استطاع الشيطان أن يلج إلىٰ المسلمين من باب واسع وهم لا يشعرون . . ويحول بينهم وبين كثير من الأعمال التي عزموا علىٰ فعلها . . كم من مذنب قال . . سأتوب . . ولم يتب . . كم من باغٍ للخير عزم عليه وحال بينه وبين الخير . . بـ(سوف) . . إنها مخدر شديد التأثير . . تنبه إلىٰ ذلك . . فأخذ الحذر . . وبادر إلىٰ العمل فوراً بلا تأخير . . فإذا مالاحت له فرصةٌ في الطاعات أسرع إلىٰ فعلها حتىٰ لا تفوت عليه . . بسوف . . والتي هي أعظم جنود إبليس . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] . . .

يقول **كعب بن مالك** ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . في قصة تخلفه عن غزوة تبوك . . (. . فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجعَ ولم أقضِ شيئاً . . فأقول في نفسي أنا قادر عليه . . فلم يزل يتمادىٰ بي حتىٰ اشتدَّ بالناس الجدُّ . . فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقضِ من جهازي شيئاً . . فقلت أتجهز بعده

بيوم أو يومين ثم ألحقهم . . فغدوتُ بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً . ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً . . فلم يزل بي حتىٰ أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم . . وليتني فعلت . .) . . . .

٥٠ ـ يدرك أن كل مرحلة من مراحل طريق الدعوة الطويل الشاق . تحتاج إلىٰ صبر جميل . . حتىٰ رسول الله ﷺ في تجرده وانقطاعه للدعوة . . وفي ثباته وصلابته وصفائه يحتاج إلىٰ هذا التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال . . ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ [المعارج: ٥] . . ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧] . . .

الصبر الجميل ليس مجرد كلمة يرددها مع ضيق صدره وتململ قلبه . . بل صبره . . هو الصبر المطمئن . . الذي لا يصاحبه السخط والقلقُ ولا الشك في صدق الوعد . . صبر الواثق بما عند الله ـ تعالىٰ ـ . الشاعرُ بحكمته من وراء الابتلاء . . الراضي بقدر الله ـ تعالىٰ ـ . يترفع علىٰ الألم . يستعلي علىٰ الشكوىٰ . . يسلم لله ـ تعالىٰ ـ . . .

صبر جميل . . يبتغي به وجه الله ـ تعالىٰ ـ . . لا تحرُّجاً من الناس أن يقولوا : جزع . . ولا تجمُّلاً للناس حتىٰ يقولوا : صبر . .

صبر جميل . . يثبت به علىٰ طول الطريق . . دون عجلة أو قنوط . . ثقةً في نصر الله ـ تعالىٰ ـ في الدنيا والآخرة . . .

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج: ١٥] . . .

يوقن أنه لا سبيل إلىٰ احتمال البلاء . . إلا بالرجاء في نصر الله ـ تعالىٰ ـ . . ولا سبيل إلىٰ الفرج . . إلا بالتوجه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . ولا سبيل إلىٰ الاستعلاء علىٰ الضر . . إلا بالاستعانة بالله ـ تعالىٰ ـ . . وأن كل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا



نتيجة إلا زيادة الكرب ومضاعفة الشعور به. والعجز عن دفعه.. بغير عون الله ـ تعالىٰ ـ. . .

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٦ـ٨٧]. . .

٥١ ـ بالاستقراء والملاحظة.. أدرك.. أن إغفال سنن الله ـ تعالىٰ ـ في التغيير.. والعوائق الشديدة التي تواجه الدعاة إلى الله ـ تعالىٰ ـ.. قد أدىٰ ببعضهم إلىٰ اليأس والإحباط.. وانتظار خارقة ينصر الله ـ تعالىٰ ـ بها دينه.. وأدىٰ بالبعض الآخر إلىٰ التنازل للأعداء والرضا بالحلول الوسط. . .

وفي المقابل نشأ فريقٌ يرىٰ.. المواجهة.. واستعمال النصر.. ولكن.. قبل أوانه.. وبفهمه العميق لواقع المسلمين.. وللعوائق.. والسنن.. وجد الحل في.. المنهج.. الصحيح.. منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلىٰ الله.. وسلامة القصد.. و سلامة الفهم.. يصحح مقصده.. فيخلص لله ـ تعالىٰ ـ دعوته وعبوديته.. يصحح فهمه.. فيسير علىٰ ما كان عليه الرسول ﷺ.. وصحابته ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ.. عقيدةً وعبادةً.. وسلوكاً.. فإذا ما تأخَّر النصر.. علم أن ذلك دليلٌ علىٰ خلل في قصده أو فهمه. . .

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. . .

وجد الحل.. في الإيمان بالله ـ تعالىٰ ـ وبوعده الذي لا يتخلف.. وأن نصره لعباده المؤمنين آتٍ لا محالة.. يوقنُ بذلك كما يرىٰ الشمس في رابعة النهار. . .

وجد الحل.. في توحيد الصفوف.. وتأليف القلوب.. يحذر من التنازع والتفرق.. فإن الفشل والهزيمة وتغلّب الأعداء ثمرة حتمية للتنازع والخلاف

فيترك التلاوم والنقد فيما يسعه الاختلاف . . يقدر إخوانه الدعاة . . يذكر خيرهم وجهدهم . . لا يسيء الظن بهم . . ولا يحتقر جهدهم . . مبتعداً عن وساوس الشيطان ونزغاته . . الذي ما فتيء يسعىٰ بين المؤمنين بالتحريش والتفريق . . ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] . . .

وجـد الحل . . في أن يربي نفسـه تربيـة جـادة . . علىٰ السلوك الإسـلامي الصحيح . . والأخلاق الفاضلة . . يربي نفسه علىٰ التقرب لله ـ تعالىٰ ـ . علىٰ صلاة الليل . . والذكر . . والدعاء . . والصيام . . وقراءة القرآن . . يربي نفسه علىٰ الزهد في الدنيا . . ينشيء في قلبه همَّ الآخرة . . منتظراً موعود الله ـ تعالىٰ ـ فيها . . .

يوطن نفسه علىٰ الصبر علىٰ البلاء . . والنَّفَس الطويل وعدم العجلة . . ينطلق من الشريعة وقواعدها . . وليس من ردود الفعل والعواطف الملتهبة . . .

وجد الحل . . في أن يعدّ نفسه للجهاد في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . ثمرة الفهم والقصد الصحيح وصبره الطويل في التربية عليهما . . .

«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ؛ مات علىٰ شعبة من النفاق» . . .

يفقه لماذا يجاهد . . وكيف يجاهد . . ومن يجاهد . . وعلىٰ أي عقيدة يجاهد؟ . . يرتفع بنفسه من الهزيمة النفسية . . من الكسل والدعة والاستخذاء . . إلىٰ الاعتزاز بهذا الدين . . والثقة بنصر الله ـ تعالىٰ ـ وما أعده الله ـ تعالىٰ ـ للمجاهدين في سبيله . . يربي نفسه علىٰ الإنفاق في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . يخلص نفسه من الشح وحب الدنيا . . يعدّ جسمه بالرياضة وركوب الخيل والسباحة والرمي . . يرهب عدو الله ـ تعالىٰ ـ وعدو المؤمنين ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] . . .



وقبل ذلك وبعده . . يربط نفسه بطلب رضا الله ـ تعالىٰ ـ وجنته قبل أي هدف آخر . . فقد يتأخر الجهاد . . وقد يبطئ النصر . . وقد يموت ولم ير ثمرة جهاده . . ولكن حسبه أنه أعدّ نفسه . . وحدثها بالغزو ونجا من النفاق . . وسار على مرضاة الله ـ تعالىٰ ـ . وهذا بحد ذاته انتصار كبير . . .

٥٢ ـ قال ﷺ: **«من يُرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»** . . لا يمنعه الحياء من السؤال والتفقه في دينه . . الحياء خير كله . . ولكنه مذموم في هذه الحال . . ولهذا قالت عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ . . **«نعم النساءُ نساء الأنصار! لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»** . . .

يقول **مجاهد** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (لا يتعلم العلم مستحيي ولا مستكبر) . . الكِبر يعرِّض مسيرة الدعوة إلىٰ كثير من الأخطار . . يُعْرِض من ينقصه العلم وتعوزه المعرفة عن أن يذهب إلىٰ العلماء ويزاحم مجالسهم كبراً من نفسه . . وتعالياً بالقليل الذي يعرفه . . فيملأ الطريق بالخلافات . . والسقطات . . والزَّلات . . والدعوة علىٰ غير هدىٰ . . .

يقول **الغزالي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف) . . .

يقول **الحافظ ابن حجر** ـ رحمه الله ـ . . (. . إن من لم يتفقه في الدين ـ أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع ـ فقد حرم الخير) . . .

٥٣ ـ كمسلم عارف لسنن الله ـ تعالىٰ ـ في التغيير . . يتألم من حال المسلمين وواقعهم . . وما حلَّ بهم من فرقة وشحناء وأهواء . . يرىٰ التناقض بين ما يدعو إليه الداعية وبين سلوكياته وأخطائه . . وما يملأ قلوب أفراد الدعوة من أمراض وأدران وركون إلىٰ الدنيا . . وتحاسد . . ورياء . . وكبر . . فيدرك خطورة هذه العوائق . . وأثرها في تأخر النصر . . وفي كيد الكفار والمنافقين . . ومكرهم بالمسلمين . .

إن كيد الأعداء لا يضر المؤمنين شيئاً . . إذا هم اتصفوا بالصبر والتقوىٰ . . .
موقن أن الله ـ تعالىٰ ـ محيط بعملهم . . وتخطيطهم . . وهم في قبضته . . ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠] . . .

٥٤ ـ يقرأ سيرة الرسول ﷺ . . وسيرة أصحابه ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ . . فيجد فيها المعارف الكثيرة المحببة إلىٰ النفس . . لا يمل ولا يسأم . . يجني منها ثماراً متنوعة . . من العقيدة . . والتفسير . . والفقه . . والتاريخ . . والزهد . . والسلوك . . والآداب . . والدعوة . .

يجد في السيرة . . أن الرسول ﷺ أمضىٰ ثلاثة عشر عاماً وهو يدعو إلىٰ كلمة واحدة . . «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» . . فيجد فيها التربية علىٰ العقيدة . . وتأصيل قيمتها في النفوس . .

يجد أن السيرة . . كانت سبباً لنزول كثير من آيات القرآن . . فبمعرفتها . . يستطيع فهم كتاب الله ـ تعالىٰ ـ . . .

يجد في السيرة أحكاماً عملية للحياة اليومية عاشها أولئك . . ويعيشها هو اليوم . . يجد فيها . . آدابهم . . وزهدهم . . ودعوتهم . . وجهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله ـ تعالىٰ ـ . . منهجهم في الدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . فيجد في ذلك عمقاً تربوياً . . يصقل به نفسه . . ويجاهدها عليه . . فترسخ فيها الكثير من الصفات . . مما لا يمكن أن يفعله أو أن يبلغه مئاتٌ من الأقوال والأدلة والنصائح . .

يقول **الإمام أبو حنيفة** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : (دراسةُ السيرة أحب إلينا من كثير من الفقه) . . .

٥٥ ـ صافي النفس . . محكمٌ لقياد نفسه . . منتصر علىٰ شهواته وأهوائها . . ينصف الناس من نفسه . . إن تقدم إليه من يعينه علىٰ إصلاح نفسه . . استبشر به



وعمل بنصحه، يقول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (. . فإنَّ من ينبِّهُك علىٰ فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك عن حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همَّت بإهلاكك . . فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك . . والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات) . . .

٥٦ ـ لا يتطلع إلىٰ المسألة . . إذا ألمّ به ضيق . . تذرع بالصبر . . يستعفف . . ويستغني . . ويتصبر . . موقناً أن الله ـ تعالىٰ ـ سيعينه ويهبه . . الغنىٰ . . والعفاف . . والصبر . . «**من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي احد عطاء هو خير وأوسع من الصبر**» . . .

يحفظ ماء وجهه . . يصون كرامته . . يعمل دائماً علىٰ أن تكون يده العليا . . أليق به وأكرم . . يضاعف الجهد . . ولا يتكل علىٰ العطاء . .

«**اليد العليا خير من اليد السفلىٰ، واليد العليا هي المنفقة والسفلىٰ هي السائلة**» . .

٥٧ ـ إذا جاءته خاطرة أو فكرة محرمة . . بمحاسن امرأة . . أو تخيل معصية . . قطع هذا التفكير . . وأشغل فكره بالخير . . يتدارس العلم . . يردِّد الأذكار . . يراجع ما حفظه من القرآن . . يتفكَّر في مخلوقات الله ـ تعالىٰ ـ . . .

يعلمُ أن التفكير في حد ذاته لا يأثم عليه . . «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسَها، ما لم تعمل أو تتكلم**» . . .

ولكنه يعلم أيضاً . . أن الاستغراق في التفكير خطير علىٰ الإنسان . . فقد يؤدي به الشيطان إلىٰ ما هو أسوأ . . فيقع في الحرام . . .

لا يكثر الانفراد بنفسه . . وإن انفرد أشغل نفسه بما ينفعه . . .

كثير من الخواطر تأتي قبل النوم . . فلا يأتي إلىٰ مكان نومه إلا عند إحساسه بقرب النوم . . يجهد نفسه في الأعمال المفيدة . . فإذا أتىٰ فراشه نام مباشرةً . . يشغل نفسه قبل النوم بذكر الله ـ تعالىٰ ـ . . والقراءة في الكتب

المفيـدة . . إلى أن يغلبه النوم . . مستشعراً مراقبة الله ـ تعالى ـ . طالباً منه . . العون . . والثبات . . والصبر . . .

٥٨ ـ يدرك أنه كما لزيادة المال تأثيرٌ على بعض النفوس . . تطغى وتتعالى على الخلق . . كذلك فإن للعلم تأثيراً على بعضهم . . يتكبرون . . يعجبون بما لديهم من علم يتميزون به عن غيرهم من الإخوان . . أو من يدعونهم إلى المعروف وينهونهم عن المنكر . .

يقول **وهب بن منبه** ـ رحمه الله تعالى ـ . «إن للعلم طغياناً كطغيان المال» . . .

فيحاسب نفسه دائماً . . لا يغتر بأي عمل يقوم به . . لا يظهر الأستاذية حين يتحدث . . أو يأمر أو ينهى . . فإن الناس تنفر ولا تتقبل النصيحة ممن يكلمهم من برج عاجي . . يقول **الحسن البصري** ـ رحمه الله تعالى ـ . عن التواضع . . (يخرج من بيته فلا يلقى مسلماً إلا ظنَّ أنه خيرٌ منه) . . .

٥٩ ـ كلامه تقطر منه الحكمة . . أفعاله لا تصدر إلا عن حكمة . . دعوته تسير بنور الحكمة . . لا يستعجل في أفعاله وأقواله في أمور الدين أو الدنيا . . حتى لا ينحرف عن طريق الهدى . . وتكون نتيجة بذله وجهده . . عواقب وخيمة . . وأخطاء جسيمة . . ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] . . .

يعلم أن الحكمة تقوم على ثلاثة أركان: العلم . . الحلم . . الأناة . . فهو يتعلمها ويعمل بها . . ويربي نفسه عليها . . .

يتعلم العلم النافع . . ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] . . ويعلمه للناس ولا يكتمه . . ويحذر من ذلك . . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] . .



يضبط نفسه وطبعه عن هيجان الغضب . . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] . . يقول الرسول ﷺ للأشج سيد عبد قيس . . **« إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة »** . . .

يتثبت ولا يتعجل في الأمور الظاهرة والباطنة . . ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦] . . وأن ذلك لا يكون إلا فيما لا يعلم ابتداءً أنه صحيح من الأقوال والأعمال . . وأما الخير والعمل الصالح والقربة إلى الله ـ تعالى ـ . . فإنه يسارع فيها . . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] . . ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] . . **« بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم »** . .

يتحلى بذلك . . بأعظم حلية ألا وهي . . الحكمة . . والتي اتصف بها الله ـ تعالى ـ . . وأمر أنبياءه بأن يتحلوا بها . . .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] . .
« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلمها » . . .

٦٠ ـ عناده النفسي . . رغبته الجامحة في الكسل والخمول . . يعالجه بأنجح الأدوية . . وبأهم العوامل في الاندفاع نحو العمل . . يستشعر الأجر العظيم . . من الله ـ تعالى ـ . . مقابل جهاد نفسي يأخذ منه القليل من الوقت في سبيل عبادة من العبادات . . .

يدرك بذلك سرَّ تبيان الرسول ﷺ لأجر بعض العبادات . . وأن التعامل مع العبادة بكسل وخمول . . يبدأ . . حين يفقد المسلمُ الاستشعارَ بالأجر . . .
« من صلى الفجرَ في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمسُ ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » . . .

٦١ ـ لا يكثر الحديث عن نفسه ومحاسنها . . لا يمتدح أعماله ويفتخر بما يصدر عنه من أفضال وأياد . . لا يعجب بكلامه وتأليفه وسائر ما يخصه . . من الحديث عن ذكاء أطفاله . . وحسن تدبير زوجته . . مستنيراً بقوله تعالىٰ . . ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢] . . .

يعلم أن التزكية الجائزة . . عندما يقتضي الحديث عن النفس . . إما للتعريف عنها . . أو توضيح لبعض الأمور المبهمة . . أو لدفع تهمة . . أو لرئاسة عمل يجد في نفسه أنه أهلٌ له . . ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] . .

٦٢ ـ لا يصدر عنه ما ينافي الذوق . . ويبعث على الكراهة والاشمئزاز . . كأن يتجشأ أو يتثاءب . . أو يكثر التنحنح والقهقهة . . والتمطي . . والعبث بالشارب واللحية . . أو يبصق في حضرة غيره . .

يدرك أن الذي يليق به إذا جلس مجلساً . . أن يكون ذا هيبة وأدب ووقار . . فذلك أكمل لأدبه . . وأدعىٰ لاحترامه وتبجيله . . .

٦٣ ـ إن الله ـ تعالىٰ ـ سنَّ سنناً ثابتة في خلقه . . من تمسك بها فاز فوزاً عظيماً . . ومن أعرض عنها فقد ضل وأضل . . .

يقول ـ تعالىٰ ـ . مبيناً سنته في المكذبين . . ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧] . . وقال سبحانه . . ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٦٢] . . .

فإذا ما انهزم في ميادين الدعوة أو الجهاد . . فعليه أن يتهم نفسه . . ويقوّم مسيرته . . ويزن أعماله بميزان الحق . . ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] . . .

وأن الله ـ تعالىٰ ـ إذا سلبه نعمة أنعمها عليه . . ينظر إلىٰ نفسه ويبحث عما تغير فيها ممَّا منّ الله ـ تعالىٰ ـ به عليه من إيمان وهداية وخير . . ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] . . .

يقتدي بسلفه الصالح الذين تمسكوا بنعم الله ـ تعالىٰ ـ عليهم . . العقيدة الصحيحة الأخلاق الفاضلة . . ونبذ الفرقة والاختلاف وأخذ بالأسباب الشرعية ، حتىٰ صاروا خير أمة أخرجت للناس فاستحقوا نصر الله ـ تعالي ـ والتمكين في الأرض . . .

فيدرك أن التغيير يبدأ من نفسه . . وأنه . . إن عجز عن تغيير نفسه . . فلن يستطيع تغيير أسرته . . فضلاً عن أن يغير أمته . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١] . . .

٦٤ ـ شامةٌ بين الناس . . متميزٌ في زيه وهيئته وتصرفه وأعماله . . قدوةٌ حسنة . . تجعله جديراً بحمل رسالته للناس . . .

قال ﷺ لأصحابه وكانوا في سفر قادمين علىٰ إخوانهم : «**إنكم قادمون علىٰ إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم ، حتىٰ تكونوا شامةً في الناس ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**» . . . .

لا يهمل نفسه . . ولا ينسىٰ ذاته . . مع التكاليف العليا التي يحملها في الحياة . . لا ينفصل مظهره عن مخبره . . وبذلك يتكون كمسلم داعية إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . يوازن بين جسمه وعقله وروحه . . يعطي كل ذي حق حقه . . فلا يغالي في جانب من هذه الجوانب علىٰ حساب جانب . .

علم النبي ﷺ . . بمغالاة عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ في العبادة . . فقال له : «**ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**» . . قال : (بلىٰ يا رسول الله) . . قال : «**فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً ، وإنَّ لزوْرك عليك حقاً**» . . .

٦٥ ـ ترتاح لمرآهُ العيون . . وتأنس به النفوس . . يتجمل ولكن باعتدال . .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] . . .

لا يؤذي الناس بمنظره . . فيصد عنه النفوس . . حين يُسف في مظهره إلى درجة الإهمال المزري، بدعوى أن ذلك من الزهد والتواضع . . .

«إن الله يحب أن يُرى أثرُ نعمته على عبده» . . وكان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر عِلْية أصحابه بذلك . يقول جندب بن مكيث ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (فلقد رأيت رسول الله ﷺ يوم قدم وفد كِندة، وعليه حلة يمانية، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله ـ تعالى ـ عنهما مثل ذلك) . . .

وعنايته بمظهره لا تؤدي به إلى المغالاة في التزين والإفراط في التأنق . . فتغدو الزينة شغله الشاغل وهمه الدائم . . **«تعس عبدُ الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض»** . . .

٦٦ ـ يرعى شعره . . يصلحه ويجمله . . ويهتم بتنظيفه تمشيطه وتطييبه . . وتحسين شكله وهيئته . . يقول عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنه . . (كان رسول الله ﷺ في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول بيده كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ففعل ثم رجع) . . فقال ﷺ : **« أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدُكم وهو ثائرُ الرأس كأنه شيطان؟»** . . .

ويقول جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (أتانا رسول الله ﷺ زائراً فرأى رجلاً شعثاً قد تفرَّق شعره . . فقال : **«ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟!»** . . .

٦٧ ـ يتذكر ذنوبه . . يندم عليها . . ويتوب منها . . ويحس بعظمتها عند الله ـ تعالى ـ . يخاف من غضبه سبحانه . . فيزداد خشية . . ويزداد رجاءً في رضا الله ـ تعالى ـ عليه مما يزيد انطلاقه نحو الله ـ تعالى ـ . ليعوض عن آثامه التي اقترفها . . .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ . (الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة

أشياء.. تعرُّف لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبة وإرادة.. وملاحظة لمنَّة تزداد بملاحظتها شكراً وطاعة.. وتذكُّر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية.. فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة جالت في أودية الوساوس والخطرات)...

٦٨ ـ تَنْصَبُ نفسُه لشغل وقت فراغه بالعبادة.. مدركاً أن كل أمر من أمور الدنيا المباحة يكون عبادة إذا أحسن النية وأخلص العمل لوجه الله ـ تعالى ـ...

فتارةً يشغل نفسه بصلاة ودعاء.. ومرةً بزيارة من يريد دعوته لله ـ تعالى ـ.. ومرةً في صلة رحم.. أو قضاء حاجة للوالدين.. أو الزوجة والأبناء.. وأخرى في قراءة أو كتابة أو اقتباس.. أو في عمل مباح.. فيكون استراحةً ومحطة وقود.. ينطلق منها إلى الحركة لله ـ سبحانه ـ.. يدفعه إلى ذلك.. مفاجأة الموت أو المرض.. مما يقطعه عن العمل الصالح.. فيتحسر ويندم.. حيث لا ينفع الندم...

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر: ٥٦ـ٥٨]...

٦٩ ـ دائماً في أحسن مظهر.. وأفضل هيئة.. يعتني بنفسه ونظافة بدنه.. حتى ولو كان في خلوة مع نفسه.. فيكون بذلك أقدر على الوصول إلى قلوب الناس ونفوسهم.. ودعوتهم.. يستجيب إلى نداء الفطرة.. والتي أخبر بها الرسول ﷺ.. فقال: **«خمسٌ من الفطرة: الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الاظافر وقص الشارب»**...

يقول **ابن حجر** ـ رحمه الله تعالى ـ.. (يتعلق بهذه الخصال مصالحُ دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً والاحتياط للطهارتين والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يُتأذى به من رائحة كريهة،



ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارىٰ وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع والمحافظة علىٰ ما أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]. . وفي المحافظة عليها محافظة علىٰ المروءة وعلىٰ التآلف المطلوب، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعىٰ لانبساط النفس إليه فيُقبل قوله ويُحمد رأيه والعكس بالعكس). . .

٧٠ ـ الغيرة علىٰ الدين. . غيرة مستمدة من غيرة الله ـ تعالىٰ ـ. . تدفع المسلم للدفاع عن هذا الدين. . ودعوة الآخرين له. . وإنكار المنكر. . وحتىٰ لو أدىٰ دفاعه عن دينه إلىٰ تقديم روحه رخيصةً في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ. . .

وهو كداعية. . وضع قدمه في هذا الطريق. . لا يبغي وجهاً سوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . . ولا ينتظر إعجاب الناس ومديحهم لعمله. . . لأن الذي يهمه هو خالقه ـ سبحانه ـ. . . وابتغاء مرضاته. . فإنه لا يغار. . أو يضيره. . أن يُمدح غيره . . بل إنه يفرح إذا مُدح أخوه. . ويدعو له بالزيادة والخير. . .

لا يهمُّه في أي مكان يعمل. . ما دام أنه يعمل في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ. . فلا يغار إذا كُلف غيره بإلقاء درس. . أو مهمة هي أعلىٰ من مهمته. . .

يعلم أن ذلك ينافي كمال الإخلاص. . الذي يريده الله ـ تعالىٰ ـ خاصةً ممن يعملون في سبيله. . .

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. . .

«طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثَ رأسه، مغبرَّة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع له». . .

٧١ ـ . . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. . .



بعض النفوس التي تتكاسل عن العبادة . . إنما تظن أنها تقوم بالعبادة لأن الله ـ تعالىٰ ـ بحاجة لها . . وَهْمٌ يلقيه الشيطان في نفوسهم . . وينسيهم أنَّ أول المنتفعين بذلك هم أنفسهم . .

وهذا النداء العلوي إنما هو استنفار للقوىٰ الكامنة في نفسه البشرية . . ليهُبَّ . . ويبادر . . لإنقاذ نفسه . . ليترك التهاون وتضييع الأوقات . . فلن ينقذ نفسه إلا ذاته . . بما يقدم من أعمال . . وعبادات . . ومجاهدات . . تكون سبباً لنجاته يوم القيامة . . ويستحق بها رحمة الله ـ تعالىٰ ـ . . ورضاه . . .

. . ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[العنكبوت: ٦] . . .

٧٢ ـ الحدود إذا أُقيمت . . انكفَّ الناس عن تعاطي المحرمات . . وكان ذلك سبباً في حصول البركات، فيدرك أن البلاء الواقع علىٰ الناس . . من كثرة النوازل والكوارث والأمراض . . ماهو إلا نتاج للمعاصي . . وهذا الذل الذي غطىٰ المسلمين . . ما هو إلا من انتهاك المحرمات . . ويعلم أن المعصية يتأذىٰ منها كلٌّ من يدب علىٰ هذه الأرض . . « **العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب** » . . .

وإن الطاعة تؤثر علىٰ أحوال الأرض والسماء . . وذلك أنه عندما ينزل عيسىٰ عليه السلام ولا يبقىٰ في الأرض عاصٍ . . تخرج الأرض بركاتها . . «**فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها**» . . وأن الفساد الذي يحدث في البر والبحر إنما هو عقوبة بسبب المعاصي . . لعلهم يرجعون . . ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] . . .

٧٣ ـ ما أصعب أن يفارق زوجته وأبناءه وهم في عمر الزهور . . خاصة إذا كانوا بحاجته . . ما أشقَّها من لحظات حين يرىٰ دموع والدته وهي تتعلق به . . ما أحزن فراق الإخوة في الله ـ تعالىٰ ـ . . الذين بدأ حياته الدعوية معهم . . وعاش

بينهم . . ليذهب إلىٰ بلاد الكفر والمادية . . ليعيش هناك . . غربة الدين . . وغربة القيم . . وغـربة الإخـوان . . وغـربة البلد . . ليـقع بين ضـغط الغـربة الـقـاسـيـة . . وضغط الإباحية . . .

حينها يتضح الثبات . . وتظهر حقيقه إيمانه . . لا ينغلق علىٰ نفسه . . ويعيش منعزلاً عن الآخرين خوفاً من السقوط . . فتصيبه الوحشة فيتأثر . . لا يستسلم ويتنازل . . فينهار . . بل . . تتغلب عنده التربية الذاتية علىٰ تلك الضغوط . . يُكثر من حضـور الأنشطة الإسـلامية الواعية والشرعية . . يحرص علىٰ اتصاله الدائم بالأخـوة الصـالحين . . يحـرص على أداء الصـلاة في المسـجد . . يضع له برامج إيمانية خـاصـة به يربي نفـسـه من خـلالهـا . . يـدعـو ربه وخـالقـه . . مـن قبـل ومن بعد . . علىٰ التوفيق والثبات . . .

٧٤ ـ الكثير من الدعاة . . يخططون تخطيطاً دقيقاً لكثير من الأمـور . . السفر . . المشاريع . . الدعـوة . . العمل . . الدراسة . . لينجحوا في إنجازها علىٰ الوجه الأكمل . . وفي الوقت المحدد . . .

تنظيم المواعيد المتعارضة . . قضاء الحاجات المترتبة عليهم . . تأخير كل ما يمكن أن يؤثر عليـهـم . . يخططـون بكل طاقـاتهم لإنجـاز أمـورهـم . . الدنيــوية . . والدعوية . . .

ولكنه كمؤمن صالح . . يدرك مهمته في هذه الحياة . . لا ينسىٰ أو يتناسىٰ . . أن لديه مواعيـد مهمة . . ومشاريع . . لتنمية نفسه . . وتربيتها . . حتىٰ تثبت علىٰ الحق . . لا يغيب عنه . . أن يخطط لقيام الليل . . والجلوس بعد صلاة الفجر لأداء أذكار الـصباح واتباع سنة النبي ﷺ في ذلك . . يعيد ترتيب كل مـوعد يؤخـره في الليل . . حتىٰ يستطيع أن ينام مبكراً . . فينشط للقيام . . وصلاة الفجر . . .

يخفف من طعامه . . من مجـهـوده . . الـذي قد يرهقه . . فيكون استـيـقـاظه

صعباً . . وخصوصاً . . لصلاة الفجر . . .

إذا أراد استماع حلقةِ علم . . رتب مواعيده حتىٰ لا تتعارض مع موعد الدرس . . يقضي جميع حوائج أهله بفترة كافية . . حتىٰ لا يتأخر . . .

يخطط لأداء حقوق زوجته وأطفاله . . ليجد الوقت المناسب الذي يجلس فيه معهم . . يؤانسهم . . ويشيع الأنس والرحمة بينهم . . بحيث لا يتعارض مع الوقت الذي يريد أن ينمي فيه نفسه . . ويربِّيها . . فيعطي بذلك التخطيط المتكامل لكل أمر حقه . . من أمور الدنيا أو الآخرة . . .

٧٥ ـ الإنسان مسؤول عن ماله وعمره أمام خالقه . . يوم يلقاه . . **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به»** . . .

فيدرك . . أنه ليس له التصرف المطلق في حياته بالشكل الذي ترتاح إليه نفسه وترتضيه . . وهذا هو مفرق الطرق بين المفهوم الإسلامي . . والمفاهيم الغربية كلها . . .

لذلك . . فهو مطالب باستفراغ الوقت كله في عبادة الله ـ تعالىٰ ـ وطاعته . . الغاية النهائية من خلقه وإيجاده . . ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] . . .

والذي يتمثل في كل ما يحبه الله ـ تعالىٰ ـ ويرضاه من أقوال وأفعال . . فمختلف أنشطته . . من عمل وفكر . . سكون وحركة . . جدٌّ ومرح . . أكل وشرب . . نوم وعلم وقتال . . تسير علىٰ وتر واحد . . هو العبادة . . .

إنه لا يمكن أن يعيش وقتاً بدون تكليف أو رسالة . . آخذاً في اعتباره المقاييس الشرعية المميزة بين ما هو مشروع أو غير مشروع . . فلا يصرف أقل ما يمكن تصوره من الزمن والعمر في منطقة الممنوع . . فهو يتقلب فقط بين مقامات

الواجبات والسنن والمباحات . . .

«إن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍ حقه» . . .

فليس لديه وقت فراغ . . بل إن لديه حقـوقاً . . وتكليفات . . ليس له حرية مطلقة في التصرف فيها كيف يشاء . .

يدرك أن تحريه الحلال في المأكل والمشرب والملبس والجماع من العبادة التي يؤجر عليها . . **« وفي بضع أحدكم صدقة»** . . قالوا : . . يا رسول الله أياتي أحدنا شهـوته ويكون له فيها أجـر؟ . . قال : **«أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»** . . .

حتى مداعبته لزوجته لا تخلو من الأجر والثواب . . وليست وقت فراغ . . إنما هي وقت عبادة . . **«وإنك مهما أنفقت من نفقة، فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى فيّ امرأتك»** . . .

فحياته كمسلم جاد . . هي خط متواصل من العبادات . . لا يُتصوَّر فراغٌ فيها . . إلا بالمعنى الذي ينتهي فيه من عمل الواجبات ويستعد فيه لمزاولة أي عمل من أعمال البر والإحسان من المندوبات والمستحبات . . ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح:٧] . . .

إنه عـمل نافع مـثـمـر، يعـينه على الطريق إلى الله ـ تعـالى ـ منذ يقظته إلى منامه . . فلا يشكو من فراغ ولايحتاج في ملئه إلى تبديد الطاقة أو الانحراف بها إلى غير المنهج الأصيل . . يعلم أن ليس معنى ذلك جهاداً واستنفاداً لطاقته واستهلاكها . . بل إن إسلامه يدعوه إلى أن يستمتع بالطيبات ويتذكر نصيبه من الدنيا . . إن من حياته . . ذكره لله ـ تعالى ـ في القلب . . منها غفوة الظهيرة في الهاجرة . . منها السمر البريء مع الأهل والأصحاب . . منها التزاور . . منها

الدعابة اللطيفة . .

وهكذا . . لم يعد في نفسه المؤمنة . . فراغ . . نفس عامرة بذكر الله ـ تعالىٰ ـ . . وروح متعبدة لله ـ تعالىٰ ـ . . فلا يكون ممن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١] . . .

٧٦ ـ يستغل كل ثانية من أوقاته . . وكل دقيقة من عمره . . يحذر من صرف الوقت فيما لا يفيد . . ولا يعود عليه ولا علىٰ جماعته بنفع ولا مصلحة . . ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر:١-٣] . . .

عمره أسمىٰ وأغلىٰ من أن يضيع بين لهو عابث سخيف لا قيمة له . . ولعب باطل لا يأتي من ورائه بمنفعة في الدنيا والآخرة . . إنه مسؤولية في عنقه يحاسب عليه يوم القيامة . . .

يدرك أنَّ كل يوم يمضي يقرِّبه من النهاية المحتومة . . ثم لا يعود . . وسيأتي عليه يوم يندم علىٰ تفريطه . . إن هو فرّط . . ويتمنىٰ لو أُتيحت له الفرصة مرة أخرىٰ ليراجع نفسه . . ولكن ذلك يكون بعد فوات الأوان . . ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [المنافقون:١٠-١١] . . .

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧] . . يعلم أن عمره محدود وأنه مهما طال . . قصير . . ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦] . . ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥] . . .

يدرك ما في البكور من بركة . . وما في التسويف من ندم وحسرة . . يقول ﷺ: «**اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها**» . . ولما أُخبر عن رجل ينام الليل كله حتىٰ

يصبح قال: «**ذلك الرجل بال الشيطان في أذنه**» . . .

يقول **ابن الجوزي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . عن حاله مع البطالين . . (وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشةٌ لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمن . . فَصرت أدافع اللقاء جهدي فإذا غُلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق . . ثم أعددتُ أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً . . فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد(أي قص الورق) وبري الأقلام وحزم الدفاتر . . فإنَّ هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج إلىٰ فكر وحضور قلب فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلاً يضيع شيء من الوقت) . . .

ويقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (هلمَّ إلىٰ الدخول علىٰ الله ومجاورته في دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها . . وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضىٰ وما يستقبل، فالذي مضىٰ تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار وذلك شيء لا تعب فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق . . إنما هو عمل القلب . . وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملاً بالجوارح يشقُّ عليك معاناته وإنما هو عزم ونية جازمة . . ولكن الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين . . فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم . . فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار . . عياذاً بالله . . فإن اتخذت إليها سبيلاً إلىٰ ربك بلغت السعادة العظمىٰ والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلىٰ الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب انقضت عنك بسرعة . . وأعقبك الألم العظيم الدائم الذي مقاساتهُ ومعاناتهُ أشقُّ وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله . . والصبر



على طاعته . . ومخالفته الهوىٰ لأجله) . . .

٧٧ ـ يرىٰ ما تقدمه أدوات التسلية والترفيه من مسرحيات ومسلسلات وأغانٍ ومباريات رياضية . . وكيف أنها تشكل قسطاً كبيراً من الدعوة إلىٰ إشاعة الانحلال الأخلاقي من جهة . . وخطف لعقول الشباب ودفعه إلىٰ دائرة الأهواء والإباحية والمسخ الفكري من جهة أخرىٰ . . .

ينظر إلىٰ مختلف دعاوىٰ المدنية . . والترفيه . . والتي أدخلت جيوشاً أخبث من جيوش الاحتلال العسكري . . أفواج الممثلين والممثلات وأمثالهم من البغايا والراقصات . . إنشاء المسارح وفرق الغناء والتمثيل و المراقص والملاهي . . .

مدركاً أن كل ذلك ما هو إلا مِعول من معاول الهدم والتخريب لأسس وركائز النهضة الإسلامية المرتقبة . . وما هي إلا شبهات وسموم وأساطير وخرافات . . تُحقق ذلك التمزق الخطير بين الرجل والمرأة . . والزوج والزوجة . . والابن والأب . . والتي تجعل من الرشوة والحرام والخطف والتآمر وسائل مشروعةً للثراء والغنىٰ والكسب . . .

يَحرمون بذلك الهوية المسلمة من الفطرة التي فطر الله ـ تعالىٰ ـ الناس عليها . . والوجهة التي بناها الإسلام في النفوس المؤمنة . . .

يقول البروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات الصهيونية . . (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها عن أي خطة عمل جديد لنا سنلهيها بأنواع شتىٰ من الملاهي والألعاب . . وهلمّ جراً وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين إلىٰ الدخول في مباريات شتىٰ من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها . . إن هذه المتع الجديدة ستُلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه وحالما يفقد الشعب تدريجاً نعمة التفكير بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد : هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين

الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوات تفكير جديدة، وهذه الخطوات سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا) . . .

يقول الله تعالىٰ . . ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] . . .

يقول **محمد قطب** ـ غفر الله تعالىٰ له ـ . (. . وأما الحبل من الناس . . إنه ليس فقط أمريكا وما تمد به إسرائيل من العون المالي والسياسي والعسكري والأدبي وكل أنواع العون . . وليس فقط روسيا . . إنه يأتي من كل الناس . . كل سكان الأرض . . إلا من رحم ربك . . .

السينما مؤسسة يهودية مالاً وفكراً وتخطيطاً وتنفيذاً، وهدفها الأول هو إفساد الأولاد والبنات بما تعرض من صور الحياة العابثة اللاهية القائمة علىٰ العلاقات التي حرمها الله ورسله . . وكل ولد أو بنت في الأرض كلها أصابه (جنون السينما) فهو حبل من الناس يمد اليهود . . يمدهم بالمال الذي ينفقه في السينما من جهة، وبالفساد في ذات نفسه من جهة أخرىٰ . . وكذلك جنون التلفزيون والفيديو فهما يسيران علىٰ ذات الدرب أياً كان المخرج والمنتج والفنان . . .

وبيوت الأزياء الكبرىٰ يهودية، وكذلك بيوت الزينة وكل بنت في الأرض أصابها جنون (الموضة) وجنون الزينة فهي حبل من الناس تمد اليهود بالمال وتمدهم بالفساد في ذات نفسها وفي المجتمع كله . . حين يتحول المجتمع إلىٰ فتنةٍ هائجة تجتاح الأولاد والبنات علىٰ السواء . . وجنون الرياضة عامةً وجنون الكرة خاصةً لونٌ من الجنون يبثه اليهود في الأرض من خلال وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها ويوجهونها . . وكل فتىٰ أو فتاة أصابه جنونُ الرياضة أو جنونُ الكرة، فهو حبل من الناس يمد اليهود بتفاهة اهتماماته . . بعيداً عن الرشد



. . بعيداً عن الوعي . . بعيداً عن رحمة الله . . .

وترجيل المرأة بقضية المساواة وغيرها من الوسائل هدف يهودي . . وكل فتاة أصابتها حمّىٰ المساواة وطلب الاختلاط الحر وغشيان المجتمع وهجرت بيتها ووظيفتها الطبيعية واستنكرت أنوثتها واعتقدت أن وظيفتها الأولىٰ أن تعمل خارج البيت . . هي حبلٌ من الناس . . هذا ولم نتحدث عن كل سياسيٍّ خضع لتوجيهات اليهود وأوامرهم . . وكل اقتصادي أدار الأموال بالربا . . .

وكل كاتب أو مفكر أو فنان . . دعا إلىٰ تحطيم المقدسات، وسمَّىٰ الدين رجعية والأخلاق الفاضلة تزمتاً والقيم الإنسانية مثالية جوفاء . . لم نتحدث عن هؤلاء وأمثالهم لأنهم لا يحتاجون إلىٰ حديث وكلهم حبل من الناس يمد اليهود . . وإنما كان ذلك أساساً بسبب غفلة الأميين . . بسبب غفلة الحراس الذين كلفهم الله أن يكونوا يقظين دائماً في مراقبتهم لليهود لمنعهم من الإفساد في الأرض . . .

وقديماً قال الشيطان كما حكىٰ عنه رب العالمين . . ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩] . . .

الجزء الرابع

علاقته

بزوجته وأبنائه

علاقته بزوجته وأبنائه

١ـ إن زواج السكن المستـقـر . . هو العش الذي تتوالد فيـه خـصـائص الإنسانية . . باجتماع إنسان وإنسانة . . لا باجتماع ذكر وأنثى . .

إن الرجل في حـياة الأسرة الساكنة المستقرة . . لَيـصنع الحبَّ عندما ينسى نفسه . . ويَطَّرِحُ أنانيته . . ويفكر في أسرته . . ويهتمُّ بها . .

يغـرس الحبَّ في نفـوس زوجتـه وأطفـاله . . بما يُبـدي نحـوهم من رعـاية واهتـمام . . وشفقة وحب . . فإذا كان من مهـمـاته إنجاب البنين . . . فإنَّ أكرم مهماته . . أن يبدع فضائل التراحم والتَّوادِّ . . والإيثار والمواساة . . والتعاون . . وبدون هذه الفضائل ونحوها . . لن يكون إنساناً . . ولن يكون جديراً بأيِّ نظرة من نظرات التوقير والاحترام . .

٢ـ تكوين الأسرة المسلمة . . لا يقوم إلا على التزام كل فرد بمهامه . . لذلك كـرَّم الإسلام المرأة . . وأوكل إليها مسؤوليات تناسب طبيعتها . . وتمكِّنها من القيام بدور الأمومة بالشكل الذي يضمن لأطفالها وزوجها حياة طيبة نقية . .

أمـرها أن تجلس في بيتـها ولا تخـرج إلا لضـرورة . . نهاها عن الاختـلاط بالرجـال . . والتَّسكُّع في الطرقات . . وإن خـرجت فـمع ذي محـرم . . أكـرم وأشرف لعـرضـها وعفـافـها . . وحـماية لهـا . . لذلك . . فهـو لا يتـهـرَّب من مسؤولياته تجاه بيته . . محتجاً بالدعوة . . أو التجارة . . أو السفر . . لا يتملَّص من مهمته متعذِّراً بكثرة أعماله وأعبائه . . تاركاً قيادة الأسرة للمرأة . . يساعدها فريق من الخدم والسائقين . . حيث عليها ـ فوق الاهتمام بمنزلها وأطفالها ـ . . أن تحمل طفلها المريض إلى الطبيب . . وأن تتابع أطفالها في المدرسة ، فتتَّصل بالمدير والمعلمين . . عليها أن تحضر مختصِّين لإصلاح أعطال المنزل . . وأن تصحب أطفالها إلى الملاعب وأماكن الترفيه . . أن تذهب إلى سوق الخضار والبقالات

لجلب احتياجات المنزل . . بما فيه من اختلاط بالرجال . . وتعرُّض للأذىٰ والفتنة . . إلىٰ حدِّ شراء ملابسه والذهاب بها إلىٰ الخياط . . وفوق هذا وذاك . . هي عاملة تساعد زوجها في تدبير شؤون البيت . . ومصاريفه . . إنه يعلو بنفسه ويترفع فوق ذلك كله . . لأنه يعلم . . أن الزوجة كائن لطيف . . رقيق . . ناعم . . وتكوينُها الجسميُّ والنفسيّ . . لا يُمَكِّنُهَا من القيام بكل هذه المهام . . فينأىٰ بنفسه . . أن تقوم هي بالأعمال الجسام عليها . . وهو لا يقوىٰ علىٰ صغار المهام وأسهلها عليه . .

٣ ـ يريد أن يتزوج . . ويكمل دينه . . ويُعِفَّ نفسه . . ووجدها فتاةً صالحة . . ولكنه لا يرفض النظر إليها مكتفياً بوصفها . . بل إنّه يطالب بالنظر إليها، ويكرر النظر . . حتىٰ يرىٰ ما يدعوه إلىٰ الارتياح إليها والزواج بها . . لأنه يدرك أنه إن تزوجها دون رؤيتها . . فإنه قد يجدها علىٰ غير ما وُصِفت له . . أو علىٰ غير ما أراد وتصوَّر في خياله . . فيصاب بخيبة أمل . . وقد تسوء حاله . . ويحلُّ القلق والخصامُ محلَّ الراحة والوئام . . وربما كان الفشل لتلك الحياة . . والإنهاء لتلك العلاقة . . يقول ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرىٰ منها بعض ما يدعوه إلىٰ نكاحها فليفعل**» . . وخطب المغيرة بن شعبة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ فقال له النبي ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما**» .

٤ ـ تفوح من زوجته رائحة العطر الجذابة . . فلا يجعلها تستقبله وقد فاحت منه رائحة العرق النَّفَّاذة . . تستاك قدر ما تستطيع حتىٰ لا يشمَّ منها إلا طيب ريح . . فلا يدعها تشم منه رائحة الفم الكريهة . . تلبس أجمل ملابسها في البيت حتىٰ تمتع زوجها . . فلا يظل هو بثياب النوم طوال اليوم . .

إن كثيراً من الرِّجال يخطئون، حين يرون أن الزوجة يعجبها الزوج علىٰ كلِّ حال . . يعلم أن للمرأة ذوقاً قد يكون أرقَّ من ذوق الرجل . . تشعر أكثر مما يشعر . . ولكن . . الحياء يمنعها من مواجهة الرجل بتلك العيوب . . والتي تباعد بين قلبه وقلبها . . وتحرمها من المتعة الجسدية معه . . تسكت علىٰ مضض . .

ليس له منها إلا الجسد . . أما القلب فيتمزق ألماً . .

يقـول مـالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ (كـان لرسـول الله ﷺ سكة يتطيَّبُ منها) . . وتقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (كنت أرجِّل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض) . . وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ: (كان النبي ﷺ مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حُلَّةٍ حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه) . . يعلم ما لرائحة الفم من خطر يهدد الحياة الزوجية . . ويبعث النفور بين الزوجين . . وينذر حياتهما بالتفكك والتمزق . . وحينها أدرك تشديد الرسول ﷺ على ذلك بقوله: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» . .

ورُوي عنه ﷺ أنه (كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك) .

والعبادة لديه لا تتنافى مع حسن المظهر ونظافته ورائحته الطيبة . . «**إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهيناً مترجّلاً**» . .

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ (إنِّي أحبُّ أن أتزين لامرأتي كما أحبُّ أن تتزيَّن لي . . لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

5 ـ الزواج هو أقوى رابطة وأدومها بين اثنين من البشر . . بعد رابطة العقيدة . . به يحصل الامتزاج بين زوجين في كل معاني الحياة . . على عقيدة يتفق عليها قلبهما . . وتنبثق منها تصوراتهما . . فتصبح أهدافهما متحدة . . متناسقة . . لا تضارب فيها . .

ومع أنّ إسلامه أباح له الزواج من كتابية . . إلاّ أنه يوقن أنه لن يجد ذلك إلا عند الزوجة المسلمة . . والذي دعا جمهور المسلمين إلى القول بأن الأولى ترك الزواج من الكتابية . .

يعلم أن من شروط الزواج بالكتابية أن تكون عفيفة . . ومن الصعب عليه أن يحكم عليها بالعفة، وهي تعيش في تلك المجتمعات وتدين بدينهم . . وقد يميل

قلبه إليها وإلى قومها، بحكم معاشرته لها ومخالطته لأهلها.. فتفتنه عن دينه.. ويتولَّى أهل دينها.. فيكون زواجه على حساب عقيدته.. وولايتِه لجماعة المسلمين.. يدرك أن للأم أثراً كبيراً على أبنائها.. وقد يميل الأبناء إليها فيأخذوا عاداتها.. ويعتنقوا معتقدها.. وقد يبقى الأبناء معها في ديار الكفر.. أو تصحبهم معها عند زيارتها لأهلها.. أو عندما يحدث خلاف بينهما.. فيصطبغوا بصبغة أهلها.. ويتخلَّقوا بأخلاقهم.. في تلك المجتمعات الكافرة.. والتي تعطي بحكم قوانينها المرأةَ الحقَّ في أخذ الأبناء معها ومنعهم من أبيهم.. وبئس الزواج.. زواج تكون نتيجته منعه من أطفاله.. ليبقوا بأيدي أعداء الإسلام يحرفونهم عن عقيدتهم.. ويجعلونهم أعداءً للمسلمين..

٦ـ عاقل حكيم.. لا يهمل بيته وأبناءه.. ويتخبط بين زوجاته.. لعدم مقدرته التوفيق بين مطالب البيتين.. إلى جانب أعماله الأخرى.. ومطالب أصدقائه..

ليس كبعضهم، ممن ينادي بعدم جواز خروج المرأة إلا مع ذي محرم.. فلمَّا تزوج الثانية.. أهمل ذلك.. وأصبح يترك زوجته أو ابنته مع سائق أجنبيٍّ.. ولمسافات طويلة.. تذهب إلى الأسواق.. وتخاطب الرجال.. لتقضي حاجاتها وحاجات البيت والأطفال.. وإذا ذُكِّر قال.. الضرورات تبيح المحظورات..

يهمل اصطحاب أبنائه إلى المسجد.. والاجتماعَ بهم لتوجيههم والاهتمام بأمورهم.. لينصرفَ أولاده إلى الاهتمام بكرة القدم.. وبقية الألعاب والملهيات.. بعد أن كانوا من حفظة القرآن.. وإن ذُكِّر قال.. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].. يحتال لزواجه.. فينقل عمله إلى مدينة أخرى.. لكي يظهر لزوجته أنه لا يستطيع العيش بمفرده.. فهو يخشى على نفسه الفتنة.. ومصلحة الأبناء تقتضي بقاءها في مدينتها.. ويتزوجُ قرير العين.. وينصبُّ اهتمامه على بيته الثاني.. وتركَ عبء البيت الأول..

ومسؤولياته العريضة . . عليها وحدها . . يعاونُها سائق أجنبي، ظاناً أنه قد وفر لها كل احتياجاتها . . وأصبح بيته الأول شركة قديمة يزورها بين وقت وآخر ليراقب سير العمل فيها . . معتقداً أنه بذلك قد وجد العذر الذي يقدمه بين يدي الله ـ تعالىٰ . . يُدرك أنّ ذلك إجحاف بالحقوق . . وقلبٌ لصورة التعدد في الأذهان . . وتنفيرٌ للقلوب منه . . بما يرتكب أصحابه من جهالات ناتجة عن عدم فهمهم لمشروعية التعدد وأصوله وأركانه . . التي منها العدل .

٧ ـ يشعر الزوجان بالملل . . يسيطر عليهما التوترُ والقلق . . وتتسع الهوَّة بينهما . . تكثر المشاكل والخلافات . . التي تصيب الحياة الزوجية بعد مرور السنوات الأولىٰ من الزواج . . . وحتىٰ لا يجد الفتور العاطفي إلىٰ حياته سبيلاً . . فإنه يسعىٰ جاهداً ليعمقَ جذور حياته الزوجية . . ولا يدعها تذبل وتتداعىٰ . .

يجدِّد دائماً من حياته . . الكلمات العاطفية التي كان يبادلها إياها . . لا تتوقف فتصبح غريبة عليهما . . بل يستمر عليها . . ويجدِّدها . . علىٰ مرِّ السنوات . .

ومع إنجاب الأطفال . . يهتم بها . . يُشعرها بقيمتها لديه . . وضرورتها له . . وأنّه لا يستطيع الاستغناء عنها . . مهما كانت الظروف . . ينوِّع لها في أساليب تناسب شخصيتها . .

إنه يدرك مدىٰ أهمية ذلك في توثيق روابطه معها . . وفي بقاء شخصيتها قويَّة . . نابضةً بالحيويّة . .

٨ ـ إذا أراد الزواج من أخرىٰ . . لا يُرغم زوجته لكي تخطبَ له . . ويهدِّدها إذا رفضت . . ويَصِمُهَا بنقص الدين . . وقلةِ الإيمان . . ويعاقبها بالمقاطعة والقسوة . .

لا يُطالب زوجته في إلحاحٍ مقيت أن تُقرضه مالاً ليتمكَّن من الزواج . . فإذا ما خالفت رغبته أعلن عليها الحرب وهجرها . . ورشقها بكلماتٍ تذبح الأفئدة . . وتهتك كلَّ أواصر المحبة . . فإذا ما تزوَّج . . فإنه لا يتلذَّذ بتعذيب زوجته

نفسياً . . إذا لاحظ شدَّة غَيرتها . . أو لهفتها وتمسكها به . . لا يتفننُ في إثارة غَيرتها بمدح الأخرىٰ . . والإعلاء من شأنها . . وينتقصُ من قيمتها . . أو يُبدي عدم رضاه عنها . .

وإذا ما لاحظ غيرتها . . لا يتهمها بالسذاجة ونقصانِ العقل . . أو يلجأ إلىٰ هجرها وضربها . . زاعماً تطبيق السنة في تأديبها . .

إنه يبحث عن العلاج في سيرة الرسول ﷺ لهذه العاطفة والغيرة التي تسيطر علىٰ نفوس كثير من النساء . . والتي هي من طبيعة فطرتهنّ التي جُبِلْنَ عليها . . وإنها لو كانت ممقوتة لتنزه عنها أمهاتُ المؤمنين - رضي الله تعالىٰ عنهن - وهنَّ أطهر النساء وأتقاهنَّ . . فهذه عائشة - رضي الله تعالىٰ عنها - كانت تغار من ذكر خديجة - رضي الله تعالىٰ عنها - وهي لم ترها . . ومع ذلك لم تستطع كبح جماح غيرتها . . تقول - رضي الله تعالىٰ عنها - (ما غِرت علىٰ امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت علىٰ خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها) . . .

ويقول أنس - رضي الله تعالىٰ عنه -: (كان النبي ﷺ عند بعض نسائه . . فأرسلت إحدىٰ أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي كان في بيتها النبي ﷺ يد الخادم فسقطت الصحفةُ فانفلقت . . فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام ويقول: **«غارت أمُّكم»** . . ودفع الصحفة الصحيحة إلىٰ التي كُسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت) . .

يُنظر إلىٰ تعامل الرسول ﷺ مع زوجته . . لم يضربها . . أو يستهزيء من عاطفتها الثائرة . . بل احترم ثورتها . . ولم يؤنبِّها علىٰ ما فعلت . .

إنه يتعلم من مثل هذه المواقف . . كيف يستخدم الأسلوب الهادىء اللطيف . . الذي يروِّض كل عاطفة جامحة . . ولا يثيرها ويلهبها فتصبح غَيرة شعواء ممقوتة . .

ويدرك أنه علىٰ الرغم من شدة تحريم الكذب . . إلا أن الإسلام أباحه للزوج في التعبير عن عاطفته . . وفي مجاملاته مع زوجاته . . لتسكين عاطفتهنَّ وتهدئة

نفوسهنّ. . لأهمية دور العاطفة في حياة الزوجة. . وحياة الأسرة. . والمجتمع بأسره. .

٩ـ يُسعد زوجته بلذة العلم ونوره. . ينقذها من ظلمة الجهل وشقوته. . فتنسجم أسرته في ظلال حدود الله ـ تعالى ـ. . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. . يدرك أنه لا تتم هذه الوقاية إلا بالتربية والتعليم. . والوعظ والتذكير. . ومعرفة حدود الله ـ تعالى ـ. . ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. .

يعلم أن أولى الناس بهذا زوجته. . وأبناؤه. . وأقاربه. . ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. . وأثنى الله ـ تعالى ـ على إسماعيل ـ عليه السلام ـ وقال فيه. . ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

قال رسول الله ﷺ لإحدى الصحابيات. . وكان اسمها الشفاء ـ رضي الله تعالى عنها ـ **«ألا تُعلِّمين هذه ـ يريد حفصة ـ رقيةَ النملة، كما علمتِها الكتابة»**. .

وكان ﷺ ينهى عن منع النساء من المساجد، إذا أردن ذلك والتزمن بآداب الخروج. . **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**. .

وكان يَحُثُّ على خروج النساء حتى الحُيَّض منهنّ إلى مصلى العيد ليشاركن المسلمين الخير. . تقول أم عطية ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرج العواتق «الجارية البالغة» والحيَّض في العيدين، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيّض المصلى). . لذلك فهو يحرص على تعليم أهله بكل وسيلة مناسبة. . يجعل في بيته مكتبةً. . تتنوعُ فيها أساليب التعليم والتوجيه. . ما بين كتب وأشرطة. . يتدارس معها كتاباً نافعاً. . يصحبها معه إلى دروس العلم النافعة. . ولا يمنعها من حضور دروس النساء التي ينظمها الدعاة التقاة. . والداعيات الفاضلات. . بل يشجعها على ذلك. . على حسب مقدرتها واستطاعته. .

إنه يبذل جهوداً هائلة في خدمة الدعوة. . ونشر العلم خارج بيته. . لكنه لا

يترك أهله بلا تعليم وإن فعل . . فلا يكون نذراً يسيراً . . بشدة وتعسير . . وحِدَّة وتعنيف . . فتصاب زوجته باللوعة والحسرة . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (لقد أُنزلت سورة النور . . ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] . . انقلب رجالهنَّ إليهنَّ . . أي نساء الأنصار . . يتلون عليهن ما أنزل الله ـ تعالىٰ ـ إليهم فيها . . ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته).

١٠ـ إذا أراد الزواج من أخرىٰ . . فإنه يختار الزمن المناسب والأسلوب الملائم . . ليخبرَ زوجته بذلك . . يوضحُ لها الأسباب والدوافع بطريقة مقنعة . . يسلك معها السبل التي ترضيها، ربما تثور عاطفتها وتتمرَّد . . تغضب وتتألم . . تبكي وتتأثر . . ويظهر ذلك علىٰ سلوكها . . وهنا تظهر رجولته الحقيقية في مهارتها ومقدرتها علىٰ ترويض هذه العاطفة الجامحة الطبيعية، ولا يخترع الأساليب التي يقهرها بها . .

إنّ حنكته وفطنته في معالجة الأمور . . ترتفع وتسمو به . . علىٰ الإيذاء . . والقهر . . والإذلال . .

١١ـ يخشىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في السر والعلن . . علىٰ قدر كبير من الموضوعية مع نفسه . . ومع أسرته . . يراجع حساباته ألف مرة . . يقيس حاجته إلىٰ التعدد . .

لا يُقدِم علىٰ الزواج من أخرىٰ . . لمجرد إبراز رجولته . . أو تقليداً لصديق . . أو عناداً لزوجة . . أو إشباعاً لرغبة طارئة . . متجاهلاً كل الأمور الشرعية المتعلقة بالتعدد . يختبر نفسه ويكون صادقاً معها . . ينظر إلىٰ جميع إمكانياته ومقدرته في تحقيقه . . يدرس نتائج مثل هذا الزواج علىٰ الأسرة والمجتمع . . هل يستطيع أن يُخرجَ رجالاً صالحين . . أم أحداثاً عاطلين . . يختلي بنفسه ويرىٰ مقدار صدقه في إمكانية العدل . . يوازن بين رغبته في التعدد وبين مقدرته علىٰ تحمل أعباء الظلم ومغبته يوم لا ينفع مال ولا بنون . . متذكراً قوله ﷺ: «**إذا كانت عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما؛ جاء يوم القيامة وشِقُّه ساقط**» . . وقوله تعالىٰ:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. .

وإن وجد في نفسه حاجة. . مع نقص في امكانياته وقدرته على الزواج. . لجأ إلى علاج المصطفى ﷺ: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء**». . وهو علاجٌ لمن أراد الزواج من واحدة. . وله من باب أولى.

١٢ ـ تفكيره في الزواج من أخرى ليس هاجساً يقلق باله. . لا يشغل حيزاً كبيراً من تفكيره. . لا يأخذ جلّ وقته. . ويصبح حديث مجلسه. . فينشغل به عن الدعوة والجهاد. . لا تنقلبُ حياته إلى جحيم. . ويصير قلِق النفس. . محطم الفؤاد. . كسير الخاطر. . فتنعكس نفسيته القلقة على زوجته وأطفاله. . فتهرب السكينة. . وينقهر الاستقرار. .

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ: (أكثر شهوات الحس النساء. . وقد يرى الإنسان امرأةً في ثيابها، فيتخايل أنها أحسن من زوجته. . أو يتصور بفكره المستحسنات وفكره لا ينظر إلا إلى الحسن من المرأة. . حتى لو قدر على نساء بغداد كلهنَّ. . فقدمت امرأة مستترة من غير البلد. . ظن أنه يجد عندها ما ليس عندهن. . فإذا حصل مراده، لم يزل ينظر في عيوبها التي ما كان يتفكر فيها. . فيملُّ. . ويطلب أخرى. ، ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر، ربما اشتمل على محن. . من أن تكون الثانيةُ لا دين لها. . أو لا عقل. . أو لا محبة لها. . أو لا تدبير. . فيفوِّت أكثر مما حصل. . والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه. . ويقنع بما باطنها الدين وظاهرها السّتر والقناعة، . . فإنّه يعيش مُرَفَّهَ السّر، طيبَ القلب. . ومتى استكثر فإنما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه). .

١٣ ـ يملك إيماناً عميقاً. . وعقلاً واعياً. . وإحساساً مرهفاً. . يُدرك بها مواطن الجمال. . يستمع إلى قول رسول الله ﷺ: «**تُنكح المرأةُ لأربع: لمالها



ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك!» . . وقوله: **«الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»** . . فيُوقن بذلك . . أن نواحي الجمال في الزوجة ليست هي . . الشكلَ العام . . والمظهَر الخارجي الزائف . . إنما جمالها في ورعها وتقواها الذي يزيد قلبها نوراً وإيماناً . . فتقرُّ عينُه بها وتهنأ . . إنَّ جمالها في حرارة عاطفتها وتوهُّج مشاعرِها . . فتتحرّك نحوها أحاسيسه ومودته . . جمالها في لين معاملتها ورقة طبعها . . فتبرز من خلالها قوَّته وشخصيته . . جمالها في نظرتها الحانية وصوتها الدَّافيء . . فيجد عندها سكنه . .

جمالها في بسمتها التي تزيد وجهها نضارة . . وقلبه بهجة وسروراً . .

جمالها . . في وعيها . . وعلمها . . المستمدّ من عقيدتها الصافية . . ، في مدى إدراكها لمسؤوليتها الحقيقية تجاه بيتها وأبنائها ومجتمعها . . ، وفي رغبتها في العطاء المستمر لزوجها وأطفالها . .

١٤ ـ لم يغب عنه . . أن السعادة الزوجية لا تتحقَّق إلا بالتفاعل العاطفي والفكري والجسمي . . وأن هذا التفاعل لا يتم . . إذا بحث في طريقه للزواج عن فتاة صغيرة السن . . لأنه لن يستطيع وهو الناضج فكرياً وعقلياً وجسمياً وعاطفياً . . أن يتفاعل مع فتاة لا تتوافق معه . . . ومع طريقته . . ولا تتواءم مع احتياجاته . . بينه وبينها بون شاسع من الفكر . . ومن الخبرة والوعي . .

لا ينصبُّ تفكيره على مثل ذلك الزواج . . وهو يظنُّ أنه سيربيها على يديه وعلى مزاجه الخاص . . أو يعيش في مملكة يحكمها دون أن يجد معارضةً منها أو إبداء رأي . . وفي ذلك امتهانٌ لها . . وحياة له بدون طعم . .

وإذا نظر إلى زواج الرسول ﷺ من عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ لرأى أنه لم يتزوَّجها ليسيطر عليها . . ولم يحقرها لصغرها . . ولم يهملها . . بل رباها تربية إيمانية . . أخرجت للأمة عالمة . . ومحدِّثة . . وفقيهة . . ، يقصدها الرجال والنساء . . وشتان بين نظرته ﷺ . . وبين نظرته هو . .

١٥ـ ما أحوجه إلى لحظات الأنس بالله ـ تعالى ـ، والقرب من رحمته والشكر له ـ سبحانه ـ . يغتنم أوقات إجابة الدعاء . . فيتضرع إليه ليفوز بكرامته وعطاياه ـ سبحانه ـ . . **«ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلثُ الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»** . . .

ولا ينسى أن يتعاهدَ مع زوجته لقيام الليل . . فإن كَسلت عن الصلاة أو غلبها النوم أتى بالماء ومَسَحَ به وجهها بكل رقة ولطف . . حتى يزول عنها النوم ويبعد الكسل . . ويدعوها أن توقظه هي كذلك إن فتر عن القيام . . **«رَحمَ الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلَّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»** . . يتعاونان بذلك على طاعة الله ـ تعالى ـ . . تعاوناً يثمر رضا الله ـ تعالى ـ، ومحبة الله ـ تعالى ـ، ورحمة الله ـ تعالى ـ . . فتحلو حياتهما . . وترفرف السعادةُ بينهما كزوجين متآلفين متحابَّين . . .

١٦ ـ إنّ شريعة الإسلام تُعنى بالثقافة في العلاقة الخاصة بين الزوجين . . حيث إن هذه العنايةَ ضرورية لتنظيم وضبط الشهوة . . من أجل الوصول إلى طريق صحيح يؤدي إلى قيام مجتمع مسلم . . وانطلاق الدعوة الإسلامية إلى أهدافها ومقاصدها . . .

يُدرك أن هذه القضايا الخاصة لها الأهميةُ البالغة في إنجاح الحياة الزوجية . . وأن الجهلَ بها قد يهدم الأسرة ويدمر كيانها . . .

إنها نوع من الثقافة الضرورية التي تساهم في الإعداد السليم في هذا المجال . . فالإسلام بطبيعته يلتمس فطرة الإنسان ويعترف برغائبه . . ويفتح له الطريق إلى تحقيق الصلة بين الرجل والمرأة، على أفضل أسلوب . . وأسمى طريق . . .

إنّ جهله بالنصوص التي تناولت ـ بصراحة ووضوح ـ تفصيل العلاقة بين الزوجين . . سيكون سبباً رئيسياً للنزاعات الزوجية، الدافعة إلى الطلاق، أو



اللجوء إلى الحرام . . .

إنّ المجتمع المتماسك المترابط . . يبدأُ . . من بيت الزوجية . . ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة . . إلا على أساس من السَّكَن النّفسيّ والجسديّ العميقين . . ولن يكون السكن على أساس من الجهل . . وهنا . . يُدرك حثّ الرسول ﷺ أصحابه وأمته . . إلى ملاعبة زوجاتهم من قبل المباشرة . . ولم يجعله من اللهو المحرم . . ونهيِه أن يقع الرجل على امرأته كما تقع البهيمة ، ليس بينهما رسول من الملاعبة والقبلة . . .

ويدرك أن اللباس المتبادل بين الزوجين . . هو مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية . . ابتداءً من . . الكلمةِ الرَّقيقة . . والقُبْلةِ الحالمة . . إلى حرية النظر . . واللمسات الناعمة الحانية . . إلى التلازم . . فيكونَ كلٌّ منهما قد لبس صاحبه ، في متعة غامرة . . عامرة بالنشوة . . .

فيكون . . سكونُ النفس . . والعقل . . والقلب . . والروح . . والجوارح . . من كل الاضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية . . .

حينها يعلم . . أنّ الثقافة الزوجية . . لا تعني شروط العقد والوليمة والخِطبة . . بل تعني كذلك . . الثقافة بالعلاقة الخاصة . . المقصودة من الزواج بالدرجة الأولى . . على ضوء الكتاب والسنة . . .

١٧ ـ يعذر زوجته . . يحاول جاهداً معالجة موقفها بالحكمة . . فهي رهينة ظروف بيئية وأسرية . . تمنعها من تلبية كثير من رغباته . . جاهلةٌ كلَّ حقائق وأسرار الحياة والعلاقة الزوجية الخاصة . . مما يجعلها تصطدم بواقعها صدمة عنيفة . . ربما تنعكس آثارها حتى آخر حياتها . . .

ولكنه بوعيه وحكمته . . ورفقه وصبره . . ينتشلها من براثن هذه الصدمة . . أحياناً قد يكون لديها استعداد لتلبية رغباته . . ولكنَّ الحياءَ يمنعها من المبادرة . . ويأتي دوره في الأخذ بيدها . . خطوةً . . خطوةً . . وعلى قدر ذكائه . . وعلوِّ همته . . ومقدرته على إيصال معلوماته . . يكون عطاؤها . . .

١٨ ـ الزواج لديه من أجمل الأحـلام . . وأحلىٰ الآمـال . . التي يكافح من أجل تحقيقها . . رغبةً في سنة الرسول ﷺ . . **«أمَا والله، إنّي لأخشاكُم لله وأتقاكم له، ولكنّي أصومُ وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوَّج النِّسَاء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»** . . .

يريد بزواجه، أن يتحصَّن من الشيطان ويدفع شرور الشهوة . . ويغض بصره عن الحرام . . ويجد به السعادة في اللذة الحلال . .

يجد به الذرية . . والأبناء الصالحين . . طاعة لله ـ تعالىٰ ـ ولرسوله ﷺ . . وطلباً لمحبته في تكثير مَن به مباهاتُه يوم القيامة . . **«أنكحوا فإني مكاثر بكم»** . .

ورغبةً في دعاء الولد الصالح بعده . . والشفاعة بموت الولد الصغير، إذا مات قبله . . .

بزواجه يروِّح عن نفسه . . ويؤنسها بمجالسة الزوجة . . بالنظر والملاعبة . . فيريح قلبه . . ، ويتقوَّىٰ علىٰ العبادة . . فإن النفس ملول . . فإذا ما رُوِّحَتْ باللذات المباحة قويت ونشطت . . .

في استئناسه بزوجته ما يزيل همه ويسعد قلبه . . يأوي إليها بعد جهده . . ويركن إلىٰ مؤانستها بعد تعبه وسعيه . . يجد عندها قلباً حانياً . . وحديثاً رقيقاً . . يخفف عنه ويذهب ما به . . يروي ظمأه، ويرويها في ظلال من الحب والمودة والطهارة . . .

بزواجه يفرغ قلبه عن تدبير المنزل والتكفل بأعماله . . وتهيئة أسباب معيشته . . فيكسب وقته . . ويتفرغ لعلمه وعمله . . مع زوجة صالحة تعينه علىٰ دينه . . .

بزواجه سيقوم علىٰ حقوق زوجته وأطفاله . . ويصبر علىٰ أخلاقهم . . ويحتمل الأذىٰ منهم . . يسعىٰ في إصلاحهم ويرشدهم إلىٰ طريق الحق . . وفي ذلك يجد الأجر والثواب العظيم من ربه ـ سبحانه ـ . . .

يقول سعد بن هشام . . دخلتُ علىٰ أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ



فقلت: . . إني أريد أن أسألك عن التبتل . . فما ترين فيه؟ قالت: (فلا تفعل! أما سمعت الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨]. . فلا تبتل). . .

١٩ ـ برُّه بوالديه لا يطغى على حقوق زوجته . . فإذا خدمتهما تحتسب الأجر من الله ـ تعالى ـ . . لا يشعر أن ذلك واجب عليها . . فيثور عند كل تقصير . . ويسخط عند كل أمر لا يستسيغه . . بل يعرف أن ذلك إنما هو إحسان منها وتفضل . . .

فلا يلزمها بخدمتهما . . مبتعداً عن ظلمها وتكليفها ما لا تطيق . . وإن بادرت هي بذلك . . تعبيراً عن حبها لزوجها . . وحبها لهما . . فإنه يشكرها . . ويقدِّر صنيعها . . ويستحثها . . ويشجعها على الاستمرار . . بلطيف القول . . وجميل الكلام . . حتى يرقى بها نحو الأفضل والأكمل . . .

٢٠ ـ لا ينظر إلى العلاقة الزوجية . . أنها مجرَّد إطفاء لشهوة . . يؤديها بشكل رتيب لا حياة فيها . . ويتعلل بكثرة أشغاله وأعماله، التي لا تسمح له بأكثر من ذلك . . لا يعتقد أنه بجفافه هذا . . يحافظ على مكانته ورجولته . . وأن ملاطفة الزوجة ومداعبتها عملٌ لا يليق . .

إنه يُدرك . . أن النبي ﷺ وهو أشرف الخلق . . وأعظمهم رجولة . . وأكثرهم انشغالاً بأعباء الدعوة وهمومها . . كان يلاطف نساءه ويمازحهُنَّ . . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه في موضع فيَّ فيشرب، وأتعرق العَرْق وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ). . .

وبذلك . . يدرك . . أنّ الحبّ بينه وبين زوجته . . يهذب العلاقة بينهما . . ويجعل منها علاقة عطاء لا أخذ . . وكل طرف يسعى إلى إسعاد الآخر . . .

وبما أنه يعلم . . أن وصول الزوجة إلى درجة ما من الإحساس بالمتعة يكون عادةً متأخراً عن الزوج . . فإن عليه دوراً كبيراً يؤدِّيه لتحصل زوجته على نصيبها

من المتعة . . لأن ذلك لا يهمُّها هي فقط . . بل يهمُّه هو أيضاً ليشعر بالسعادة معها . . .

إنه يهـيء المناخ المناسب لذلك . . بكثير من الرقة والحنان . . والملامسة الرقيقة . . والمداعبة . . فترةَ إعدادٍ وتهيئة . . ذاتَ أهمية بالغة . . له ولها . .

يعبر بذلك عن مكانتها لديه . . واهتمامه بها وبما يسعدها . . وعن مقدار حبه لها . . .

يقول الرسول ﷺ لأحد الصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ: **«لا تواقعها، إلا وقد أتاها من الشهوة مثل ما أتاك، لكيلا تسبقها بالفراغ»** . . قال: وذلك لي؟ . . قال: **«نعم إنك تقبلها وتغمزها، وتلمزها فإذا رأيت أنه قد جاءها مثلُ ما جاءك واقعتها»** . . يعلم أنّ منعها حقها في ذلك . . فيه ضررٌ عليها ومنعٌ لها من قضاء شهوتها . . .

يقول ﷺ: **«إذا جَامعَ الرَّجلُ أهلَه فليَقْصِدها، ثمَّ إذا قضىٰ حاجَته فلا يُعجلها حتىٰ تقضيَ حاجتها»** . . .

يُدرك أن الزوجة تشعر عند عدم إتمام حاجتها بآلام نفسية وجسدية . . توتُّر وقلق . . وإحساسٌ خانق بمدىٰ أنانية الرجل . . وحبِّه لنفسه وإشباع رغباته فقط . . دون النظر إلىٰ حاجتها لمثل حاجته . . فيحلُّ الجفاف علىٰ قلبيهما . . وينعكس ذلك علىٰ نفسيتهما . . ومن ثم علىٰ الحياة الأسرية . . فيكون ذلك . . الأساس الأكبر في الصَّدع الذي يصيب كثيراً من الأسر . . .

يتحدث الدكتور (فان دي فيلد) في كتابه (الزواج الكامل) عن التأثيرات الضارة التي يتركها في جسد المرأة ونفسها، عدمُ إتاحة الفرصة لها لإشباع رغبتها، بدافع الجهل أو أنانية الرجل . . فيقول: (إنه لمن المستحيل حالياً، تقدير مدىٰ الاختلال النفسي والعصبي ومقدار التعاسة والبؤس، الذي تتعرض له زيجات لا حصر لها ولا عدَّ، نتيجة للفشل والحرمان الكامل من الاستمتاع بالوصال استمتاعاً مريحاً) . . .



٢١ ـ هناك اعتقاد بين الكثير من الأزواج . . بأن الإكثار من ممارسة العلاقة الزوجية . . يعرِّضُ الصحة الجسدية والنفسية للخطر . . ويؤدي إلى شيخوخة مبكرة . . مما يؤدي بهم إلى الامتناع عنها . . إلا نادراً، أو تحديدها بعدد معين . . دون النظر إلى حاجة الزوجة ومدى رغبتها . . وإعفافها . . ، إنه كرجل مثقف . . ينير عقله بالعلم والمعرفة . . يدرك تماماً . . أن حرمان النفس من تلك الممارسة إنما يورث آفاتٍ كثيرة وسلبياتٍ متعددة . . : توتر عضلي . . روماتزم . . اضطرابات هضمية مختلفة . . أرق . . صداع . . إلى جانب التوترات العصبية وسرعة الغضب . . .

أمّا الزّوجة . . فإنّ هذه الآفات النفسية والجسدية لديها . . لا تلبث أن تتحول إلى برودٍ يلازمها طوالَ حياتها . . ويفسد عليها سعادتها الزوجية . . .

يقول الدكتور (تورد جمان) . . (قد استطاع الفيزيولوجيون المختصون بدراسة الدماغ البشري مؤخراً من إماطة اللثام عن وجود مناطق لذة . . في الدماغ وقد حدد أولئك العلماء ثلاث مناطق دماغية، تسيطر بالتوالي على أفعال الاسترخاء والتهيج والنشوة . . وهذه المناطق تظلُّ على اتصال دائم ومباشر مع الأعضاء الحسية، وبخاصة مع أعضاء الشم . . والعملية الجنسية تأتي في طليعة الوظائف الجسدية، ذات العلاقة الوثقى بالجهاز العصبي كله . . فإذا ما حدثتْ . . لذة عضوية . . على مستوى هذه المناطق الدماغية انطلقت شحنةٌ يعقبها استرخاء يغمر الجسد كله . . ويكون هذا الشعور أعمقَ وأشملَ كلّما كان أقرب في المخ من مراكز الألم والعدوانية . . .

وبتعبير أوضح . . إن جميع ما يكون قد تراكم في هذه المراكز لدى الإنسان خلال يومه، من متاعب وشعور بالمعاكسة أو العدوانية . . ، يمكن له أن يتبدد بمجرد إفراغ الشحنة في خاتمة الوصال) . . .

إن العلاقة الزوجية . . وبخاصة في جو من الحب والحنان . . تؤدي إلى تناغم في الوظائف الحياتية . . كما ينجم عنها توازن نفسي وجسدي . . يجعل الأذهان

أشد صفاءً. . والأجسام أكثر تفتحاً ونشاطاً. . والصدر أعظم انشراحاً. . وبذلك يُدرِك تماماً أنه عندما يكون المرء متمتعاً بصحة عامة جيدة. . فإن الإفراط في الوصال لا يعتبر مشكلة كبرىٰ. . فقد أثبتت التجارب والأبحاث أن الممارسة التي يعقبها بلوغ المتعة لا تسبب للرجل أو للمرأة تعباً يفوق ما يسببه مشي قصير على القدمين. . وهي تقريباً الجَهد الوحيد الذي لا يُلحق بصاحبه عناءً شديداً. . وثبت طبياً أن الرجال الذين كان لهم نشاط جنسي مبكر ونشيط، لن يكونوا معرَّضين لشيخوخة جنسية مبكرة، بل العكس هو الصحيح. . .

٢٢ ـ من حقه أن يطالب زوجته بزيادة أناقتها. . ومن حقّها. . أن يعينها على ذلك. . يمتدح ذوقَها كلّما لبست شيئاً جديداً أو مختلفاً. . ويظهر لها اهتمامه به. . لأنّه لا ينتقدُها على قلة أناقتها. . ثم إذا حاولت أن تتدارك الأمر. . تجاهلها ونسي أنه وجَّه إليها يوماً انتقاداً أقضَّ مضجعها. . ولأن ذلك له أثر كبير على نفسيتها. . يؤدي بها إلى التراجع واللامبالاة. .

يشير عليها بما تحبه ويرضاه من أنواع الملابس وألوانها. . وأشكال الزينة. . وحليها. . ولا يتهمها بتضييع الوقت. . وإنفاق المال في غير وجهه. . والتفكير في التفاهات إذا ما سألته عما يحبه ويروق له. .

ثم لا ينسى أن يُمِدَّها بالمادة التي تكفل لها تحقيق تلك الأناقة التي يريدها. . على قدر استطاعته. . .

٢٣ ـ ذو قلب رقيق. . وعاطفة جياشة. . ونفس حساسة. . تشعر بآلام الغير. . فيشاركهم أحزانهم. يُخفف عنهم آلامهم. . يُطَيِّبُ قلوبهم بالكلمة الطيبة. . والبسمة الحانية. . والهدية المناسبة. . فيدخل السعادة والسرور على تلك القلوب المتعبة الحزينة. .

قد تمرُّ بزوجته أزمات. . مرض أو مشكلة. . أو إساءة. . فتحتاج بشدة إلى زوجها. . ليخفِّف عنها. . ببسمة حانية. . ونبرة صافية. . أو عزاء جميل. .

يمسح عنها عناء الآلام.. فتتبدل همومها فرحاً.. وأحزانها سروراً.. وتعاستها سعادة...

بلغ حنانُ رسول الله ﷺ شأناً عالياً.. عندما حثَّ عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ على البقاء مع زوجته المريضة تخفيفاً لآلامها..

يقول عثمان بن عبدالله بن موهب ـ رضي الله تعالى عنه ـ في حديث طويل.. (وأمّا تغيُّبه ـ يعني عثمان بن عفان ـ عن بدر فإنه كان تحته رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له النبي ﷺ: **«أقم معها ولك أجر من شهد بدراً وسهمه»**...

وكان عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بطريق مكة، فبلغه عن صفية بنت أبي عبيد.. زوجته.. شدةُ وجع.. فأسرع السير.. حتى إذا كان بعد غروب الشفق، نزل فصلى المغرب والعَتَمَة وجمع بينهما...

٢٤ ـ كريمٌ سخيٌّ.. يلبي طلبات أهله.. يُعفُّهم عن النظر إلى الغير.. ما دام في قدرته ذلك.. وليس عليه فيه إرهاق.. ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]...

ينتهز الفرص والمناسبات السارة فيوسع على أهله.. ويدخل السرور عليهم.. يجعل لزوجته مالاً خاصاً لها.. تنفقه في شؤونها.. يعلم أنها تحتاج إلى الإنفاق في بعض الشؤون.. تتصدّق على الفقراء.. تصل الرحم.. تُحسن إلى جاراتها.. تُهدي في المناسبات السعيدة لأقاربها وصديقاتها.. فلا يبخل عليها.. حتى لا يسبب لها الضيق والتبرم.. والبغض والكراهية.. ولا يدفعها إلى أن تَمُدَّ يدها إلى ماله بلا إذنه وعلمه.. مرة بحق.. ومرات بلا حق...

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]..

«كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»...

٢٥ ـ إذا أراد سفراً.. يبذل جهده ليصحب زوجته معه.. ولم يكن هناك مانع قوي.. مدركاً أن في ذلك خيراً عظيماً.. وسعادةً له.. ولها.. وفرصة

للتقارب والتصافي بعيداً عن مشاغل الحياة . . ووسيلةً لإذهاب الملل . . بتغيير المألوف . . .

وقد كان ذلك من هدي الرسول ﷺ تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً ضرب القرعة بين نسائه ، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه) . . .

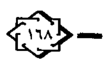
٢٦ ـ قد يُضطر إلى السفر . . وفراق زوجته . . وليس باستطاعته اصطحابها معه . . لكنه لا ينسى قبل سفره . . أن يجلس معها جلسة إيناس وحنان . . وتناصح وتواصٍ بالحق والصبر . . يُذَكِّرُهَا أنه في رعاية الله ـ تعالى ـ الذي لا تضيع ودائعه . . ويدعو لها بالخير . . مع قُبُلاته . . وأحضانه الدافئة . . .

يَعِدُها بدوام الاتصال . . وسرعة العودة . . ويطلب منها الدعاء بالتوفيق والسداد . . يُشعرها بحاجته الماسة إلى ذلك . . تقديراً لها وبياناً لمنزلتها عنده . .

ولا ينسى . . أن يوصي إخوانه الأمناء . . وأصدقاءَه الأتقياء . . برعاية أسرته . . وتفقد شؤنها . . يزوِّد أهله بالنفقة اللازمة لهم . . ولا يتركهم عالةً على أحد . . مما يخفف شيئاً من آلام بعده عنهم . . .

٢٧ ـ وكان من هدي رسول الله ﷺ ، أن يُخَلِّفَ بعض كبار الصحابة لرعاية شؤون النساء والأطفال . . يقول سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ : (خلَّف النبي ﷺ علياً في غزوة تبوك . . فقال . . «يا رسول الله تُخلّفني في النساء والصبيان» فقال : **«أما ترضَى أن تكونَ مني بمنزلة هارونَ من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي»** . . .

٢٨ ـ يُشعر زوجته باهتمامه بها . . وحبه لها . . ومدى شوقه إليها . . ، فإذا كان في سفر . . داوم على الاتصال بها بأي وسيلة . . يسأل عنها . . ويطمئن عليها . . يسليها . . يوصيها . . يعبر لها عن أشواقه . . يذكرها بالله ـ تعالى ـ وتقواه . . ويشعرها بأنه لا يفارق ذكرها الطيب . . ، فيسكب بذلك السعادة في نفسها . . يخفف بذلك آلام الوحدة والفراق . . .



بمجرَّد إنهاء مهمته. . يُسرع بالعودة إليها. . شوقاً إليها. . وشعوراً بالسكن معها. . ـ حاملاً معه. . قدر استطاعته ـ. . هديةً. . يسرِّي بها عنها. . ويدخل السرور عليها. . يعبر بها عن تقديره لها. . لتزيد الألفة والمحبة بينهما. . .

«السَّفر قطعةٌ من العذاب، يمنعُ أحدَكم طعامَه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدُكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» . . .

يخبر زوجته بموعد مجيئه. . لا يأتيها بغتة. . ولا ليلاً بدون علم سابق. . حتى تستعدَّ. . وتتهيأ له. . انتظاراً للقائه. . وفي ذلك سعادته. . وسعادتها. .

«إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً». . وكانﷺ إذا وصل قبل الصبح انتظر حتى الغداة، وأرسل إلى أهله يعلمهم بالقدوم. . .

٢٩ ـ من حكمته. . استشارة زوجته. . يشعرها باحتياجه الماس إلى سماع ما عندها من خير. . ، ويبين لها. . أنّ ما يريده هو إبداء الآراء لا إملاؤها. . يكون لها قدوة. . فلا يتعصب لرأيه. . ولا يغضب إذا أبدت زوجته ملاحظات وجيهة تَرُدُّ رأيه. . ، بل يتنازل عنه متى ما رأى الصواب معها. . إن أخطأت لا يُسَفِّه رأيها. . بل يناقشه برفق. . يوقفها على سلبياته. . حتى تقتنع راضية. . يشكر لها رأيها الصواب. . تشجيعاً لها وتقديراً. . ، لا يقطع برأي قبل دراسته، فيعوِّدها بذلك على التّأنّي والتّروِّي في حسم الأمور. . .

٣٠ ـ لا ينفعل. . وتثور ثائرته. . وتنتفخ أوداجه. . إذا ما جاء الطعام على غير مزاجه. . أو تأخرت وجبة الطعام عن وقتها المحدد. . أو لعدم توفر ثوب جديد يلبسه. . لا يستطير الشرر من عينيه لتقصير وقعت فيه زوجته. . قد تكون هناك أسباب أرغمتها على الوقوع في مثل ذلك التقصير. . .

إنه كريم. . حليم. . متسامح. . يغضُّ الطرف عن ذلك التقصير. . وتلك الأسباب. . وإن كان لابد. . ناقشها بسعة صدر. . وود. . واحترام. . .

متأسِّياً في ذلك برسوله الكريم ﷺ الذي: **«ما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»**. . .

سأل رسولُ الله ﷺ أهله الأُدْمَ . . فقالوا . . (ما عندنا إلا خلّ) . . فدعا به . . فجعل يأكل ويقول : «نعم الأدم الخل! . . نعم الأدم الخل!» . . .

٣١ـ يُسعد زوجته . . ويكسب ودَّها . . ويدخل السرور عليها . . بإكرامها في والديها وأقاربها . . وصديقاتها . . يَبرُّهم ويعينها على برهم . . يزور أسرتها معها . . ووحده . . يدعو أهلها وأقاربها إلى زيارتهم . . ويحتفي بهم . . ويبالغ في إكرامهم . . يُقدِّم لهم الهدايا في المناسبات قدر استطاعته . . ، ويعين زوجته على ذلك . . ، يتصل بهم . . يتفقد أحوالهم . . يهتم بشؤونهم . . يرعى مصالحهم . . ويعينهم على النوائب . . إكراماً لهم . . ولها . . يُشعرها بأن أهلها . . أهله في المودة والمحبة . . فيكسب مودتها ومحبتها . . **«من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»** . . .

تقول أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : (قدمت عليَّ أمِّي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ . . فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ . . قلت : . . قَدِمَتْ عليّ أمي، وهي راغبة (مشركة) أفأصل أمي؟ . . فقال : **«نعم صلي أمك»** . . .

وتقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ (ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وما رأيتها قط . . ولكن كان يُكثر ذكرها . . وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة . . فربما قلت له : . . كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة . . فيقول : **«إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»** . . «واستأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة . . على رسول الله ﷺ . . فعرف استئذان خديجة . . فارتاح لذلك فقال : **«اللهمَّ هالة بنت خويلد»** . . .

وتقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ : (جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال : **«كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنتم بعدنا؟»** فقالت : «بخير بأبي وأمي أنت يا



رسول الله» . . فلمّا خرجت . . قلت : (يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟) فقال : **«يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان»** . . .

٣٢ـ واقعيٌّ . . لا يُحَلِّقُ في آفاق المثل الخيالية . . فيحلم بحياة لا خلافاتٍ فيها . . ولا مشاكل . . ولا أخطاء ولا تقصير . . لأنّ ذلك إنما هو وَهْمٌ وسراب . . يجافي واقعَ البشر . . ويُصادم الطبع الفطريّ . . .

تتعرض أسرته إلىٰ مشاكل داخلية . . أو تتعرض إلىٰ عواصف خارجية . . من أراجيف وإشاعات . . تنشط بالنميمة بينه وبين زوجته . . وتجسم العيوب . .

بحلمه وصبره . . متأنياً متروِّياً . . لا يغتاله الغضب، . . ولا يدفعه العجل، . . يكظم غيظه . . يعالج بلا عنف . . يلتمس المعاذير . . ويراعي طبائع النفوس . . .

وإذا آخذ ـ لا محالة ـ . . يؤاخذ بالحق . . ويتجرد من هوىٰ النفس . . ويلتزم بحدود الشرع . . يميز بين الإساءات . . هل هي شخصية في حقه؟ . . أم هي في حق الله ـ تعالىٰ ـ؟ . . أو حقٍّ الغير؟ . . فإن كانت الأولىٰ حَلُمَ وصبر . . وعفا وصفح . . ، وإن كانت الثانية . . غضب في الله ـ تعالىٰ ـ، دون أن يتجاوز الحدود . . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله) . . .

وتقول ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (قلت للنبي ﷺ . . حسبك من صفيةَ كذا وكذا «تعني قصيرة» . . فقال ﷺ: **«لقد قلت كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته»** . .

وتقول ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: مرةً وقد غضبت . . (أنتَ الّذي تزعُم أنَّك نبيّ) . . فتبسَّم رسول الله ﷺ، واحتمل ذلك حلماً وكرماً . . .

وحدث بينه ﷺ وبينها ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ كلام . . حتىٰ دخل أبو بكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ حكماً بينه وبينها . . فقال رسول الله ﷺ . . **«تكلمي أو**

أتكلم؟! . . .

فقالت: (تكلم، أنت ولا تقل إلا حقاً) . . فلطمها أبو بكر - رضي الله تعالىٰ عنه - حتىٰ أدمىٰ فاها . . وقال: (أو يقولُ غيرَ الحق يا عدوَّة نفسها؟) . .

فاستجارت برسول الله ﷺ، وقعدت خلف ظهره . . فقال النبي ﷺ: **«إنا لم ندعك لهذا، ولم نرد منك هذا!!»** . . .

٣٣- تزوَّج من فتاة . . كان لديها استعداد للالتزام بدينها في مختلف جوانب حياتها . . ، ولكن مع ذلك لم تجدْ من يعينها وينميها . . فضعف التزامها . . وقلّ اهتمامها . . فأخذ بيدها . . يرقىٰ بها . . متدرجاً في خطواته . . مرتباً الأولويات . . يغتنم الظروف والمناسبات لغرس الخير فيها . . لا يستفزه التقصير . . ولا تثيره الأخطاء . . ، يقدم قدراً من الجهد الحكيم المنظم . . إنه يتعامل مع نفس بشرية . . لا آلة ميكانيكيَّة . . .

فما دام الاستعداد موجود . . فالوصول قريب . . ، ولكن بشيء من الحلم والتروي . . ، والتيسير والتبشير . . لا التعسير والتنفير . . .

متنبِّهاً إلىٰ أنّ حلمه: . . صبرٌ مع خطوات إلىٰ الأمام . . ، لا سكوت . . وسلبية . . واستسلام . . .

٣٤- تقع بينه وبين زوجته خلافات ومشاكل . . فيسعىٰ إلىٰ حلِّها ومناقشتها بهدوء . . ، مبتعداً عن نقل تلك الخلافات إلىٰ أهله . . أو أهلها . . حتىٰ لا يتسع الشقاق ويصبح حينها الحل مستحيلاً . . .

إن الأهل غالباً ما يستمعون من طرف واحد . . فيأخذهم الغضب ويشعلون نار العداوة والفراق . . ويصوِّرون الأمور فوق حجمها الطبيعي . . .

فإذا ما رأىٰ تعسُّر الإصلاح بينه وبينها . . وقد استفرغ كل الطرق والوسائل . . فإنه لا يعدم عقله من أخذ المشورة والبحث عمن يُصلح بينهما من أهله وأهلها . . ممن هم أهل للعدالة وحسن النظر . . ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾



[النساء: ٣٥]. . .

ولعلّ زوجته لا تجد من أهله أو أهلها من يصلح لذلك. . فتلجأ إلى من لهم علاقة بزوجها من أهل العقل والصلاح. . حرصاً ورغبة منها في الحفاظ على حياتها وبيتها. . فلا يغضب لذلك ويزيد إصراره وعناده. . بل يجد العذر لها. . وأنها بحكم ضعفها. . وتمسكها بزوجها وبيتها. . أقدمت على ذلك. . .

٣٥ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. . .

يقول الله ـ تعالىٰ ـ. . عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها. . ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠ ـ ٢١]. . .

يَتَأَمَّلُ كيف وصف الله ـ تعالىٰ ـ. . الميثاق. . الذي تأخذه الزوجة من زوجها بعقد الزواج. . بأنه غليظ. . تماماً كما وصف ـ سبحانه ـ. . الميثاق. . الذي أخذه من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ. . والميثاق. . الذي أخذه ـ سبحانه ـ من بني إسرائيل. . ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]. . .

فيدرك. . عِظمَ هذا الميثاق الذي يَستحل به الرجل المرأة. . وأنه تشديد من الله ـ تعالىٰ ـ. . وإنذار. . للزوج الذي لا يكترث بهذا الميثاق ويستهين به. . ناسياً أن الله ـ تعالىٰ ـ شاهد على هذا الميثاق. . وقادر على أن يعجل له العقاب كما عجله لبني إسرائيل حين نقضوا ميثاقهم. . وعلم أن زواجه يحمل رسالة عظيمة تشبه رسالة الأنبياء. . فهو مسؤول عن دعوة زوجته. . وأبنائه. . إلى دين الله ـ تعالىٰ ـ وشرعه. . يخشى الله ـ تعالىٰ ـ في زوجته. . وفي رعايتها وحفظ حقوقها. . . وأداء أمانة قوامته عليها. . وحرصه على توجيهها بالرفق واللين والقدوة الحسنة. . يستشعر غِلَظ الميثاق الذي جمعه بزوجته، وجعلها أمانة عنده. . «اتقوا

الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» . . فلا يبادر إلىٰ الطلاق ويتعجله دون صبر طويل . . ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩] . . .

يقول **الرازي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (غلَظ الميثاق هو سؤالهم (أي الأنبياء) عمّا فعلوا في الإرسال ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦] . . وعلىٰ هذا يمكن أن يقال بأن المراد من قوله تعالىٰ ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ هو الإخبار بأنهم (أي الأزواج) مسؤولون عنها (أي عن رسالة الزواج) . . .

٣٦ ـ يُعِفُّ زوجته . . يكف بصرها عما حرّم الله ـ تعالىٰ ـ . . لا يقصر في واجباته نحوها . . وفيما هو كفيل بإحصانها . . وهدوء نفسها . . .

لا يقضي أوقاته خارج المنزل . . ولا يعود إلا في ساعة متأخرة . . قد أرهقه التعب والعمل، ينام مرهقاً . . دون أن يسأل عن زوجته، التي كانت تنتظره بفارغ الصبر . . .

تسهرُ وحدها كلَّ ليلة . . بين جدران بيتها . . تنتابها وساوس الشيطان . . تنتظر زوجاً . . سوف يَسألُ عنها . . يحادثُها . . يهتم بها، برغباتها . . فإذا هي تفاجأ بجسدٍ لا روحَ فيه . . .

جاء سلمان الفارسي إلىٰ أبي الدرداء ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ يزوره، وقد آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ . . فإذا أم الدرداء متبذِّلة فقال . «ما شأنك؟» . . قالت : (إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار) . . .

فجاء أبو الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاماً . . فقال له سلمان . . (كُلْ) قال : (إني صائم) . . قال : (أقسمت عليك لتفطرنَّ) . . فأكل معه . . ثم بات عنده . . فلما كان الليلُ . . أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان وقال : (إن لجسدك عليك حقاً . . ولربك عليك حقاً . . ولأهلك عليك حقاً . . صم وافطر وصلّ وائت أهلك، وأعط كل ذي حق حقه) . . .

فلما كان وجه الصبح قال : (قم الآن إن شئت)، فقاما . . فتوضآ ثم ركعا . .



ثم خرجا إلىٰ الصلاة . . .

فأتىٰ النبي ﷺ . . فذكر ذلك له . . فقال ﷺ: **«صدق سلمان!»** . . أدرك بهذا . . أن ذلك كان في أمر من أمور العبادة . . فما باله إذا كان انشغاله في أمور أخرىٰ من سفر وتجارة وغيرها . . ؟!!

٣٧ـ يرغب في المرأة الولود . . يحبُّ الذرية . . يكثر نسل المسلمين . . متبعاً توجيه النبي ﷺ . . **«تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة»** . . . .

ولكنه ربما يجد أن هناك ضرورةً لتأخير الحمل . . حتىٰ تستردَّ زوجته صحتها وعافيتها . . ، أو لأنّ تتابعها في الإنجاب يؤدي بها إلىٰ الإنهاك والتعب عند أدنىٰ مجهود . . ، أو لأي مصلحة أخرىٰ . . فإنَّه يأذن لها بذلك . . ويساعدها عليه . .

وإن رأىٰ أن لا ضرر عليها في الإنجاب . . وأحبَّ أن تتابع حملها وإنجابها في أوقات محددة مشروعة . . فإن لديه الاستعداد لتحمل ما ينجم عن ذلك من أعباء وتوابع . . وعلىٰ مستوىٰ عالٍ من سعة الصدر . . وطول النَّفَسِ والصبر علىٰ ما يصدر من زوجته من شعور بالتعب والارهاق . . وإحساس بالآلام . . ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤] . . .

تعتني بأطفالها وتسهر عليهم . . ويصدر منها شيءٌ من التذمر والشكوىٰ . . فيكون معيناً ومساعداً لها . . في الطريق لبناء أسرة صالحة سعيدة . . .

٣٨ـ ممّا يدل علىٰ حبه لها . . وسمو مكانتها لديه . . ، غَيرتُه عليها . . غيرة ذات حدود . . إذا تعداها أفسد علىٰ الحياة سعادتها . . وجلب لها الشقاء . . .

غيرة تحتاج إلىٰ قلب شفاف يحسن وزنها . . ، إلىٰ طبع معتدل . . ، فقه دقيق بالشرع . . تقوىٰ تميز بين المتداخلات دون تبدد ولا ظلم . . لا تهور ولا برود . . .

يدرك أن الزوج الموفق . . من يحسن وضع الغيرة في منازلها . . ، يطرد عن نفسه الشكوك والأوهام . . ، يُشعر زوجته بالثقة ما دام سلوكها لا يتعارض مع الشرع . . .

لا يتقصى. . ولا يبالغ في تحليل الكلمات. . والحركات. . والسكنات. . والهـمسات. . والنبرات. . لا يحاسب بعنف وقسوة على الهفوات والهنّات. .

غيرته لا تؤدي إلى تضييع مصالح محققة في سبيل أوهام توحيها الشكوك. . ولا تؤدي إلى جلب مفاسد محققة من أجل فهم فاسد. . فلا يمنع زوجته المتأدبة بآداب دينها. . من حضور دروس العلم الشرعية. . بسبب الغيرة. . أو يمنعها من الذهاب إلى الطبيب الثقة. . إذا فقدت الطبيبة. . ويرضى بأن تتألم بشدة. . وربما لدرجة الهلاك. . بحجة أن يراها رجل. . وهو لا يطيق ذلك. . لا يؤاخذها مؤاخذة شديدة على رؤية رجل لها عَرضاً. . لا قصداً منها. . .

يقول الرسول ﷺ: **«إنّ من الغيرة ما يحبُّه الله، ومنها ما يَبغضه الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الرِّيبة، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة»**. . يضع هذا المقياس الرباني بين عينيه. . يحسن تطبيقه. . حتى لا يقع في إفراط ولا تفريط. . ، لذلك فهو في المقابل. . لا يكون ممن لا يبالي بأن تتزين زوجته وتتعطر. . ويظهر منها شيء من ذلك. . أو من جسدها أو شعرها أمام الأجانب. . ، أو تضحك معهم. . ويضحكون معها. . تكلمهم بلا حياء. . تتكسر في كلامها وحركاتها. . ثم هو لا يغار عليها. . ولا يصونها. . **«ثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيوث (الذي يرضى السوء في أهله)، ورَجُلَة النساء»**. . .

٣٩ـ الغيرة طبيعة من طبائع النساء. . وهي تهيج عند أدنى مثير. . وخصوصاً إذا كان هذا المثير امرأة أخرى مهما كانت. . .

قد تدفع الغيرة الزوجة إلى أخطاء. . وهو كزوج حكيم. . يلتمس لهذا الخطأ عذره. . إذا لم يكن انتهاكاً لحرمة من حرمات الله ـ تعالى ـ. . فإذا كان غضب له وحذر منه. . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (ما رأيتُ صانعةَ طعام مثل صفيةَ،

صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً وهو في بيتي فأخذني أَفْكَلٌ (الرِّعدة والرجفة) فارتعدتُ من شدة الغَيرة، فكسرت الإناء ثم ندمت فقلت: يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟) قال: **«إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام»** . . .

وتقول ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (قلت للنبي ﷺ حسبُك من صفيةَ كذا وكذا (تعني قصيرة) . . فقال ﷺ: **«لقد قلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته!»** . . .

٤٠ ـ يدرك الأخطارَ قبل وقوعها . . والتأثيراتِ قبل حدوثها . . ، تمكثُ زوجته في البيت . . ويطول قرارها . . ، بعيدٌ عنها الساعاتِ الطوال . . تتسرب إلىٰ نفسها السآمة والملل . . والضيق والحزن . . .

هو يريد من سفينة حياته أن تسير آمنة . . مستقرة . . مصونةً من الأعاصير والأخطار . . ، إنه يشعرها بقوة ارتباطه بها . . وعظيم اهتمامه بها . . ، وأنها في بؤرة شعوره لا هامشه . . ، في سويداء قلبه لا جوانبه . . لا يشغله عنها كثرةُ أعمال: . . تجارة . . سفر . . طلب علم . . شؤون دعوة . . .

يشعرها بالإيناس . . يسليها بحديثه عن آلامه وآماله . . وأشواقه وأحلامه . . ، أحواله في عمله . . مواقف الحياة الطريفة . . أخبار العالم وأحداثه . . مواقف للدعوة والدعاة . . ، يسألها عن أخبارها وأحوالها وشؤونها . . ، عن هموم أطفالها . . .

يحذر من أن يجعل حياته وتصرفاته أمامها ألغازاً وأسراراً . . بل يجعل كلَّ شيء يبدو طبيعياً، حتىٰ ولو كان هناك أمور ينبغي إخفاؤها لمصلحة ما . .

يُشركها معه في أموره . . يُطلعها علىٰ أحواله بقدر . . ، ويعوِّضها عن الباقي بما يذهب وحشتها . . ويؤنس وحدتها . . ينال بذلك حبها وثقتها . . ويحقق لها سعادتها . . .

إنها العظمة التي توازن بين المطالب والحقوق . . فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب . . بل يعطي كل ذي حق حقه . . بالعدل والميزان . . .

٤١ ـ ينادي زوجته بما تحبّ وتُسر بسماعه . . من الأسماء والألقاب . . لا

يناديها بما يضايقها ويحرجها وينتقص منها . . إن ذلك من حقوق المسلم . . فكيف بالزوجة القريبة الحبيبة شريكة حياته . . **«وأن يناديه بأحب الأسماء إليه»** لا يصفها بالغباء والجهل . . تهكماً بها . . وإضحاكاً للآخرين . . يعلم أن ذلك يَكْلِمُ القلب . . ويُدميه . . ويجرح النفس . . بأمور هو لا يرضاها لنفسه . . إنه يريد أن تَشيع البهجة في جنبات بيته . . يريد من المحبة أن تغمر عشه . . لا الحزنُ . . والكآبة . . والضيق . . .

٤٢ ـ يعيش مع زوجته في ظلال القرآن . . يجلسون على مائدة القرآن . . يقرءُون . . ويفهمون . . ويحفظون القرآن . . يُذكر بعضُهم بعضاً بالأذكار . . ، في الصباح والمساء . . وكلِّ الأحوال . . ، يتعاونان على قيام الليل . . ولو قليلاً . . ينمو مع مرور الأيام . . ، يتفقان على صيام ما تيسر من الأيام المسنونة . . ويلتقيان على الإفطار . . .

يحثُّ زوجته على الصَّدقة والإنفاق في سبيل الله ـ تعالى ـ . . ويُعينها بالمال . . يصطحبها معه في رحلات الحج والعمرة . . وما أعظمها من رحلات . . .

يقضيان أوقاتهما في طاعة الله ـ تعالى ـ ﷻ . يرطِّبان ألسنتهما بذكر الله ـ تعالى ـ . . ينفقان أموالهما في سبيل الله ـ تعالى ـ . . لا لغو عابث ، ولا لهو فارغ . . ولا تبديد للأموال . . والأوقات . . حينئذٍ يكون بيته من خير البيوت . . ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة : ١٠٩] . . .

٤٣ ـ حتى تستطيعَ زوجته أن تنتج باستمرار . . وتستفيدَ من وقتها . . فإنه يحسن التعامل معها . . ، لا يختلفُ معها على دنيا . . ولا يثير معها الخلافات لأتفه الأسباب . . عندها تسكُنُ نفسُها . . ويهدأ قلبُها . . ويصفو ذهنها . . وحينَها ستفكر في أمور أخرى تستفيد منها . . ، وتشغل بها وقتها . . وتكون أكثر إبداعاً . . .

أما إذا دخل عليها . . كأنه عاصفة . . ثائرَ النفس . . ضيق الصدر . .



مغضباً . . لا يصبر على شيء . . ، فكيف يتسنى لزوجته أن تفكر فيما يفيدها في دينها ودنياها؟ . . إنها ستظل الساعات تفكر . . بزوجها وبحاله . . وبسبب تغيره عليها . . وتعامله السيء معها . . فتنشغل بذلك عن نفسها . . وعن استغلال وقتها . . فإن الذهن إذا كان متوتراً قلقاً . . والقلبَ متأثراً حزيناً . . لا تستطيع المرأة أن تنتج . . أو تبدع . . أو تهتم ببيتها أو أطفالها . . بل ربما تصبُّ جامَّ غضبها عليهم . . ، فضلاً عن أن تنشغل في أمور تستفيد منها أو تفيد بها المجتمع . . .

تصف أعرابيةٌ زوجها تقول: (والله لقد كان ضحوكاً إذا دخل البيت، سكيناً إذا خرج منه، آكلاً ما وجد، غير مسائل عمَّا فقد) . . .

٤٤ ـ لا يتعالىٰ . . علىٰ زوجته . . إن كانت أقلَّ منه ثقافةً وعلماً . . بل يقوم بتثقيفها وتعليمها . . حتّىٰ تقرب من فكره . . وتلائمه . . .

لا يأخذها صغيرةَ السن . . قليلةَ العلم . . ويتركها . . دون تعليم . . ، حتىٰ إذا ما سبق في ميادين العلم . . تأفَّف من عقليتها . . ومن قلة علمها ووعيها . . فيزدري فكرها . . ويتضجر ويملُّ . . ويشعر بعدم القناعة بها . . .

إنه يساعد زوجته بكل ما يستطيع حتىٰ تسير معه علىٰ الدرب . . ، مذللاً لها كل الصعاب . . يعينها ولا ييأس . . ولا يمل . . ولا يرفع يديه ويستسلم ويردد: . . أنْ لا فائدة . . بل يصبر ويحلم . . ، مع الحب . . فإنه أقصر الطرق إلىٰ التغيير . . ويكون معها كالقابض علىٰ الجمر . . حتىٰ يفتح الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ قلبها . . ويوفقها إلىٰ الخير . . .

٤٥ ـ عندما ينبه زوجته . . علىٰ خطأ أو تقصير . . يقع منها . . لا يذكِّرها بإحدىٰ النساء . . ويعيِّرها بأنها ليست مثلها . . أو أن تلك المرأة . . تُحسن في عملها . . ولا تقصِّر في شؤونها . . ، يعلم أن ذلك . . نوعٌ من التعبير والانتقاص . . لا تتقبّله . . فتنفر منه . . وتُضمر له . . الكراهية . . ولتلك المرأة . . وربما تقاطعها بسبب ما تشعر به تجاهها . . وليس أقلَّ من أن تنظر إليها

عند لقائها بشيء من الحقد والحسد . . أو تحاول إظهار عيوبها التي تخفى على زوجها . . أو تبهتها بما ليس فيها . . .

فيكون بذلك قد أعان الشيطان عليها . . وأثَّر على دينها وخلقها . . وهو لا يرضى ذلك لها . . .

٤٦ ـ لم يتمكن بصبره . . وحلمه . . ووعظه . . من مواصلة الإصلاح . . لتكف زوجته عن غيها . . وترجع عن أخطائها . . ، ووجد أنه لابد من مؤاخذتها . . فأخذها بروح الرحمة . . المؤاخذة التي شرعها دينه الذي يلتزم به . . الهجر في المضجع . . ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً** ﴾ [النساء: ٣٤] . .

هجراً يعرف معناه . . إنه هجر الفراش والعلاقة الخاصّة بينهما . . ، إظهاراً لرجولته . . وقوة عزيمته . . ، وكسراً لأكبر أسلحتها . . . سلاح الإثارة . . إلى أن تراجع نفسها . . وتصحح سيرها . . ، هجر للفراش فقط . . وليس للبيت أو الكلام . . فكيف يعيشان في بيت واحد ولا يتكلمان . . ؟ ولا حتى بإلقاء ورد السلام؟ . . مدركاً أن ذلك سلوك القاصرين والأطفال . . .

يكلِّمها . . ولكن لا يظهر لها الرضا والاهتمام . . لعل كلمة تصادف موقعها . . فتُحيل الإعراض إقبالاً . . والنشوز طاعة وإجابة . . .

يلجأ بعدها إلى الضرب . . بعدما استنفذ كل وسائله لرجوعها وطاعتها . . ولكنه ضرب غير شديد . . بالسواك وغيره . . ممّا لا يؤثر ولا يجرح . . ، إنه يدرك أن الضرب إنما شُرع للإيلام النفسي . . لا للانتقام والتشفي . . مجتنباً في ضربه الوجه . . وما فيه إهانة وخدش للكرامة . . ، مبتعداً عن التقبيح والشتم والسباب . . حتى لا تتأثر نفسيتها . . فتعود إليه مجروحة الفؤاد . . .

عن معاوية بن حيدرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قلت يا رسول الله ما حقُّ

زوجة أحدنا عليه؟ قال: **«أن تُطعمها إذا طعمتَ، وتكسوها إذا اكتسيتَ، ولا تضرب الوجهَ ولا تقبحْ ولا تهجر إلا في البيت»** . . .

وقال ﷺ: **«ليس المؤمنُ بالطعّان ولا اللّعان ولا الفاحش ولا البذيء»** . . يعلم أن خير الأزواج ﷺ لم يضرب امرأةً قط، ولا انتقم لنفسه قط طوال عشرته مع زوجاته . . .

تقول عائشة - رضي الله تعالى عنها - (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله) . . .

يُدرك أن التزامه بما شرعه الله - تعالى - له في معالجة الأخطاء . . كفيلٌ برأب الصدع . . ولمّ الشمل . . وسدّ الثُّغرات قبل انفتاحها . . وستر العورات قبل انكشافها . . ليحتفظ ببيته مستقراً . . في ظلالها . . .

يتدرّج في وسائل الإصلاح . . بالترتيب . . ولا يجمعها كلها معاً . . فإنْ أطاعتْ . . وعادتْ . . فليعلمْ أنه لا سبيل له عليها بعد ذلك . . ، ليس له ضربها . . أو هجرها . . من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليها . . وهو - سبحانه - منتقم ممن ظلمها وبغى عليها . . إن قدرته عليها . . تذكره بقدرة الله - تعالى عليه - . وأنه سبحانه لبالمرصاد . . ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٠] . . .

٤٧ - له من خُلق العفو نصيب . . يضع نصب عينيه دائماً . . قول الله تعالى . . ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] . . وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] . . وقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٤] . . .

لا يقف لزوجته بالمرصاد . . فيراجعها في كل صغيرة وكبيرة . . مراجعة المحاسب المدقق . . والمحقق المتعنت . . .

قد يكره شيئاً فيها . . ويكون في ذلك خيرٌ يظهرُ له ولو بعد حين . .

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. . .

يحقق العدل. . فلا يتصورَّها ملاكاً . . ومن أجل حسناتها وخُلقها الطّيب . . يعفو عما يصدر منها . . **«لا يفرِكُ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»** . . . .

٤٨ ـ عند عتابه زوجتَه . . يُعطي الأمر حجمه . . لا يكثر التحليلات . . واختراع مقدمات لا وجود لها . . ليبني عليها نتائج عجيبة . . واستنباطات غريبة . . .

عند عتابه . . يبدأ بالتلميح . . لا التصريح الذي يجرح النفوس . . عند عتابه . . يخفي ويُسر . . ولا يجعله أمام أحد من الناس ولو كانوا أطفاله أو أقاربه . . أو أقاربها . . يعينها بذلك على التصحيح . . لا على العناد والاستكبار . . .

عند عتابه . . يختار وقتاً مناسباً . . يتريَّث حتى تهدأ الأمور . . وتصفو النفوس . . عند عتابه . . لا يجرح ولا ينتقص . . بل يُظهر الحب والتقدير . . عند عتابه . . لا يستعلي . . ولا يتشفّى ولا يُصر على العناد . . بل يوجه عتابه برفق ولين . . .

عتابهُ لا يكون إلا في أمر ذي بال . . حكيماً في إنزاله على منازله . . مدركاً أنّ كثرة العتاب . . ـ وخصوصاً في كل أمر ـ . ينغص على زوجته حياتها . . يصيبها بالتوتر وقلق الأعصاب . . لأن سياط العتاب تلاحقها . . وعصا التأنيب أمامها . . ، فينشأ لديها . . شلل في التفكير . . وتخلف في تدبير الأمور . . وقتل لطاقات الإبداع . . .

يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط أُفّ ولا قال لشيء فعلته . . لمَ فعلته؟ . . ولا لشيء لم أفعله . . ألا فعلت كذا؟) . . .

٤٩ ـ قد تفضي إليه زوجته . . أسراراً من حياتها السابقة والحاضرة . . إيناساً وتسلية . . قد تفضي إليه شيئاً عن حياة أهلها . . أو شيئاً مما يقع بينهما في علاقتهما الزوجية الخاصة . . ولا تحبّ أن يَطَّلِعَ على ذلك أحد . . قد تحدث بينهما مشاكل وخلافات جارحة . . .

إنه يعلم أن كل هذه الأمور أسرار وخبايا . . فيحفظها . . ويصونها . . ولا يُطلع عليها أحداً مهما حصل بينهما . . .

مدركاً أنّ بثها ينافي الحياء . . ويقدح في المروءة . . وأن لا فائدة من نشرها إلا الجرح والإيذاء . . «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**» . . .

٥٠ ـ كان رسول الله ﷺ . . يرخم اسم أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فيقول لها : «**يا عائش**» . . ويجعل ملاعبةَ الرجل امرأته أول أربعة ليست من اللهو المنهي عنه . . .

يقول ﷺ : «**كلُّ شيءٍ ليس من ذكر الله لهوٌ ولعب ، إلا أن يكون أربعةً : . . ملاعبةُ الرجل امرأته ، وتأديبُ الرجل فرسه ، ومشيُ الرجل بين الغرضين ، وتعليمُ الرَّجل السباحة**» . . فعرف حاجة زوجته إلى الحديث المرح . . الذي تَشيع فيه روح المودة . . وتتخلله المداعبة . . فغيّر من نَفَسه . . وجديته معها . . إلى الملاعبة والملاطفة . . والتخلق بأخلاق الرسول ﷺ . . والاقتباس من حكمته مع زوجاته . . .

لم تعد أعمالهُ تشغله عن الكلام الطيب معها . . الذي لا يكلف مالاً . . ولا يأخذ من وقته . . ولا ينُقص اهتمامه بعمله . . يُدخل به السرور والرضا إلى نفس زوجته . . ، يثْني على أناقتها . . وشكلها . . وحُسن رعايتها لأطفالها وتربيتها لهم . . على طبخها . . وذوقها في ترتيب البيت . . على إخلاصها له . . وصبرها على بعده عنها طوال النهار وأثناء الليل . . بكلمات نابعة من القلب . . .

لقد أخبره الحبيب ﷺ أن الكلمة الطيبة صدقة . . وأن اللقمة يضعها في فم

زوجته صدقة . . بل حتى تلبية شهوته صدقة . . فأيُّ رصيد من الحسنات يدَّخره له ربه ـ سبحانه ـ يوم القيامة . . من إحسانه لزوجته . . فقط . . تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن الرسول ﷺ **(فإذا قضى صلاته (أي الفجر)، نظر فإذا كنت يقظى تحدَّث معي، وإن كنت نائمة اضطجع)** . . .

٥١ ـ تنخفضُ درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية كاملة . . ذلك أنّ العمليات الحيوية التي لا تكفُّ في جسم الكائن الحي . . تكون في أدنى مستوياتها وقت الحيض . . ، وتنزفُ فيه المرأة مقدار رُبع لتر تقريباً من دمها كلَّ شهر . . وينخفض الضغط . . ويصاب كثيرٌ من النساء بالدَّوخة والفتور والكسل يصاحب ذلك آلام تختلف في شدتها . . ، وأحياناً تكون عند البعض فوق الاحتمال . . .

ولاشك في أنَّ هذا كله . . يضغط على أعصاب المرأة فَيُثيرها ويغضبها . . وتُصاب بحالة من الكآبة والضيق . . فتكون متقلبةَ المزاج، قليلة الاحتمال . . .

ومع ذلك فإنها لا تستطيع أن تأخذ إجازة من تلبية طلباته وطلبات الأطفال . . ومن تبعات البيت وأعماله . . .

فنظر إلى آثار ـ رحمة الله تعالى ـ بالمرأة . . وكيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض . . فأعفاها عن الصلاة ولم يطالبها بقضائها . . وأعفاها عن الصوم . . ومن أداء واجبها نحو زوجها . . وأدرك نهي النبي ﷺ عن تطليق الرجل زوجته في هذه الفترة . . .

فعلم أنها بذلك تحتاج إلى مزيد من الحلم عليها . . واحتمال غضبها . . ، وتقبُّل أفضل لثوران أعصابها . . ، واتساع صدره لها . . .

يتأمل كيف أن الله ـ تعالى ـ خفف عنها ما افترضه عليها . . فكيف لا يرضى هو أن تقصر في شيء من واجباتها نحوه . . ويصبر عليها إكراماً لها . . . !؟ . . .

٥٢ ـ يُدرك الطبيعةَ النفسانيةَ لدى المرأة التي خلقها الله ـ تعالى ـ عليها . . وأنها

خُلقت من ضلع أعوج . . وأنَّ هذا العَوَجَ من طبيعة المرأة . . الذي إذا أراد أن يقيمه . . يخفق، وينكسر الضلع . . وبذلك فهو يعذر حالها . . ويقدر ضعفها . . متفهماً لطبيعة تكوينها العاطفية . . يرفق بها . . ولا يضيق منها . . .

متذكراً قوله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وأعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجَ، فاستوصوا بالنساء خيراً**» . . «**إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تُقيمها كسرتَها وكسرها طلاقها**» . . .

وفي ذلك تبصير وتذكير له . . بطبيعتها . . وإرشاد له إلى طريقة معاملتها . . باللين والرأفة . . وإعلامه لزوم التغاضي عن بعض سلوكياتها . . إن كان يلتمس السعادة الحقيقية . . .

٥٣ ـ ينظر إلى زوجته على أنها مصدرُ أجرٍ له . . يصبر على ما يصدر منها . . يحرص عليها، ولا يتضايق من مشاكستها . . لإدراكه أنه بصبره عليها . . يحظى بالأجر والثواب . . .

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] . . ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] . . .

قيل **لأبي عثمان النيسابوري** . . ما أرجى عملك عندك؟ . . قال: كنت في صبوتي، يجتهد أهلي أن أتزوج فآبى . . فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان إني قد هويتك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني . . فأحضرتُ أباها . . وكان فقيراً . . فزوَّجني وفرح بذلك . . فلما دخلت إليَّ رأيتها . . عوراءَ عرجاءَ مشوهةً . . وكانت لمحبتها لي، تمنعني من الخروج . . فأقعد حفظاً لقلبها . . ولا أُظهر لها من البغض شيئاً . . وكأني على جمر الغضا من بغضها . . فبقيت هكذا خمس عشرة سنة . . حتى ماتت . . فما من عملي هو أرجى عندي، من حفظي قلبها . . .

ووصف **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ صبر أبي عثمان . . فقال : (إنَّ هذا من عمل الرجال) . . .

٥٤ ـ رقيق الطبع . . دمث الخلق . . لطيف المعشر . . رفيق التعامل . . ، والمرأة تحبّ هذه الصفات . . وترضاها . . لكنها تريد معها شيئاً آخر : . . تريد مع رقة الطبع حزماً . . مع دماثة الخلق حسماً . . ومع لطف المعشر عدم تردد . . ومع الرفق بها قوة ظاهرة مسيطرة . . ، هكذا خلق الله ـ تعالىٰ ـ المرأة . . .

فأدرك أن كلمة . . «نعمْ» . . دائماً . . وعبارة . . « افعلي ما شئتِ» . . قد ترضي المرأة في البداية . . ولكنها مع الزمن تسأم وتضيق . . فتشعر أنها بحاجة إلىٰ رجل يأمرها وينهاها . . .

إنه يستشيرُها ويأخذ برأيها . . ولكن صدورُ القرار يكون منه . . ، يخبرها في كثير من الأشياء . . ولكن . . ليس في كل شيء . . ، لا يتساهل في تقصيرها في حق الله ـ تعالىٰ ـ . . أو في حقه . . يُشعرها بوجوده في كل شيء . . وبضرورة موافقته علىٰ كل أمر ذي بال . . ، يأمرها بكل معروف وينهاها عن كل منكر . . ولا يترك لها الأمر علىٰ هواها . . دون أن يتخلّىٰ عن رفقه ولينه . . بل يجعل رفقه في قوَّة . . ولينه في حزم . . ورقته في حسم . . .

٥٥ ـ لديه القناعة أنه في حاجة مستمرة للمعرفة والإدراك في كل مجالات حياته الأسرية . . وأنه في كل مرحلة من مراحل عمره . . سوف تواجهه مشاكل معينة . . من السهل التغلبُ عليها بالدراسة والمعرفة . . فأيّ مشكلة لا تُحلُّ من الفراغ . . وكما أن المشكلة التي لا تُحلّ اليوم . . ستكون غداً مجموعةً من المشاكل المركَّبة . . والتي قد يستحيل معها الاستمرارُ في علاقة زوجيَّة سليمة . .

فيدرك أنّه لابّد من الربط بين العلاقة الزوجية الخاصة ، وبين الاحترام والحب . . فلن تكون هناك علاقة بغير حب . . ولن ينشأ حب بغير احترام . . وعندما يحترم زوجته . . فإن ذلك يجعله يقدِّر رغباتها . . ويعرف خباياها النفسية . . فلا يجرحها عن قصد . . أو دون قصد . . .



٥٦ ـ المرأة تكوين حساس إلى أبعد الحدود . . من السهل جداً أن يكسبها الرجل! . . ومن السهل أن يفقدها! . . تحلق بخيالها في كل واقع، وترفض داخلها أي واقع . . بلا خيال . . .

من هذا المنطلق . . استطاع أن يعرف الترابط بين زوجته وعلاقته الخاصة بها . . أنَّها تجد فيها كل ما تحلم به من الحب . . .

إن الزوجة تشعر أن علاقتها بزوجها حوار عاطفي أولاً وأخيراً . . وهو يعلم أن المرأة لا تحبّ الرجل الخشن . . الذي يشعرها دائماً بقوته وتفوقه . . فأدرك أنّ أكثر ما تستمتع به زوجته في علاقتها معه . . وهو . الأسلوب الرقيق في المعاشرة . . من كلماتٍ معبرة . . ولمسات حالمة . . تشدّها من الأعماق إلى زوجها الذي تحب . . .

٥٧ ـ لا يغيب عنه . . أن الزوجة تقدر من يشعرها بجمالها . . وجاذبيتها . . وحتى وإن كانت بالفعل جميلة . . فإنها تريد دائماً أن تسمع من زوجها تلك العبارات . . عنها . . .

فعلم أنّ إهماله غير المقصود لذلك . . سيكون له أسوأ التأثير على نفسيتها . . لأنها مهما كانت قوة شخصيتها . . فهي بحاجة إلى الدّفء والحنان . . والشعور بالحب والتقدير والاحترام . . .

وإن كانت أعباء الحياة اليومية تُلقي الكثير من التوتر المستمر على عاتقه . . مما يجعله أقل وأضعف في التعبير عن عواطفه نحو زوجته . . إلا أنها لا تغفر له ذلك . . وتعتقد أن زوجها إن لم يعبر لها باستمرار عن حبه . . يكون قد انصرف عنها . . .

لذلك . . فهو يحاول دائماً أن يعبر لها عن مشاعره العاطفية نحوها . . أنه مازال يحبها . . ويفضلها . . ويرغبها . . ، وأنها مازالت فتاة أحلامه التي عاشت في خياله . . وتمنّاها طوال عمره . . إنه المدخل الوحيد لاتصال ممتع بالنسبة له . . ولها . . .

٥٨ ـ عَفُّ النفس . . شديد الزهد في الدنيا ومتاعها . . متصدقٌ . . باذلٌ في سبل الخير . . زواجه لم يشغله عن حب الصدقة على الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى . . يبتغي بذلك أجر الله ـ تعالى ـ . .

لكن إنفاقه في سبل الخير لم يكن على حساب زوجته وأطفاله . . لأنّه يعلم أنّ في تصدقه على زوجته وأهل بيته أجراً عظيماً أيضاً . . بل إنه أعظم من أجر تصدُّقه في وجوه البر الأخرى . . قال ﷺ : **«دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رقبة، ودينارٌ تصدَّقتَ به على مسكين، أعظمُها أجراً الذي أنفقته على أهلك»** . . وقال ﷺ : **«إذا أنفق المسلمُ نفقةً على أهله، وهو يحتسبُها، كانت له صَدَقة»** . . .

٥٩ ـ قد يُقصر في حق زوجته . . يسيء إليها . . يجرح مشاعرها . . فتنطفيء أنوار سعادتها . . قد تخفي ذلك أو تظهره . . تبكي كلَّما خلتْ . . يقل طعامها وشرابها . . ومنامها . . تغور عذوبتها في الكلام . . وتملأ نظراتها الأحزان . .

قد يكون عليها نصيبٌ من الخطأ . . قد تكون هي البادئة . . فقابل ذلك بما هو أشدُّ منه في لحظة غضب . . وبما أن تطييبَ الخاطر . . بابٌ دقيق عميق . . يحتاج إلى حكمةٍ عالية وتوفيق من الله ـ تعالى ـ . . فإنه يبذل جهده من أجل أن يكون له نصيب كبير منه . . .

إنه يتنازل عن كبريائه . . يعتذر بكل رجولة عن خطئه . . يرجع إلى الحق . . يخفِّف من وقع كلمته القاسية . . بهدية قيمة . . أو تحقيق أمنية عزيزة طال انتظارها . . أو رحلةٍ ممتعة . . يطيب بذلك خاطرها . . ويعيد المياه إلى مجاريها . . فتعود الحياةُ إلى سعادتها . . بعدها يُناقشها فيما وقع بينهما . . في ظلّ المحبة والتفاهم . . إن كان لابد من ذلك . . .

٦٠ ـ كثيراً ما تقع إساءاتٌ بين النساء . . ويتفاقمُ الأمر حتى يحيل الحياة إلى منغِّصات قد لا تنتهي . . ، ولكن . . بأسلوبه الحكيم . . وحزمه . . ولطفه ورقته . . واقتدائه في ذلك بالحكمة النبوية العالية . . ، فإنه لا يبالي بالفقاقيع التي تنال من حياته وراحته . . فلا يلتفت إليها التفات الثائر الذي لا يهدأ . . والمصروع



الذي لا يقر . . ، بل يعاتب بلا عنف . . ويعاقب بلطف . . ، ويواسي المكلومة بذكر حسناتها . . وعلوِّ مكانتها . . ولا يقابلها بالاستنكار . . والاستخفاف . . بل يستمع إلىٰ شكواها ويخفف عنها . . كان يحدث بين أزواج النبي ﷺ شيءٌ من الغيرة . . التي هي من طبيعة النساء . . وقد تزيد أحياناً فتسبب إيذاءً . . فكان ﷺ . . يطيب خاطر المكلومة . . ويعاتب الأخرىٰ . . بحزم القائد وعاطفة الزوج . . .

تقولُ عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ (اعتل بعير لصفية بنت حُيَي، وعند زينب فضل ظهر . . فقال رسول الله ﷺ لزينب . **«أعطيها بعيراً»** فقالت : (أنا أعطي تلك اليهودية!) فغضب ﷺ، فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر) . . .

ويقول أنس ـ رضي الله عنه ـ: (بلغ صفيةَ أنّ حفصةَ قالت : إنّها بنت يهودي . . فبكت! . . فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : **«ما يبكيك؟»** قالت : (قالت لي حفصة أنت! ابنة يهودي) فقال النبي ﷺ : **«إنَّك لابنةُ نبيٌّ، وإنَّ عمك لنبيٌّ وإنَّك لتحتَ نبيٌّ، ففيمَ تفخَر عليك؟»** ثم قال : **«اتَّق الله يا حفصة»** . . .

٦١ ـ يعاون زوجته . . وشريكة حياته . . في مهمتها . . في خدمته وخدمة بيتها . . تلطفاً وتأنسياً . . تعاطفاً وتخفيفاً . . وصلاً للحبل الذي جعله الله بينهما . . حبلِ المودة والرحمة . . ليتحقق السكن والاستقرار . . .

إنّ أحلىٰ اللحظات . . وأسعد الأوقات . . حين تجده زوجته إلىٰ جوارها . . يساعدها . . ويناول . . ويحمل معها . . ويخفف عنها . . سمحَ النفس . . منشرح الصدر . . لين الجانب . . ، وإن أسوأ اللحظات . . وأتعس الأوقات . . أن تجد الزوجة نفسها . . وحيدةً مجهدة . . والأعباء علىٰ كاهلها كثيرة . . لا تكاد تنتهي من عمل حتىٰ تجد أمامها أعمالاً . . وإن ألقىٰ عليها زوجها نظرةً لم تنل منه إلا العتابَ والتأنيبَ واللومَ . . والرميَ بالتقصير . . .

إنه ينظر إلىٰ زوجته نظرة الشريكة والحبيبة . . وليست الخادمة والأمة . . فالأولىٰ نظرة الإسلام . . والثانية نظرة الجاهلية . . .

يخـفـض جناحــه. . يتنازل عن كـبـريائه. . يوقنُ أنّ ذلك لا يُنقص من رجولته. . إنما يزيده عزاً ووقاراً. . وتقديراً واحتراماً. . .

يقول الأسود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (سألتُ عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة). . وسئلت ـ رضي الله تعالى عنها ـ ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ فتقول: (كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر: يغلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه). . وفي رواية. . (كان ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته). . .

٦٢ ـ يملك قناعةً. . بأن الثناء على الزوجة. . والكشف عن محاسنها. . وإظهار أخلاقها الحسنة. . له آثارهُ الإيجابية العظيمة في نفسها. . يقوِّي لديها مشاعر الحب والمودة تجاه زوجها. . يطفيء مشاعر الغضب والكراهية والضيق. . يمنحها طاقةً تنسى معها تعبها. . ويساعدها على بذل المزيد من الجهد والعطاء. . يجعلها أكثر إقبالاً على أطفالها. . وصبراً على عبثهم ومشقة تربيتهم. . .

لا يهمل ذلك. . بحجة أن الثناءَ عليها مفسدٌ لها. . مثير لغرورها. . لا يضيق بزوجته وينقم عليها. . ويثأر منها بطمس محاسنها. . وإخفاء أخلاقها وأعمالها الطيبة. . لا تشغله الحياة ومسؤولياتها. . فيغيب عنه ضرورة الثناء. . وأهميته البالغة في بناء نفسية الزوجة. . متنبهاً إلى أن ذلك لا يكون أمام الرجال غير المحارم. . .

٦٣ ـ يعلم أن الإسلام أعطى المرأة الحرية المطلقة في اختيار الزوج الذي تريد. . طالما أنها على مقدرة تؤهلها لهذا الاختيار. .

لذلك فهو لا يصرُّ على الزواج بفتاة لم تقبل به لأي سبب من الأسباب. . ولا يستاءُ أو يتضجر، لا تثور ثائرته. . ويلجأ إلى طرق عقيمة لينتقم لكرامته المهدرة. . فإذا ما تزوجها أذاقها أنواع الهوان. . لأنه لن يجد عندها أيَّ عاطفة. . بل كرهاً وبغضاً. . .



إن المرأة إذا لم تكن صادقة العاطفة.. فلن تكون صادقة العطاء.. إنه يدرك أنه إذا امتلك عاطفتها.. ملك مفاتيح السعادة معها.. وأن للمرأة حقَّ الرفض لأي سبب ترىٰ أنه يعكر صفو حياتها.. فهذه امرأةُ ثابتِ بن قيس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قد رفضت زوجها لا لاعوجاجٍ في خلقه أو دينه.. ولكنها حين رأته بين الرجال كرهته...

٦٤ ـ أوصىٰ الرسول ﷺ بالمرأة في خطبة الوداع.. الخطبة الجليلة التي أحسَّ أنها آخرُ وقفةٍ له معهم.. **«ألا استوصوا بالنساء خيراً، فإنهنَّ عوانٍ عندكم..»**.. يعلم ذلك.. فلا يدع له مجالاً للتفكير في ظلم الزوجة أو الإضرار بها...

جاءت نسوة إلىٰ آل رسول الله ﷺ.. يشكون أزواجهنّ.. فأعلن ﷺ علىٰ أسماع الرجال.. **«لقد أطاف بآل محمد نساء كثير، يشتكين أزواجهنَّ ليس أولئك بخياركم»**...

فيحفظ رباط زواجه أن يكون عرضةً لنزوة العاطفة المتقلبة.. وحماقة الميل الأهوج.. والغضب لأتفه الأسباب...

يقرأ قول الله تعالىٰ: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ١٩].. فيُهدِّيء من فورة غضبه.. ويُهوِّن من حدة كراهيته لزوجته.. يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ لرجل أراد أن يطلق زوجته لأنه يكرهها.. **(ويحك ألم تُبن البيوت إلا علىٰ الحبّ؟ فأين الرعاية والتذمم؟!)**...

٦٥ ـ يدرك ضرورة المناقشات الصريحة.. لتفهم زوجته.. أن استجابتها له سوف تثمر متعةً مشتركة ومشروعةً لهما..، ولكي تعلم أنّ علاقتها الخاصة به.. ليست مجرد واجبٍ تقومُ به.. أو تؤدِّيه لزوجها.. إنما هو تعاونٌ متبادل.. مع توفُّر الحب والرغبة المشتركة.. ولن يتحقق ذلك.. إلا مع الصراحة الكاملة.. والتفاهم المطلق...

ولا يفوته بذلك.. أن اهماله للمداعبة التمهيدية.. يؤدي إلىٰ برود

الزوجة . . وعدم تجاوبها . . إنه ملمٌّ بفنّ الحب . . فيدرك أن المرأة أبطأ من الرجل في الاستثارة . . وأن الرجل أسرع في استثارته . . والتي تأتي عادة بمجرد النظر . . .

مما يجعله يعرفُ كيف يطيلُ وقتَ المداعبة قدر استطاعته . . ولا يتحين الأوقات الغريبة وغير المناسبة . . والتي كثيراً ما تجعل الزوجة غير مستعدة للاستجابة النفسية . . .

لا يُلقي عليها مزيداً من اللوم إذا لم تستجب لرغباته . . إنه يتجنبُ أيَّ كلمة أو عمل من شأنه إطفاءُ شعلة زوجته العاطفية . . وحرارة اللقاء . .

إنه يرشدُها ويوجهها ويصارحها . . ويأخذُ بيدها . . حتى تكون ملمَّةً ومتفهمة لرغباته . . وحين ينتهي اللقاءُ . . لا يشعرها بتعبه وارهاقه . . لا يبتعد عنها . . حتى لا يؤثر على نفسيِّتها ، حين تشعرُ بأنه قد أدار وجهه عنها . . ولم يعد له بها حاجة . . في الوقت الذي تنتظر منه أن يحتويها . .

إنها مواقفُ قد تبدو تافهة . . ولكنها في الحقيقة . . قد تقود إلى تحطيم الحياة الزوجية نفسها . . .

٦٦ ـ حُرٌّ كريم . . يعتمد في تكوين أسرته وبنائها على ماله الخاص . . وليس على مال زوجته . . إلا إذا كان عن تراضٍ منها . . وتعاونٍ ومحبة . . ومشاركةٍ منها في التخفيف عن زوجها . . همومَ الحياة وعبئها . . ، فإنه يأخذه مع شعوره بالترفع . . إكراماً له ولها . .

إن احتاج قرضاً . . أو دخل معها في عمل مشترك . . حفظ لها حقوقها . . وردّ عليها مالها كاملاً . . مع ما بينهما من الحبّ والمودة والاحترام . . ، فذلك أطهر لدينه . . وأبرأ لذمته . . وأحفظُ لماء وجهه . .

لا يضطرُّها للعمل لتساعده على كماليات الحياة . . وبناء مستقبل الأبناء . . ، لا يساومها على مالها . . والويل لها إن هي امتنعت بحجة سماحه لها بالعمل . . أو يهدِّدها بترك العمل . . أو الزواج عليها . . إن هي رفضت إعطاءه مالها . . أو

شيئاً منه . . .

لا يتحايلُ عليها بأخذ نصفِ مالها من عملها . . ثم يبدأ باهمال حاجات الأطفال والمنزل . . فتضطر إلى إكمالها من النصف الآخر . . خوفاً . . وحرصاً على بيتها من الانهيار . . مع شعور بالحُرقة النفسية . . والبغض والجفاء . . .

يدرك أن ذلك إنما ينبيء عن نفوس دنيئة . . ليس لها مجال . . في الترفع . . أو الكرامة . . أو الاحترام . . .

٦٧ ـ ليلةُ زفافهِ . . ليلةٌ مباركة . . فيها ومنها وبها . . يبدأ تأسيسُ مملكته الزوجية . . على تقوى الله ـ تعالى ـ، ليلة . . حافلة بالطاعات والخيرات والبركات . . ليلة إيمانيّة . . بسننها وآدابها . . .

يحرص عليها . . وعلى العمل بها . . فيرزقهم الله ـ تعالى ـ . . البركة . . والسعادة . . في حياة عامرة بالنور . . .

يدخلُ بيته . . فيدعو مع زوجته دعاءَ دخول المنزل . . فيطردوا الشيطان . . يلاطف زوجته . . يكرمها . . يُحضر كُوباً من اللبن . . يَجلس بجانبها . . بوجهٍ باسم مشرق . . يَشربُ ويعطيها . . يُؤانِسُها . . حتى يزولَ عنها الخوف والخجل . . .

يضعُ يده اليمنى على ناصيتها . . ويسمِّي الله ـ تعالى ـ، ويدعو بالبركة . . **«اللهم إني أسألك خيرها، وخيرَ ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما جبلتها عليه»** . . .

يصلّي ركعتين . . ويطلب منها أن تصلّيَ معه . . يبدآن بذلك حياتهما بأعظم الأعمال : . . الذكر والصلاة . . فإذا ما جاء زوجته قال : **«بسم الله، اللهمّ جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا»** . . يقول الرسول ﷺ : **«أمَا لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان، ما رزقتنا ثم قدر بينهما ولد لم يضرُّه شيطان أبداً»** . . واضعاً نصب عينيه . . أن لهذه الليلةِ أهميتَها البالغة في توليد الحب . . أو البغض . . لدى الزوجة . . ، ليلةٍ تترك ذكرى تمتد

طول العمر.. لذلك فهو يسعى جاهداً لانجاحها...

يصبرُ.. ويتريث.. ويعين زوجته بشيء من الحب والترغيب.. يباسطها بالكلام.. العذبِ الرقيق.. يلاعبُها ويداعبها.. برغبةٍ صادقة.. ولمسةٍ حانية..، وشيئاً فشيئاً.. حتى يصل إلى ما يريد.. وهكذا.. حياتهما.. كل ليلة وكلَّ لقاء.. حياة الإيمان.. والحب.. والانسجام...

٦٨ ـ يهمه من زواجه أطفالهُ.. لذلك فهو يبحث لحياته عن زوجة من غير أقاربه.. يعلم أنَّ زواجه من البعيدة.. سببٌ لنجابة الأطفال.. وسلامة أجسامهم.. إلى غير ذلك من توسيع دائرة التّعارف الأسرية.. وتمتيناً للروابط الاجتماعية..، والذي يبعده من قطعِ الروابط بين الأقارب.. والتفككِ والخلاف.. والحقد والكراهية.. فيما لو حصل الزواج منهم.. وذلك عند حدوث خلاف.. أو فراق بينهما...

وبما لديه من ثقافةٍ وعلم ودراية.. يعرف أنّ علمَ الوراثة أثبتَ أنَّ الزواجَ من القريبة قد يجعل النسل ضعيفاً جسمياً وعقلياً.. ويورثهم صفاتٍ خُلقيّة ذميمة...

وأنَّ الاحصائيات الطبية التي أجريت في جميع أنحاء العالم قد أثبتتْ.. أنّ نسبة المولودين المشوّهين والمصابين بالأمراض الوراثية، أعلى بكثير في حالة تكرار زواج الأقارب...

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (يا بني السّائب إنكم قد أضويتم، فانكحوا في الغرائب)...

٦٩ ـ أعتق فكره من العصبيات.. فلا يشترط لزواجه.. أن تكون زوجته قبليّةً.. أو بدرجةٍ معينة من الحسب والنسب.. أو أن يكون زوجُ أخته أو ابنته قبلياً وإن كان مفلساً من الخلق والدين...

يدرك أن النتيجة الطبيعية لمثل ذلك التفكير المعوجّ.. هو بقاء الكثيرات من غير زواج، مرغماتٍ لا راغبات.. لا تجرؤ إحداهن على أن تلغي تلك الشروط



الوهمية الفاسدة.. بل تستسلم للأمر في يأس ومرارة.. وتظل طيلة حياتها تجرُّ ألمَ العصبياتِ البالية...

قال ﷺ: «**إذا جاءَكُم مَن ترضَون دينَه وخُلُقَه فانكِحوه.. ثلاث مرات**».. وقال ﷺ: «**إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء، إنّ أوليائي المتقون حيث كانوا وأين كانوا**»..

ومن سننه ﷺ.. أنه زوَّجَ زينب بنت جحش القرشية، من زيد بن حارثة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مولاه.. وزوَّجَ فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية، من أسامة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وتزوَّج بلالُ بن رباح ـ رضي الله تعالى عنه ـ بأخت عبدالرَّحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنهما ـ...

ويقول الرسول ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع:.. لدينها وجمالها وحسبها ومالها فاظفر بذات الدِّين تربت يداك!**»...

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]...

٧٠ ـ إذا دخل بيته.. أقبلَ على زوجته وأطفاله بوجه طلَق.. يبادرهم بالتحية المباركة الطيبة.. ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [النور: ٦١]...

يُقبل عليهم.. فيُبهجهم.. ويُسعدهم.. يَسأل عمَّن لا يجده بينهم.. فيُشِيعُ فيهم الأنس والرَّحمة والرِّضا...

يمدُّ يد العون لزوجته.. إن رآها بحاجةٍ إلى مساعدته ومشاركته.. يُواسيها بلطيفِ قوله إن آنس منها شكوى من تعبٍ أو ضيق.. يبادرها بذلك بمجرد شعوره بألمها...

فتشعر أنَّها تعيشُ في ظل زوج.. قويٌّ.. كريم.. متسامح.. ودود.. يحميها ويرعاها.. ويهتمّ بها...

٧١ ـ يرطب جفاف الحياة الرتيبة مع زوجته.. باللعب اللطيف الممتع.. بالطرفة المرفهة السارة.. يُطْلقها بين الحين والحين.. بالمداعبة.. باللمسات الحانية.. بالكلمات الرقيقة.. بالمرح...

تقـول عـائشـة ـ رضي الله تعـالىٰ عنهـا ـ: (أتيتُ النبيَّ ﷺ بحريرة قد طبختُها له . . فقلت لسودة ـ رضي الله تعالىٰ عنهـا ـ والنّبي ﷺ بيني وبينها : . . كُلِي . . فأبتْ . . فقلت : لتأكُلِنَّ أو لألطِّخَنَّ وجهكِ . . فأبت ، . . فوضعت يدي في الحريرة فطليت وجهها . . فضحك النبي ﷺ . . فوضعَ بيده لها ، وقال لها : «**الطخي وجهها**» . . وفي رواية . . فخفضَ لها ركبته لتستقيد مني . . فتناولت من الصّحفة شيئاً فَمَسَحتْ به وجهي . . ورسول الله ﷺ يضحك) . . .

يُدخل المزيد من السرور على قلب زوجته . . فيدعوها لحضور ضروب من اللهو البريء . . ترفهُ به عن نفسها . . وتستمتع بمشاهدته . . تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (كان النبي ﷺ جالساً . . فسمع ضوضاء الناس والصبيان . . فإذا حبشية ترقص والناس حولَها . . فقال : «**يا عائشة تعالي فانظري**» . . فوضعتُ خدِّي على منكبيه . . فجعلت أنظر ما بين المنكبين إلى رأسه . . فجعل يقول : «**يا عائشة ما شبعتِ؟**» فأقول . . لا . . لأنظر منزلتي عنده ، فلقدْ رأيته يراوح بين قدميه) . . .

وتقـول ـ رضي الله تعـالىٰ عنهـا ـ: (والله لقد رأيتُ النبي ﷺ يقـوم على باب حجرتي . . والحبشـة يلعبون بالحراب في المسجـد ، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه ، لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه ، . . ثم يقوم من أجلي حتىٰ أكون أنا التي أنصرف) . . .

إنه إذ يرىٰ ذلك . . لا يسعه إلا أن يكون طيب العِشرة . . لين الجانب . . واسع الصدر . . ما دام تبسطه وترخصه في حدود المتعة الحلال . . والترفيه البريء المباح . . .

٧٢ ـ قد تأخذُ زوجتَه لحظةُ غضبٍ . . أو تستبدُّ بها ثائرةُ انفعال . . فتجافيه . . وتُشعره بغضبها وانفعالها . . وهنا . . يَسَعُ زوجته بخلقه الرّضي . . وحِلمه الواسع . . ونظرته العميقة لحقيقة المرأة وتكوينها . . .

كما كان الرسول ﷺ. . يسع زوجاته إذ يغاضبنه. . وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل. . .

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء. . فلما قدمنا المدينة، وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم. . فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم. . وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي. . قال: فتغضب يوماً عليَّ امرأتي، فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني. . فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إنّ أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل. . .

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟. . قالت: نعم. . قلت: وتهجره إحداكنّ اليوم إلى الليل؟. . قالت: نعم. . قلت: قد خابَ مَن فعل ذلك منكنّ وخسر، أفتأمن إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟! لا تراجعي رسول الله، ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك). . ويأتي عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ النبي ﷺ. . ويحدثه بما دار بينه وبين حفصة من حوار. . فيبتسم الرسول ﷺ. .

٧٣ ـ مِن أحبِّ الأزواج إلى نفسه المرأةُ الصالحة. . يعرفُ كيف يتسرَّب إلى كوامن نفسها بلطف. . ولباقة. . ، فيوجهها الوجهةَ المستقيمة. . يتعرَّف إلى ميولها ورغباتها ومزاجها. . ويحاول جَهده أن يوفق بين تلك الميول والرغبات وبين ما يريد لها من سيرة حسنة. . سالكاً أفضل السبل وأيسرها. . ، وإن وجد أثناء ذلك نشوزاً. . أو رفضاً. . أو انحرافاً. . ردَّها إلى الطريق. . برفق. . وحلم. . وذكاء. . متجنباً تعنيفها أو لومها أمام أحد من الناس. . مهما كانت الأسباب. . فإنّ أشدَّ ما يؤلم المرأةَ أن يسمعَ أحدٌ لومها. . أو يشهد تقريعها. . وهو من أرهف الناس إحساساً. . وأكثرِهِم تقديراً لشعور الآخرين. . ذلك. . دون أن ينسى لحظةً واحدة. . أنها خُلِقت من ضلع. . وأنّ تقويم الضلع أمر. . لا سبيل إليه. . .

٧٤ ـ قوامته كرجل لا تتحقق . . إلا إذا كان رجلاً ناجحاً في قيادته لبيته وأسرته . . إنه لا يكون رجلاً بغلظته وفظاظته وقسوته وعنفه . . وبطشه وسلاطة لسانه . . فهذه رجولةُ الجاهلية . . أمَّا في الإسلام فهي شيء آخر . . غير هذا كلِّه . . ، إنها شخصية قوية . . جذابة . . محببة . . خلقٌ عالٍ نبيل . . تسامح واغضاء وعفو عن الهفوات . . وقوف جادٌ وحازم عند حدود الله ـ تعالىٰ ـ . . وتطبيقُ أحكامه على الأسرة جميعاً . . قيادة بارعة نحو الخير . . بذل وسخاء في غير سرف ولا تبذير . . وعي وشعور بالمسؤولية في الدنيا والآخرة . . .

٧٥ ـ قال تعالىٰ . . **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ على النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾** [النساء: ٣٤]. لهذه القوامة تبعاتٌ . . وعلى الرجل بسببها مسؤوليات . . فهو مسؤول عن زوجته وأهل بيته مسؤولية كاملة . . **«والرجل راع على أهل بيته، ومسؤول عن رعيته»** . . يعرفُ كيف يقود السفينة نحو شاطيء السلامة والرشاد . . .

يحذر من أن تأخذه فتنةُ النساء . . فيُغشى بصره . . وتخور عزيمته . . ويرقّ دينه . . فيتغاضَى عن انحرافهنَّ عن جادة الشرع . . ويُفلت منه الزمام . . فإذا الزوجةُ المنحرفة . . كلُّ شيء في البيت . . لا تُردُّ لها كلمة . . ولا تُرفض لها رغبة . . **«ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرِّجال من النِّساء»** . . .

لا يضعفُ أمام زوجته . . مهما طغت تلك الفتنة . . يوضحُ لها بكل لطف ولباقة . . أن فتنتها إذا كانت حبيبة إليه . . فإن مرضاةَ الله ـ تعالىٰ ـ أحبُّ . . وأنّ مودته لها مهما عظمت . . فهي دون حب الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ . . .

يدرك أنه مسؤولٌ عنها إن هي قصرت في عبادة . . أو فرَّطت في جنب الله ـ تعالىٰ ـ . . بتهاون أو معصية . . مسؤولٌ عن استقامتها وسلوكها . . وقيامها بواجباتها . . .

وأنّ أيَّ تقصير منها في ذلك . . يُخلّ برجولته كزوج . . ويقدح في حسن إسلامه . . ويخدش القوامة التي أكرمه الله ـ تعالىٰ ـ بها . . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ

غلاظٌ شدادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]. . .

٧٦ - من معالم دينه العظيم . . وخصائصه الفريدة . . واقعيتهُ ومراعاته لمتطلبات الفطرة . . واحتياجاتِ النفس البشرية . . فالحياةُ متقلبة . . مليئة بالمتغيرات . . والنفس تحتاج إلى ما يذهب الملل . . ويجدد النشاط . . ويذهب العناء . . .

قد يغلب الجدُّ على بعض الرجال . . لدرجة الجفاف والجمود . . فتذهبُ عنهم روحُ الدعابة . . وخفةُ الروح . . فتشقى بهم زوجاتهم . . وقد يتحرّج آخرون عن المضاحكة والمداعبة مع زوجاتهم، خشيةَ أن يكون ذلك غفلةً عن ذكر الله - تعالى - . . فيتعبوا زوجاتهم من حيث لا يشعرون . . ولكنه لعلمه بهدي الرسول ﷺ في عِشرة أزواجه ومداعبته لهنّ . . في الحضر والسفر . . على الطعام والشراب . . وعند النوم والاغتسال . . .

فهو ينمّي لديه روح الدعابة والمرح . . بالكسب والتحصيل، ليكون لديه الحد الأدنى منه . . بحيث يمكنه إيناسُ أهله . . وإدخالُ السرور على زوجته . . ينتهزُ الأوقاتَ المناسبة . . والظروف الملائمة . . في المطبخ . . وعلى الطعام . . وعند الغسلِ . . وفي السفر . . وليالي الزواج والأفراح . . وأوقات الصُّلح بعد الهجر . . عند دخوله المنزل . . وعند خروجه . . يتخيَّر ما يُناسب من الدعابة والمزاح . . لا يقول إلا حقاً . . دون كثرة أو إفراط . . أو أذى . . وترويع . . واستهزاء . . واستخفاف . . .

٧٧ - تشعرُ زوجته معه بالأمان . . الثقة . . الإخلاص . . الوفاء . .، وفاءً لا يشمل الجسد فقط . . بل يضمُّ الوجدان والقلب . . .

إنَّ خيانة العقل والوجدان . . وهي أقلُّ صور الخيانة . . تعكس وضعاً شاذاً . . وانحرافاً عن الفطرة . . وخللاً خطيراً . . يُسيطر على العلاقة بينهما . . فيهزُّها . . ويخنق الثقة . . ويُزلزل الحبَّ من أركانه . . .

إنَّ حياتهما وإن استمرت بعد ذلك . . فهي حياةٌ واهنة ضعيفة . . عندما يضيع

الأمان . . وتذوب الثقة . . فإنّ كل شيء يذوب معها . . .

ربما يبدآن صفحةً جديدة . . وتحاول زوجته عودتها النفسية إليه . . لكنَّ الذكرىٰ . . ستظل محفورة بأثر . . يصعب نسيانه . . .

٧٨ ـ في الوقت الذي يشبع زوجته من خلال علاقته الخاصة بها . . يجد أنه لابد من أن يشبع عواطفها العطشىٰ إلىٰ همساتِ الحبِّ الدافئة . . واللمساتِ الحانية . . .

لا يظنّ أبداً . . أنه ما دام قد أدّىٰ ما عليه . . قد أدّىٰ دوره . . وأوفاها حقها . . ، بل يدرك تماماً . . أنّ الزوجةَ ترغب من زوجها . . أن يُرضيَ عواطفها قبل جسدها . . وأنه بإهماله هذا الجانب . . قد يجعلها ضعيفةً . . أمام . . كلِّ نظرة عاطفية . . أو كلمةٍ هامسة . . .

٧٩ ـ قد تضطرُّه ظروفُ المعيشة . . أو الدعوة . . أو طلب العلم . . أو العمل . . إلىٰ السفر . . ، إنه لا ينسىٰ أن لكل شيء ثمناً . . ، وللغربة ثمن . . قد يكون كبيراً . . .

زوجته . . هي أكثر من يعاني من هذه الغيبة . . التي تكون أكثر من قدرتها علىٰ التحمل . . ، إنها تعاني آلام الوحدة والفراق . . يقتلها الشوق . . يعتصرها الحنين . . ، لا تجد بجانبها أنيساً . . غير أطفال . . يعانون معها . . الضياع والحرمان . . والذي لا يعوِّضه مال ولا هدايا . . ، إنه يحاول ما استطاع أن يكون سفره لضرورة ملحة . . ووقت قصير . . وعود سريع . . يجمع شمل أسرته . . ويشملهم بعطفه وحنانه . . ودفء مشاعره . . .

٨٠ ـ يبتعد عن كل ما يسبب له الكراهية في قلب زوجته . . الكراهية المقنعة . . والتي لا تبدو غالباً، ولكنها تُحرك مشاعر النفور بينهما . . شجاره . . كلمته الجارحة . . تعامله بقسوة . . ضعف شخصيته . . عدم تحمله للمسؤولية . . ، فالمرأة ترغب أن يكون زوجها رجلاً . . ينشر عليها أجنحةَ حمايتهِ . . له قدر من المهابة بين الناس . . حكيمٌ في تصرفاته . . قويٌّ في



شخصيته . . .

وتحت ستار الكراهية المقنعة . . قد تستمر الحياة . . بحكم قبول الأمر الواقع . . قد يتصور الزوج أن ما فعله سوف يُنسىٰ وينتهي . . لكنه لا يمضي إلا وقد ترك في النفس جرحاً غائراً . . قد يؤثر سلبياً في المشاعر . . ويحركها في الاتجاه المضادّ . . .

وذلك . . يستحقُّ منه وقفةً هادئةً وصبورة . . : البحث عن أسباب الكراهية وعلاجها . . .

إن استقرارَ الحياة الزوجية، وإشاعةَ جو من الحب والعطف فيها . . هو المناخ المناسب ليس لراحتهما فقط . . إنما لراحة الأبناء . . وسلامة تربيتهم النفسية . . وهذا أمرٌ يحتاج . . ـ دون شك ـ . . لأكثر من محاولات . . .

٨١ ـ يتذكر ما أعدَّه الله ـ تعالىٰ ـ للأزواج السعداء في الدنيا . . بتحقيق منهج دينهم . . وتحكيمه في حياتهم . . فيسعىٰ لكي يكون ممن قال الله ـ تعالىٰ ـ فيهم: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦] . . .

ويحذر من أن يكون ممن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣] . .

٨٢ ـ العلاقة الخاصة بين الزوجين . . رغبة جسدية ونفسية . . وعندما يكون هناك حاجة إليها . . فإن الجسم نفسه يصرخ لإشباعها . . .

إن التوتر الذي تحدثه الرغبة لا يمكنُ إلغاؤه أو تلافيه . . فهو توتر يشمل الجسم كله . . وعدمُ إرضاء هذه الرغبة . . وكبحُ جماح هذا التوتر . . يؤدي إلىٰ شيءٍ من التعاسة . . والقلقِ والمرارة . . .

وبما أنه يدرك تماماً . . أنها رغبةٌ مشتركة . . بينه وبين زوجته . . رغبةٌ فطرية تفصح عن نفسها في بساطة وتلقائية . . دون عوامل مصطنعة . . رغبةٌ نابعة من حاجة حقيقية . . فإنها لا يمكن أن تخضع لجدول زمني يعتاده الزوجان . . في مواعيد محددة . . .



يعلم أن ذلك . . خليق بأن يولد الرتابةَ . . والمللَ . . وأن يقضيَ على أي متعة منها . . .

٨٣ ـ بإدراكٍ واعٍ . . يعلم أن أيّ بادرة سواء كانت ماديةً . . شخصيّته . . مظهره . . رائحته . . ، أو نفسيةً : . . كلمة . . لفتة . . تجرح الشعور . . ؛ يمكنها أن تخنق العلاقة الخاصة بينهما . . وتسبّب فتورها . . وقد تقلب زواجاً ناجحاً . . إلىٰ زواج يغلب عليه طابع الفشل والانهيار . . يغلّفُ حياته بعاطفة جياشة . . فليس أسوأَ من زوجٍ يمارس علاقته الخاصة . . كما لو كان يؤدي دوراً . . يودّ لو ينتهي منه سريعاً . . .

إنه برودٌ عاطفي . . يتحول بعد فترة . . إلىٰ سمةٍ تغلب على العلاقة الزوجية كلها . . فتحوِّلها إلىٰ علاقة بلا دفء . . أو شعور . . .

٨٤ ـ إنَّ رغبته في إنجاح زواجه . . وتحقيق قدر من السعادة فيه . . يجعله يلاحظ أنَّ لكل شخص أخطاءه . . ونواقصه . . ، وأن طلب الكمال في أي شيء . . هو طلب مستحيل . . .

لا يتوقع من زوجته أن تستجيب لكل ما يريد . . وأن تفكر كما يريد . . وأن تنفذ كل ما يريد . . ، بل يدرك أنه لابد من توافر هامش بين شخصيته وشخصيتها . . ، حتىٰ يحدث التفاعل المطلوب في الحياة . . لابد أن تحتفظ بجانب من شخصيتها قبل الزواج . . وليس كل شيء يلزم منها تغييره . . إن بعض عاداتها يمكن أن تتغير . . وبعض سلوكها يمكن تهذيبه . . ما دام لديه إصرار علىٰ مواصلة الطريق في حياته الزوجية . . ، ولن يغير ما بها . . حتىٰ يغير ما بنفسه! . . فلا يعمىٰ عن قصور شخصيته . . ويلقي بالتبعة عليها . . بل يقوّمُ نفسه . . يعالجُ ما بها من أخطاء أو انحراف . . ، ثم بعد ذلك يعاونها في أن تحدث في نفسها مثل هذا التغيير . . بطريقةٍ لبقة . . وأسلوب حكيم . . .

٨٥ ـ الزوجانِ قد لا يتفقان علىٰ منهج واحد في التربية . . بسبب اختلاف



طبيعة الرجل عن المرأة . . ولكنه يتفق معها، على أن هناك مجالاتٍ تختلف باختلاف سن أبنائه وطبيعتهم، يكون هو رائد التربية فيها لهم . . ومجالاتٍ أخرىٰ تكون هي رائدةَ التربية فيها . . يحترم ويقدر مجالها . . ولا يتعدىٰ عليها فيه . . ، وإن أخطأت في مجالها . . يرشدها . . ويتعاون معها على الطريقة المثلى . . ولكن لا يخطِّئها أمام أطفالها . . ولا يجرحُها وينالُ من كرامتها . . ولا يختلفُ معها في الأسلوب الأمثل لحل مشاكلهم . . بحضورهم . . .

يدرك أن ذلك . . يؤدّي إلىٰ جرح عميق في نفوسهم . . يبقىٰ أثرُه مدىٰ الأيام . . ، مؤدياً إلىٰ كراهيتهم له . . وإلىٰ عقوقها . . واستهانتهم بها . . والتصغير من شأنها . . فلا تنتفع معهم بتربية أو تعليم . . .

٨٦ ـ يُراعي حقَّ زوجته في والديها وأقاربها . . فلا يذكر أحداً منهم بسوء . . لا يتحدث أمامها بمساويء أبيها أو أمها . . حتىٰ لا يوغر صدرها . . ويؤلم نفسها . . ويجلب النفرة والكراهية بينهما . . فإذا ما رأت منه ذلك . . بادلته الشعورَ نفسه . . فلا تذكر والديه بسوء . . يحفظ بذلك مشاعرَها . . وكرامتها . .

٨٧ ـ حياته كلُّها سعادة . . ليس في قاموسه . . شهرُ عسل . . يدرك أنّ ذلك إنما هو بدعة غريبة . . يتحقق بعملها قولُ الرسول ﷺ: **«لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتىٰ لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»** . . .

إنه شهر يرتكب فيه الزوجان آثاماً . . أشدُّها ضرراً . . وأخطرها . . السفرُ إلىٰ الخارج . . بحجة السياحة ومشاهدة الطبيعة . . حيث تضيعُ الأموال . . وترتكب المحظورات . . وتُشاهد العورات . . .

إنها قد تكون سعادة شهر واحد . . أو أيام . . ولكنها تعاسةٌ دائمة . . وبؤس مستمر . . لما تعود به . . من البلاء العاجل والآجل . . على الحياة الزوجية . . .

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] . . .

٨٨ ـ يلزم أسرته بدينها وعقيدتها . . يجعل كتاب الله ـ تعالىٰ ـ . . وسنة رسوله ﷺ نبراساً لحياتها . . حتىٰ تكون جديرةً بالبقاء والسعادة . . .

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]. . .

لا ينحـرف عن المنهج. . لا يميل عن الصراط المستقيم. . لا يدين لأخلاق الشرق والغرب. . إعجاباً وتقليداً وسلوكاً. . فلا يربي أهله وأبناءه عليها. . فيميل بهم عن الحق. . حينها لا يلومنَّ إلا نفسه. . .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]. . .

٨٩ - إذا أراد الزواج طالباً الاستقرار. . لا يُعرِض عن الزّواج من الثَّيِّبَة. . الأرملة أو المطلقة. . يدرك مدىٰ حاجتها. . إلىٰ رجل يكفيها حاجتها الفطرية والاجتماعية. . وقد تفوق الثيبُ غيرها. . وتكون أقربَ إلىٰ الكمال. . وأكثر نضجاً وتعقلاً وتفاهماً. . وسعياً لتكوين أسرة. . واستقرارها. . .

وقد بارك رسول الله ﷺ لجابر - رضي الله تعالىٰ عنه - زواجه من الثيب، بعد أن علم بحاجة جابر لذلك. . وقال له: «**بارك الله لك**» أو «**خيراً**». . بعد أن قال له: «**فَهَلا جاريةٌ تلاعبها وتلاعبك، وتُضَاحكها وتضاحكك**». . فلم ينهَهُ ولم ينكر عليه. . والرسول ﷺ. . لم يحث علىٰ الزواج بالبكر في كل زيجة تحصل. . وقد تزوج ﷺ تسعَ نساء كانت إحداهنّ بكراً فقط. . وأول زوجاته. . خديجة - رضي الله تعالىٰ عنها - وقد كانت ثيباً. . .

يدرك أن المرأة الثيب. . امرأةٌ لها كيانها وشخصيتها. . فهذه سكينة بنت الحسين تزوجها ابن عمها عبدالله بن الحسين الأكبر فقُتل. . ثم تزوجها مصعب أمير العراق. . ثم تزوجت بعده بغير واحد. . وهذه عائشة بنت طلحة بنت أم كلثوم أخت عائشة - رضي الله تعالىٰ عنها - تزوَّجها ابنُ خالها عبدالله بن عبدالرحمن. . ثم بعده أمير العراق مصعب. . ولما قُتل مصعب تزوجها عمر بن عبدالله التيمي. . ومن أمثال هؤلاء كثير. . من الصحابة ومن تبعهم - رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين -. . .

٩٠ ـ يتشاورُ. . ويتداول الرأيَ مع زوجته. . لا يجد غضاضة أو بأساً في ذلك. . يشاورها في شؤون البيت. . والأسرة. . والأطفال. . ومما لها به علم وخبرة. . ودراية وقدرة. . وصلة وعلاقة. . يستشيرُها في شؤون الدعوة الخاصة بالمرأة. . وما تحتاجه من الثقافة والكتب والدروس. . .

لا يستبدُّ برأيه. . أو يرىٰ عدم مشورة زوجته. . لا لشيءٍ إلاّ لأنها امرأة. . .

لما فرغ ﷺ من كتابة الصلح عندما أراد دخول مكة. . قال لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**»، فلم يقم رجل منهم، حتىٰ قالها ثلاث مرات. . فلما لم يقم منهم أحد. . دخل علىٰ أم سلمة زوجته ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ فذكر لها ما لقي من الناس. . فأشارت عليه أم سلمة قائلة: (يا رسول الله أتحب ذلك. . اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك). . فخرج فلم يكلم أحداً منهم. . حتىٰ فعل ذلك. . فلما رأىٰ المسلمون ما صنع النبي ﷺ. . قاموا عَجِلين ينحرون هديهم ويحلقون). . .

يُدْرِكُ أنه باستشارته لها. . يُشعرها بأهميتها لديه. . ومدىٰ ثقته فيها. . وعلوِّ مكانتها عنده. . وتقديره لآرائها. . يتوصَّل معها إلىٰ الرأي الصواب. . فتقلُّ الأخطاء. . يمرنها علىٰ دقة التفكير. . وحسن تدبير الأمور. . يشعرها بمسؤوليتها. . فتزيد من همتها. . وتنمي مواهبها. . .

٩١ ـ لا تدفعه مكانته. . أو قوامته. . للتكبر والمكابرة عن معاشرة زوجته بالحسنىٰ. . والتلطف معها. . إن وقع منها خطأ. . لا يجد حرجاً أن يبدأ هو بالإصلاح وطلبِ رضاها. . فيسعىٰ إلىٰ تقويم الخطأ بالحكمة. . ولا يتعجَّل الإضرار بزوجته. . بل يتسامحُ. . متذكراً ما لها من محاسن أخرىٰ. . «**لا يفرك (أي لا يبغض) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**». . وعند وقوع الخلاف. . يسارع بحلِّه وإنهائه. . قبل أن يستقرَّ في القلوب. . ويجدَ كلٌّ منهما علىٰ الآخر في نفسه. . ويتعقَّد الخلاف ويصعب زواله. . .

جاء أبوبكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ يستأذنُ علىٰ النبي ﷺ. . فسمع عائشةَ وهي

رافعـةٌ صـوتَهـا علىٰ رسـول الله ﷺ . . فـأذن لـه . . فـدخل فـقـال : (يا ابنة أم رومان) . . وتناولها . . (أترفعينَ صوتكِ علىٰ رسول الله ﷺ!) . . فحال النبي ﷺ بينه وبينها . . فلمّا خرجَ أبو بكر - رضي الله تعالىٰ عنه - جعل النبيُّ ﷺ يقول لها . . يترضاها . . «ألا ترينَ أنّي قد حلتُ بين الرجل وبينك» . . .

ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضاحكها . . فأذن له . . فدخل فقال له أبو بكر - رضي الله تعالىٰ عنه -: (يا رسولَ الله ، أشركاني في سلمكما ، كما أشركتماني في حربكما) . . .

٩٢ - يتلطف في استنكاره علىٰ زوجته . . يعتدل في المحاسبة وينصف . . ولا يجامل علىٰ حساب المنكر . . تقولُ عائشةُ - رضي الله تعالىٰ عنها -: (قدمَ رسولُ الله ﷺ من سفر ، وقد سترت بقرام (ستر فيه نقش) لي علىٰ سهوة (فتحة الجدار) لي فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال : «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**» . . قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين) . . .

ولا يرفض لها شيئاً تحبه ما دام أنه لا محذور فيه . . وفي استطاعته فعله . . .

يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالىٰ -: (كانت سيرته ﷺ مع أزواجه حسنَ المعاشرة وحسنَ الخلق ، وكان يسرِّب إلىٰ عائشة بنات الأنصار يلعبن معها ، وكان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه . .) . . .

٩٣ - لا يستحي من التودد إلىٰ زوجته والانبساط معها . . وإظهار الاهتمام بها . . حتىٰ ولو كان مع أقاربه أو أصدقائه . . في السفر وغيره . . لا يجد حرجاً في ذلك . . مقتدياً بحال الرسول ﷺ . . والصحابة - رضوانُ الله تعالىٰ عليهم - وهم خيرُ القرون مع نسائهم . . تقولُ عائشةُ - رضي الله تعالىٰ عنها -: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرعَ بين نسائه . . فطارت القرعةُ لعائشة وحفصة . . وكان النبيُّ ﷺ إذا كان بالليلِ سارَ مع عائشة يتحدث . .) .

٩٤ - قال ﷺ : «**تُنكَح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات**



الدين تربت يداك» . . .

يعلم أن ذات الدين، يكفيه من جمالها . . جمالُ روحها وقلبها . . يكفيه منها أن قلبها معلقٌ به . . وروحها لا تهفو إلاّ إليه . . سليمةٌ من نظرات غيره إليها . .

يكفيه من حَسَبِها وشرفِها . . ترفُّعُها في عِرْضها عن غيره . . تصونُ نفسها عن الفحشاء . . تصون قلبها وبصرها فلا تستمتع بغيره . . تصون لسانها وصوتها ومحاسنها أن يتمتع بها غيره . . .

يكفيه من مالها . . أمانتها ومحافظتها على ماله . . تصون نفسها عن الإسراف . . وكثرة الطلبات من غير حاجة . . .

فيدرك بيقين قلبه . . قولَ رسوله ﷺ . . : «**فاظفر بذاتِ الدِّين تربت يداك**» . . .

٩٥ ـ يدرك أنّ الغيرة خُلُق مركب في نفسية المرأة . . لا تقدر على دفعه . . وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء وهنّ الصحابيات ـ رضوان الله تعالى عليهن ـ . فضلاً عمن دونهنّ . . .

يقول **الطبريُّ** ـ رحمه الله تعالى ـ: (الغيرة مسامح للنساء فيها، ولا عقوبة عليهنّ في تلك الحالة لما جُبِلن عليه منها) . . .

وتقولُ عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (التمستُ رسول الله ﷺ، فأدخلتُ يدي في شَعره) فقال: «**قد جَاءك شَيطانك؟**» فقلت: (أما لك شيطان؟) فقال: «**بلَى، ولكنَّ الله أعَانني عليه فأسلم**» . . .

فيتلطف مع زوجته . . حتى عند استنكاره عليها . . كما فعل الرسول ﷺ . . حينما أرادت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن تتأكدَ من وجوده بجانبها، خشيةَ أن يكون قد ذهب إلى إحدى زوجاته . . مع أنه ﷺ . . أعدل من أن يحيف عليها في قَسْمِه لها . . وهذا من أسباب التودد . . وحسن العشرة . . .

قال **القاضي عياض** ـ رحمه الله تعالى ـ: (قد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته ﷺ لأهله ومباسطته إياهم، وكذلك عن السلف الصالح . . وقد كان الإمام مالك يقول في ذلك (أي في حسن العشرة) . . (فيه مرضاة لربك، ومحبة

في أهلك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك). . قال: وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ. . .

وكان مالك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من أحسن الناس خُلُقاً مع أهله وولده، وكان يحدث يقول. . يجبُ علىٰ الإنسان أن يتحبب إلىٰ أهل داره، حتىٰ يكون أحبَّ الناس إليهم). . .

٩٦ ـ يستقرئ حال زوجته. . يعرف أسباب رضاها. . وأسباب غضبها. . وإذا تمكن من ذلك. . فقد وطد أسس علاقته بها. . يسير معها في دروب آمنة. . يجنبها مسالكَ العسرِ ومواضعَ الزللِ والنكدِ. . متأسياً برسول الله ﷺ الذي كان دقيقَ العناية بمشاعر عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ حتىٰ صار يعلم رضاها من غضبها. . من مجرد كلامها وحلفها. . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ: (قال لي رسول الله ﷺ. . : «**إنّي لأعلمُ إذا كنت عنِّي راضيةً، وإذا كنت عَلَيَّ غضبىٰ**» فقلت: (ومن أين تعرف ذلك؟) فقال: «**أمَّا إذا كنت عنِّي راضية، فإنَّك تقولين: لاَ وربِّ محمد، وإذا كنت غضبىٰ قلت: لا وربِّ إبراهيم**»، فقالت: (أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك). . .

٩٧ ـ يعلم أن تحميل الزوجة مسؤولية نفقتها علىٰ نفسها. . وتحميلَها تأمينَ دخل لها تلبي به حاجاتها المستمرّة. . يُشكل قيداً قاسياً يأخذ من طاقتها وجهدها وعافيتها. . يأخذ من وقتها وعمرها. . .

﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾. . .

يقول **القرطبي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾. . ابتداءٌ وخَبَر. . أي يقومون بالنفقة عليهنّ والذَّبِّ عنهنّ). . ويقول **الرازي** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (القوّام. . إسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر. . يقال. . هذا قيّم المرأة وقوّامها. . للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها). . إن أعزّ نعمتين هما نعمة

الأمن ونعمة الرزق.. وهما النعمتان اللتان امتنّ الله ـ تعالىٰ ـ بهما علىٰ قريش.. ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝﴾ [قريش: ٣ـ٤]...

فيُدرك أن الزوجة التي تحرم من الحماية والأمن، مقيدة بالخوف والقلق وعدم الاستقرار.. وأن قوامته عليها.. تلزمه.. بأن يحميها من الخوف.. ومن الجوع.. ليوفر لها حياةً تمارس فيها رسالتها.. التي خلقت لها.. وفُطرت عليها.. في راحةٍ واطمئنان.. **«خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروف»** يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (فيه دليلٌ علىٰ تفرّد الأب بنفقة أولاده، ولا تشاركه فيه الأم.. وهذا إجماعٌ من العلماء إلا قولٌ شاذٌ لا يُلتفت إليه)...

٩٨ ـ يسمع عن.. أنصافِ الرجال.. مَن يُحمِّلون زوجاتهم مسؤولياتٍ جديدة.. وأعباءً إضافية، هي من أعبائهم ومسؤولياتهم.. إنهم رجال.. ولكنهم لا يقومون بما يجب أن يقوموا به من أعمال.. ولا يحملون ما ينبغي أن يحملوه من مسؤوليات.. يتركون المرأةَ وحدها، تواجه مصاعبَ جديدة.. تقلّلُ من وقت راحتها.. ومن اهتمامها ببيتها وأطفالها...

إنَّهم يهربونَ من الإنفاق.. بل ربَّما أخذوا نفقتهم من زوجاتهم.. علىٰ ما عندهم.. لينفقوا علىٰ أنفسهم.. وأحياناً علىٰ ملذّاتهم...

منهم من يتحمل مسؤولية الإنفاق.. لكنه لا يحمل واجباتِ تربية الأبناء.. وتأمينِ حاجاتهم.. ومتابعةِ أمورهم.. والاهتمامِ بالزوجة وبحاجاتها.. ويترك ذلك كله علىٰ زوجته.. مع أنّه يدخل ضمن واجباته...

إنه يلتزمُ بما ألزمه الله ـ تعالىٰ ـ به.. يتحمل مسؤولياته كاملة.. مسؤولية الإنفاق.. مسؤولية الحماية.. مسؤولية الرعاية.. مسؤولية التوجيه والإرشاد...

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]...

٩٩ ـ المرأة ضعيفةٌ بطبيعتها.. لا تكاد تقي نفسها.. تحتاجُ إلىٰ من يحميها..

يدفع عنها الأذىٰ . . وبما أنّ السفر مَظِنَّةٌ لبعض الشر . . فإنه يدرك أن سفر زوجته من غير محرم . . قد يعرِّضها للخلوة بالرجال . . ومحادثتهم . . والتي هي من وسائل الشر . . ولو كان معها محرم لكفاها . . يدرك أن المرأة مظنة الطمع فيها . . ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس من لا يترفع عن منكر . . لغلبة الشهوة وقلة الدين . . وقلة المروءة والحياء . . فيحذر من التساهل في ذلك . . لا يدع زوجته تسافرُ دونَ محرم . . ليستقبلها هو في البلد الآخر . . أو أحد محارمها . . فربما لا تستطيع إكمال الرحلة . . لخللٍ ما . . فتضطرُّ إلىٰ الانتظار في بلدة أخرىٰ . . أو يحصل لها من الأذىٰ والمشقة ما تحتاجُ فيها إلىٰ من يعينها . . فمن لها؟! . . .

قال ﷺ : **«لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تُسافر المرأةُ إلا مع ذي محرم»** فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إن امرأتي خرجت حاجّةً ، وإنّي كنت في غزوة كذا وكذا . . قال : **«انطلقْ فحجّ مع امرأتك»** . . .

١٠٠ ـ قد يَحْدُثُ . . ويكتشف . . أن زوجته تنفر من العلاقة الخاصة بينهما . . ولكنه لا يشعر بخيبة أمل . . أو حَنَقٍ أو غضب . . ولا أنّ عدم تجاوبها يعني أنها لا تحبه . . .

بحكمته . . وصبره . . وحبه . . يكونُ سلوكهُ الحقيقيُّ للتغلب علىٰ هذه المشاعر الباردة لدىٰ زوجته . . مدركاً . . أنَّ القلق والجزع يضاعفان المشكلة . .

يبحثُ عن الأسباب التي أدَّت إلىٰ مثل هذا البرود والنفور . . قد تكون : أنانيَّتهُ الجامحة . . صدمةٌ عصبية . . شعورٌ بخيبة الأمل في شخصيته . . إهمالهُ لمظهره ونظافته . . تعبهُ المستمر . . قسوتهُ . . استغلالهُ الخاطيء للعلاقة . . كلمةٌ ساخرة عابرة أثناءها . . عدمُ الاطمئنان لتوفر العزلة والخلوة السرية التامة بينهما . . الخوفُ من أي شيء قد يزعجهما . . ، إنّ الحياة الزوجية . . تَطَلَّبُ نوعاً من الصراحة والتفاهم . . والبحث عن الأخطاء . . وتحقيق التوافق والانسجام . . فهما الأقدر علىٰ استنباط النهج الأمثل الذي يمكنهما من التمتع . . وعلىٰ قدر

توفيقهما. . أو إخفاقهما. . في دراسة هذه الأمور واكتشافها. . وحلها. . يكون نجاحُ الزواج. . أو فشله. . .

١٠١ ـ الأنانيةُ. . عدمُ الثقة بالنفس. . الخوفُ من تحمل المسؤولية. . يجعله يسارع إلىٰ الطَّلاق، معتقداً أنَّ زوجته سببُ بؤسه وشقائه. . وأنّ سعادته تبدأ. . يومَ الانفصال عنها. . إن قطعَ حبلِ الزوجية لن يُشفي هذه الأمور الكائنة في شخصيتهِ. . أو شخصيتِهَا. . بل إنّها سترافقهما في أيِّ زواج آخر. . بسبب الإغفال والتقصير في الكشف عنها. . وعلاجها. . .

أمورٌ تافهة تؤدي إلىٰ كثرة المشاحنات. . توتُّر مستمر. . بحيث لا يستطيع التقاطَ أنفاسه. . ومراجعةَ ذاته. . إلىٰ أن يجد نفسه أمام واقع. . قد يدعوه بإلحاح إلىٰ الانفصال. . ظناً منه أنه سيحقق السعادة المفقودة. . .

إنّ الطلاقَ ليس سهلاً عليه. . ولا علىٰ زوجته. . إنّ وقعه شديد عليها. . يزلزلُ كيانَها، حتىٰ لو كانت هي التي تطلبه. . قد تصابُ بصدمة عصبية. . تَشعر بالوحدة واليأس. . مسؤوليةٌ ألقيتْ فجأةً علىٰ عاتقها. . نفسها وأطفالها. . فضلاً عن وقوعها في دائرة الشك بها. . والحرص عليها. . لأدنىٰ تصرف تقدم عليه. . مما يجعلها متهمةً بلا جريمة. . ويشعرها بالمرارة والحسرة. . الحزن والألم. . فيدرك. . أن تأثيرَ الانفصال عليها يبلغ أضعاف ما يتحمله هو. . .

يفكر في ذلك كله، وكيف أنه قد أخذها بأمانة الله ـ تعالىٰ ـ. . وأخذت منه ميثاقاً غليظاً. . وأفضىٰ إليها وأفضت إليه. . .

يُفكر في أطفاله. . الّذين هم بحاجةٍ إلىٰ سند قويٍّ. . يُساعدُهم علىٰ نموِّهم الوجدانيّ والاجتماعيّ. . ويُشعرهم بالأمان والاستقرار. . .

يفكر في الانفصال. . الذي يبدأ عَمَله بطريقةٍ خفيّة في أذهانهم. . ليعيشوا انعكاساته بعد ذلك. . انحرافٌ واضطراب. . اتجاهاتٌ سلوكية خاطئة وشاذة. . تعوق توافقهم الاجتماعي. . وتعرّضهم لألوان جديدة من الحرمان والإحباط. . ، ينظر إلىٰ ذلك كله. . يدرسه بجدية. . مما يجعله يفكر. . ألف

مرة . . قبل اتخاذ القرار الأخير . .

١٠٢ ـ يعلم عظَمَ أجر الصدقة . . وكبير فضلها . . ينفق في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . لا يخاف فقراً أو قلة ، لإدراكه أنّ الله ـ تعالىٰ ـ يبارك في ماله ويضاعف له . .

ويدرك عند إنفاقه قول الرسول ﷺ : **«إنَّما الصدقة عن ظهر غنىٰ»** . . .

فيراعي حالته وحال أهله . . ومدىٰ صبرهم وصبره . . علىٰ التصدقِ بأكثر ماله . . أو بماله كله . . ، بحيث لا يؤثر ذلك فيهم . . فيفتنهم في دينهم أو دينه . .

يقول كعبُ بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ (قلت . . يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي ، صدقة إلىٰ الله وإلىٰ رسوله) . . قال : **«امسكْ عليك بعض مالك ، فهو خير لك»** . . قلت : (فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر) . . .

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ : (أمرنا رسولُ الله ﷺ يوماً أن نتصدَّق فوافقَ ذلك مالاً عندي فقلت : اليومَ أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي . . فقال رسول الله ﷺ : **«ما أبقيت لأهلك؟»** . . فقلت : (مثله) . . فأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده ، فقال رسول الله ﷺ : **«ما أبقيتَ لأهلك؟»** قال : (أبقيت لهم الله ورسوله) . . .

يقول الإمام الخطابي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : (ولم يُنكر ﷺ علىٰ أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ خروجه من ماله أجمع ، لما علمه من صحة نيته وقوة يقينه ، ولم يخف عليه الفتنة) . . ويقول الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : (قال الجمهور : مَن تصدَّقَ بماله كله في صحة بدنه وعقله حيث لا دَين له ، وكان صبوراً علىٰ الإضاقة ، ولا عيال له أو له عيال يصبرون أيضاً ، فهو جائز ، فإن فقد شيئاً من هذه الشروط كره) . . .

وقد ذكر **الإمام البخاري** في صحيحه . . باب . . لا صدقةَ إلاّ عن ظهر غنىٰ ، إلاّ أن يكون معروفاً ، بالصبر ، فيؤثر علىٰ نفسه ، ولو كان به خصاصة ، كفعل أبي بكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ حين تصدق بماله ، وكذلك آثر الأنصار المهاجرين . . .

١٠٣ ـ يوازنُ بين طلبه للعلمَ . . وبين حقوقِ أهله وأبنائه . . علىٰ قدرِ



استطاعته . . إنه يدركُ أنه إذا لم يوازن بين الحقوقَ المختلفة . . يضعفُ عن إكمال مسيرته . . فينقطعُ عن الخير والأجر . . .

فنساءُ زمانه ليس كنساء السلف . . ومعيشتهنَّ ليست كمعيشة السَّابقين . . ومع ذلك . . يقول سفيان بن عيينة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (لا تدخلُ هذه المحابرُ بيتَ رجل إلا أشقىٰ أهلهَ وولَدَه) . . .

وتقول بنتُ أخت الزبير بن بكار لزوجته : (خالي خيرُ رجلٍ لأهله ، لا يتخذ ضَرّةً ولا سرّيه) فقالت زوجته : (والله هذه الكتبُ أشدُّ عليّ من ثلاثِ ضرائر) . . .

١٠٤ ـ الأعداء أدركوا . . أنّ انهيار الأسرة المسلمة ، معناه انهيار المجتمع الإسلامي . . فمتىٰ كثرتِ المشاكلُ في بيت مسلم . . فلا يُنتظر أن يتخرجَ منه جيل صالح . . .

وأدرك هو ذلك الأمر . . وعرف ما تسببه نارُ المنازعة من تصدع . . وتقطع . . وانهيار . . ، إن دينه بحاجة إلىٰ الشاب الصالح . . والفتاة المؤمنة . . ، يتربَّيان في بيتٍ ترفرف عليه السعادةُ . . لا الفراق والشقاق . . ، بيتٍ ينشأُ فيه الأبناءُ في جوٍّ نفسيٍّ رائع . . ، بعيداً عن التوتر والقلق . . ، أسرته المستقرة . . وبيته الآمن . . يتخرج منه الدعاةُ والمصلحون . . والأمهاتُ الصالحات . . الذين يُعِدُّون لحمل رسالة الإسلام . . .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] . .

١٠٥ ـ بيته . . بيت يسوده عطفُ الأب . . وحنانُ الأمِّ . . والتفاهمُ بينهما والاحترام . . بيتٌ قادر علىٰ أن يعوِّض الطفل عن كثير من الأسىٰ والحرمان . . ويجنِّبه العديدَ من المزالق . . إنّ الأبوّة مسؤولية كبيرة . . والحبُّ والعطف قادران علىٰ فعل المعجزات . . في التّوجيه الحسن . . والتربية الصحيحة . . .

لا يعملُ طوالَ نهاره وليله . . لا يسافرُ كثيراً . . تاركاً البيت لأمٍّ قد لا تستطيع

في كثير من الأحوال أن تؤدِّيَ دورَ أبٍ غائب . . .

إنه يعلم أنّ ذلك لا يفـقـده دوره في الأسـرة فحسب . . إنما يفـقـده هيبتـه وكرامته، . . وعائلة مفككة . . أسرة يسودها الخصام . . أب قاسٍ . . يفشل في السيطرة على انفعالاته وثورته أمام أطفاله . . لا يستوعبُ حاجاتهم النفسية . . في مراحل عمرهم المختلفة . . مما ينعكسُ على سلوكهم . . وشخصيتّهم . . فَيَشِبُّون وهم يعانون من عقد نفسية . . لا يجدونَ لهم مأوىً ولا نصيراً . . إلا الانطواءَ . . والعـزلة . . والسقوطَ في هاوية الانحراف النفسي . . والخُلقيّ . . ومعاناة قسوةِ الوحدة والحرمان . . والسَّقم والاعتلال . . .

إنه يسعى دائماً وبكل وسيلة . . لكي ينعم أطفالهُ بالحبّ والحنان والطمأنينة . . والاهتـمـام . . مدركـاً أنه لن يسـتطيع أحـدٌ غيـرهُ تزويدَ أطفـاله بذلك الغـذاء الوجدانيّ . . الذي لا غنى عنه لصحتهم . . النفسية . . والجسدية . . والخلقية . . والاجتماعية . . .

١٠٦ ـ قـويُّ الإيمان . . قد يبتليـه الله ـ تعـالى ـ بعـدم الإنجاب . . أو بأطفـالٍ معوَّقين . . يحتسبُ ويصبر . . ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] . . يرضى بقضاء الله ـ تعالى ـ . . فلعلّ الله تعالى أراد به خيراً . . وأنه ـ سبحانه ـ إذا أحبّ عبداً ابتلاه . . موقن أن صبره واحتسابه خير له . . سعادة وانشراح في الدنيا . . وفي الآخرة جنةٌ ورضوان من الله ـ تعالى ـ أكبر . . .

إنّ ربه ـ سبـحانه ـ أعلمُ بالحكمة . . وأعـرفُ بالمصلحـة فهـو مطمئنٌ لعـدله وحكمـتـه . . فلا يتـألم إذا رُزِقَ بالبنات . . أو يتذمرّ . . أو يلومُ زوجتـه وينفر منهـا . . لأنه يعلمُ أنّ أمـر الولد ليس مـوكـولاً إليـهـا . . ولا إلى أحـدٍ من المخلوقين . . بل هو تقـديرُ العـزيز العليم . . ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠] . . يعلمُ الثواب العظيم الذي أعده الله ـ تعالى ـ لمن رزقه البنات، فصبر عليهنّ وأحسن تربيتـهنَّ وفاضت نفسه بالحنان عليهنّ . . «من كان له ثلاث بناتٍ، فصبر عليهنَّ

وأطعمهنّ وسقاهنّ وكساهنّ من جدته، كن له حجاباً من النّار يوم القيامة». . .

١٠٧ ـ بيته. . ليس مكانَ نوم له ولزوجته. . يقضيانِ طوال النهار في عمل متّصل. . حتىٰ إذا ما عادا إلىٰ البيت كانا منهكَي الجسد. . ليس أمامَهما سوىٰ الخلود إلىٰ الراحة. . ليتكرّر الشيءُ نفسه في الأيام التالية. .

فيجدُ زوجته قد فقدت الكثيرَ من أنوثتها ورقتها. . فقد تعوّدت علىٰ الحياة الصعبة. . حينما تمضي في معاناةٍ مع المواصلاتِ. . والعمل. . والالتزامات. . ، فلا يجد لهفَة الزوجة. . واهتمامها. . وشوقها. . عند عودته من عمله مرهقاً. . بحاجة إلىٰ كلمة طيبة. . ولمسة حانية. . تزيل عنه عناء العمل ومتاعبه. . مما قد يؤدي إلىٰ مشاكل كثيرة. . تصل بالحياة الزوجية إلىٰ حافة الانهيار. . .

وضعٌ شاذ. . ويكون الأبناء هم الضحية. . فكلاهما مشغول. . لا يعلمان من أمر أبنائهما شيئاً. . لا يجدان الوقت والطاقة التي تمكنهما من التحدث معهم. . ومناقشة ما يجول في نفوسهم. . إنه اليتم الحقيقي. . .

ينحرف الابن أو الابنة. . مع قرناء السوء. . يجلبانِ معهما مِن وإلىٰ المدرسة ما يفسد أخلاقهم. . ويسيء إلىٰ سمعتهم. . والأب والأمّ في وادٍ آخر. . لا يفيقان. . إلا بعد فوات الأوان. . .

وبين ذلك. . يضيع الأبناء. . فلم يعد أمامهم مثلٌ أعلىٰ أو قدوة. . لم يعرفوا موجهاً ومرشداً يلوذون به. . يشعرون برعايته وحمايته. . .

إنها سلبيات. . لا يتغاضىٰ عنها. . ويجبر زوجته علىٰ العمل. . أو يحثُّها عليه. . أو يحبذه لها. . إلا تحت أقسىٰ الظروف. . وعند الحاجة الضرورية لها. . ولعملها. . ومساعدتها لأخواتها المسلمات. . وعلىٰ أساس التفاهم بينهما. . بحيث يكون هناك حد أدنىٰ لاهتمامها ببيتها. . فإذا تجاوزته. . يكون الاقتناعُ بالعودة إلىٰ المنزل. . والملاذ الآمن لها ولأطفالها. . والسبيل للحفاظ علىٰ الاستقرار. . والبعد عن الانهيار. . .

١٠٨ ـ يتـحـدثُ مع أطفـاله . . ويُصغي إليـهم إذا تحـدثوا . . يجـيب على أسئلتـهم ، إذا هم سألوا . . لا يكذّبهم إذا تكلموا . . ولا ينهرهم ويُسكِّتهُمُ إذا أخبروا . . .

يُشْعرهم بأهمية حديثهم . . يظهر لهم الإعجابَ وحسنَ المتابعة . . بل يستثيرُهم ليتكلموا . . ويستشيرهم في بعض الأمور فيقوّي عقولهم . . ويستخرجُ ما لديهم من أفكار . . ويعوّدهم على الإبداع والابتكار . . معيناً لهم على التعبير عنها . . .

يعودهم على الحوار الهادىء . . والمناقشة الحرة . . مبتعداً عن كل ما يشعرهم باحتقارهم وازدرائهم فيولدُ الخوفَ في نفوسهم . . ويورثهم الترددَ . . والذلةَ . . والمهانةَ . . والخجلَ . . وفقدانَ الثقة بالنفس . . .

فينشأ أبناؤه أحراراً كرماء . . لهم حضورُهم المتميز . . ولآرائهم صدىً في النفوس مكتسبين الثقةَ بالنفس . . والجرأةَ والشجاعةَ الأدبية . . فتمتلىء قلوبُهم بالسعادة والطمأنينة . . والقوة . . والاعتبار . . .

١٠٩ ـ يكرم ابنته . . بعد تربيتها . . وتهذيبها . . فيتحرَّى الرجلَ الصالحَ . . لزواجها . . لا يتهاونُ في اختيار الزوج المناسب . . .

فإنّ الرجل في استطاعته إذا ما أساء الاختيار . . أن يستبدل زوجته بأخرى . . وليس ذلك في استطاعة المرأة إلا بشقِّ الأنفس . . وخسارتها أشد وأخطر . . يبحث لابنته عن الزوج الكريم . . الذي يُملّكُهُ إيّاها . ويأتمنه على معاشرتها . . وعِرْضها . . ، الزّوج الذي يحسن القِوامةَ عليها . . يُراقب الله ـ تعالى ـ في معاملتها . . .

جاء رجلٌ إلى الحسن ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال : (خطب ابنتي جماعةٌ فمن أزوِّجها؟) . . .

فقال له : (زَوِّجها لمن يَتَّقي الله ـ تعالى ـ ، فإنه إن أحبَّها أكرمها ، وإن أبغضها لا



يظلمها) . . .

١١٠ ـ يُيسِّرُ المهر لبناته . . ولا يُعسّر على أزواجهنّ . . فتنغلقُ بذلك الأبوابُ أمام الشباب بغلاء المهور . . فينحرفوا إلى طريق المحرَّمات . . في زمن التلفاز . . والصُّور الخليعةِ . . والأفلام المثيرة . . والنّساء المتبرِّجات في الطرقات والأسواق . .

يُدرك أنّ سعادة ابنته . . وحلولَ البركة في زواجها ، يكون بتيسير مهرها وتكاليف زواجها . . **«إنّ أعظمَ النكاح بركةً أيسره مؤونةً»** . . .

يقول أبو سلمة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : سُئلت عائشةُ ـ رضي الله تعالى عنها ـ كم كان صداقُ رسول الله ﷺ؟ قالت : (كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقيةً ونشان . . قالت : (أتدري ما النش؟) قلت : لا . . قالت : (نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم) . . .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ : (لا تُغلوا في صداق النساء ، فإنّها لو كانت مكرمةً في الدنيا أو تقوى في الآخرة ، كان أولاكم بها رسول الله ﷺ) . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ : (فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هنّ خير خلق الله في كل فضيلة ، وهنّ أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهل أحمق . . وكذلك صداق أمهات المؤمنين . . وهذا مع القدرة واليسار . . فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يُصْدِقَ المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة) . . .

١١١ ـ اكتشف أنّه يعامل أطفاله كأنهم مخلوقاتٌ بلا أحاسيس . . وسيلتُهُ الوحيدة لإرضائهم . . الحلوى واللَّعب . . وأدرك أنَّ الحقيقةَ غيرُ ذلك تماماً . . إن أطفاله ينفعلون . . يتألمون . . يبتهجون . . وأنه حيْن يحرم طفله من اللعبة يبكي . . ولكنه حين يُحرم من الحُبّ . . فإنه يكبت ويتألم . . .

إنه الآن يجلس مع أطفاله . . يعوِّضهم . . يشاركهم فيما يفعلون . . يهتمُّ

بالحوار معهم . . حوار يتبادل فيه الأفكار . . والعواطف . . .

أدرك أنّ طفله يحتاج إلى تركيز . . وأن يكون محور الاهتمام . . لأنّه لا يحبُّ الوحدة . . أو أن يعيش على هامش الحياة . . فشاركه اهتماماته . . مشاركةً جادة صادقة . . شاركه همومهَ ومشاكله . . وأشركه معه في قَدْرٍ من اهتماماته هو . . فيشعر أنه مع أبيه . . وأنّ أباه معه . . يشعرُ بدفء الحب . . والاطمئنان . . بالسعادة والبهجة . . فيجد بأنّ الحياة لها معنى . . حينما يشعر بأنّ هناك معنى لوجوده مع أسرته . . ولوجود أسرته معه . . .

١١٢ ـ داعيةٌ إلى الله ـ تعالى ـ . يرشدُ الناس ويوجههم . . ولكنه لا ينسى بيته من نشر الخير فيه . . يحكمُ بيته . وأهلَ بيته . . بحكم الله ـ تعالى ـ . . لا يتساهل في أيِّ أمرٍ يؤدِّي إلى الإثم وغضب الله ـ تعالى ـ . . لا يُطيعهم في منكر . . ولا يتغاضى عنه . . أو يسكت عليه . . يخافُ من سؤال الله ـ تعالى ـ له . . ويُحبُّ السعادة والنجاةَ لأهله وأبنائه . . .

لا يترك أهل بيته يفعلون ما يريدون دون وازع أو رادع . . فينفّر الناس منه ومن دعوته . . أو يكون سبباً في تأسِّيهم به ، وبأهل بيته في المنكر بحجة سكوته ورضاه به . . فيحمل أوزاراً مع أوزاره . . ويفسد على الناس دينهم . . مع ما يجده في الآخرَة على ما فرَّط في دعوة أهل بيته . . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] . . .

ينعم أهله برؤيته والجلوس معه . . يُعلِّمهم أحكام دينهم . . يهتم بهم . . يأمرهم وينهاهم . يتفقد أحوالهم ليعلم ما يقع منهم . . فيوجههم ويرشدهم . . بالحب واللطف واللين . . .

١١٣ ـ يدرك تماماً ما للمنازعات الزوجية . . والطلاق ـ دون أسباب قوية ـ . . من أثر عظيم على نفسية أطفاله . . ، الصراخ المستمر . المشاجرات الدائمة . . تؤدي بهم إلى انتهاز الفرص للتفلت من كل سلطة أبوية . . فيتعرضوا للمفاسد والشرور والشذوذ . . .



وإن تمَّ الطلاقُ . . عاشوا مع زوج أمٍّ أو زوجة أب . . قد . . لا يحملان لهم كثيراً من الحب والاهتمام . . وربما عانوا من أمٍّ سيئةِ المزاج باستمرار بسبب صدمتها العاطفية لانفصالها عن زوجها . . بحيث تعجز عن مساعدة أطفالها وتوجيههم . . .

وكم يتألمُ الصغيرُ إذا انفصل عن أمه أو عن أبيه . . أو أُرغم على الانفصال عن أخ أو أخت يتعلّق بها أو به . . إذا ما تقاسمهما الأبوان . . .

مع ما يلاقونه من صعوبةِ تعلُّمِهِم ودراستهم . . ومتاعب جسيمة عند بلوغهم . . حين لا يجدوا أماً أو أباً يعطيهم كفايتهم من الحب والاهتمام . . .

١١٤ ـ عينُهُ الواعية . . تلحظ عند تربيته لأبنائه . . الكتاب . . والمجلةَ . . والهوايةَ . . ووسائلَ الإعلام . . والمدرسةَ . . والرفيقَ . . وكلَّ ما له تأثير في تكوين شخصيَّاتهم . . وتربيةِ عقولهم . . ونفوسهم . . وعقيدتهم . . .

يتدخل عند اللزوم سلباً أو إيجاباً . . فيردُّهم إلى الحقِّ برفق . . وحكمة . . وحزم . يسدِّدهم إلى الصواب بلباقة . . وإقناع . . وجدٍّ . . .

الكتاب الذي يطالعه ابنه مفتِّحٌ لذهنه . . مكونٌ لنفسه على مكارم الأخلاق . . مزودٌ شخصيته بالمثل العليا . . ، وليس مغتالاً لعقله . . مفسداً لفطرته . . مطفئاً جذوة الخير في نفسه . . ، الهواية منميةٌ لجوانب الخير لا جوانب الشر . . مشعلةٌ لأنوار الحق في قلبه لا جمرات الباطل . . مربيةٌ فيه الذوق السليم لا الذوق السقيم . . .

الرفيقُ قائد إلى الجنة وليس إلى النار . . مرشدٌ إلى الحق لا إلى الباطل . . هادٍ إلى الرشد والتسامي والنجاح والبر . . لا إلى الغيِّ والهبوط والخيبة والعقوق . . ومن هنا . . تبرز مسؤوليته . . في صياغة عقول أبنائه . . وتكوين شخصياتهم . . وتربية نفوسهم . . بملاحظةِ كلِّ ما يمكن أن يؤثر عليهم . . فيرقى بهم . . أو يهوي بهم في مكان سحيق . . .

١١٥ ـ يعدل بين أبنائه . . يسوِّي بينهم . . لا يُفَضِّلُ أحدهم على الآخر في

الأمور كلها. . في هبةٍ أو نفقة أو معاملة. . فينشأ أبناؤه صحيحي النّفس. . بريئين من عقد النقص. . لا يحقدُ بعضُهم على بعض. . لا تأكلُ قلوبَهم الغيرةُ والحسد. . بل يشيعُ فيهم الرضا والتسامحُ والإيثار والبر وحبّ الغَير. . وتلهجُ ألسنتهم جميعاً بالدعاء له. . وتمتليءُ قلوبهم بمحبته. . وتعمر نفوسهم ببره. .

يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: (أنّ رجلاً كان عند النبي ﷺ. . فجاء ابن له فقبّله، وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه. . فقال رسول الله ﷺ: **«ألا سوَّيت بينهم»**. . .

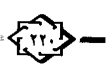
وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن أباه أتى النبي ﷺ فقال: (إنّي نحلت ابني هذا غلاماً كان لي). . فقال: **«يا بشر ألك ولد سوى هذا؟»** قال: نعم. . قال: **«أكلّهم وهبتَ له مثل هذا؟»**. . قال: لا. . قال: **«فلا تشهدني إذاً، فإنّي لا أشهد على جور»**. . ثم قال: **«أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟»**. . قال: بلى. . قال: **«فلا إذاً»**. . .

١١٦ ـ يشعر أطفالَهُ بالرحمةِ والحنانِ. . فتعمر قلوبَهم الثقةُ. . ويشيع في نفوسهم الصفاءُ. . .

يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «ما رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ. . قال. . كان إبراهيم مُسترضعاً له في عوالي المدينة. . فكان ينطلق ونحن معه. . فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجع». .

جاءه يوماً أعرابيٌّ فقال: (أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم) فقال النبي ﷺ: **«أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**. . .

يهتمّ بأبنائه. . يهشُّ لهم. . ويرحب بهم. . يشعرهم بمكانتهم لديه. . كلٌّ على حَسَبِ سنِّه. . تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (أنّ فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ كانت إذا دخلت على النبي ﷺ، قام إليها فرحب بها وقبلها وأجلسها في مجلسه. . ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فرحبت به وقبلته وأجلسته مجلسها. . ، وأنها دخلت عليه في مرضه الذي تُوفِّي فيه فرحَّب بها



وقبلها) . . .

لا يملك إزاءَ هدي الرسول ﷺ . . أن يكون متجهماً مع أطفاله . . جافاً في معاملتهم . . فظاً في مخاطبتهم . . حتىٰ لو كان في طبعه جُفاء . . وفي خلقه جَفاف . . لأن هدي النبي ﷺ . . يرقق القلبَ . . ويفجر ينابيعَ الحنان . . ويذكي الحب . . فإذا الأطفال . . قطعٌ من القلب . . تسعىٰ على الأرض . . .

١١٧ ـ قد تقسو الأيام . . ويخشن العيش . . ويستحكم الفقر . . لا يتذمر من ثقل التبعات . . وفداحة الأعباء . . فإنّ الله ـ تعالىٰ ـ أعدّ لعاطفة الأب الفطرية . . ثواباً عظيماً . . تهون أمامه التضحياتُ . . وينسىٰ معه البؤس والفقر . . .

تقول أم سلمة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ (قلت : يا رسول الله . . هل لي أجر في بني سلمة أن أنفق عليهم ، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا؟ إنما هم بني) فقال ﷺ : **«نعم ، لك أجر ما أنفقت عليهم»** . . .

ويقول ﷺ : **«إذا أنفق الرجل علىٰ أهله نفقةً يحتسبها ، فهي له صدقة»** . . جاعلاً النفقة علىٰ الأهل والعيال أفضلَ وجوهِ النفقة وأعظمها أجراً . . **«دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به علىٰ مسكين ، ودينار أنفقته علىٰ أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته علىٰ أهلك»** . .

فتطيب نفسه وترتاح . . وتسعد بالنفقة علىٰ أطفاله وأهله . . لا يتخلىٰ عنهم . . ويجعلهم في فاقةٍ وعسر وضياع . . وهو يسمع قول الرسول ﷺ يحذر الرجال الذين يتخلّون عن مسؤولياتهم . . **«كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت!»** . . .

١١٨ ـ يدرك مسؤوليته الكبرىٰ إزاء أطفاله . . وتربيتهم تربية إسلامية دقيقة . . وتنشئتهم التنشئة الصالحة . . **«كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته»** . .

يسمع قولَ الرسول ﷺ : **«مُروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين ،**

واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» . . فلا يجد إلا أن يأمر أطفاله بالصلاة حين يبلغون السابعة . . ولا ينظر إليهم . . أنهم مازالوا صغاراً . . فإن الخير كلّ الخير . . في هدي الرسول ﷺ . . لا يقصِّر في ذلك ولا يفرِّط . . بالترغيب والكلمة الودود . . والرفق واللين ، . . حتىٰ إذا ما بلغوا العاشرة تعوَّدوا عليها . . وصارت سهلة ميسرة . . لا يجدون لها ثقلاً أو كرهاً . . .

يحرص علىٰ ربط أبنائه بالقرناء الصالحين . . ويحذرهم ويبعدهم عن قرناء السوء . . يشجعهم علىٰ الالتحاق بحلق القرآن . . ومجالس العلم . . يتعرف علىٰ أصدقائهم . . ويحثهم علىٰ مصادقة الأخيار منهم . . الذين تستمر صحبتهم إلىٰ يوم الدين . . ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] . . .

يراعي مشاغلهم . . ويقدر ظروفهم . . ويعذرهم إن حصل منهم تقصير . . يعطيهم . . ويحقّق مطالبهم . . لا يكون دائمَ الرفضِ لحاجاتهم . . مما يفسد أخلاقهم . . ويُلجئهم إلىٰ النظر إلىٰ غيرهم . . ومدِّ أيديهم لما ليس لهم . . .

مدركاً أن الله ـ تعالىٰ ـ . سيسأله يوم القيامة عنهم . . وعن تفريطه وتقصيره معهم . .

١١٩ ـ يدرك نفسيات أطفاله . . يتوغل في عوالمها الصافية البريئة . . يتحبَّب إليهم . . يدنو منهم . . يلاعبهم . . ويمازحهم . . لا يشعر أبداً أن تبسطه معهم ومخالطته إيّاهم . . قد يُخِلّ بأبوته وسلطته في أعينهم . . أو يحط من مقامه في نظرهم . . .

إنه أسلوبٌ تربويٌّ . . دعا إليه الرسول ﷺ بقوله وفعله . . .

يقول جابر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (دخلتُ علىٰ النبي ﷺ وهو يمشي علىٰ أربعة ، وعلىٰ ظهره الحسن والحسين ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ وهو يقول : **«نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما»** . .

ويقول : (كنّا مع رسول الله ﷺ ، فدُعينا إلىٰ طعام ، فإذا الحسين ـ رضي الله

تعالىٰ عنه ـ يلعب في الطريق مع صبيان . . فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه . . فجعل الغلام يفرّ من هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ . . فجعل إحدىٰ يديه في ذقنه ، والأخرىٰ في رأسه ثم اعتنقه وقبله» . .

١٢٠ ـ يحادثُ زوجته . . حديثَ الرفق والتلطف والتودد . . يخرجها ونفسه من حالة صمت غالبة . . دون جدال يؤدي إلىٰ حدّة . . وتعصب . . أحاديثه معها خفيفةٌ . . رقيقة . . لا تملها النفس . . يحكم بها رباط زواجهما . . وتزيد القناعة والرضا بينهما . . .

يجيدُ فن محادثة زوجته . . لا يهزأ من حديثها إن هي حدثته . . ولا يُهَوِّن من شأن موضوعاتها . . يستمع إليها في أناةٍ . . إن رأىٰ قِصَراً في فهمها . . أو جموداً . . لجأ إلىٰ اللباقة . . وأدار دفّة الحديث بطريقةٍ لا تشعرها بالحرج . . لا يقطع حديثها بكلمة نابية . . أو بحركةٍ جافة . . أو يلجأ إلىٰ الصَّمت المميت . . لا يدخل معها في نقاشاتٍ وجدل حول موضوعات معقدة . . فتكون سبباً للشجار والخلاف . . .

وإن وجد نفسه فجأةً وسط جدال مقيت . . لا يكبر أن ينسحب منه . . ويطوي صفحته . . مع أنه يرىٰ أنَّ الحق معه . . متذكّراً بشارة الرسول ﷺ . . ببيت في ربض الجنة لمن ترك الجدل ولو كان محقاً . . .

١٢١ ـ يثق في زوجته . . في عفتها وأخلاقها . . لا يسيء الظن بها لأتفه الأسباب . . ويتجنب الكذب علىٰ زوجته . . يكونُ واضحاً معها في جميع تصرفاته . . يُشعرها بأنّها أهلٌ للثقة . . وأن تكونَ أمينةَ سره . . فإنها إن أحست أنّ هناك أموراً يكتمها عنها . . استدلتْ علىٰ عدم ثقته ومحبته لها . . مما يترك فجوة بينهما تكونُ سبباً لكثير من الخلافات . . .

١٢٢ ـ يحاول تجديدَ حياته مع زوجته . . بإدخال جو المرح والرحلات . . فإذا شعر بفتورٍ في علاقته معها . . لا ينطوي داخل ذاته . . ويكتم ما في نفسه . . ويظهر الضجر والضيق . . بل يلجأ إلىٰ الحكمة والصبر . . ويفكر في الطرق

السليمة التي تعيد للحياة بهجتها . . وأنسها . . وجمالها . . .

١٢٣ ـ لديه الحكمة . . والخبرة في معالجة عيوب زوجته . . من غير أن يشعرها . . فيجرح كبرياءها . . وأنوثتها . . يتباحث في الأمور التي تزعجه . . وتضايقه منها . . بأسلوب رقيق . . وكلمات حانية . . تجعلها تلين له . . وتنساق وراء رغباته . . .

١٢٤ ـ ليس بالمنّان الذي يصر دائماً على تذكير زوجته بما يفعله من أجلها . . وأجل أطفالها . . وأنَّ عليها أن تحمد الله ـ تعالى ـ، على لقمة العيش التي يأتيها بها . . وعلى الثياب التي يكسوها بها . . .

إنه لا يبخل في عطائه لزوجته . . ولا يتذمر من طلباتها . . ولا يشتكي دائماً من ضيق ذات يده . . وقلة الخير في جيبه . . وقد أعطاه الله من فضله . . .

١٢٥ ـ أبناؤه . . ذخيرة الأمة . . وحصنها الحصين . . إنهم مفتاح الصلاح . . وطريق الإصلاح . . وبصيص الأمل . . .

رباهم على نور من الله ـ تعالى ـ . . وأعدّهم على هدي رسول الله ﷺ . . بالاعتصام بالكتاب والسنة . . واتِّباع السلف الصالح ـ رضي الله تعالى عنهم ـ . .

يغرس فيهم عقيدة الولاء والبراء . . فتحدَّدت شخصيتهم المسلمة . . وتربَّوا بوعي على الولاء لله ـ تعالى ـ والرسول ﷺ . . وللمؤمنين . . ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] . . طبقوا هذه العقيدة . . فأصبح لديه أبناء . . يُبْغضون أعداءَ الله تعالى . . وأعداءَ الدين . . أعداءَ الرسول ﷺ . . ويحبون الله ـ تعالى ـ . . ويحبون الرسولَ ﷺ . . وعبادَ الله ـ تعالى ـ الموحدين . . ويحاربونَ كل من عادى الدين . . أو أراد النيل من المسلمين الموحدين . . .

فعلَّمَهُم بذلك . . مَن يوالون . . ومَن يعادون . . وإلى من يصرفون حبهم وولاءهم . . ولمن يكون بغضهم . . وممن تكون براءتهم . .

يفعلُ ذلك . . ليحافظَ عليهم من تمييع شخصيتهم المسلمة . . وتبلُّد حسهم

تجاه إخوانهم المسلمين، وما يحدث لهم في مشارق الأرض ومغاربها.. وقلة غيرتهم على الدِّين والعِرض.. والمقدسات...

إنه يضعُ هذه العقيدةَ نصبَ عينيه أثناءَ تربيته لهم.. يبدأ منها.. ويعود إليها.. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]...

١٢٦ ـ يغرسُ في قلوب أبنائه.. بُغضَ الشرك وأهله.. ومحاربتهم.. والتصدي لهم.. وفضح سريرتهم.. وكشف مخططاتهم.. والحذر من مكائدهم وأفكارهم.. ومدى فساد عقائدهم.. وخبث نيّاتهم...

يربيهم بذلك على.. الإخلاص.. والفداء.. والشجاعة.. والإقدام.. والمناصرة لإخوانهم المسلمين في كل مكان.. والغيرة على الدين والعرض..، إنه حبُّ التوحيد.. وبغضُ الشركِ.. الذي يصنع المعجزات ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].. إنه التوحيد الذي يدخلون به الجنة، ويسعدون بتحقيقه بنعيم الآخرة.. إنه عنوان العزة.. وسبيل النجاة...

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ: (واعلمْ أنّ فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ليس له من نظير فيقاس به..، ولكنه يشبه من بعض الوجوه حاجةَ الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروقٌ كثيرة..، فإن حقيقةَ العبد قلبهُ وروحه..، وهي لا صلاحَ لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره.. ولو حصل للعبد لذّاتٌ وسرور بغير الله فلا يدوم، ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص، إلى شخص وأمّا إلهه فلابد منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه)...

قال ﷺ: **«لن يُوافيَ عبدٌ يومَ القيامة، يقولُ: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجهَ الله إلا حرّم الله عليه النار»**...

١٢٧ ـ يربّي أبناءه على حبّ الرسول ﷺ.. حبّاً تابعاً لحبهم لله ـ تعالى ـ...

وملازماً له . . ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] . . .

قال ﷺ: **«لا يؤمنُ عبد حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين»** . . .

فحبهم للرسول ﷺ من علامات إيمانهم . . بل لا يصح إيمانهم بدونه . . حبّهم للرسـول ﷺ . . حبّ . . يحـصلـون به علىٰ حلاوة ولذة الإيمان . . **«ثلاثٌ من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : . . أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»** . . حبٌّ . . يرافقون به الرسول ﷺ في الجنة . . جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله متىٰ الساعة؟ قال: **«وما أعددت للساعة؟»** قال: حبّ الله ورسوله ﷺ . . قال: **«إنك مع من أحببت»** . . .

حبٌّ . . يتبـعـون به الرسـول ﷺ في كـل شيء . . ويقـتـدون به في كل قـول وفعل . . يعيشون علىٰ سنته . . ويُحشرون تحت لوائه . . وينالون شفاعته . .

حبٌّ . . يحـافظون به علىٰ سنة الرسـول ﷺ . . ، يدافعـون عنهـا . . أمام كل جـاحـدٍ . . ومـحـارب . . ومنكر لهـا . . ، أمـام كل مـبـتـدع . . يكشـفـونه . . ويعرّونه . . ويردون عليه . . ويبطلون مؤامرته ضد سنة نبيهم ﷺ . .

حبٌّ . . يعلـون به فــــوق كل حبٍّ . . حبِّ النفس . . وحـبِّ الـوالدين . . والناس أجـمـعين . . يقـول عـبدالله بن هشـام ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ كنا مع النبي ﷺ . . وهو آخذٌ بيد عـمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . فقـال عـمـر : يا رسـولَ الله لأنتَ أحـبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلاّ نـفـسي . . فـقـال النـبي ﷺ: **«لا . . والذي نفسي بيده ، حتّىٰ أكونَ أحبَّ إليك من نفسك»** . . فقال عـمـر : فإنه الآن والله لأنتَ أحبَّ إليّ من نفسي . . فقال النبي ﷺ: **«الآنَ يا عمر»** . . .

١٢٨ ـ الحبُّ في الله ـ تعـالىٰ ـ . حبٌّ قـام علىٰ الإخـلاص . . وبُني علىٰ المودة . . وأُسِّس علىٰ الإخاء . . دعامته الألفة . . وأصوله طاعة الله ـ تعالىٰ ـ . . وفروعه التراحم . . وغايته حب الله ـ تعالىٰ ـ للعبد . . وثماره دخول الجنة . . .

لا تفوته هذه النعمة العظيمة . . والمنحة الربانية . . فيقيم أساس تربيته لأبنائه

عليها.. الحب في الله ـ تعالىٰ ـ.. هي الترجمة الفعلية لعقيدتهم الإسلامية.. والثمرة المرجوة.. والحركة الإيجابية للعقيدة الثابتة في القلوب.. إنهم لن يحققوا الولاء والموالاة للمؤمنين.. إلا بتحقيق هذا الحب.. وتمكنه من قلوبهم...

يعلمهم أنّ حبهم في الله ـ تعالىٰ ـ.. يحقق لهم دخول الجنة.. التي هي من أسمىٰ وأغلىٰ أمانيهم.. وما تصبو إليه قلوبهم.. **«لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم»**...

حبهم في الله ـ تعالىٰ ـ.. يحققُ لهم الإيمان..، حين يحبون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم.. **«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**...

بل يرتقي بهم هذا الحب ويرتفع إلىٰ مرتبة أعلىٰ.. حين يفضلون إخوانهم علىٰ أنفسهم.. ويؤثرونهم عليها.. ويرتفعون بذلك عن شهوات النفس.. والخلود إلىٰ الأرض.. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]...

حبُّهم في الله ـ تعالىٰ ـ.. يذيقهم حلاوةَ الإيمان.. والطمأنينة.. والسعادة.. والمودة العجيبة.. والألفة الفريدة.. حين بني علىٰ أساس العقيدة والتوحيد.. وجُرِّد من المصلحة والمنفعة..

«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»...

حبُّهم في الله ـ تعالىٰ ـ.. ينجيهم من أهوال يوم القيامة.. حين يناديهم الله تعالىٰ.. ويقربهم منه ويُعمُّهُم برحمته.. ويُظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله.. يقول ﷺ: **«إن الله يقولُ يومَ القيامة.. أين المتحابُّون بجلالي، اليوم أظلُّهم في ظلي،**

يومَ لا ظلَّ إلا ظلّي» . .

حبهم في الله ـ تعالىٰ ـ . يؤمِّنهم من الفزع يوم يخافُ الناس . . ويفرحون يومَ يحزنُ الناس . . يوم الجزاء . . الذي ليس بعده إلا جنة أو نار . .

قال ﷺ : **«إنّ من عبادِ الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله تعالىٰ»** قال الصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ . يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال : **«هم قوم تحابوا بروح الله علىٰ غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم علىٰ نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»** وقرأ هذه الآية . . ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] . .

حبهم في الله ـ تعالىٰ ـ . يكسبهم أعظمَ نعمة . . وهي حبُّ الله ـ تعالىٰ ـ لهم . . لمن أحبَّ في الله . . واجتمع علىٰ حبِّ الله . . وافترقَ علىٰ حب الله . . وزار في الله . . ومن أجل الله ـ تعالىٰ ـ . يقول ﷺ : **«إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله تعالىٰ علىٰ مدرجته مَلَكاً، فلما أتىٰ عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال : لا غير أنّي أحببته في الله ـ عز وجل ـ . . قال : فإني رسول الله إليك، بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته فيه»** . . .

حبهم في الله ـ تعالىٰ ـ . لا يُوجد الشَّحناء والبَغضاء والتحاسد والتدابر . . .

حبٌ . . لا يوجد التصارعَ علىٰ حُطام الدنيا الفانية . . .

حبٌ . . لا يُظهر منهم الغِيبة والنميمة . . .

حبٌ . . لا يأكلون به أموالهم بينهم بالباطل . . .

حبٌ . . لا يجعل أحدَهم ينال من عرض أخيه . . أو أن ينتهك حرماته . . .

حبٌ في الله ـ تعالىٰ ـ . لا يجعلهم يَخْذلون أخاهم . . أو يجبنون عن نصرته، وعن حماية عرضه وأرضه وماله وحَقْنِ دمائه . . .

محبةٌ في الله ـ تعالىٰ ـ . إذا تحققتْ . . وبإخلاصٍ لله ـ تعالىٰ ـ . . سيجدهم متماسكين مع إخوانهم المسلمين . . متآلفين . . يشدّ بعضهم بعضا . . جسدٌ

واحد . . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . . .

١٢٩ ـ يريدُ العزةَ لهذه الأمة . . بعدما عانت من الذل والهوان . . يريد أن يرفع رأسها عالياً في الآفاق كما ينبغي لها . . وكما هي مكانتها . . .

فسقى أبناءه منذ نعومة أظفارهم . . حبَّ الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ . . وأنّ عزَّ وشرف أمتهم في الجهاد . . وأنّ الذل والعار . . والمهانة . . في التخلف عن الجهاد . . والركون إلى الدنيا وملذاتها . . والخوف من الموت . . .

يسمعون قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥] . . فينبههم إلى أنّ هذه الآية . . لا تعني أنّ عليهم أنفسهم خاصة ولا يلتفتون لغيرهم . . بل إن ذلك استدلال فاسد . . ، إنهم حين يفعلون ما كلّفوا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنّه لا يضرهم تقصيرُ غيرهم . . ولا عتب عليهم حين لا يمتثل المخاطبون بالأمر والنهي . . فإن عليهم الأمر والنهي وليس القبول . . .

يقول سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ : (إذا أمرتَ بالمعروف ، ونهيتَ عن المنكر ، فلا يضرُّك من ضلَّ إذا اهتديت) . . .

ولا ينسى أن يحثَّهم على الرفق واللين . . ، مع أهليهم وأقاربهم وإخوانهم المسلمين . . في دعوتهم إلى الله ـ تعالى ـ . . وفي أمرهم ونهيهم . . يجعلها صفة من صفاتهم . . وطريقهم إلى قلوب الناس . . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن النبي ﷺ قال لها : **«يا عائشةُ ، إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه»** . . .

يرسخُ فيهم . . أنَّ هذا الأمر . . وذاك النهي . . فيه نجاةٌ لهم . . نجاةٌ من سخط الله ـ تعالى ـ في الدنيا ومن عذابه في الآخرة . . ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] . . .

ويحذِّرهم من ترك فريضة الأمر والنّهي . . حتى لا تحلَّ عليهم عقوبةُ الله ـ

تعالىٰ . . . والفتنةُ . . التي أصابت بني إسرائيل من قبل . . .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] . . .

بل ربما يكون الأمر أشدّ . . حين لا ينكر أحد . . حتىٰ بقلبه . . فيحل عليهم غضب الله ـ تعالىٰ ـ . . والذي سيعم . . وتكون الهلكة . . .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] . . .

١٣٠ ـ الحياءُ . . من أجمل ما يتحلّىٰ به المسلم . . ومن أعظم ما يتصف به . . يُكسبه هيبةً ووقاراً . . ومحبةً واحتراماً في قلوب الناس . . .

عرف ذلك . . فأنشأ أبناءَه علىٰ هذه الصفة . . وأثبت في عقيدتهم أنها شعبةٌ من شعب الإيمان . . وصفةٌ من صفات الرسول ﷺ . . في خُلقه . . وسلوكه . . ومعاملاته . . وفي قَسَمَات وجهه الكريم . . يقول أبو سعيد الخدري ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ (كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها) . . .

يزرعُ الحياءَ فيهم . . فهو مفتاحهم لكل خير . . **«الحياء خير كله»** . . وزمام أمرهم . . يورثهم التقوىٰ . . ويربيهم علىٰ الخشية . . يعوِّدهم علىٰ المراقبة . . ، فلا يراهم الله ـ تعالىٰ ـ حيث نهاهم . . ولا يفقدهم حيث أمرهم . . ، يحفظ أعضاءهم . . فلا يسخِّرونها إلاّ في طاعة الله ـ تعالىٰ ـ . . ، ويبتعدون بها عن معصيته . . ودافعاً لهم علىٰ الخوف من الله ـ تعالىٰ ـ ومراقبته في السر والعلن . . .

مرّ النبي ﷺ علىٰ رجلٍ وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحي . . حتىٰ كأنه يقول . . قد أضرَّ بك . . فقال رسول الله ﷺ: **«دعه فإن الحياء من الإيمان»** . . وقال ﷺ: **«الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»** . .

حياء أبنائه . . لا يدعوهم إلىٰ الجبن والخَوَرِ وترك الحقوق وعدم الغيرة علىٰ الحرمات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . بل هو باعث علىٰ أفعال البر . . ومانع من المعاصي . . .



يقول القاضي عياض ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (وأما كونُ الحياءِ خيراً كله ، ولا يأتي إلا بخير ، فقد يشكل علىٰ بعض الناس من حيث أن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحقِّ مَن يُجِلُّه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر . . ، وقد يحمله الحياء علىٰ الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة . . ، وجواب هذا . . أن المانع الذي ذكرناه ليس بحياءٍ حقيقةً بل هو عجز وخور ومهانة ، وإنما تسميته حياءً من إطلاق بعض أهل العرف ، أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياءَ الحقيقيَّ ، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث علىٰ ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق . .) .

١٣١ ـ يحثُّ الإسلامُ علىٰ إتقانِ العمل والتخصص فيه . . وقد أثبتت العلوم الحديثة أن التخصص في العمل . . هو أفضل أساليب العمل . . وأكثرها انتاجاً وإتقاناً . .

ولذلك . . فتخصص المرأة في العناية بالزوج وتربية الأبناء . . هو أفضل عمل تقوم به . . وتبدع فيه . . وينسجم مع طبيعتها التي فطرها الله تعالىٰ عليها . . .

يدرك أن الله تعالىٰ لم يعدّ المرأة كي تكون قائدة أو سياسية . . وأن ذلك ليس انتقاصاً من قيمة المرأة . . بل إنه رفعها إلىٰ أسمىٰ مكانة حين أعدها كي تتخصص لتكون زوجة وأماً . . تحدد مصير العالم . . ومستقبل البشرية . . من خلال حسن رعايتها لزوجها وأطفالها . . .

ويدرك أن كلَّ عمل يقوم به الإنسان . . لا يعتبر مفيداً . . حين اشترط الله ـ تعالىٰ ـ لقبول العمل أن يكون صالحاً . . ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر : ١ ـ ٣] . . .

وبذلك فإنه يعلم أنَّ من الظلم للمرأة إعطاءَها حقَّ العمل دون أية ضوابط . . ومن ظلمها لنفسها أن تطالبَ بحقوقٍ ليست لها . . ، والتي كلما طالبت بها . . زادت عليها الضغوطُ . . وكلما زاد مجهودها زادت الأعباء عليها . . فإنها مطالبة أن تكون بشخصيتين . . شخصية في العمل . . وشخصية في البيت . . مطالبة بأن

تقوم بشخصية الزوجة الاجتماعية . . اللبقة المثقفة . . المطيعة الهادية . . عكس مواصفاتها في العمل . . مطلوب منها الوقت للاهتمام بزوجها . . ووقت لأطفالها . . ومع ذلك مطلوب منها أن تحافظ على مظهرها . . وأن لا تفقد أنوثتها . . فتحاول جاهدة في كل الاتجاهات . . بكل مجهوداتها . . وقوتها . . ووقتها . . لتوازن بين كل شؤون حياتها . . ، إنها المعادلة الصعبة . . تزيد عليها الضغوط النفسية ويزيد توترها . . وعصبيتها . . فتعود إلى البيت . . متوترة الأعصاب . . لا تستطيع تحمل كلمة من زوجها . . وأطفالها . . .

فأدركَ أنّ عملَ زوجتهِ قد يضع الحواجز بينه وبينها . . يقلل الوقت الذي يقضيانه معاً . . يقضي على الحوار المشترك الذي يؤلف بينهما . . ويزيد من محبتهما . . وأنّ الوضعَ الطبيعي لها . . أن يكون عملها في البيت . . فإنه عبء غير يسير . . ويحتاج إلى تفرغ تام . . لا سيما مع وجود الأطفال . . .

فحينما ننظر إلى عمل المرأة . . وما تجده من مضايقات حين يكون مختلطاً بالرجال . . ولو بشكل نسبي . . وهي المرأة التي كانت تصرخ بأعلى صوتها تطالبُ بمساواتها بالرجل . . وهي الآن تصرخ مطالبة بحمايتها من مضايقة الرجال في العمل . . .

وحين يستمعُ إلى قول (جلوريا تيانم) مديرةِ تحرير مجلة (إم إس) . . (إن المرأة وجدت نفسها في هذا المجال معرضةً للخطر . . وهناك مئاتُ الحالات التي ظهرت في أوروبا وأمريكا لنمو ظاهرة الخوف والتوتر لدى المرأة العاملة . . وقد نُشرتْ عشراتُ القصص التي تروي ببساطةٍ ، مدى التهديد الذي تقع فيه المرأة في غابة الرجال . .) . . .

وإلى قول الكاتبة الإنجليزية (الليدي كوك) . . (. . يا أيها الوالدان لا يغرَّنّكما بعضُ دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهنّ في المعامل ونحوها . . علموهنّ الابتعاد عن الرجال ، أخبروهنّ بعاقبة الكيد الكامن لهنّ بالمرصاد . .) . . .

ويقرأ ما يؤكده خبراء طب الصناعات . . أنَّ العمل يضعف من أنوثة المرأة . . ،



وأنه لا يشترط أن يكون العمل شاقاً بل إن الأعمال المكتبية والذهنية وتحمل المسؤولية لها التأثير نفسه. . ، وأن ما تعانيه المرأة العاملة من متاعب نفسية أثناء العمل ينعكس على حياة الأسرة. . ، ويؤثر على الرَّغبةِ الجنسيّة لدى المرأة. . ويضعف الخصوبة ويزيد من حالات العقم. . .

حينها وَجَدَ أنّ عملَ المرأة بشكل عام. . مضرٌّ بها. . وبالأسرة. . وبالمجتمع. . من الناحية النفسية. . والجسمية. . والأخلاقية. . .

وأن عملها لا يكونُ إلا عند الضرورة. . وفي أضيق الحدود. . ، وبعيداً عن الاختلاط. . الذي هو المقدِّمةُ الأكيدة للزنا. . وتفسُّخ الأسرةِ. . والمجتمع. . وانتشار الأمراض الخطيرة. . .

وأنّ الحل الأمثل. . هو أن تُعَلَّمَ المرأةُ وتُعَدَّ إعداداً يتلاءم مع أنوثتها ووظيفتها الهامة في الحياة. . في أن تكون زوجة وأماً. . وإن اضطرّت للعمل ففي مجالاتٍ لا تتعارض مع أنوثتها. . ووظيفتها الرئيسية الأولى. . .

١٣٢ ـ الكذبُ من كبائر الذنوب. . ومن صفات المنافقين. . **«آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُتُمِن خان»**. . .

ولكنه يعلم أن بعض الكذب بين الأزواج ضروريٌّ لاستمرار الحياة الزوجية. . وسعادتها. . ، يقول ﷺ: **«لا أعده كذاباً الرجل يصلح بين الناس، يقول القول لا يريد إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها»**. . .

وليس معنى ذلك. . أن يصبح الكذبُ أساس حياته الزوجية. . إنما هو رخصة للضرورة، وموضع استخدامها في الأمور العاطفية. . والأمور التي تؤدي إلى استقرار الحياة. . دون استحلالِ لحقوق الزوجة. . المالية وغيرها. . .

عن أبي غرزة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه استحلف امرأته بالله ثم سألها. . أتُبغضيني؟ قالت: نعم. . فقال لها عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ما حَمَلَكِ على ما قلتِ؟. . قالت: إنه استحلفني فكرهتُ أن أكذب. . فقال عمر:

(بلى فلتكذب إحداكنَّ ولتجمل، فليس كل البيوت تبنى على الحب)...

فيجد أن مجال كذبه على زوجته.. هو إخفاءُ السلبيات.. أو الحقائقِ المؤذية لعلاقته بها.. فقد تكون قليلةَ الجمال.. لكنه يُظهر لها أنّها أجملُ الجميلات في عينه.. قد يكرهها لصفات يجدها فيها..، ولكنه يظهر لها أنه يحبها،.. ومعجب بها...

ولكنه يحذر من هذه الرّخصة.. حينما تضر أحياناً أكثر مما تنفع..، إذا أساء استخدامها..؛ فلا يستعملها بشكل واسع من غير ضرورة..، مدركاً أن زوجته حين تكشف كذبه.. ستقل الثقة به.. لتبدأ المشاكل.. وتنهار الحياة بينهما...

الجزء الخامس

علاقته

مع إخوانه ومجتمعه

علاقته مع إخوانه ومجتمعه

١- يحمل منهجَ الأنبياء والمرسلين . . في طريق دعوته الطويل . . نقطةُ البدء . . وصيةٌ لرسول الله ﷺ . . أوصى بها أول داعية له إلى اليمن . . معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - . . «**إنَّك تقدَمُ على قومٍ أهل كتاب فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله**» . . .

قضية العقيدة . . هي أساس دعوته . . والتي كانت أساس دعوة كل نبي ورسول ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] . . .

ليست للكفار وحدهم . . لكي يؤمنوا بها ويصححوا اعتقادهم . . بل هي أيضاً للمؤمنين بها . . والمعتنقين لها . . يجعلها حيةً في نفوسهم وقلوبهم . . راسخةً في ضمائرهم . . عاملةً في واقع حياتهم . . لا يغفلون عنها أبداً . . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] . . .

يعلم أن أعداء الدين . . وضعوا الحواجز والسدود بين المسلمين وبين عقيدتهم الصافية ليعكروا صفاءها . . ويشوِّشوا عليها . . ويغيروا وجهتها . . .

فوقع المسلمون قروناً . . في خلط وانفصام . . وبعد عن الحقيقة والمقتضيات . . أصبح يرى بعضهم يردد كلمة التوحيد وهو لا يفهم لها معنى ولا يقف لها على مقتضى . . يرى غيرهم يرددها وقد انطلق يختار لنفسه من المناهج والنظم والقوانين ما يشاء . . يرى صنفاً قد قسم حياته إلى قسمين: قسمٌ عبادات . . وقسمٌ حياة . . حيث لا دخل للتوحيد والعقيدة فيه . . .

يرى منهم من يردد كلمة التوحيد وقد ترك الصلاة وضيع الزكاة . . وتفنّن في

أكل أموال الناس بالباطل . . وأكل الربا . . وشرب الخمر . . ومارس الفاحشة . . بل يرىٰ منهم من يرددها وهو يأمر بالمنكر وينهىٰ عن المعروف . .

يرىٰ التناقض الرهيب . . فيجد أن الحاجة ماسة . . وملحة . . ليعلّم المسلمين العقيدة الصحيحة الصافية . . ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] . . عقيدة تشمل حياة المسلم كلها . . كفر بالطاغوت . . والآلهة . . والأرباب . . والأنداد . . توحيد للربوبية . . والألوهية . . والأسماء والصفات . . الولاء . . والبراء . . كمال الذُّلِّ . . وكمال الحبِّ لله ـ تعالىٰ ـ . . تجريد العبادة لله ـ تعالىٰ ـ وحده . . .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . . .

٢ ـ شديد الحرص علىٰ هداية الناس . . وتعليمهم . . لا ينتظر الحوادث والدوافع لتحركه نحو الخير . . بل يبادر من تلقاء نفسه إلىٰ دعوة الناس إلىٰ الحق . . .

يدعوهم في المسجد . . والطريق . . والسوق . . في منازلهم . . ومناسباتهم . . يدعو في المدينة . . والبادية والقرية . . يدعوهم في الحضر . . والسفر . . في الأمن والقتال . . في صحته . . ومرضه . . وحيثما كان يزور أو يُزار . . .

يوجه دعوته إلىٰ من أحبوه . . ومن أبغضوه وآذوه . . يدعو من استمع إلىٰ دعوته ومن أعرض عنها . .

مشمِّراً عن ساعديه . . باذلاً كل ما في وسعه . . مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المشروعة . . بالحكمة والموعظة الحسنة . . متسلحاً بالعلم والتقوىٰ والصبر . . مستعيناً بالله تعالىٰ . . مبتغياً أجره ورحمته . . ورضوانه . . في الدنيا والآخرة . . .

«فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمر النَّعم» . . يرغب في بذل الجهد والسعي لهداية الناس . . وإخراجهم من الظلمات



إلى النور.. يزيده في ذلك نشاطاً وهمة.. قوله ﷺ: **«من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئاً»...**

يقول جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ.. (أن النَّبيَّ ﷺ لبثَ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم في منى)...

واستمر ﷺ في ذلك حتى بعد هجرته إلى المدينة.. يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ (قيل للنبي ﷺ.. لو أتيتَ عبدالله بن أبي.. فانطلقَ إليه النبي ﷺ وركبَ حماراً.. فانطلق المسلمون يمشون معه.. فلمَّا أتاه النبي ﷺ.. قال عبدالله بن أبي.. (إليك عنِّي والله لقد آذاني نتنُ حمارك).. فقال رجل من الأنصار منهم.. (والله لحمارُ رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك)...

ويقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ.. (كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه **«الصلاةَ، وما ملكت أيمانُكم»**.. وتقول أم سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ.. (فمازال يقولُها حتى ما يفيض بها لسانه)...

٣ ـ ابتلي بمن يمكر به.. ويشيع السوء عنه لغرض في نفسه.. يستعين بالله ـ تعالى ـ.. ويصبر.. مدركاً أن العاقبة للتقوى...

يوسف ـ عليه السلام ـ.. بعد ما حصل له من أنواع المكر والأذى.. قال الله تعالى عنه.. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]...

موسى ـ عليه السلام ـ.. عندما حصل له ولقومه الأذى ولكيد من فرعون.. قال لقومه: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]...

موقنٌ أن المكر يعود وباله على صاحبه.. ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]...

٤ ـ يقف مع نفسه وقفة صدق.. يحاسبها ويسألها عن كل حركة وسكنة.. على طول طريق دعوته.. هل يدعو ابتغاءَ وجه الله ـ تعالى ـ.. أم من أجل



السُمعة والرِّياء والشهرة . . هل يدعو لله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ . . أم يدعو لجماعته . . وأنها وحدها على الحق وما عداها على الباطل . . هل يدعو لقومية أو عصبية أو حزبية ومذهبية وجاه ومنصب؟ . . هل يوالي من والى الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ والمؤمنين كائناً من كان . . من أي جنسية ومن أي بلد ومن أي جماعة . . ويعادي من عادىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ والمؤمنين . . من أي جنسية وبلد وجماعة . . أم أنه سمىٰ ونصب أشخاصاً يوالي من والاها ويعادي من عاداها . . ؟ . . .

هل يحبُّ في الله ـ تعالىٰ ـ . ويبغض في الله ـ تعالىٰ ـ . . ؟ . . أم أنه يحب ويقرب من كان من جماعته ومن كان على منهجه وخطه . . ويبغض ويبعد من لم يكن تحت لوائها . . ولم يعط البيعة لأميرها . . ؟ . . حتىٰ لو كان موحداً لله ـ تعالىٰ ـ . . مجتهداً لدين الله ـ تعالىٰ ـ . . متحركاً لدعوة الناس إلىٰ الحق . . ؟ . . يدرك أنها أسئلة تحتاج إلىٰ جواب . . وتحتاج إلىٰ صدق مع الله ـ تعالىٰ ـ . . إلىٰ قلب تقي نقي . . إلىٰ عقل واع سليم . . تحتاج إلىٰ تجرد . . وإخلاص . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . في علامات أهل العبودية . . (. . ولم ينسبوا إلىٰ اسم ، لم يشتهروا باسم يُعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق . . وأيضاً فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال ، فإن هذه آفة في العبودية وهي عبودية مقيدة وأما العبودية المطلقة فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها ، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم فلا يتقيَّد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزيٍّ ولا طريق وضعيٍّ اصطلاحي . .) . . .

ويقول بكر أبو زيد ـ حفظه الله تعالىٰ ـ . . (. . وعليه فإنَّ أيَّ فرقة أو حزب أو جماعة تعيش تحت مظلة الإسلام باسم معين أو رسم خاص فهي من جماعة المسلمين وتقترب وتبتعد من الصراط المستقيم الذي عليه جماعة المسلمين بقدر ما

لديها من مناهج وخطط وتصورات يقرَّها الإسلام أو ينفيها . . أما التي يكون انتسابها إلى الإسلام تلبيساً وظلماً كالبابية والبهائية والقاديانيه والبريلوية . . فهذه فرق كافرة لا دخل لها تحت سرادق بحثنا . .) . . .

٥ ـ الانفعال . . التجريح . . التشنج . . الاتهامات . . كل ذلك لا يمكن أن يقيم فكراً . . أو يصحح خطأً . . أو يعدل مساراً . . أو ينجح دعوة . . .

أقواله وأحكامه . . بعلم . . وعدل . . لا لمجرد اتباع الهوىٰ . . الذي يبذر في الصُّفوف الشقاقَ والبغضاء والتنازع والخلاف . . .

«إنَّ المقسطين عندَ الله يومَ القيامة علىٰ منابرَ من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا» . . .

يدرك أن الزَّلل والخطأ والنقص صفات ملازمة للبشر . . فلا يتتبع العورات . . والعثرات . . ولا يبحث عن الزلات . . ويقف عند الهفوات . . لا يتصيد الأخطاء . . والهنات . . ويتغافل عن جميع الإيجابيات والحسنات . . .

إن من الظلم البيِّن أن يذكر من أخيه أسوأ ما يعلم . . ويكتم منه خير ما يعلم . . والله تعالىٰ يقول . . ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥] . . .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (فمن سلك طريقَ الاعتدال عظَّم من يستحقَّ التعظيم وأحبَّه ووالاه وأعطىٰ الحق فيعظِّم الحق ويرحم الخلق ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيُحمد ويذُم و يُثاب ويُعاقب ويُحب من وجه ويُبغض من وجه . . هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزله ومن وافقهم) . . .

ويقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعُلم تحرِّيه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعُرف صلاحه وورعه واتباعه يُغفر له زلله ولا نضلِّلُهُ ونطرحه وننسىٰ محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك) . . .



ويقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ . . (ومن له علمٌ بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين) . . .

٦ ـ ينصح لإخوانه المسلمين . . يريد بذلك إزالة عيوبهم . . وإصلاحهم . . وإرشادهم . . دون توبيخ أو تعيير . . إن هدفه فقط . . إبعاد أخيه عن مفسدة وقع فيها . . وليس الإشاعة عنه . . وإظهار معايبه . . وهتك عرضه . . وتنقصه . . وإبداء جهله وقصور علمه . . صفات إخوان الشياطين . . الذين يسعون للإيذاء . . وإدخال الضرر على المسلمين . . .

مدركاً عظم الذنب . . وعظم العقوبة . . **«يا معشرَ من آمنَ بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنَّ من يتبع عوراتهم يتَّبع الله عورته ومن يتَّبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»** . . .

لما ركب ابن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ . . الدَّين وحُبس به . . قال . . (إني أعرف الذنب الذي أصابني هذا . . عيَّرتُ رجلاً منذ سنة فقلت له . . يا مُفلس) . . .

٧ ـ ينقي مجلسه من سماع السوء وقوله . . يذكّر نفسه ومحدثه بقول الله تعالى . . **﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحجرات: ١٢] . . .

لا يستبيح ما نهى الله ـ تعالى ـ عنه باسم مصلحة الدعوة . . لا يجيز لنفسه نهش لحوم الغائبين . . والخوض في أعراضهم . . مسلك النفوس الضعيفة . . التي تتزلف بذلك تحت ستار الغيرة على الدعوة . . أخلاق يتبرأ منها الإسلام . . ولا يعرفها الرجال . . .

قال ﷺ: **«لا يُبلِّغني أحدٌ عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»** . . .



ولا يسعه السُكوت . . وهو يرىٰ من ينال من عرض أخيه . . يبادر إلىٰ الرد والإنكار . . لا يوافقه ولا تغلبه المجاملة فيسكت . . بل يحمي أعراض المسلمين ويدافع عنها . . كما فعل معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . حينما قال رجل عن كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك . . (يا رسولَ الله حبسه برداه ونظره في عطفيه) . . فقال معاذ بن جبل . . (بئس ما قلت، والله يا رسولَ الله ما علمنا عليه إلا خيراً) . . .

يقول الرسول ﷺ : **« مَن ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يومَ القيامة »** يسير على منهج عظيم . . يتحلَّى به في كل مواقفه . . منهج الصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ . ومن تبعهم بإحسان . . فلا يذكر من في ذكره إساءةٌ إليه . . وأما أهلُ الخير فيذكرهم . . حفظاً لحقوقهم . . وحثّاً علىٰ التأسّي بهم . .

فمن رأىٰ فيه نقصاً أو خطأً . . أبهمه . . وأشار إلىٰ خطئه دون شخصه . . ومن رأىٰ فيه حسناً . . يسميه . . ويحفظ له إحسانه . . .

مدركاً بذلك فعل الرواة عند روايتهم للحديث . . عندما لا يذكرون اسم الرجل المخطئ أو المسيء كما فعل كعب بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . عندما لم يذكر اسم الرجل الذي نال من كعب بن مالك ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . وهذا ما فعله الرواة من بعده . . مع حفظ اسم من دافع عنه وهو معاذ بن جبل ـ رضي الله ـ تعالىٰ ـ عنه ـ . . .

يقول ابن حجر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . عند شرحه لحديث . . **« إنَّهما ليُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير »** (لم يُعرف اسم المقبورين ولا أحدهما، والظاهر أن ذلك كان عن عمد من الرواة لقصد الستر عليهما . . وهو عمل مستحسن وينبغي ألا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به) . .

٨ ـ يساهم ما استطاع في كل مجالات الخير . . يدخل كل باب من أبوابه . . حيث يجد الفضل والأجر العظيم . . بالكلمة . . والعمل . . بالنفس والمال . . .

إنه لا يدري بماذا يُغفر له؟ . . ولا يعلم ما الذي يُقبل منه؟ . . يقول



ﷺ . . **«لاتحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»** . . **«اتَّق النَّار ولو بشقِّ تمرة»** **«إنَّ العبد ليتكلَّم بالكلمة من رضْوان الله لا يُلقي لها بالاً يرتفعُ بها درجات»** . . .

٩ ـ ما أكثرَ من يخالطهم . . ويعيش وقتاً بينهم! !وما أكثر ما يجد من مضايقتهم . . وإيذائهم! !يجد الرجل الناقص العقل والإدراك . . ولكنه يتجاوز . . يجد الجاهل قليل العلم والفهم . . ولكنه يصفح ويعرض . . صفة من صفات المؤمنين . . ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . . .

يجد الحسود الحقود . . مريض القلب ضعيف الإيمان . . يجد العاقل ولكنه متعدٍّ ومتسلط بالأذىٰ . . .

يضيق منهما ومن أفعالهما . . وقد يستوفي مَالَه عليهما من حقوق . . لكنه يحذر من شتمهما . . أو التشهير بهما . . فقد يُبتلىٰ بما فيهما من ظلم وحسد . . ويُدان بعد أن كان يُدين . . .

١٠ ـ يرىٰ المسلمين يجتمعون علىٰ الأجهزة الحديثة . . يبحثون عن التسلية . . يرتاحون من المتاعب والمشاقِّ . . الملايين منهم يشاهدونها . . فينشغلون عن أداء الصلاة في وقتها جماعة . . ينشغل طالب العلم عن طلبه . . وصاحب العمل عن عمله . . والأطفال عن البحث والحركة والابتكار . . تغرس في نفوسهم الاستكانة والتبلد والجمود . . .

تشغل الزوج عن زوجته . . تُميل قلبه . . فيبحث عن الجديد والمثير . . تصرف الزوجة عن زوجها . . قلبها وبصرها إلىٰ غيره . . قبل ذلك وبعده . . الكثير الكثير مما يدمر الدين والأخلاق . . والفضيلة . . يبث السموم والخنوع . . والرذيلة . . .

فيدرك تماماً . . أنه تخطيط منظم . . للقضاء علىٰ قوة المسلمين . . وإرادتهم . . ومعنوياتهم ليضيّعوا شطر حياتهم عن الأعمال الجادة . . والبناء القويم . . ومجاهدة المجرمين والملحدين . . قال ﷺ : **«يوشك أن تداعَىٰ عليكم الأمم كما**

تداعىٰ الأَكَلَة إلىٰ قصعتها» . . قالوا . . أو من قلة نحنُ يومئذ يارسول الله . . قال . . **« بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل ، ولَيَنزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابةَ ، وليقذفَنَّ في قلوبكم الوهنَ»** . . فقالوا . . وما الوهن؟قال : **«حبُّ الدنيا وكراهية الموت»** . . .

١١ ـ ترفُّعٌ . . ـ تعالىٰ ـ في النفس . . لعلم أو صحة أو غنىٰ أو جاه . . إنه الاحتقار . . احتقار الآخرين . . لجهلهم . . أو مرضهم . . أو فقرهم . . أو تواضعهم . . الميزان الظاهري المادي . . .

ولكن ميزانه كمؤمن . . قوي الإيمان . . ميزان الرجال في شريعة الإسلام . . الإيمان الأعمال الطيبة . . الأخلاق الحسنة . . التي لو أصاب صاحبها المرضُ أو الفقر أو العجز . . فهو الحقيق أن يكون له الاعتبار . . والذي وإن كان حقيراً في أعين البعض . . ولكن فيه من الخير ما يجعله عند الله ـ تعالىٰ ـ عظيماً . . .

«رُبَّ أشعثَ أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسمَ علىٰ الله لأبرَّه» . . .

مـرّ رجل علىٰ رسول الله ﷺ . . فقال لأصحابه . . **«ما تقولونَ في هذا؟»** . . قالوا . . حريٌّ إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشفَّع ، وإن قال أن يُستمع . . ثم سكت . . فمرّ رجل من فقراء المسلمين . . فقال . . «ما تقولون في هذا؟» . . قالوا . . حريّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفع أن لا يُشفَّع ، وإن قال أن لا يُسمع . . فقال ﷺ : **«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»** . . .

١٢ ـ ينظر بوعي ثاقب . . وبصيرة نيِّرة . . إلىٰ مآلات الأقوال والأفعال من مصالح ومفاسد . . لا يدفعه الحماس إلىٰ العجلة وعدم التأني والصبر . . .

أقواله وأفعاله واجتهاداته المتجددة بتغير الظروف والأحداث . . منبثقة . . من خلال منهج مضبوط وفق الأصول الشرعية . . حتىٰ لا يربك دعوته . . فيوقف حركتها . . ويعطّل مسيرها . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (ومن ذلك أن النبي ﷺ شرع لأمته إنكار

المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ. . فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره. . ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل). . .

١٣ ـ يتلقى أفكار غيره من عامة الناس. . فلا يجعلها فكراً له. . يتبناها. . ويناقشها. . بدون تحقيق علمي وعقلي. . .

لا يُصدر أحكاماً على فرد. . أو جماعة. . أو شعب. . بانحراف أو قصور. . في المنهج. . أو الصفات. . أو الأخلاق. . بمجرد سماع قصة أو قراءة خبر. . .

إنه يربأ بنفسه عن هذا الأسلوب في التلقي والقبول. . يقرأ ويطّلع. . يجعل من عقله عقلاً مدركاً. . يبني به الفكرة الصحيحة. . والخبر الصادق. . والحكم العادل. . .

١٤ ـ يطهر مشاعره. . وضميره. . بقوله تعالى. . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢]. . .

لا يترك نفسه نهباً لكل ما يهجس فيها حول الآخرين. . من ظنون وشبهات وشكوك وتخمين. . بمجرد ما يرى من تصرفات. . أو يسمع من أقوال. . .

قد تخفى عليه الحقيقة. . فربما أرادوا قصداً آخر. . أو أن قولهم وتصرفهم لا مقصود له أصلاً. . يدرك أنه لو أراد أن يناقشهم في ذلك الظن منه. . لتبين له خلاف ما يشكُّ فيه ويخمنه. . إنهم بشر يحصل منهم السهو. . والخطأ. . والغفلة. . «**إياكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**». . .

فإذا ما أراد أن يشاركهم في أمر. . أو يتعامل معهم. . أو يتزوج منهم. . فإنه لا يعتمد على إحسان الظن فقط. . إنما. . يسأل عنهم. . عن أحوالهم وحقيقتهم. . مدركاً أن للناس بواطن قد تخالف ظاهرهم. . ولهم طباع وأخلاق لا تتبين إلا لمن جاورَهم أو سافر معهم أو تعامل معهم بالنقد والمال. . شهد عند عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ . رجلٌ. . فقال له عمر. . (لست أعرفك

ولا يضـرُّك أن لا أعـرفك، ائت بمن يعـرفك) . . فـقـال رجل من القـوم . . أنا أعرفه . . قال . . (بأيِّ شيء تعرفه؟)قال . . بالعدالة والفضل . . قال . . (هو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه؟) قال . . لا . . قال . . (فعاملته بالدينار والدرهم اللذين يُستدلُّ بهما على الورع؟) قال . . لا . . قال . . (فرافقك في السفر الذي يُستدلُّ به على مكارم الأخلاق؟) . . قال . . لا . . فقال عمر . . (لستَ تعرفه) ثم قال للرجل . . (إئت بمن يعرفك) . . .

١٥ ـ من الصعب على كثير من الناس أن ينخلع من فكره وواقعه وعاداته . . خلال طرفة عين أو فترة وجيزة . . .

إنه يقدّر ذلك . . يحاول نقل الناس من واقعهم إلى المثالية العالية . . ولكن ليس دفعةً واحدة . . فالسمو بالنفس الإنسانية لتبلغ الأفق الأمثل . . لا يكون في لحظة . . إنما يحتاج إلى فترة من المجاهدة . . والتوجه . . والإخلاص . . حتى تصل إلى الدرجة المثلى . . درجة الإحسان . . **«أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** . .

وخلالَ ذلك التدرج في دعوته . . لا يرتكب محرَّماً . . لا يداهن . . بحجة التدرج . . بل يداري ويصبر . . وينكر بقلبه . . حتى يجد الفرصة المناسبة لتغيير ما يريد . . بالحكمة والموعظة الحسنة . . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ . . أن النبي ﷺ قال لها: **«يا عائشة، لولا أنَّ قومك حديثو عهد بجاهلية، لأمرتُ بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أُخرج منه والزقته بالأرض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغتُ به أساس إبراهيم»** . . .

وفي رواية . . **«يا عائشةُ لولا أن قومك حديثو عهدهم بكفر، لنقضت الكعبة فجعلتُ لها بابين: باب يدخل الناس منه وباب يخرجون»** . . .

وقال عبدالملك لأبيه عمر بن عبدالعزيز ـ رحمهم الله تعالى ـ . . (ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله لا أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق) . . فقال له عمر . . (لا تعجل يا بني، فإنَّ الله ذمَّ الخمر مرتين وحرمها في الثالثة، وإني أخاف

أن أحمل الحق على الناس جملةً فيدفعوه جملةً، وتكونَ من ذا فتنة). . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ . (وإذا وصف العمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان، يمنع ذلك أن يُدفع به مفسدة شر منه وأكبر وأحب إلى الشيطان منه . . فيدفع بما يحبه الشيطان ما هو أحبُّ إليه منه، ويحتمل ما يبغضه الرحمن لدفع ما هو أبغضُ إليه منه، ويفوِّت ما يحبُّه لتحصيل ما هو أحبُّ إليه منه). . .

١٦ ـ يعرف متى يعدل عن الدعوة بالرفق واللين . . إلى الشدة أحياناً . . إذا انتُهكت حرمة من حرمات الله تعالى . . بالقدر الذي ينبغي . . مراعياً الضوابط الشرعية . . .

له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة . . فلقد كان ﷺ إذا انتُهكت حرمة من حرمات الله ـ تعالى ـ غضب غضباً شديداً . . .

جاءه أسامة بن زيد ـ رضي الله تعالى عنه ـ . يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت . . فتلوّن وجهه ﷺ . . وقال: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟**» . . فلما كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيباً . . فأثنى على الله بما هو أهله فقال . . «**أما بعد، أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» . . .

١٧ ـ في قلبه مكان للرحمة والشفقة . . تدعوه لنصيحة العاصي . . لا يتركه للشيطان . . دون أن ينتزعه منه . . ببسمة حانية وكلمة ودود . . تعيد للعاصي الأمل في الرجوع . . يمر أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونه . . فقال لهم . . (لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟) . . قالوا . . بلى . . قال . . (فلا تسُبُّوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم) . . فقالوا . . أفلا نبغضه؟ . . فقال . . (إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي) . . .

يتذكر فضل الله ـ تعالىٰ ـ عليه . . أن هداه للإيمان . . والعمل الصالح . . يستشعر نعمة الله ـ تعالىٰ ـ . . وإلا لكان مثل أهل المعاصي والضلال . . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] . . استشعاراً يدفعه إلىٰ أن . . يشفق عليهم . . يكف عن سبهم . . وشتمهم . . والتعريض بهم . . يفكر كيف ينتشلهم من عالمهم . . إلىٰ عالم الحق والهدىٰ والفلاح؟ . . وبعد ذلك . . لا ينسىٰ أن يفكر دائماً في تقصيره تجاه من كان سبباً في هدايتهم . . يحاول إكمال نقصهم . . يسأل عنهم . . يهتم بهم . . يعينهم ويساعدهم حتىٰ يقوىٰ عودهم . . لا يتركهم . . فيستحوذ عليهم الشيطان . . .

١٨ ـ يحذر من أن يزكي نفسه . . أو علمه . . أو دعوته . . دون ضرورة شرعية ملحَّة . . تكبراً . . وفخراً . . يعلم أن الله ـ تعالىٰ ـ يطلع علىٰ الغيوب . . ويعلم ما في القلوب . . ويعلم السر وأخفىٰ . . ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم: ٣٢] . . .

العُجب . . مدخل خطير من مداخل الكبر . . قد يزلّ فيه البعض ظناً منهم أنه لا بد من هيبة تعلوهم . .

ولكنه يدرك أن هناك فرقاً كبيراً بين الهيبة وبين العجب والكبر . . .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (المهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله ، فإذا امتلأ القلبُ بذلك حلّ فيه النور ونزلت عليه السكينة وأُلبس رداء الهيبة فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة ، فحنّت إليه الأفئدة وقرّت به العيون وأنست به القلوب . . فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وإن سكت علاه الوقار وإن تكلم أخذ بالقلوب والأسماع . . .

وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم ، ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت ، فنظره إلىٰ الناس شذر ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف ، ذاهب بنفسه تيهاً لا يبدأ



من لقيه بالسلام وإن ردّ عليه رأىٰ أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه، ولا يرىٰ لأحد عليه حقاً، ويرىٰ حقوقه علىٰ الناس ولا يرىٰ فضلهم عليه ويرىٰ فضله عليهم، ولا يزداد من الله إلا بعداً ولا من الناس إلا صغاراً وبغضاً) . . .

١٩ ـ إذا سُئل عن شيء . . لا يكون همُّه المبادرةَ إلىٰ الإجابة . . من غير نظر في الأمور . . عندما طلبت زينب امرأة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ . . ومعها امرأة أخرىٰ . . من بلال ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (سل النبي ﷺ أيجزئ عني أن أنفق علىٰ زوجي وأيتام لي في حجري؟) وقالت . . (لاتخبر بنا) . . فدخل فسأله . . فقال . . **«من هما؟»** . . قال . . (زينب) . . قال . . **«أيُّ الزَّيانب؟»** . . قال . . (امرأة عبدالله) . . قال: **«نعم، ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصَّدقة»** . . .

يسعىٰ إلىٰ معرفة أحوال من سأله . . ومدىٰ حاجته إلىٰ معرفة الجواب . . كان زيد بن ثابت ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . إذا سأله رجل عن شيء قال . . (آلله كان هذا؟) . . فإن قالوا: نعم تكلّم فيه بالذي يعلم . . وإن قالوا . . لم يكن . . قال . . (فذروه حتىٰ يكون) . . يعلم أن هناك مسائل تختلف أحكامها باختلاف أحوال الناس . . .

عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له . . وأتاه آخر فسأله فنهاه . . فإذا الذي رخص له شيخ والذي نهاه شاب . . .

يجيب علىٰ السؤال . . ويزيده بما يجد أنه في حاجة إلىٰ معرفته . . هدفه إيصال أكبر قدر ممكن من النُّصح . . والتوجيه . . والتعليم . . إنه وارث لمن وصفه الله تعالىٰ بقوله . . ﴿عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رَّحيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] . . .

سأل رجل الرسول ﷺ . . ما يلبس المحرم؟ . . فقال . . **«لا يلبسُ القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه الورس أو الزعفران، فإذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتىٰ يكونا تحت الكعبين»** . . .

يقول **الإمام ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (معرفة الناس أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن كان فقيهاً فيه . . فقيهاً في الأمر والنهي يطبق أحدهما علىٰ الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح . . فإنه إذا لم يكن فقيهاً في الأمر ليس له معرفة بالناس، تصوّر له الظالم بصورة المظلوم وعكسه والمحق بصورة المبطل وعكسه وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصدّيق والكاذب في صورة الصادق، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا . . بل ينبغي له أن يكون فقهياً في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم . . فإن الفتوىٰ تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال . . وذلك كله من دين الله) . . .

٢٠ ـ . . ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] . . .

من المسلمين من إذا تكلم عن جماعته . . تغاضىٰ عن جميع أخطائهم . . ويظل يبرِّرها . . حتىٰ تصل إلىٰ محاسن . . وإن تحدث عن شيخه أو أمير جماعته . . بالغ فيه . . فهو الأعلم . . والأقوىٰ حجة . . إن قال قولاً لا يناقش . . وإن أفتىٰ صارت فتواه ملزمة . . يوالي ويعادي إخوانه عليها . . .

إنه يدركُ أن الله ـ تعالىٰ ـ ما تعبَّد الناس بقول أحد من العلماء والأئمة . . إنما تعبَّدهم بما جاء في القرآن . . وما صحَّ عن الرسول ﷺ . . وأن كل عالم وإمام يُؤخذ منه ويُردُّ عليه . . إلا المعصوم ﷺ . . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ ﴾ [النجم: ٣] . . أما سائر البشر . . فهم . . يصيبون ويخطئون . . ويذنبون ويتوبون . . يعلمون ويجهلون . . فيعلم . . أن التعصب لشخص معين منافٍ لهذه السنن الإلهية . . وكأنه يُفترض فيه البراءة من الزلل والخطأ . . مثل حال الروافض . . الذين افترضوا ذلك في أئمتهم . . فضلُّوا سواء السبيل . . .

يقول **الإمام ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (. . وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة

أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأىٰ في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوىٰ فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع . . بل هذا أولىٰ بالحق وأحب إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ . . . ويرىٰ أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه . . فمن فعل هذا كان جاهلاً ضالاً . .) . . .

ويقول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً . . فإن كانوا مجتمعين علىٰ ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة أو نقصان فهم مؤمنون لهم مالهم وعليهم ما عليهم . . وأن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض . . عمن لم يدخل في حزبهم سواء علىٰ الحق والباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمه الله ورسوله . . فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ونهيا عن التعاون علىٰ الأثم والعدوان . .) . . .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] . . ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] . . .

٢١ ـ للمديح أثرٌ نفسي عميق علىٰ النفس البشرية المجبولة علىٰ حبِّ المديح . . والتي ربما تتيه بذلك علىٰ الناس . . وتشمخ بأنفها . . وتصعّر خدها . . ثم تكره سماع النصيحة والنقد . . ولا تقبل إلا الثَّناء والإشارة . . ثم يضيع الحقّ . . ويفسد المجتمع . . ويفشو النفاق . . يقول رجاء بن محجن الأسلمي . . أنه كان مع رسولُ الله ﷺ في المسجد . . فرأىٰ رسول الله ﷺ رجلاً يصلي ويسجد ويركع . . فقال . . **«من هذا؟»** . . فأخذ محجن يطريه ويقول . . (يا رسول الله هذا فلان وهذا فلان) . . فقال : **«أمسك ، لا تُسمعه فتُهلكه»** . . .

وإن كان لا بد مادحاً . . فإنه يكون صادقاً معتدلاً متحفظاً من غير مغالاة أو

شطط . . وحتى لا تأخذ الممدوحَ نشوةُ الاختيال والاستعلاء والإعجاب بالنفس والرياء الذي يبطل الأعمال والأجور . . .

أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال : **«ويلك قطعت عنق صاحبك . . قطعت عنق صاحبك . . قطعت عنق صاحبك ، من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل : أحسب فلاناً والله حسيبه ولا يزكي على الله أحداً أحسب كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه»** . . .

وكان الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ . . يتحرَّجون من المديح اتقاء مزالقه وخشية هلكته . . قال رجل لابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ . . (يا خير الناس أو يا بن خير الناس) . .

فقال ابن عمر . . (ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ، ولكني عبد من عباد الله أرجو الله ـ تعالى ـ وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه) . .

٢٢ ـ ينظر حوله فلا يرى إلا قوماً قد طغت فيهم الماديات . . والشهوات . . صرفت كثيراً من المسلمين عن الآخرة . . يعمرون دنياهم . . وليتهم عمروا معها أخراهم . . امتلأت قلوبهم حرصاً وطمعاً . . وجبناً . . تخلّوا عن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ . . جبنوا عن الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ . . بل صاروا هم في أمس الحاجة إلى دعوة . . .

فيجد أنه يحتاج إلى زاد كبير من الإخلاص . . والقدوة . . والصبر الذي لا ينفد . . يُذكر الناس بحقيقة الدنيا . . وأنها ليست نهاية المطاف . . بل إنها دار ممر . . إنه لا يستطيع أن يدعوهم لبذل المال والأرواح في سبيل الله ـ تعالى ـ وقد ملأ حبُّ الدنيا قلوبهم . . وأخلدوا إلى الأرض والوحل . . فمهما طالت الدنيا فهي قصيرة . . .

﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر : ٣٩] ومهما عظمت فهي حقيرة . . .



مرّ النبي ﷺ بالسوق والناس كنفتيه (حوله) فمرّ بجدي أسَكّ (صغير الأذنين) ميِّت. . فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيُّكم يحبُّ أن يكون هذا له بدرهم؟**» . . فقالوا. . ما نحب أنه لنا بشيء. . وما نصنع به؟ . . ثم قال: «**أتحبُّون أنه لكم؟**» قالوا. . والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسَكّ. . فكيف وهو ميت. . فقال ﷺ: «**فوالله للدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم**» . . .

٢٣ ـ يهتمُّ بإخوانه. . يتفقدهم. . يتعرف على أحوالهم. . يسأل عمن غاب منهم . . بعينه. . ويؤانسه. . يزيل عنه سبب غيابه بقول أو فعل. . لا يتركه ويهمله. . فينفرد به الشيطان. . فيكون ذلك سبباً في انتكاسته وانحرافه عن الحق. . .

يقول أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهما ـ . (افتقد النبي ﷺ ثابت بن قيس ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال رجل. . يا رسولَ الله أنا أعلم لك علمه. . فأتاه فوجده جالساً في بيته، منكِّساً رأسه. . فقال. . ما شأنك؟ . . قال. . شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله وهو من أهل النار. . .

فأتى الرجل فأخبره. . فقال ﷺ: «**اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة**» . . .

وكان النبي ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه. . وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيعقده بين يديه. . فهلك. . فامتنع الرجل أن يحضر لذكر ابنه وحزنه عليه. . ففقده النبي ﷺ. . فقال: «**ما لي لا أرى فلاناً**» . . قالوا. . يا رسول الله بُنيُّه الذي رأيته هلك. . فلقيه النبي ﷺ . . فسأله عن بُنيه فأخبره أنه هلك. . فعزَّاه عليه . . ثم قال: «**يا فلان أيّهما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟**» قال. . يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي هو أحبّ إليّ. . قال. . «**فذاك لك**» . . .

ويروي الإمام مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ . أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله

تعالىٰ عنه ـ فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح . . وأن عمر بن الخطاب غدا إلىٰ السوق . . ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي . . فمرّ علىٰ الشفاء . . أم سليمان . . فقال لها . . (لم أر سليمان في الصبح) . . فقالت . . (إنه بات يصلي فغلبته عيناه) . . .

فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إليّ من أن أقوم ليلة) . . .

٢٤ ـ قد لا يتمكن من المواجهة . . لتبليغ الحق . . أو نهي عن منكر . . أو أمر بمعروف . . بسبب البعد . . أو الجاه . . أو الضرر المترتب علىٰ المواجهة . . أو الخوف من التلعثم واهتزاز المنطق . . ولكنه داعية إلىٰ الحق . . يريد أن يصل خيره إلىٰ الآخرين . . ليهتدوا كما اهتدىٰ . . وليعرفوا الحق كما عرفه . . لخوفه عليهم كما يخاف علىٰ نفسه عذاب الله ـ تعالىٰ ـ واليوم الآخر . . ليجدوا السعادة كما وجدها . . .

يرسل الرسائل . . سبقه إلىٰ ذلك . . الأنبياء والمرسلون . . والصحابة التابعون . . ومن تبعهم بإحسان . . يهدي الكتاب والشريط . . يستخدم الهاتف كوسيلة غير مباشرة . . ليقدم ما يريد بغاية الأدب والتلطف . . بدون إطاله أو غضب ورفع للصوت . . حتىٰ لا تضيع عليه فرصة سهلة لتقديم الخير وإظهار الحق . . يكتب في الصحف والمجلات . . ما يلامسُ حاجة المسلمين ويمس قضاياهم، يستخدم الملصقات يبين فيها الحق من الباطل . . يستحثُّ بها الهمم . . يقذف بالحق في القلوب . . بذرةً تنبت وتنمو شيئاً فشيئاً . . وتثمر . . ولو بعد حين . . .

٢٥ ـ يخاطب الناس ويدعوهم إلىٰ الحق والخير . . ولكنه يحرص علىٰ اختيار ما يلائمهم . . وماهم في حاجة إلىٰ معرفته . . والاستفادة منه . . لا يثير أمامهم ما هم في غنىً عنه . . والذي يؤدي بهم إلىٰ الخلاف . . وإثارة طائفة ضد أخرىٰ . . .

يدرك أنه كالطبيب فلا يقدم للمريض إلا ما يناسبه من العلاج . وبالقدر والطريقة المناسبة . . فلا يصير ضرره أكثر من نفعه . . .

إنه يخاطب جميعَ أصناف الناس . . أصحاب السلطة . . والرعية . . والعلماء . . وعامة الناس . . والأثرياء . . والفقراء . . أصحاب المؤسسات . . والعمال . . الأزواج . . والزوجات . . يحدث كلاً منهم بما هو في حاجة إليه وبما ينفعه . . .

يبين للولاة ما يجب عليهم نحو رعيتهم . . وللرعية ما فرض الله ـ تعالىٰ ـ عليهم من حقوق للولاة . . يذكّر أهل العلم بما للعامة من حقوق . . وينبه العوام بما يجب عليهم من احترام العلماء . . وحسن الاستفادة منهم . . يخبر الأثرياء بما وعد الله ـ تعالىٰ ـ المنفقين . . ويبين للفقراء فضل العفاف وكراهية المسألة . . يذكّر أصحاب العمل والمؤسسات والشركات بحقوق العمال وما بشّر به الرسول ﷺ من أعطىٰ الأجير أجره قبل أن يجف عرقه . . .

ويؤكد علىٰ العمال ضرورة الإخلاص في العمل وإتقانه . . .

ويراعي في ذلك أن يتوفر الاستعداد لفعل ما يوجههم ويرشدهم إليه . . فلا يتحدث مع المسنين والمعذورين والمرضىٰ حول الخروج للجهاد في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . ولا مع الفقراء والمساكين عن الإنفاق في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . .

يراعي المستوىٰ العقلي والفكري . . فلا يخوض في مسائل دقيقة لا تبلغها عقولهم . . وأساليب تعجز أفهامهم عن استيعابها . . .

يقول عليٌّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله) . . ويقول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) . . .

متنبهاً في ذلك كله . . توفر الرغبة لديهم في الاستماع . . ونشاطهم . . وإقبالهم . . علىٰ حديثه . . يقول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (حدِّث القوم ما حَدَجُوك بأبصارهم وأقبلت عليك قلوبُهم فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدِّثهم) . . قيل . . وما علامة ذلك؟ . . قال . . (إذا التفت بعضهم إلىٰ

بعض ورأيتهم يتثاءبون فلا تحدثهم) . . .

٢٦ ـ يحترق قلبه على واقع أمته . . ويعتصر حزناً على حالها . . فينشط في دعوته . . يبذل أقصى طاقته . . يجعلها في الليل والنهار . . وفكره في النوم واليقظة . . وشغله في السر والعلن . . .

إن لم يكن بلسانه الرفيق وكلامه السهل . . فبسلوكه الإسلامي القويم . . يحوِّل الإسلام إلى واقع . . إلى منهج حياة . . ينتقل من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام . . خصوصاً أنه يعيش زماناً يُحكم فيه على الإسلام . . من خلال . . الواقع المرّ للمسلمين . . .

٢٧ ـ لا تنقصه اللباقة في تآلف الناس ومداراتهم . . إن كانوا من السفهاء . . يتقي شرهم وفحشهم . . عاقل في مخاطبتهم . . لا يحسون منه جفوة . . ولا يلمسون فظاظة . . أو غلظة . . تقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ . . استأذن رجلٌ على النبي ﷺ . . فقال : **«ائذنوا له ، فبئس ابنُ العشيرة أو بئسَ أخو العشيرة»** . . فلما دخل ألان له الكلام . . فقلت له . . يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألنتَ له في القول . . فقال : **«أي عائشة ، إنَّ من شر الناس منزلةً عند الله من تركه أو وَدَعَه الناس اتِّقاء فحشه»** . . .

٢٨ ـ يتصور مرارة الندم والخيبة والخجل تحزّ في نفسه . . إن هو قصّر . . أو أعرض عن عيادة أخيه المريض . .

بزيارته . . لا يؤدي واجباً . . بل يشعر بالسعادة عند ما يدرك أنه في حضرة رب العالمين . . يشهد عمله . . ويؤجره عليه الأجر العظيم . يقول الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي . . **«يا ابنَ آدم مرضتُ فلم تعدني . . أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرضَ فلم تعده؟ أما علمتَ أنك لو عدته لو جدتَّني عنده»** . . .

بزيارته . . يُشعر أخاه أنه ليس وحده في ساعة المرض والكرب . . بل إنه معه يُسَلِّيه ويخفف عنه . . ويُدخل السرور إلى قلبه . . .



«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» . . في زيارته . . يجلس بجانب أخيه . . ويضع يده على ما يؤلمه . . ويدعو له . . لعل الله ـ تعالى ـ أن يتقبل منه . . .

يقول ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (كان النبي ﷺ إذا عاد المريضَ جلس عند رأسه . . ثم قال سبع مرارٍ **«أسأل الله العظيمَ ربَّ العرش العظيم أن يشفيك»** . .

وتقول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ . . (كان النبي ﷺ يعود بعض أهله فيمسح بيده اليمنى ويقول : **«اللهمَّ ربَّ الناس أذهب الباس، أشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً»** . . .

٢٩ ـ يوجه دعوته إلى الله ـ تعالى ـ إلى أكبر قدر ممكن من الناس . . من يعرفهم . . ومن لا يعرفهم . . سواءً كانوا معه في بلدته . . أم في غيرها من مشارق الأرض ومغاربها . . وعلى اختلاف أجناسهم وأعمارهم ومراكزهم . . يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله ـ تعالى ـ) . . .

يسعى إلى التعرُّف إليهم . . ومعرفة أحوالهم . . فينزلهم منازلهم . . ويتعامل معهم بما يناسبهم . . ويتحدث مراعياً أحوالهم . . باختيار المناسب من الأسلوب والوسيلة والمجال . . فيكون بذلك أشدَّ وقعاً . . وأكثر نفوذاً . . وأسرع استجابة . . .

يقول ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (أن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء عند عودته من مكة فقال : **«من القوم؟»** قالوا . . (المسلمون) فقالوا . . (من أنت . . قال : **«رسول الله»** . . فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت . . ألهذا حج؟ . . قال : **«نعم، ولك أجر»** . . .

ورأى ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ رجلاً يجرُّ إزاره . . فقال . . (فمن أنت؟) فانتسب له فإذا رجل من بني ليث . . فقال ابن عمر . . (سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول . . **«من جرَّ إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة، فإنَّ الله لا ينظر إليه**

يوم القيامة» . . .

٣٠ـ يوم أن ارتبط الناس من أجل مصلحة المال . . أو الجنس . . أو الجاه . . أو المنصب . . أو الحب والنسب . . ارتبط هو برابطة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ . . يحقق بها المعاني العظيمة . . التي لا يجدها إلا حين يضع يده بيد الشباب المسلم المؤمن . . فيحس أن روحَه روحُه . . وقلبَه قلبُه . . .

حينها يعلم حقيقة الإخوة في قوله تعالىٰ . . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] . . .

ويدرك حقيقة التأليف في قوله تعالىٰ . . ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] . . .

ويتذكر ظل العرش يوم أن ينادي الله ـ تعالىٰ ـ . . **«اليوم أُظلُّهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلي»** . . وينظر إلىٰ الأسباب وقد تقطعت يوم الحشر . . ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)﴾ [الزخرف: ٦٧ـ٦٨] . . .

٣١ـ صاحب رسالة . . يوطن نفسه علىٰ التضحية في سبيلها . . يصبر علىٰ تكاليفها . . يتحمل تبعاتها . . يصبر علىٰ آراء الناس وسوء تصرفاتهم وتصوراتهم . . وجفاء طبعهم . . وتثاقلهم إلىٰ الأرض . . وبطء استجابتهم . . ودورانهم حول المصلحة والذات . . .

لا يميل في لحظات السأم والضيق إلىٰ الانزواء واعتزال الناس . . بل يشد من عزمه . . ويجدد نفسه . . ووسائله . . إنه يعلم أن الصابرين في درب الدعوة الطويل خير من الذين لا يصبرون . . **«المؤمنُ الذي يخالط الناسَ ويصبر علىٰ أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطُ الناسَ ولا يصبر علىٰ أذاهم»** . . .

وكلما ضاق صدره . . ونفد صبره . . وتألم من الأذىٰ والعدوان . . تذكر قدوته ورسوله ﷺ والأنبياء من قبله . . وكيف كانوا آيةً في الصبر علىٰ تفاهات الناس وتخرُّصاتهم . . .



قسم النبي ﷺ قسمه كبعض ما كان يقسم. . فقال رجل من الأنصار. . والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله ـ عز وجل ـ . . وبلغت تلك المقالةُ مسامع الرسول ﷺ فشقّ ذلك عليه وتغيَّر وجهه وغضب . . ثم قال: **«قد أوذيَ موسىٰ بأكثرَ من ذلك فَصبَرَ»** . . .

٣٢ـ يقدر المعروف . . ويعترف بالجميل . . يكافئ عليه ولا يجحده . . ويشكر عليه ولا ينساه . . خُلُقٌ متأصِّل فيه . . وليس مجاملة اجتماعية تتحكم فيها الأمزجة والأهواء . . وتدفع إليها المنافع والمصالح . . وتتغير بمدىٰ تحقق تلك المنافع والمصالح . . .

إن صاحب المعروف . . يستحق الشكر وإن لم تتحقق علىٰ يديه مصالح . . وإن شكر الله ـ تعالىٰ ـ لا يتم ولا يتحقق علىٰ وجهه الأكمل . . إلا بشكر الناس علىٰ ما قدموه من معروف . . **«لا يشكر الله من لا يشكرُ الناس»** . . .

٣٣ـ إذا نزل ضيفاً علىٰ أحد . . قدَّر ظَرفه . . فلا يُقيم عنده مسترخياً متثاقلاً . . فيسبب لمضيفه الإحراج والإزعاج . . والتَّذمر والضيق . . يقول الرسول ﷺ . . **«لا يحلُّ لمسلم أن يقيمَ عند أخيه حتىٰ يؤثمَه»** قالوا . . يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ . . قال: **«يقيمُ عنده ولا شيءَ له يقريه به»** . . وفي رواية . . **«ولايحلُّ له أن يَثوي عنده حتىٰ يُحرجه»** . . .

خفيف الظل . . يستجيب لما يُحبون . . وما يرغبون . . يغيض بصره عن عوراتهم . . لا يدخل أو يخرج إلا باستئذان . . .

«من نزل مع قوم فلا يصومَنَّ إلا بإذنهم، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه فإنَّ القوم أعلم بعورة دارهم» . . .

٣٤ـ التباهي والتفاخر . . وحب الظهور . . يجعل البعض يودّ أن يقوم هو دون سواه بفعل الخير . . ولكن ظروفه لا تمكنه من القيام به . . فيبقىٰ الخير مدفوناً . . والمصالح معطلة . . وقد لا تسنح الفرصة له . . وينتهي العمر . . ويبقىٰ

الخير حبيس الرؤوس المظلمة . . إنه بريء من هذه الآفات . . لا يزوي خيراً عن أحد . . لا يكتم أمراً فيه للناس منفعة . . لا يقصر الخير لنفسه . . سيان لديه إن قام هو به أم دلّ عليه من يقوم به وينتفع وينفع الناس به . . .

يشيع الخير في المسلمين . . ليقوم به كل من يُسِّر له . . فيحظى بالثواب مثل فاعل الخير سواء . . . **«مَن دلَّ على خير فلهُ مثلُ أجر فاعله»** . . .

٣٥ـ يتحرَّى العُفاة المحرومين . . من المحتاجين المتعفِّفين . . يحسبهم الناس أغنياء من التعفف . . يبحث عنهم . . ويطرق أبوابهم . . يُعطيهم ما يسدُّ حاجتهم ويحفظ كرامتهم . . .

«ليسَ المسكينُ الذي يطوف على الناس تردُّه اللقمةُ واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكنَّ المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه، ولا يُفطن به فيتُصدّقُ عليه ولا يقوم فيسأل الناس» . . .

يعطي اليتيم . . يقوم بالنفقة عليه . . يعتني بشؤونه . . قريباً كان أو بعيداً . . محتسباً ذلك عند الله ـ تعالى ـ . . الذي أعدّ لكافل اليتيم مقاماً عالياً تتقطع دونه الأعناق . . .

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار ﷺ بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما يسعى على الأرملة والمسكين . . ولا يتعالى على ذلك بأعمال أخرى يقوم بها . . فإنَّ لذلك السعي أجراً عظيماً لا يناله إلا الصادقون المتواضعون . . **«السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»** وأحسبه قال . . **«وكالقائم الذي لا يفتر وكالصَّائم الذي لا يُفطر»** يحذر في ذلك كله من المنِّ . . الذي يُبطل الصَّدقات . . ويذهب الحسنات . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] . . يدرك أنه لا فرق بينه وبين من يعطيهم إلا التقوى والعمل الصالح . . فلا يُهين إنسانيتهم . . ويمتهن كرامتهم . . بمَنِّه وإيذائه لهم . . يقول ﷺ : **«ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم»** . . قرأها ثلاث مرات . . قال أبوذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (خابوا

وخسروا، من هم يا رسول الله؟). قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**». ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٢]. . .

٣٦ـ بصير بمواطن الكرم ومناسباته. يحتفي بإخوانه. يتجمل بذلك ويحبب الناس فيه. ويقوِّي أواصر المحبة بينهم. وروح التعاطف فيهم. . .

يفتقد ذلك. من لا يهتم إلا بنفسه ومصلحته. يقول عليٌّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ. (لأن أجمعَ نفراً من إخواني علىٰ صاع أو صاعين من طعام أحبُّ إليَّ من أن أخرج إلىٰ سوقكم فأُعتق رقبة). . .

٣٧ـ يدعو إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ. يبذل كلَّ الأسباب التي تعينه علىٰ ذلك. ولا ييأس. أو يترك العمل. إذا لم يرَ نتيجة سريعة لجهده ودعوته. إنه ليس مطالب إلا بالعمل والتبليغ. أما الهداية فهي بيد الله ـ تعالىٰ ـ. الذي لم يكلفه بنتائج الأعمال. إنما بصدق التوجه. وحسن الاستعداد. . .

«**إن قامت السَّاعةُ وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتىٰ يَغرسها فليفعل**». . .

٣٨ـ يوضح كلامه. حتىٰ يفهمه السامعون. يكرِّره عليهم حتىٰ يعقلوه. ولا يفهموا منه غير ما يقصد. دون ملل أو سأمه. . .

يقول أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ. (كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتىٰ تُفهم عنه، وإذا أتىٰ علىٰ قوم فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثاً). وتقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ. (كان كلامُ رسول الله ﷺ فصلاً يفهمه كلُّ من يسمعه). . .

٣٩ـ يقدم بين يديه عملاً صالحاً ينجيه من كرب يوم القيامة. ويستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ـ سبحانه ـ. يُنفِّس عن المعسر. إذا آنس منه عسرة أو ضيق. يعذره ويُنظره. أو يضع عنه من الدين. . .

«من سَرَّه أن ينجيهُ الله من كُرَب يوم القيامة فلينفِّسْ عن مُعسر أو يضع عنه» . . .

يعلـم أن ذلك لن يضـيع عند الله ـ تعـالىٰ ـ . وسـيـعـوِّضـه بتـجـاوزه عن دين أخيه . . تجاوزاً أكبر وأغنم وأعظم . . يجبر به التَّقصير . . وينجيه من الأهوال يوم يقوم الناس لربِّ العالمين . . قال ﷺ : **«كان رجلٌ يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذا أتيت مُعسراً فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا ، فلقيَ الله فتجاوز عنه»** . . .

٤٠ ـ إن قدم عليه ضيف هشَّ لاستقباله . . وسارع في إكرامه . . لا يبخل ولا يمسك عن ضيفه مهما كانت حاله . . لا يخاف من قدوم ضيف مفاجئ . . ولا من كثرة الأيدي على طعامه . . . يطعم ضيفه . . ويظل جائعاً . . أهون عليه من أن يعرض عن ضيف أمره الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بإكرامه . . **«من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيُكرم ضيفَه»** . . مدركاً أن الله ـ تعالىٰ ـ يبارك في الطعام فيكفي الجميع . . **«طعامُ الواحد يكفي الاثنين ، وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»** . . .

٤١ ـ مشغول بتحقيق كلمة الله ـ تعالىٰ ـ في الأرض . . ورفع رايته . . ونشر قيمه . . فلا يجد وقتاً للخوض في شؤون الناس الخاصة . . أو في تفاهاتٍ حول ما يُقال عنهم ويشاع . . .

مرتفع عن المهاترات الفارغة . . والثرثرة الرخيصة . . والتدخل فيما لا يعنيه . . .

«إنَّ الله ـ تعالىٰ ـ يرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال وكثرةَ السؤال وإضاعة المال» . . .

٤٢ ـ إذا مسَّه الغيظ من أخيه . . كظم غيظه . . ثم لا يأنف أن يُتبع ذلك بالصفح والعفو عنه والتَّغاضي عن ذلته . . لا يرىٰ في ذلك ذلاً ولا عاراً . . بل يرىٰ فيه إحساناً يقربه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . ويكسبه محبته . . ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . . .

يتواضع بذلك لأخيه ويعفو عنه لله ـ تعالىٰ ـ . . مبتغياً منه ـ سبحانه ـ العزة والرفعة . . .



«مازادَ الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضعَ أحد لله إلا رفعه» . . .

ويرتقي بذلك إلى مرتقى الصبر والغفران . . ﴿ ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] . يقابل السيئة بالحسنة . . فتطفئ شعلة الغضب . . وتهدئ من فورة النفس . . وتغسل الضغينة من القلب . . إنه لفوز عظيم لا يُلقَّاه إلا ذو حظ عظيم . . .

﴿ ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ (٣٤) وما يُلقاها إلا الذين صبروا وما يُلقاها إلا ذو حظٍّ عظيمٍ (٣٥) ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] . . .

لما عصت دوس وأبت الإذعان لأمر رسول الله ﷺ . . جاء الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله تعالى عنه - إلى النبي ﷺ فقال . . (إنَّ دوساً قد عصت وأبت فادعُ الله عليهم) . . فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه . . فقال الناس . . (هلكوا) . . ولكن الرسول ﷺ دعا لدوس قائلاً : **«اللهمَّ اهد دوساً وائت بهم ، اللهمَّ اهد دوساً وائت بهم . . اللهمَّ اهد دوساً وائت بهم»** . . .

٤٣ - ينصح نصحاً صادقاً لكل مسلم . . يقصد بذلك وجه الله - تعالى - . . وبه سينال الثواب . . ويستحق القبول لا يشهِّر في نصحه . . إنما ينصح أخاه في لحظة خلوة وصفاء . . فلا يكون عوناً للشيطان عليه . . مما يجعله يُصرُّ على الخطأ والتقصير . . ويوغر صدره . . .

يقول ابن حزم - رحمه الله تعالى - . . (وإذا نصحتَ فانصح سراً لا جهراً ، وبتعريض لا تصريح ، إلا أن لايفهم المنصوح التعريض فلا بد من التصريح) . . .

ويقول الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - . . (المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويُعيِّر) . . وإذا نصح أحداً . . لا يلزمه بما نصحه به . . لأنَّ ذلك ليس من حقه . . إنما هو دالٌّ على الخير . . .

يقول ابن حزم - رحمه الله تعالى - . . (لا تنصح على شرط القبول منك ، فإن

تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح . . وطالبُ طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوَّة . . وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة . . لكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبده) . . .

٤٤ ـ يعرف متىٰ تدبر القلوب . . ومتىٰ تقبل . . فيجيد مخاطبتها . . يعلم أن أخاه لا يكون في كل وقت مستعداً لقبول النصيحة . . .

فقد يكون مكدَّراً في نفسه . . بحزن . . أو غضب . . أو فوات أمر . . فيمنعه ذلك من الاستجابة . . وينغلق قلبه وعقله أمام النصح والإرشاد . . .

يقول ابن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وفترة وإدباراً، فخذوها عند شهوتها وإقبالها وذروها عند فتراتها وإدبارها) . . .

يتحرَّىٰ الوقت المناسب من حاجة الناس أوفراغهم . . عند تعليمه لهم . . يقدم العلم علىٰ دفعات . . ويسوق لهم الموعظة علىٰ فترات . . يلمس بها قلوبهم ومشاعرهم . . بين الحين والحين . . متجنباً الإثقال . . والإطالة . . والإملال . .

كان عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . يتعهد الناس بالموعظة كلَّ يوم خميس . . فقال له رجل . . (يا أبا عبدالرحمن لوددتُ أنك ذكَّرتَنا كلَّ يوم) . . فقال . . (أما إنه يمنعني من ذلك أنِّي أكره أن أُملَّكم وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافةَ السَّآمة علينا) . . .

٤٥ ـ لا يواجه المسيء بإساءته ما أمكن . . يلجأ إلىٰ التورية . . حرصاً علىٰ المشاعر أن تُخدش . . وعلىٰ الكرامة أن تُهان . . فإنَّ ذلك أوقع في النفوس . . وأنجح في مداواة العلل والأخطاء . . وذلك . . حين يجد في الموعظة العامة كفاية . . .

منع النبي ﷺ شيئاً ثم رخص فيه . . فتنزَّه عنه قوم . . فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب وحمد الله ـ تعالىٰ ـ ثم قال : **«ما بالُ أقوام يتنزَّهون عن شيء أصنعه، فوالله إنِّي لأعلمُهم بالله وأشدُّهم له خشيةً»** . . .



وبلغه شرط أهل بريرة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ . . أنَّ الولاء لهم بعد بيعها . فخطب الناس فقال : **«ما بالُ أناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن شرط مائة مرة ، شرط الله أحق وأوثق»** . . .

٤٦ ـ بعض الدعاة مهما بلغوا من الصلاح . . فهم من البشر . . غير معصومين من الزلل والخطأ . . أو من السقوط على أعقابهم . . .

فهو يقتدي بهم ماداموا على الحق ثابتين . . فإذا ما ابتعدوا عن الحق . . وزاغوا . . فإن ذلك لا يلفته عن الحق . . إن قلبه معلق بالحق وليس بالأفراد . . الذين لا تؤمن عليهم الفتنة . . .

يقول ابن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (من كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات (يعني الصحابة) فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة) . . .

٤٧ ـ استشعر بقلبه حقيقة الإيمان . . وفاضت جوارحه بها . . فلا يطيق عنها سكوتاً . . لم يجلس في بيته . . يرىٰ الضلال من حوله . . الجمود . . والفجور . . بل سعىٰ بالحق الذي استقرَّ في نفسه . . وتحرك في حواسه . . سعىٰ به إلىٰ أهله وجيرانه . . إلىٰ أصحابه . . ومن يراهم في كل مكان . . ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ٢٠] . . .

عرف دعوته معرفة حية متحركة تنبع من وجدانه . . فتنفعل لها نفسه . . وتتحرك بها جوارحه . . وحواسه . . فتتم لها الاستجابة السريعة لتطبيق دينه . . سلوكاً واقعياً . . ليصبح من المسلمين . . سمع عمير بن الحمام الأنصاري ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ رسول الله ﷺ يقول أثناء معركة بدر . . **«قومُوا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض»** . . فقال عمير . . (يا رسولَ الله جنة عرضها السَّموات والأرض؟) . . قال . . **«نعم»** . . قال (بخ بخ) فقال رسول الله ﷺ . . **«ما يحملُكَ علىٰ قولك بخ بخ؟»** قال . . (لا والله يا رسولَ الله ، إلا رجاء أن أكونَ من أهلها)

قال . . «فإنَّك من أهلها» . . .

فأخرج تَمَرات من قرنه فجعل يأكل منها ثم قال . . (لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة) . . فرمىٰ بما كان معه من التمر . . ثم قاتلهم حتىٰ قتل . . .

٤٨ ـ يريد الهداية للناس جميعاً . . يريد الجنة ليس له ولأهله فحسب . . وإنما يريدها للخلق أجمعين . . فهو يدعوهم إليها . . ويحذرهم ويبعدهم عن النار . . .

إن جاهد في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . يبدأ بدعوة الأعداء إلىٰ الإسلام . . قبل قتالهم . . ويحثهم علىٰ قبوله . . متأسياً بقدوته ﷺ . . الذي كان إذا بعث أميراً علىٰ سرية أو جيش . . أوصاه بتقوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في خاصَّة نفسه . . وبمن معه من المسلمين خيراً وقال . . **«إذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعُهم إلىٰ إحدىٰ ثلاث خصال أو خلال ، وأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكُفَّ عنهم . . أُدعُهم إلىٰ الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . . »** . . . . .

وجاء في كتاب عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ لأميره علىٰ الجيش سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (وقد كنتُ أمرتك أن تدعوَ من لقيتَ إلىٰ الإسلام قبل القتال ، فمن أجاب إلىٰ ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وله سهم في الإسلام) . . .

ولم يكن بدؤه بالدعوة قبل القتال أمراً صورياً لإكمال الشكل الرسمي . . بل هو جاد في عرضه . . حريص علىٰ هدايتهم . . يرغِّبهم في الخير ويرهبهم من رده . . .

يقول غوستاف لوبون . . (وكان العرب قبل أن يسعَوا إلىٰ فتح بلد يُرسلون رسلاً حاملين إليه شروطاً للوفاق ، وتكاد هذه الشروط تكون مماثلة للشروط التي عرضها عمرو بن العاص رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة علىٰ أهالي غزة حين حصاره لها ، وللشروط التي عرضت علىٰ المصريين وأهل فارس . . فتلك الشروط التي عرضها عمرو بن العاص هي . . (أمرنا صاحبنا ﷺ أن نقاتلكم إلىٰ أن تكونوا في ديننا وتكونوا إخوانَنا ويلزمكم ما يلزمنا فلا نتعرض

إليكم، فإن أبيتم أعطيتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم، فإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا السيف فنقاتلكم حتى تفيئو إلى أمر الله) . . .

٤٩ ـ يحاسب نفسه على كل قول أو فعل . . صغير أم كبير . . لا يخالف قولُه عمله . . إنه تحت رقابة دقيقة . . ممن يتخذونه قدوة . . .

يقول ابن الحاج ـ رحمه الله تعالى ـ . (الغالب على النفوس الاقتداء في شهواتها وملذَّاتها وعاداتها أكثر مما تقتدي به في التعبد الذي ليس لها فيه حظ . . فإذا رأت ذلك من عالم (أو داعية) وإن أيقنت أنه مجرم أو مكروه أو بدعة تعذر نفسها في ارتكابها . . لذلك إن سلمت من سُمِّ الجهل . . تقول: لعل لهذا العالم (أو الداعية) العلم بجواز ذلك لم نطلع عليه أو رخص فيه العلماء . . فإذا رأت من هو أفضل منها في العلم والخير يرتكب شيئاً من ذلك فأقل ما فيه من القبح الاستصغار والتهاون بمعاصي الله ـ تعالى ـ . . وهو السم القاتل) . . .

يقول الرسول ﷺ: «**يؤتَى بالرجل يومَ القيامة فيُلقى في النار فتندلقَ أقتابُه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهلُ النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليسَ كنت تأمرُنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال . . كنت آمرُكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكُم عن المنكر وآتيه**» . . .

٥٠ ـ ﴿فبِمَا رحمة مِّن الله لنتَ لهُمْ ولَوْ كُنتَ فظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] . . الرفق . . اللِّين . . الحلم . . عواملُ تنير له الطريق في حياته . . وفي جميع تعاملاته . . الرفق في أخذه للدين وأحكامه . . «**إنَّ الدِّين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيءٍ من الدلجة**» . . .

الرفق مع الناس . . حينما يرى من يسيء إليه في حياته اليومية . . في بيته . . في طريقه . . في عمله . . عند منزله . . أو في السوق . . لا يشتمه أو يدعو عليه . . بل يدعو له ويسامحه . . ويعلِّمه . . ويرشده من غير إغلاظ أو تعنيف . . يقول أنس

رضي تعالىٰ عنه . . (كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ . . وعليه بُرد نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبةً شديدة ، فنظرت إلىٰ صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثر بها حاشيةُ الرداء من شدة جذبته . . ثم قال . . يا محمّد مُرْ لي من مال الله الذي عندك . . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) . . .

الرفق مع المبتدئ في إسلامه . . أو التزامه . . بعث رسول الله ﷺ أبا موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ إلىٰ اليمن فكان أول ما أوصاهما به أن **«يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا»** . . .

الرفق في تعليمه للجاهل . . بالتدريج . . حتىٰ يُحبِّب إليه الدين وأحكامه . . وتنشرح نفسه إليه . . يقول معاوية بن الحكم السُّلمي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القومُ بأبصارهم . . فقلت . . واثُكل أمَّاه ما شأنكم تنظرون؟ فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخَاذهم ، فعرفت أنهم يُصمتوني فلما رأيتهم يسكتوني لكني سكت . . قال . . فلما صلىٰ رسول الله ﷺ بأبي وأمي ـ ما ضربني ولا سبَّني ثم قال . . **«إنَّ هذه الصَّلاة لا يحلُّ فيها شيءٌ من كلام الناس هذا ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءةُ القرآن»** وفي رواية قال . . (فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله ﷺ) . . .

الرفق مع الأعداء . . تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ (إنَّ يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا . . (السَّام عليكم (أي الموت) . . فقالت عائشة . . عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم . . فقال **«مهلاً يا عائشة ، عليك بالرفق وإياك والعنفَ والفحش»** . . .

الرفق حتىٰ بالحيوان . . ركبت عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ بعيراً . . فكانت فيه صعوبة فجعلت تردِّده . . فقال لها رسول الله ﷺ . . **«عليك بالرفق»** . . .

الرفق عند ذبح الحيوان . . **«إنَّ الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء ، فإذا قتلتم**



فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (النصيحةُ هي إحسان إلىٰ من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو إحسانٌ محض يصدر عن رحمة ورقة، ومراد الناصح بها وجهُ الله ورضاه والإحسان إلىٰ خلقه، فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذىٰ المنصوح ولآمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق علىٰ المريض المشبع مرضاً، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح) . . .

ا ٥ ـ برفقه . . يكسب العون من الله ـ تعالىٰ ـ . **«إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ ويرضاه ويُعين عليه ما لا يعين علىٰ العنف»** . . .

برفقه . . ينال عطاء الله ـ تعالىٰ ـ وعظيمَ أجره الذي لا يناله بسواه . . «يا عائشةُ إنَّ **الله رفيق يحب الرفق، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف، وما لا يُعطي علىٰ ما سواه»** . . .

برفقه . . يدرك الخير من الله ـ تعالىٰ ـ له ولأهل بيته . . **«إذا أرادَ الله بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرِّفق»** . . .

برفقه . . يدرك دعوة الرسول ﷺ ويصيبه خيرُها . . **«اللهمَّ من وَلي من أمر أمَّتي شيئاً فرفَقَ بهم فارفُق به»** . . .

برفقه . . يحبب الناس في تعاليم دينهم . . يقول مالك بن الحويرث ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . (أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رفيقاً فلما رأىٰ شوقنا إلىٰ أهالينا قال . . **«ارجعوا فكونوا فيهم وعلِّموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصَّلاة فيؤذن لكم أحدُكم وليؤمُّكم أكبركم»** . . .

برفقه . . تزان أموره كلها وتحسن . . وبعدمه تسوء أموره كلها وتُشان . . **«إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه»** . . .

٥٢ ـ موعظتـه للناس وحـديثـه إليـهـم . . على حـسب حـاجـتـهم ونشـاطهم ورغبـتهم . . يحـذر من المداومة خشـية أن يَمـلَّ الناس وينفـروا ويُعرضـوا . . قـال رجل لعبـدالله بن مسعود . . (لَوددتُ أنك ذكَّرتـنا كلَّ يوم) فقال . . (أما إنه يمنعني من ذلك إنِّي أكره أن أُملَّكم وأني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها مخافـة السَّآمة علينا) . . إنه خوف السأمة على جيل الصحابة والتـابعين . . فما باله بجيل القرن العشرين . . .

يقول ابن عبـاس ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (حدِّث الناسَ كلَّ جمعة ، فإن أكثرت فـمرَّتين فـإن أكثـرت فـثلاثاً ولا تُملَّ الناس من هذا القـرآن ، ولا تأتي القـوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم . . أنصت فـإذا أمروك فحدِّثهم وهـم يشتهونه ، وإياك والسجع في الدُّعاء فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه) . . .

٥٣ ـ عندما يقوم برئاسة عـمل ما . . فإنه يوازن بين حاجـات العمل وحـاجات العاملين . . بين الحـاجة لسرعة الإنجـاز وضرورة صرف بعض الوقت لتدريبهم . . وبين أن تبقى مسافة بينه وبين موظفيه وأن يكون قريباً منهم متعاطفاً معهم . . بين متطلبات العمل . . وحاجات أهله وأسرته . . .

يستمع لـلآخرين وأفكارهم . . ينظر إليـهم كـمصـدر للنفع والإبداع . . لا على أنهم كـسـالى ومـبـذِّرين ومـصـدراً لـلامـتـعـاض . . يرحـب بكل الأفكـار التي يطرحـونهـا . . ولا ينظر إليـهـا بعين الشك . . ويراها أفكاراً تفتقـر لكل مقـومـات النجـاح . . إنه بذلك سيـرقى بهم إلى أعلى المسـتويات . . ولا يبـقى كـالمتـشـائم . . مكانك سر . . .

٥٤ ـ لا يفـقد ثقـته بموظفيه إذا مـا فشلوا في تطبيق أسـاليب عمل جديدة . . لا يلقي بـاللائمة عليـهم . لديه الصـبر والرغـبة في النهـوض من العثـرات وتكرار المحاولة مرة بعد أخرى . . .

وكـقـائد حـقـيـقي . . لا يقـول : هذا ليس عـملي . . إذا أراد من مـجـموعـتـه أن

تتكاتف وتحقَّق المستحيل . . وقت الأزمات . . مستعدٌ لحمل مزيد من الأعباء . . فإنه لن يجني من الشوك العنب . . إذا جعله التوتر الناجم عن العمل . . غير متسامح . . لا يراعي شعور الآخرين . . يتجاهل اقتراحاتهم . . يقلل من إنجازاتهم . . يقرعهم أمام زملائهم . .

إنه يدرك أن أفضل القادة على الإطلاق . . هم أولئك . . الذين يُبدون اهتماماً بالعاملين . . حيث يُصدرون تعليماتهم بلباقة . . وبشيء من التقدير . . .

٥٥ ـ واثق من نفسه . . دون غطرسة . . يعتمد على ذاته . . دون تعال . . يهتم بمن حوله . . يعبِّر عن ذلك بنظرته وحركاته . . وعندما يقول أهلاً ومرحباً . . يقولها بصدق . . وعندما يسأل . . كيف الحال؟ . . يسأل باهتمام وعمق . . .

يضبط نفسه . . يدرك عيوبها . . وأن لكل إنسان عيوباً . . فلا يقول . . أنا . . و . . نفسي . . و . . لي . . .

٥٦ ـ إدارته بالتجوال . . يزور مجوعته في مقر أعمالهم . . يصغي لاهتماماتهم . . وشكاواهم . . ومطالبهم، يدرك أن العقاب الصارم يستثير أسوأ ما في الناس . . يشعرهم بالخوف . . ويثير غضبهم . . أحاسيس تؤثر على أدائهم وتقلل من كفاءتهم . .

إن كل ما يحتاجه هو الحب والاهتمام . . فعند ما يقدرهم . . ويضع مصلحتهم وسعادتهم نصب عينيه . . عندما يحترمهم كأفراد . . ويعاملهم كإخوة . . سيجد أن ليس هناك حاجة لتأديب . . أو عقاب . . .

٥٧ ـ ليس كلٍّ من يشتكي من أمر ما . . يعني أنه يكره العمل معه . . أو يكره إدارته . . أو يكرهه هو . . لا شيء يجافي الحقيقة مثلُ هذا الافتراض . . إن المتذمر يقدم له خدمة جليلة . . حين يطلعه على وضع يعاني منه الآخرون بصمت تام . . مدركاً . . أن المعاناة الصامتة . . ما هي إلا . . حامض قلوي مركز يحرق المعدة ويدمر الطاقة . . إنه يجد في التذمرات ما يستحق منه الامتنان . . والاعتراف

بالجميل . . وليس الانتقام . . .

٥٨ ـ عادل في معاملته لموظفيه . . لا يحابي أحداً . . فيغضبهم . . ويصيبهم بالإحباط . . وتنهار معنوياتهم . . ويتلاشىٰ اهتمامهم بالعمل . . .

يدرك أنهم لن يبذلوا قصارىٰ جهدهم إذا كان إنجازهم وجهدهم في عملهم سينسب إلىٰ غيرهم . . أو أن من يبذلون جهداً أقل سوف يكونون أفضل منهم . . .

إن المديح بحدوده الشرعية . . والتقدير والثناء بحقه . . يرفع من معنوياتهم . . ويزيدهم نشاطاً واهتماماً . . مدركاً أنهم قد يترددون في إهدار طاقاتهم في جهود لا تلقىٰ جزاءً ولا شكوراً . . «**من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ الله**» . . .

٥٩ ـ مسؤول ناجح . . يعلم أن جميع العيوب مسلطة عليه . . إنه مثال حيٌ لكل من يعمل معه . . فإذا لم يكن قدوة . . لن يتبعه أحد . . لا يتوقع من الآخرين بذل قصارىٰ جهدهم . . إذا لم يكن معهم أثناء عملهم . . ليشاهد بنفسه ويحفزهم إلىٰ المزيد من العطاء . . يتعاون معهم . . يبث فيهم روح الأسرة الواحدة . . .

لا يتهرب من المسؤولية . . مسؤولية الأخطاء . . بل يتحمَّلها . . ولا يلقي باللوم علىٰ الآخرين . . فإنه بذلك لن يخسر ثقتهم . . بل احترامهم أيضاً . . .

٦٠ ـ إن العمل مع الجماعة ممتع . . يبعث علىٰ السعادة . . ويحول بين المرء وبين الملل . . ويحقق إنجازات يصعب علىٰ المرء تحقيقها بنفسه . . .

إنه عمل يحتاج إلىٰ اهتمام بالغ . . لينمو . . وخيال وتفكير خصب . . ليرقىٰ . . هذا الاهتمام لا يعني له أكثر من ملاحظة إيجابية . . كلمة شكر . . حفلة صغيرة . . .

إنها لمسات إنسانية بسيطة . . تسعد الآخرين . . ويجني بها مزيداً من التعاون والنجاح . . .

٦١ ـ حكيم رزين . . لا يفقد شعوره . . فيصرخ ويصيح . . ضارباً بقبضته



. . قاذفاً ما في يده . . يغلظ الأيمان معبراً عن غضبه . .

إن الآخرين لن ينظروا لمثل هذه التصرفات على أنها قوة وصرامة . . بل يعتبرونها ضرباً من الجنون وقلة الحيلة . . **«ليسَ الشديدُ بالصُّرَعة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسَه عند الغَضَب»** ، إن لديه من الصبر . وضبط النفس ما يجعله يحل المشكلات لا أن يزيدها . . هناك مواقف تجبره على التعبير عن خيبة الأمل أو الإحباط . . لكن تعبيره ينصب على الأشياء والمواقف نفسها . . وليس على من قاموا بها . . حتى وإن ارتكبوا بعض الأخطاء . . لأنه بغير هذا السلوك . . سيجبرهم على إخفاء الأخبار السيئة . . والمشكلات الكبيرة . . تجنباً لغضبه . . وسيكون بذلك آخر من يعلم . . وبعد فوات الأوان . . .

٦٢ـ من الطبيعة التي خُلق الناس عليها . . استحسان أعمالهم . . يدافعون عنها . . ويوالون عليها . . إن كانوا على الهدى رأوه حسناً . . وإن كانوا على الضلال رأوه حسناً . . وهو كمؤمن مطمئن لدينه . . واثق من الحق الذي هو عليه . . هادئ القلب . . يدرك أنه لا طائل من شتم أهل الضلال والمعاصي . . أو الاستهزاء بهم . . وبأعمالهم . . وأن ذلك لا يزيدهم إلا عناداً . . ويثبت المنكر في نفوسهم . . وقد يُسمعونه ما يكره من شتم دينه وعمله . . وقد يفقد بسببهم وشتم أعمالهم . التأييد ممن يستمع إليه . . .

﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٨] . . .

إنه بذلك يكسب الأنصار . . والمستجيبين لقوله ودعوته . . يجعل المكابر والمعاند يصغي ويستمع وقد يعود للحق والهدى . . .

مرّ فتى مُسبلٌ إزارهُ بأصحاب التابعي . . صلة بن أشيم . . ـ رحمه الله تعالى ـ . . فهمّوا أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً . . فساءه ذلك وقال لهم . . (دعوني أكفكم أمره) . . ثم قال . . (يا ابن أخي، إن لي إليك حاجة) . . قال . . ماهي؟ . .

قال.. (أحبُّ أن ترفع إزارك).. قال.. نعم ونعمئ عيني، فرفع إزاره.. فقال صلة لأصحابه.. (هذا كان أمثل مما أردتم، فإنكم لو شتمتوه وآذيتموه لشتمكم).. .

٦٣ـ يبذل نفسه للدعوة إلى الله ـ تعالى ـ.. في كل مكان في أنحاء الأرض.. وماله وجاهه ومركزه.. في بعث المعلمين والدعاة.. إلى جميع أنحاء الأرض.. يعلمون الناس القرآن.. ويفقهونهم في أمور دينهم، يوجه دعوته للقريب والبعيد.. العرب والعجم.. البيض والسود..

يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ.. (إن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الإسلام.. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ، ولما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الفاروق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.. (إن أهل الشام كثير وقد احتاجوا إلى من يعلِّمهم القرآن ويفقههم).. أرسل إليهم الفاروق.. معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء ـ رضي الله تعالى عنهم ـ...

وبعث عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ.. دعاةً ومعلمين إلى البلاد.. بعث نافعاً مولى ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ إلى أهل مصر يعلمهم السنن. وأرسل عشرة من التابعين ليفقهوا أهل أفريقيا ويعلموهم أمر دينهم..

٦٤ ـ قد يقع بين من هم تحت ولايته من النساء خلافٌ مع أزواجهنَّ.. ويعرف ذلك بطريقة مباشرة.. دون تدخل منه.. أو تُخبره إحداهن بذلك.. فإنه ينصحها.. ويصبرها.. ويرشدها لما ينفعها ويفيدها.. وما فيه إسعاد زوجها وتحقيق مرضاته.. يتودَّد إلى زوجها.. ويداريه.. ويسكن ويهدئ من غضبه.. يرشده إلى ما يعينه على دوام حياته.. من غير تدخل في الشؤون والخصوصيات.. جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ.. فلم يجد علياً ـ رضي الله تعالى عنه ـ في البيت فقال: «أين ابن عمك؟» قالت.. (كان



بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يَقِل(لم ينم)عندي . . فقال رسول الله ﷺ لإنسان **«أُنظر أين هو؟»** فجاء فقال: (يا رسول الله هو في المسجد راقد) . . فجاءه وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول . . **«قم أبا تراب، قم أبا تراب»** . . .

٦٥ ـ لا يرىٰ بأساً في أن يعرض الزواج من ابنته أو قريبته . . علىٰ رجل يرىٰ فيه الخير والصلاح . . لا يستحي من ذلك . . بل يراه من تمام الإحسان إليها . . بدلاً من أن يدعها حبيسة البيت من غير زوج . . عرضة للزلل أو الهموم . . .

حين تأيمت حفصة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ . . وكان عمرها حينذاك عشرين عاماً . . يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال . . سأنظر في أمري فلبثت ليالي ثم لقيني فقال . . قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا . . قال عمر . . فلقيت أبا بكر الصديق . . فقلت: إن شئت زوجتُك حفصة بنت عمر . . فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً . . وكنت أوجد عليه مني علىٰ عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ . . فأنكحتها إياه . . فلقيني أبو بكر فقال . . لعلك وجدتَّ عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ . . قال عمر . . نعم . . قال أبو بكر . . فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ . . ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها) . . .

٦٦ ـ كمدير ناجح . . وقائد . . ومشرف . . يستمع لكل شيء . . وبكل هدوء . . يعلم أن الصداقة والإخلاص لا يُشتريان بالمال . . .

هناك أشياء يريد تغييرها . . ولكنه يتريث طويلاً . . يفكر قبل إلغائها . . فربما كانت المصلحة في بقائها . . والعادات المتأصلة لن يستطيع تغييرها بين عشية وضحاها . . والأنماط القديمة لا تنمحي إلا بعد جهد جهيد . . وبالتمرس والصبر والمثابرة . . .

لا يتعامل مع موظفيه. . أو من هم تحت يده معاملة العبيد. . والاستبداد. . والذي يعبر عن الضعف لاعن القوة. . فيخلق لنفسه أعداءً يكنّون له الكراهية والبغض. . .

يدرك أن التعبير الحقيقي عن القوة يتم بأسلوب هادئ وحازم. . فيكسب محبة الآخرين. . وتنفيذ ما يريد. . .

٦٧ ـ مدير قلق على العمل. . يغمره شعور كبير بالمسؤولية. . ولكنه لا يحاول القيام بكل شيء. . ويرىٰ أنه من الأسهل والأفضل أن يؤدي العمل بنفسه بدلاً من تعليم الآخرين. . إنه بذلك سيجد أكداساً من المذكرات. . وأموراً تنتظر اتخاذ القرار. . سيتراكم العمل. . ويصبح في موقف حرج. .

إنه يثق بمعاونيه. . يدرك أن التدريب وتفويض الصلاحيات من أهم المسؤوليات. . وأنه بإهمالها. . سيقترب من الكارثة. . .

لذلك فهو يبذل الكثير من الوقت لتنمية موظفيه. . ينقل إليهم الكثير من خبراته. . يساعدهم علىٰ تطوير قدراتهم. . .

يعلم أنه إذا أهملهم. . خوفاً من أن يتجاوزوه. . أو يهددوا مستقبله. . أو أن يتعلموا وينتقلوا إلىٰ مكان آخر. . فإنه سيفقدهم. . وعليه لاحقاً أن يؤدي نفس العمل ألف مرة. . بدلاً من تعليمه لأحدهم مرة واحدة. . .

٦٨ ـ يهتم بالدعوة إلىٰ الحق. . بالأمر بالمعروف. . والنهي عن المنكر. . إلىٰ إرشاد الناس وإصلاحهم. . في جميع الأحوال والظروف. . ليس فقط في اليسر والرخاء. . بل حتىٰ في أوقات الهم والغم والشدة. . .

﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [يوسف: ٣٩ ـ ٤٠]. . .

تقول عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ. . كان علىٰ رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتد به وجعه. فهو يضعها مرة علىٰ وجهه ومرة يكشفها عنه ويقول. . «قاتل

الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحرم ذلك على أمته . . .

ومن آخر ما قاله أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ قبل موته . . (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به . . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تُمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم) . . .

وجاء رجل شاب إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ . بعد ما طُعن وعرف الناس أنه ميت . . فقال له . . (أبشر يا أمير المؤمنين، ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة) . .

فقال عمر . . (وددتُ أنّ ذلك كفاف لا عليّ ولا لي) . . فلما أدبر . . فإذا إزاره يمس الأرض فقال . . (ردوا عليَّ الغلام) . . فقال . . (يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك) . . .

ولما دخلت عليه حفصة ـ رضي الله تعالى عنها ـ . قالت . . (يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين) فقال عمر لابن عمر ـ رضي الله تعالي عنهما ـ . . (يا عبدالله، أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع) . . فأسنده إلى صدره فقال لها . . (إني أحرّج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا، فأما عينك فلن أملكها) . . .

يقول توماس . . (حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه . . وقد تسرّب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم سيق أسيراً وجيء به إلى بلاد (يتشنج) في مستهل القرن الحادي عشر وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام . . ولم تأت نهاية القرن الحادي عشر حتى كان الشعب بأسره قد اعتقد الإسلام، وكان بينهم مسلمون تعلموا الفقه والتوحيد) . . .

٦٩ ـ عرف الإسلام قيمة الأحساب والأنساب إذا قرنت مع الفقه في الدين . . **«خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»** . . فيدرك أن كرم الأعمام والأخوال مظنة الفضائل . . فإنه لا يكون النخل من الحنظل ولا العكس . . وأنه ليس من حرج في السؤال عن معادن الناس . . وفي المقابل لا يشك لحظة . . أن صاحب همة عالية مغمور النسب أفضلُ من صاحب نسب . . دنيء النفس . . ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . . و . . **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»** . . .

٧٠ ـ السماحة . . المحاسنة . . رد السيئة بالحسنة . . تحتاج إلى قلبه الكبير . . إلى عطفه وصبره . . وقدرته . .

يدرك بحسه المرهف . . أن الناس بحاجة إلى كنف رحيم . . وإلى بشاشة سمحة . . ورعاية فائقة . . وإلى قلب يسعهم . . وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم . . .

في حاجة إلى من يعطيهم ولا يحتاج إليهم . . يحمل همومهم ولا يتعبهم بهمه . . يستعلي على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر . . .

إنه لا يشتم كما شتموا . . ولا يتهم كما اتهموا . . ولا يستهزئ كما استهزأوا . . بل يقابل ذلك بما هو أحسن . . إنه أسلوب المحاسنة . . الرفق . . التعقل . . كلمة طيبة . . نبرة هادئة . . بسمة حانية . .

فيرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة . . ينقلب خصمه من العداء إلى الولاء . . ومن الجماح إلى اللين . . ومن الهياج إلى وداعة . . ومن الغضب إلى سكينة . . ومن التبجح إلى حياء . . ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] . . متبعاً هدي أصحاب الرسالات . . .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ

(٦٨)﴾[الأعراف: ٦٥-٦٨]. . .

أدرك ذلك . . زينُ العابدين . . عليُّ بن الحسين - رضي الله تعالىٰ عنه - . . خرج يوماً من المسجد فسبَّه رجل فانتدب الناس إليه . قال . . (دعوه) . . ثم أقبل عليه فقال . . (ماستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجةٌ نعينك عليها) . . فاستحيا الرجل فألقىٰ إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم . . فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول . . (إنك من أولاد الأنبياء) . . ونال منه رجل يوماً . . فجعل يتغافل عنه . . فقال له الرجل . . (إياك أعني) . . فقال له . . (وعنك أغضي) . . .

ورأىٰ الحسن - رضي الله تعالىٰ عنه - . . رجلين يسبُّ أحدهما الآخر . . فقام المسبوب وهو يمسح العرق عن وجهه ويتلو . . ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورىٰ: ٤٣] . . فقال الحسن . . (لله درُّه ، عقلها والله حين ضيعها الجاهلون) . .

٧١ - يجالس الصالحين . . الذين يُذكرونه إذا غفل . . ويعينونه إذا ذكر . . يدعونه إلىٰ الخير . . ويحذرونه من الشر . . الصالحين . . الذين أصلحوا أعمالهم . . وأقوالهم . . واستقامت أحوالهم الذين عرفوا الله - تعالىٰ - حق المعرفة . . والتزموا أوامره . . واجتنبوا نواهيه . .

يبتعد عن أهل الشر . . الذين يصدون عن الخير . . يتمنون أن يكون الناس مثلهم . . لاينفردون بالشر وحدهم . . فيزينون لغيرهم ما هم فيه . . يجذبونهم . . ويدعونهم . . حتىٰ فيماهم فيه . . يحذر منهم ويجتنب مجالسهم . . إلا إذا أراد نصحهم . . وإرشادهم . . وإقناعهم والرد عليهم . . بالحكمة والموعظه الحسنة . . فإذا رأىٰ أنهم تمادوا واستمروا . . ولم تؤثر دعوتهم فيهم . . ومواعظه . . سعىٰ جاهداً إلىٰ النجاة . . أولىٰ له وأسلم . . .

٧٢ - يحرص علىٰ نشر دعوته . . دعوة الحق . . إلىٰ دين الله - تعالىٰ - . . حيثما وصل من مشارق الأرض ومغاربها . .

يسـافـر لتـجـارة أو عـمـل . . طلب علـم أو عـلاج . . فـلا يضـيع فـرصـة إلا ويقتنصها . . لنشر دينه . . وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور . . يحرص علىٰ ذلك . . ويجتهد فيه . . ويتحمس له . . يقول توماس وآرنولد في كتاب (الدعوة إلىٰ الإسلام) . . (مهما تكن المبالغة عظيمة في القول ومهما ردّد الباحثون بأن كلَّ مسلم داعيةٌ إلىٰ دينه يبقىٰ هذا القول حقيقياً . . والحق أن قليلاً من المسلمين المتمسكين بدينهم تمسكاً قوياً الذين يتصلون بالكفار يومياً يهملون ما أوصاهم به نبيهم . . ومن ثم نجد إلىٰ جانب أرباب الدعوة المحترفين أخباراً تاريخية لنشر العقيدة الإسلامية تتضمن سجلاً بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع من الملك إلىٰ الفلاح ومن كل الصنائع والحرف قاموا بأعمال ابتغاء نشر دينهم) . . .

ويقول د. غوستاف لوبون . . (والمسلم حيث يمر يترك خلفه دينه، وقد بلغ أشياع النبي ﷺ ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين كبعض أجزاء الصين وأفريقيا الوسطىٰ وروسيا، وتم اعتناق هذه الملايين الإسلام طوعاً لا كرهاً . . ويتسع نطاق الإسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان . . ولا نعلم بالضبط عدد المسلمين في أفريقية ولكن الرواد المعاصرين كلما أوغلوا فيها وجدوا قبائل تبشر بالإسلام) . . .

ويتحدث توماس . . عن تحمس الموظفين المسلمين للدعوة . . (أنشأت حكومة أفريقيا الشرقية (الألمانية) آلافاً من الوظائف أُسندت إلىٰ موظفين مسلمين استغلوا نفوذهم في إدخال قرىٰ بأجمعها في الإسلام) . . .

ويقول . . (وإذا ما اجتمع في مدينة سته رجال منهم أو أقل من ذلك أو أكثر وعزموا علىٰ أن يقيموا فيها فترة من الزمن سارعوا إلىٰ بناء مسجد وأخذوا ينشرون الدعوة) . . وعن التجار في ساحل غينيا . . يقول . . (. . وكلما أنشأوا لهم مقراً أسرعوا إلىٰ بناء مسجد) . . .

٧٣ ـ يحذر حذراً شديداً من أن يلقي الاتهامات بسبب شكٍّ . . أو ظن . . أو ريبة . . وحتى وإن تيقن منها . . فإنه يسترها ولا يتكلم بها . . مبتعداً بذلك عن الغيبة والنميمة . . وأشدُّ من ذلك . . أن يرمي إنساناً بريئاً . . وهو يعلم ذلك . . يدرك أن ذلك بهتانٌ . . ظلم وكذب . . يدمر الآخرين . . ويغير القلوب . . ويفسدها عليهم . . بإلصاق تهمة بمسلم أو مسلمة بحيث يظهر عليهم شناعتها . . ويلامون عليها ويعابون بها . . .

يحذر من لعنة الله ـ تعالىٰ ـ في الدنيا . . وعذابه في الآخرة . . يوم يشهد عليه لسانه ويداه ورجلاه بما كان يقول ويفعل . . .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [النور: ٢٣] . . .

فيمسك لسانه . . ولا يطلقه على إخوانه إلا بخير . . حذراً من النفاق . . والتلون . . والتذبذب . . **«تجدُ من شرار الناس يومَ القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ»** . . .

٧٤ ـ يحب الخير والسعادة للناس . . يفرح ويستبشر إذا اهتدىٰ أحد من الناس بعد عصيان . . أو أسلم بعد كفر وبعد عن الله ـ تعالىٰ ـ . . يأسف ويتضايق إذا أعرضوا . . ويحزن ويتألم إذا ابتعدوا . . حباً لهم أن يكونوا من أهل الجنة . . وخوفاً عليهم من النار . . .

لا يحقد عليهم إذا لم يستجيبوا . . أو يدعو عليهم . . بل يحمل همهم . . يفكر: كيف السبيل إليهم؟ . . يدعو لهم . . ولا يتعب من دعوتهم . . .

تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ . . قلت للنبي ﷺ . . (هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟) . . قال: **«لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال . . فلم يجبني إلىٰ ما**

أردت . . فانطلقتُ وأنا مهـموم ٌ على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب . . فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم» . . فناداني ملك الجبال فسلّم عليَّ ثم قال . . (يا محمد ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين) . . فقال النبي ﷺ: **«بل أرجو أن يخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يشركُ به شيئاً»** . . .

دعا أبو عبيدة ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . رسول الروميين الذي قدم عليه قبل معركة (فحل) إلى الإسلام . . فاستجاب للدعوة . . ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه . . وقالوا له . . (ما أعزَّك علينا، وأرغبنا فيك، وأكرمك علينا، وما أنت عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه) . . فقال الرومي . . (فإنكم نِعمَ ما رأيت) . . .

ووقع الأسرى في يد فاتح مصر عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . فأبدى المقوقس استعداداً لأداء الجزية على أن يُرد عليه سبايا أرضه . . وافق عمرو ابن العاص بعد استئذان الفاروق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ . . على أن يخير الأسرى بين الإسلام وبين دين قومهم والجزية . . يقول زياد بن جزء الزبيدي . . الذي كان في جند عمرو بن العاص . . (فجعلنا نأتي بالرجل مما في أيدينا ثم نخيِّره بين الإسلام والنصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية . . ثم نحوزه إلينا . . وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى . . ثم حاذوه إليهم . . وضعنا عليه الجزية . . وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم) . . .

ويذكر توماس وآرنولد في كتاب . . (الدعوة إلى الإسلام) . . متحدثين عن حرص الأتراك على إدخال الناس في الإسلام وفرحهم بمن دخل فيه . . (ومما يدل على الحب الروحي المتوقد الذي جعل هؤلاء القوم في مثل هذه المنزلة من الغيرة على نشر الدين . . تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيُّون فيها من دخلوا طوعاً

من المسلمين الجدد في الإسلام. . ولا شك أن هناك دليلاً قوياً يؤيد قول من قال: إن في نفوس الأتراك غيرة لا يكاد يصدقها العقل حين يبتهلون إلى الله أن يحوّل الناس إلى الإسلام). . .

كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ . . فمرض . . فأتاه ﷺ يعوده . . فقعد عند رأسه فقال له . . **«أسلم»** . . فنظر إلى أبيه، وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم . . فأسلم فخرج ﷺ وهو يقول . . **«الحمدُ لله الذي أنقذهُ من النار»** . . .

٧٥ ـ متحفِّظ من سقطات لسانه . . لا يبالغ في إطلاق الأحكام . . أو يعمم الحكم في ذم طائفة . . أو قبيلة . . أو جماعة . . فقد يوقعه ذلك في الحرج دون أن يشعر . . حين يكون من بين الحاضرين من يتناولهم ذلك الذمُّ العام . . فيعرض نفسه للإساءة إلى شخص غضوب يقوده الانتقام والتشفي إلى رد الإساءة بمثلها أو أشدّ . . .

يقول ابن المقفع ـ رحمه الله تعالى ـ . (. . ولا تستصغرنَّ من هذا شيئاً فكلُّ ذلك يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد) . . .

٧٦ ـ يجلّ من يحدثه . . لا يرضى بإهانته . . ولا يحمل له استخفافاً أو سخرية . . وإن أخطأ تغاضى عن خطئه . . وتعامى عن زلته . . وإذا كان خطأه كبيراً . . بين له خطأه وأرشده إلى الصواب بأجمل عبارة وألطف إشارة . . لايشتد ولا يغلظ في العتاب . . ويلقي وابلاً من اللوم والتقريع . . لمن قصر في حقه . . أو أساء إليه . . أو تأخر عن موعده . . بل يلتمسُ له المعاذير . . ويحمله على أحسن المحامل . . ويتغافل عن هفواته . . .

يدركُ أن شدة العتاب وقلة التغاضي . . مجلبةٌ للنفور . . وفقد الأحبة والإخوان . . والرهبة من مجالسته . . يقول رجاء بن حيوة . . (من لم يُؤاخِ إلا من لا عيبَ فيه قلَّ صديقه ومن لم يرضَ من صديقه إلا بالإخلاص) . . .

يقول ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ . . عند حديثه عن صلاح الدين

الأيوبي . . (وكان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ حليماً حسن الأخلاق متواضعاً صبوراً علىٰ ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه . . يسمع من أحدهم ما يكره ولا يُعْلمه ولا يتغير عليه . . كان جالساً وعنده جماعة فرمىٰ بعض المماليك بعضاً بقشر الموز فأخطأته، ووصلت إلىٰ صلاح الدين فأخطأته ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلىٰ الجهة الأخرىٰ يكلم جليسه ليتغافل عنه) . . . يساعد نفسه علىٰ احتمال زلل إخوانه بتذكر خصال الخير فيهم فيدفعه ذلك للمسامحة والنسيان . . .

يقول ابن سيرين . . (ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيره، ومن عاتب إخوانه علىٰ كل ذنب كثر عدوه) . . .

٧٧ ـ إطلاق اللسان في أعراض الناس . . التقاط معايبهم . . اختلاق التهم . . نقل ذلك بين الناس . . غيبةً . . ونميمةً . . وبهتاناً . . يَصدر من نفس مهينة دنيئة . . تفسد الصداقات وتقطع أواصر الأرحام . . ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] . . .

يعلم عظم ذلك عند الله ـ تعالىٰ ـ . . فلا يصغي لمن ينم أو يغتاب . . لا يشاركه في الإثم . . لا يطيع الوشاة ويصدقهم فيما يقولون . . فلن يبقىٰ له صديق ولا أقرب قريب . . «**لا يدخلُ الجنة نمام**» . . لا يقبل كلَّ ما يُنقل إليه علىٰ علاّته دون تمحيص أو تثبت . . ينظر في الخبر حتىٰ يستبين له الخطأ من الصواب . . والزيادة من النقصان . . لا يبني علىٰ ذلك مواقف عملية . . فيصدر لأجله أحكاماً . . ويعقد عليه حباً وبغضاً، ويبني عليه مدحاً وذماً . . فيجرُّ بذلك الويلات . . ويفسد المودة . . ويُغري العداوة . . وتصير عاقبته إلىٰ الندامة . . . يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (ضع أمر أخيك علىٰ . . أحسنه حتىٰ يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، وما كافأت من عصىٰ الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه) . . مرّ رسول الله ﷺ



على قبرين فقال . . **«أما إنهما ليُعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله»** . . .

٧٨ ـ العجلة في الكلام والمسابقة في الجواب موكل بها الزلل . . وسوء التقدير . . وإن ظن صاحبه أنه قد أتقن وأحكم . . .

لذلك فهو لا يتعجل الجواب . . ولا يجيب قبل أن ينهي السائل كلامه . . ولايجيب على سؤال لم يوجه إليه . . عجلةٌ مذمومة تَحُط من شأن صاحبها وتورثه الندم . . وتدل على الخفة والطيش . . يقول عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ . . (خصلتان لا تعدمانك من الجاهل : كثرة الالتفات، وسرعة الجواب) . . .

٧٩ ـ يعرض عن الجاهلين . . يترك مجاراة السفهاء . . لايتعرض للسفلة من الناس . . فإذا ما جمعهم به مجلس لم يتوسع في الحديث معهم . . لا يتمادئ في مضاحكتهم . . وممازحتهم . . لا يكون عرضةً لسماع ما لا يرضيه . . يحمي عرضه . . يحفظ لنفسه عزتها . . يتحدث معهم بقدر ما تدعو إليه الحاجة . . من سلام أو ردِّه . . أو جواب لسؤال . . ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩] . . .

٨٠ ـ كثرة الحديث عن النساء . . تنافساً وتفاخراً وتحدياً . . التفاخر بالتعدد . . التحدي بالزواج من الثانية . . الإزراء بمن يقتصر على واحدة . . التمادي في وصف النساء ومحاسنهن . . ليس ذلك من سماته . . أو عادة له يتحدث بها عند كل أحد بمناسبة وغير مناسبة . . لأنه يعلم أن في ذلك . . خدشاً للمروءة . . وإسقاطاً للهيبة . . وإضاعةً للوقت . . واشتغالاً عما هو أولى . . وأعظمها . . ملءُ قلوب السامعين . . كرهاً . . أو تغيراً على زوجاتهم . . مما يفسد المودة . . ويبعد الرحمة . . ويهدم الأسر . . .

٨١ ـ يظهر الفرح لملاقاة إخوانه . . يلاطفهم بحسن حديثه . . يشكرهم على

زيارتهم . . لا يبدي انقباضاً أو ضجراً . . أو يتحدث بطريق مختصر . .

يُكرم جليسه . . ويرفع من قدره . . ويعلي من منزلته . . ولا يرضىٰ أن يُهان أو يناله مكروه مادام عنده . . .

عن ابن عبـاس ـ رضي الله تعـالىٰ عنهـمـا ـ . . أنه سُئل : من أكـرمُ الناس عليك؟ . . قال . . (جليسي حتىٰ يفارقَني) . . .

وكـان رسـول الله ﷺ أكـرمَ الناس لجلسـائه . . يعطي كلَّ واحـد من جلسـائه نصيبه ، ولا يحسب جليسُه أن أحداً أكرمُ عليه منه . . .

٨٢ ـ لا يتهامس هو وصاحبه دون ثالث . . . أو مع مجموعة دون واحد . . أو بلغة لا يفـهـمـهـا الثـالث . . إنه يدرك أن ذلك يحـزنه . . ويجـرح شعـوره . . ويوحـشه . . ويضـيق صـدره . . حـينما يظن أنهم يتحـدثون عنه . . أو يكيـدون له . . أو لا يتوافقون معه أو يودُّونه . . فيقوم موغرَ الصدر محزون القلب . . .

يقول ﷺ : **«إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجىٰ رجلان دون الآخر ، حتىٰ تختلطوا بالناس ، من أجل أن ذلك يحزنه»** . . .

٨٣ ـ يحسن الاستماع . . لا يقاطع من يحادثه . . يشجعه علىٰ الحديث بحسن إنصاته . . بأذنه . . وطرف عينه . . وحضور قلبه . . وإشراق وجهه . . لا يتشاغل عنه بقراءة . . أو متـابعـة آخـر . . أو يُشـيح بـوجـهـه عنه . . أو يجـيل بنظره يمنة ويسرة . . مما ينافي الأدب . . ويدل علىٰ قلة المروءة . . .

يقـول ابن عبـاس ـ رضي الله تعالىٰ عنهـمـا ـ . . (لجليسي علـيّ ثلاثٌ : أن أرميه بطرفي إذا أقـبل ، وأن أوسـع له في المجلس إذا جلس ، وأن أُصـغيَ إليـه إذا تحدث) . . .

ينصت إلىٰ الحديث حتىٰ لو كان يعلمه . . ولا يخبره بذلك . . فكأنه لم يسمعه إلا منه . . يقـول عطاء بن أبي ربـاح ـ رحـمـه الله تعـالىٰ ـ . . (إن الرجل ليحـدثني بالحديث ، فأنصت له كأني لم أسمعه ، وقد سمعته قبل أن يولد) . . .



٨٤ ـ نفسه مطمئنة . . ذو أفق واسع . . ونظر في العواقب بعيد . . ينصف ويعدل . . حتىٰ ولو لم ينصفه محاوره . . فرد عليه الحق أو جحد جانباً من فضله . . أو تعامىٰ عما معه من الحق . . لا يقابله بالعناد فيرد عليه حقاً أو يجحد له فضلاً . . بل ينسب إليه كل ما يعرفه عنه من الحق والخير . يعينه علىٰ ذلك . . أنه يحب لإخوانه ما يحب لنفسه . . فيكون أقربَ للتقوىٰ . . وأنفىٰ للوحشة والبغضاء . . وأدعىٰ للرَّحمة والمودة «**لا يؤمنُ أحدكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**» . . .

ويعينه علىٰ الإنصاف . . أن يضع نفسه موضعَ خصمه . . فإنه مدعاة لالتماس العذر . . والبعد عن سوء الظن . . والحذر من الظلم . . .

يقول **ابن حزم** رحمه الله تعالىٰ . . (من أراد الإنصافَ فليتوهَّم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسُّفه) . . .

٨٥ ـ كسبُ القلوب أهم من كسب المواقف . . معه الحجة والبرهان . . ولكنه لا يحرص بهما علىٰ إسكات صاحبه أو إفحامه . . حتىٰ لا يحرجه ويملأُ قلبه غيظاً وحنقاً . . ويُبغضه للآخرين . . فيورث التنافر ويهيج العداوة . .

يتلطف مع أصحابه ويترفق بهم . . فربما انقادوا إلىٰ الحق ولو بعد حين . . فمع مرور الزمن سيقتنعون برأيه . . بل ربما تبنوه ودافعوا عنه . . فالوقت له قيمته . . وهو جزء من علاج الأفكار والنفوس . . .

لا يرجع عما عقد عليه قلبه أو يتنازل عنه عند أدنىٰ شبهة تثار عليه . . وإذا تبين له الحق لا يُصرُّ علىٰ تمسكه برأيه ووجهة نظره . . إن من حكمته وعدله العدول عن قوله إذا ظهر وجه الصواب بالدليل الواضح . . فلا يأنف من الرجوع إلىٰ الحق . . بل يكظم في نفسه كراهة الرجوع . . ولا يجد في ذلك حرجاً . . من أن يبين للناس أنه أخطأ في قوله أو أساء في عمله . . ولا يصر علىٰ رأيه خوفاً علىٰ منزلته . . أو حسداً من نفسه . . أو خشية من تفوق خصمه . . أو اتباعاً للهوىٰ . . .

يقول الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ . (ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هِبْتُه واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني) . . .

٨٦ ـ إذا حضر مجلساً . . لم يملأه بكثرة الضجيج . . وفضول الكلام . . الذي هو من مظاهر سوء الخلق . . ودليلٌ على نقص العقل . . ورقة الدين . . .

فإذا تحدَّث أعطى غيره الفرصة للحديث . . لا يكون مثل من يمتلكون ناصية الحديث . . فيملأون الأنفس بالضجر من طول ما يتحدثون . . .

قال ﷺ : **« إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوَؤكم أخلاقاً، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون»** . . .

٨٧ ـ يراعي مشاعر الآخرين . . لا يؤذيهم بكلمة . . لا يجرحُهم بإشارة . . يحفظ عليهم كرامتهم وماءَ وجوههم . . .

فإنَّ غليظ الطبع . . صفيق الوجه . . كثيف النفس . . من إذا حضر مجلساً . . وابتدر الكلام . . وضع الجالسون أيديهم على قلوبهم خوفاً من أن يزلَّ على أحدهم . . تارةً يذكّرهم بعيوبهم . . تارةً يؤذيهم بلحن قوله . . وتارةً يذكّرهم بأمور يسوؤهم تذكرها . . لا يأنف من مواجهتهم بما يكرهون . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ . (ومنهم من مخالطته حُمَّى الروح، وهو الثقيل البغيض العقل، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعِصِيِّ تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به) . . .

٨٨ ـ يتعرف على أحوال الناس . . يراعي عقولهم . . يجيد النظر في سياسة الأمور . . يحسن التصرف في تقدير الوسائل . . مستبقياً بذلك المودة في قلوب الناس . . .

يناسب حديثه المقام . . لا يتكلم بالهزل في مواقف . . لا يضحك السامعين في مجلس يسوده الحزن . . .

عاقل حكيم . . يزن عقول من يلاقونه . . ويحسّ ما تكنّ صدورهم . . وتنزع إليه نفوسُهم . . فيسايرهم . . إلا أن ينحرفوا عن الرشد . .

ويتحامى ما يؤلمهم . . إلا أن يتألموا من الحق . . .

ويتكلم مع كل واحد بما يليق بحاله ومقامه . . مع العلماء بالتعلم والاحترام . . ومع الإخوان بالكلام الطيب والانبساط المزيل للوحشة المبهج للقلوب . . ومع الطلبة وأمثالهم بالإفادة . . ومع الصغار بالحكايات وما يبسطهم ويؤنسهم . . ومع الأهل والأبناء بالتعليم والتربية والتوجيه مع المباسطة والمداعبة . . . فهم أحقُّ الناس ببره . . ومن أعظم البر حسن المعاشرة . . .

ومع الفقراء والمساكين بالتواضع وخفض الجناح وعدم الترفع والتكبر عليهم . . ومع من يعرف منهم العداوة والبغضاء والحسد بالمجاملة وعدم الخشونة . . لا يفوت على نفسه الوصول إلى أعلى الدرجات في قوله تعالى . . ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]. . .

٨٩ ـ لا يكلف زائريه بعمل . . ولو كان خفيفاً . . من إكرامه بضيفه . . طِيبُ الكلام . . وطلاقة الوجه . . والخدمة بالنفس . . .

إنه لن يذل إذا خدم أضيافه . . ولا يعز إذا استخدمهم . . إلا إذا قام الزائر وتكرّم بخدمته . . وربما لا يرضى له ذلك . . .

يقول عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ـ رحمهم الله تعالى ـ . . (قال لي رجاء بن حيوة . . ما رأيت رجلاً أكمل أدباً ولا أجمل عشرة من أبيك . . وذلك أني سهرت معه ليلة فبينما نحن نتحدث إذ غشي المصباح وقد نام الغلام فقلت له . . يا أمير المؤمنين قد غشي المصباح أفنوقظ الغلام ليصلح المصباح؟ فقال . . لا تفعل . . فقلت أفتأذن لي أن أصلحه؟ فقال . . لا لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان

ضيفه . . ثم قام هو بنفسه وحطَّ رداءه عن منكبيه، وأتى إلى المصباح فأصلحه وجعل فيه الزيت وأشخص الفتيل ثم رجع فأخذ رداءه وجلس . . ثم قال . . (قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز) . . .

٩٠ ـ إذا حضر مجالس اللغو والزور . . بنية الإصلاح وتغيير المنكر وتخفيف الشر . . لا يشارك أهلَها في لغوهم ومنكرهم . . فيقع في المداهنة المحرَّمة . . ولا يسكت عنهم . . فيظُنوا أن سكوته إقرارٌ لهم ورضا عماً يصدر منهم . . يدرك أن السكوت إنما هو من بلادة النفس واستكانة الهوى . . وقبول لما لا يرضى به ذو دين وعقل . . .

يتسلح بالمداراة . . التي هي من أخلاق المؤمنين . . من خفض الجناح . . وترك الإغلاظ في القول . . فإنه من أقوى أسباب الألفة . . .

يتلطف معهم . . ينكر عليهم برفق . . متجنباً ما يغضبهم . . أو يُملُّهم . . يأخذ بأيديهم إلى ما فيه نجاتُهم . . مراعياً بذلك الحكمة، فإذا ما رأى أنهم أعرضوا عن الحق . . وتمادوا في الضلالة . . أو لمس منهم عناداً . . أو خشي على نفسه من سلوك سبيلهم والانحدار إلى ما هم فيه . . آثر السلامة والنجاة . . .

٩١ ـ يراعي مشاعر الآخرين . . لا يجلس بين اثنين . . فيقطع حديثهما . . ويفرق بينهما . . فيثقل عليهما . . يقول ﷺ: **«لا يحلُّ للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»** . . لا يتعالى على الآخرين . . وينقص من شأنهم . . بأن يُقيم أحداً من مجلسه ثم يجلس فيه . . حرصاً على استبقاء المودة . . واتباعاً لقول الرسول ﷺ . . **«لا يقيم الرجلُ الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»** . . .

لا يجلس مكان أحد قام من مجلسه ليعود إليه . . أو مكان جار أو صديق اعتاد الجلوس فيه . . أوسبق إليه في مسجد أوشارع أو سوق أو مجلس . . .

يبتعد بذلك عن كل ما فيه إثارة للحقد والكراهية والضغائن في قلوب إخوانه المسلمين . . يقول ﷺ . . **«إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحقُّ به»** . . .

٩٢ ـ يجلس حيث ينتهي به المجلس . . لا يتخطى الرقاب ويزاحم ليُفسح له مكان في صدر المجلس . . فإن ذلك أدعى للتواضع . . وأبعدُ عن التنقص . . متبعاً سنة نبيه ﷺ التي علمها أصحابه ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ . . .

يقول جابر بن سمرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدُنا حيث ينتهي) . . .

ويقول الأحنف . . (لأن أُدعى من بُعد، أحبُّ إليَّ من أن أُقصى عن قرب) . . .

ويقول ابن المقفع . . (إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل . . فإن رفعَ الناس إياك فوق المنزلة التي تحطُّ إليها نفسك . . وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه وتعظيمهم من أمرك ما لم تعظِّم وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزيِّن . . هو الجمال) . . .

٩٣ ـ يزرع المودة . . ويوثق عرى الأخوة . . بعيد عن ضيق النفس . . وحب الاستئثار . . وقلة المبالاة بالآخرين . . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] . . .

يفسح لغيره في المجلس حباً وكرامة . . ولا يأخذ لنفسه مكاناً واسعاً لكي ينعم بالراحة ويسلم من المضايقة . . غير مبالٍ بالآخرين . . فإن ذلك من قلة المروءة . . وضيق العقل . . يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (مما يصفِّي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه، وأن توسِّع له في المجلس) . . .

ويقول الأصمعي . . (كان الأحنف إذا أتاه إنسانٌ وسّع له، فإن لم يجد موضعاً تحرك ليريه أنه يوسع له) . . .

٩٤ ـ لا يجلس في الطرقات . . مجنِّباً نفسه الفتن . . والتقصير في أداء حق الطريق . . من اجتناب الغيبة وظن السوء . . وإحقار المارّين وإيذائهم . . وتضييق

الطريق . . ومن غض البصر . . وإفشاء السلام . . وإعانة المظلوم . . وإغاثة اللهفان . . وهداية الحيران . . وأمر بمعروف . . ونهي عن منكر . . وتشميت العاطس . . وذكر الله ـ تعالىٰ ـ . . .

قال ﷺ . . **«إياكم والجلوسَ في الطرقات»** فقال الصحابة ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ . . (يا رسولَ الله ، مالنا من مجالسنا بدٌ نتحدث فيها) . . فقال : **«فإذا أبيتُم إلا المجلسَ فاعطوا الطريق حقَّه»** . . قالوا . . (وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟) . . قال : **«غضُّ البصر وكفُّ الأذىٰ وردُّ السلام والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر»** . . .

٩٥ ـ خفيف الظل . . يخالط الناس ويمازحهم . . مزاحاً لا يخرجه عن الحق . . مرح النفس . . عذب الروح . . يغزو القلوب . . ويتحبب إلىٰ النفوس . بعيد عن التزمت . . والتجهم والانقباض . . .

ينظر إلىٰ مزاح النبي ﷺ . . وصحابته ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ . . فلا يسعه إلا أن يتحلّىٰ بأخلاقهم . . ويحذو حذوهم . . .

وقد أُثر عنهم أنهم قالوا للرسول ﷺ . . (إنك تداعبنا) . . فقال . . **«إنّي لا أقول إلا حقاً»** . . .

يقول بكر بن عبد الله ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ (يترامون) فإذا كانت الحقائقُ كانوا هم الرجال) . . .

وعن أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر وكان يهدي النبي ﷺ من البادية . . فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج . . وكان رسول الله ﷺ يحبه وكان رجلاً دميماً . . فأتاه الرسول ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصر الرجل . . فقال . . أرسلني ، من هذا؟ . . فالتفت فعرف النبي ﷺ . . فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه . . وجعل رسول الله ﷺ يقول : **«من يشتري العبد؟»** فقال . . (يا رسول الله ، إذن والله تجدني كاسداً) . . فقال رسول الله ﷺ : **«لكن عندَ الله لست بكاسد»** . . أو قال . .



«لكن عند الله أنت غالٍ» . . .

تقول أم سلمه ـ رضي الله تعالىٰ عنهـا ـ . (أن أبا بكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ خرج تاجراً إلىٰ بصرىٰ ومعه نعيمان وسُوَيْط بن حرملة ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ . . وكلاهما بَدْرِيّ . . وكان سويبط علىٰ الزاد . . فقال له نعمان . . (أطعمني) . . فقال . . (حتىٰ يجيء أبو بكر) . . وكان نعيمان مضْحاكاً مزّاحاً فذهب إلىٰ ناس جلبوا ظهراً . . . فقال . . (ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً؟) قالوا . . نعم . . قال . . (إنه ذو لسان ولعله يقول : أنا حر ، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه لا تفسدوه عليّ) . . فقالوا . . بل نبتاعه . . فابتاعوه منه بعشر قلائص . . فأقبل بها يسوقها وقال . . (دونكم هو هذا) . . فقال سويبط . . (هو كاذب أنا رجل حر) . . قالوا . . قد أخبرنا خبرك . . فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به . . فجاء أبو بكر فأُخْبر . . فذهب هو وأصحابه إليهم . . فردّوا القلائص وأخذوه . . ثم أخبروا النبي ﷺ بذلك . . فضحك هو وأصحابه منها حولاً . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (. . فإذا تمكن العبد في حاله وصار له إقبال علىٰ الله وجمعيةٌ عليه أنس بالخلق وأنسوا به وانبسط إليهم وحملهم علىٰ ضَلَعهمْ وبطء سيرهم ، فعكفت القلوب علىٰ محبته للطفه وظرفه . . فإن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدِّين ما بلغ . . ولله ما يجلب اللُّطف والظُّرْفُ من القلوب ويدفع عن صاحبه من الشر ويسهِّل له ما توعَّر علىٰ غيره ، فليس الثقلاء بخواص الأولياء . . وماثقل أحد علىٰ قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفَة هناك . . وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفاً فترىٰ الصادق فيها من أحلىٰ الناس وألطفهم وأظرفهم ، قد زالت ثقالةُ النفس وكدورةُ الطبع وصار روحانياً سمائياً بعد أن كان حيوانياً أرضياً . . فتراه أكرمَ الناس عشرةً وألينهم عريكة وألطفهم قلباً وروحاً . . وهذه خاصة المحبة فإنها تُلَطِّفُ وتُظَرِّفُ وتُنَظِّفُ) . . .

٩٦ ـ يراعي حرمة المجالس . . يحفظ حقوقها . . لا يفشي أسرارها . . ولا يخلّ بالأمانة . . يدرك خطر ذلك . . في تمزيق العلاقات . . وتعطل المصالح . . .

فإذا أفضىٰ إليه صاحبه بمكنون نفسه . . وأشعره بأنه لا يحب اطلاع أحد عليه . . فإنه لا يفشي سره . . مبتعداً عن الخيانة . . حافظاً للأمانة . . .

يقول ﷺ . . «**إذا حدَّث الرجلُ ثم التفت فهي أمانة**» . . ويقول عمر بن عبدالعزيز لمحمد بن كعب القرظي ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ . (أيُّ خصال الرجل أوضع؟) . . قال . . (كثرة كلامه وإفشاؤه سره والثقة بكل أحد) . . .

لا يجلس في مكان لا يراه أحد من الجالسين ليستمع إليهم . . لا يرضىٰ لنفسه سماع حديث بين اثنين يتناجيان . . لا يقف خلف أحد ليرىٰ ما يكتب أو يقرأ . . بحثاً عن العيوب والعورات . . للإيقاع به . . والإساءة إليه . . وإشباع للفضول والتطفل . . .

يبتعد بذلك عن التجسس والتحسس . . يكتفي من إخوانه بالظاهر . . ويكل الباطن إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ العليم الخبير . . آخذاً بنهي الرسول ﷺ . . «**ولا تحسَّسوا ولا تجسسَّوا**» . . .

٩٧ ـ يبتعد عن الريبة منه . . وإساءة الظن به . . وتهمة استراق السمع . . وتتبع العورات حينما يتأدب بأدب الاستئذان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور : ٢٧] . . لا يقف في مواجهة الباب حيث ينصبّ البصر حين فتحه . . يلقي السلام قبل الاستئذان تأنيساً . . واستئذانه يكون حين دخوله . . وحين خروجه . . وحين وجوده في البيت . . طالباً إفساح الطريق خوفاً من أن تقع عينه علىٰ ما يكره من العورات . . .

يقول ﷺ : «**إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**» . . استأذن رجل علىٰ النبي ﷺ وهو في بيت . . فقال . . (أألج؟) . . فقال رسول الله ﷺ لخادمه . . «**اخرج إلىٰ هذا فعلمه الاستئذان، فقل له . . قل السلام عليكم أأدخل**» فسمعه الرجل

فقال. . (السلام عليكم أأدخل؟). . فأذن له النبي ﷺ فدخل. . وإذا سُئل عمَّن هو. . يسمي نفسه. . ولا يقول. . أنا. . ولا يجد في نفسه شيئاً إذا لم يؤذن له. . ولا يغضب. . فإنه لم يُمنع حقاً واجباً له. . ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨]. . .

٩٨ ـ من المروءة موافقة الإخوان إذا أصابوا. . إنه لا يحب المعارضة. . وليس كمن هو كلف بالمخالفة. . ممن لا يوافق إخوانه على أمر. . ولا يسلم لهم بشيء. . يستجلب بذلك المحبة. . ويستديم الألفة. . .

يقول **ابن حزم** ـ رحمه الله تعالى ـ. . (إياك ومخالفةَ الجليس، ومعارضةَ أهل زمانك، فيما لا يضرُّك في دنياك ولا في آخرتك، وإن قلَّ، فإنك تستفيد بذلك الأذى. . والمنافرة. . والعداوة). . .

٩٩ ـ مجلسه مجلس خير وبركة. . وأنس ومودة. . وألفة وإخاء. . يجد فيه المرء سروره. . ويطرح فيه لمن يعينه همومه وغمومه. . ويبتهج قلبه وتطمئن نفسه بذكر الله ـ تعالى ـ. . .

لا يغلب فيه الخلاف. . ولا يكثر في مرتاديه سوء الظن. . لا تشيع بينهم العداوة والبغضاء. . ولا الحسد والظلم والاستطالة. . .

مجلسه ليس كبعض المجالس. . التي إن رأى أصحابها ظنهم إخوةً متآلفين من كثرة ما يلقى بعضهم بعضاً. . وإن كشف عنهم وتبين حقيقة أمرهم. . وجد. . قلوباً متنافرة. . وضلوعاً على الضغينة محنية. . الواحد منهم يحذر جلساءه. . ويتحفظ منهم أشد التحفظ. . إذا قال كلمة خشي من تكذيبهم. . أو سخريتهم. . وإذا همّ بالقيام خاف من لمزهم وغيبتهم. . منهم من يكاشف بالشتم الصريح مكاشفة. . ومنهم من يُعَرِّض بالأذى ويورّي القول به. . وأسلمُهم جانباً من لا يعاجل بالسوء ولا يؤاخذ بالذنب بغتة. . ولكن. . يُحصي الأنفاس. . ويعُدُّ الكلام والألفاظ. . ويحفظها ليوم حاجته. . فيعيّر بها ويبكّت. . .

يقول ﷺ : **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرةً»** . . .

لا ينسى في نهاية مجلسه أن يقول الدعاء الذي تعلمه من هدي الرسول ﷺ لأصحابه . . ويحرص أن يذكِّر به غيره . . حتى يحصل على الأجر العظيم المترتب عليه . . وليسلَمَ من تبعات ما صدر منه في ذلك المجلس . . .

يقول ﷺ : **«من جلسَ في مجلس فكثر فيه لغطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك . . سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»** . . .

يقول عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ . (إن كنتَ أحسنتَ ازددتَ إحساناً ، وإن كان غير ذلك كان كفارةً) . . .

١٠٠ ـ يعلم أن هناك أنواعاً من السم غير الكيميائي . . إنه سُمُّ الكلمة . . أو الكلمة المسمومة . . لها تأثير السم الزعاف . . تحدث تأثيرها القاتل في نفس اللحظة . . كلمة قادرة على إصابة قلب إنسان بالتوقف . . كلمة . . قادرة على إذابة جدار المعدة وإصابتها بالقرحة . . كلمة . . قادرة على إصابة توازن الأنسولين وإصابة الجسم بمرض السكر . . على غير توقع . . كلمة مسمومة . . تصل إلى مركز الإدراك في المخ . . فتهز الوجدان بالألم . . تشتت التفكير . . تسبب الحزن والقلق . . وقد تحدث مرضاً في هذه الوظائف . . ومع الاستمرار . . مزيداً من الاضطرابات في الهرمونات العصبية التي تصل إلى كل جزء في مخ الإنسان . . تؤثر بدورها على أجهزة الجسم المختلفة . . لتسببَ أمراضاً عضوية كثيرة . . .

وكما أن هناك كلمة مسمومة . . يدرك . . أن هناك كلمة طيبة . . تبعث في النفوس الطمأنية . . السلام . . المحبة . . تضيءُ الوجود . . تبدد القلق . . تذيب الحزن . . كلمة طيبة . . تخرج من قلب طيب . . يملؤه الإيمان . . والحب . . .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي



السَّمَاءِ(٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] . . .

١٠١ ـ يدرس مخططات أعداء الإسلام من اليهود والنصارىٰ وإخوانهم . . والفرق الضالة وأتباعهم . . يطالع الكتب التي تكشف مخططاتهم . . والمجلات التي تكشف مؤامراتهم . . ليحذر الناس منها . . ويتعاون مع أهل الإيمان علىٰ صدِّها . . .

يقول عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . (لتنقضُ عُرىٰ الإسلام عُروةً عُروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) . . .

يحرص علىٰ معرفة صفات المنافقين . . ليحذر منها ولا ينخدع بها . . فلا يكون لديه شيء من النفاق . . أو محبة أهله وهو لا يشعر . . فإنهم أشدُّ علىٰ الإسلام من اليهود والنصارىٰ . . يدافع عن دينه . . يرد شبهات المبطلين التي ينشرها أعداء الإسلام في إعلامهم . . وكتبهم . . ومجلاتهم . . وصحفهم . . الذين يدسون السمّ في العسل . . يشوِّهون الحقائق . .

يذُبُّ عن الكتاب والسنة . . يرد علىٰ المبتدعة والمتصوفة . . ودعاة تحرير المرأة . . ودعاة الضلالة علىٰ مختلف أنواعهم . . إنه علىٰ ثغر من ثغور الإسلام . . يحذر أن يُؤتىٰ الإسلام من جهته . . بكل الطرق الممكنة . . يقطع ألسنة المبطلين . . يلقم كل شيطان منهم بحجر . . يردّ به خبثهم . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] . . .

١٠٢ ـ أكثر الناس براً بجيرانه . . أحسنُهم معاملة لهم . . إنها علامة من علامات إيمانه بالله ـ تعالىٰ ـ واليوم الآخر . . **«من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليُحسن إلىٰ جاره»** . . رفيق القلب . . يقظ الفكر . . يحس بإحساس جاره . . يفرح لفرحه . . يألم لألمه . . يحب له ما يحب لنفسه . . آخذاً بقول الرسول ﷺ: **«لا يؤمنُ أحدكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»** . . .

يتعهد جيرانه المعسرين . . لا يحتمل قلبه أن يكون جاره في ضيق وفاقة . وهو



في عيش منعم ميسور، حتى لو كان تعهَّده بأقل القليل. . **«يا أباذر، إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»**. . .

لا يستقل المعروف فيمتنع عن تقديمه لجاره. . ولا يحقر معروفاً أسداه إليه جاره ولو كان قليلاً. . **«اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة»**. .

ولا يقتصر إحسانه على جيرانه المسلمين. . بل يتعداه إلى غيرهم من غير المسلمين. . فهذا عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما -. . تُذبح له شاة فيسأل غلامه. . (أهديت لجارنا اليهودي؟ أهديت لجارنا اليهودي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورِّثه»**. . .

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. . .

يقدم عند إحسانه لجيرانه الأقرب فالأقرب. . مراعياً قوةَ العلاقة بينهما. . والتقارب. . وما ينتج عنها من حساسيات يجدر به مراعاتها. . .

تقول عائشة - رضي الله تعالى عنها -. . (قلتُ. . يا رسولَ الله إنَّ لي جارين فإلى أيهما أهدي؟. . قال. . **«إلى أقربهما منكَ باباً»**. . .

١٠٣ - ينفق ويبذل بسخاء المؤمن الواثق أن عطاءه لن يضيع. . إنه محفوظ لدى العليم الخبير. . ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. . .

ينفق وهو على يقين أن الله - تعالى - سيعوِّضه نماءً وخلفاً. . معتدل متوسط في إنفاقه. . فلا ينفق ماله كلَّه ويحرم أهله وورثته منه. . ولا هو يُمسك عن البذل ليجمع المال لأبنائه من بعده. . الأمور كلها لديه متوازنة لا يجور بعضها على بعض. . .

سأل سعدُ بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه -. . النبيَّ ﷺ إذ جاءه يعوده في مرضه الذي أشفى منه على الموت. . فقال. . (يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً، وليس يرثني إلا ابنتي. . أفأتصدق بثلثي مالي؟) قال. . **«لا»**. . قال. . (فالشطر؟). . قال. . **«لا»**. . قال. . (الثلث؟) قال. . **«الثلث والثلث كثير»**. . ثم

قال . . **«إنك إن تركتَ ولدك أغنياءَ خيرٌ من أن تتركهم عالةً يتكففون الناس، وإنك لن تنفقَ نفقةً إلا أُجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فِيِّ امرأتك»** . . .

يكف حاجته وحاجة أهله . . يدرك أن اليد العليا خير من اليد السفلى . . وما زاد عن حاجته لا يمسكه عن وجه من وجوه الخير . . لأنه يعلم أن في بذله خيراً . . وفي إمساكه شراً . . **«يا بن آدم، إنك إن تبذُل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول واليدُ العليا خير من اليد السفلى»** . . .

١٠٤ ـ يؤثر على نفسه . . ولو كان مقلاً فقيراً . . ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] . . حب النفس . . والاهتمام بمصالحها فقط . . طريقٌ للأنانية والأثرة المقوتة . . طريق للبخل والجبن . . لضعف الهمة والنفس . . لدناءتها . . وإذلالها للغير في سبيل تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة . . طريق لقلة المروءة . . وإهمال حقوق الأخوَّة . . وحقوق الآخرين . . وعدم المسارعة في خدمة المسلمين وقضاء حوائجهم . . .

يقول ﷺ . . **«إنَّ الأشعريِّين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»** . . .

فتمتلئ نفسه بعاطفة الرحمة بمن هم أفقر منه . . يحسّ بما يعانونه من ألم وحرمان . . فينفق على إقلاله وعسرته . . موقنا بوعد الله ـ تعالى ـ بتنميتها حتى تصبح كالطود الشامخ . . **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل»** . . .

يقول سهل بن سعد ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة . . فقالت . . نسجتها بيديّ لأكسوكها . . فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها . . فخرج إلينا وإنها إزاره . . فقال رجل . . اكسُنيها ما أحسنها . .

فـقـال . . «نعم» . . فـجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثـم أرسل بهـا إليه . . فقال له القوم . . ما أحسنت ، لبسـهـا النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً . . فقال . . إني والله ما سألتُه لألبسـها إنما سألتُه لتكون كفني) . . قال سهل . . (فكانت كفنه) . . .

١٠٥ ـ حين يبدو على أحد إخوانه مظاهرُ التغيـر . . أو يلاحظ عليه شيئاً من التأثر . . يبادر بمناصحته . . ومصارحته . . والتي هي من حقٍّ أخيه عليه . . التي بلغ من شأنها وعلو منزلتها . . أن بايع الرسول ﷺ الناس عليها . . .

يقول جرير بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (بايعت رسـول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) . .

كان رجل من أهل الشام ذو بأس يفد إلى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . ففقده عـمـر فـقـال . . (مـا فـعـل فـلان) فـقـالـوا . . يا أمـيـر المؤمنين تـتـابع في هذا الشراب . . فدعا عمر كاتبه فقال . . (اكتب . . من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان . . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التـوب شـديد العـقـاب ذي الطول لا إله إلا هو إليـه المصـيـر) . . ثم قـال لأصحابه . . (ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه ويتوبَ الله عليه) . . فلما بلغ الرجلَ كتابُ عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . جعل يقرؤه ويردده ويقول . . (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . . قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي) . . ثم نزع فأحسن النزع . . فلما بلغ عمر خبره قال . . (هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زلَّ زلة فسددوه ووثقوه ، وادعوا الله لأخيكم أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعـواناً للشيطان عليه) . . .

١٠٦ ـ لدينا أجهزة نستطيع بها أن نرى كل أعضاء الجسم الداخلية . . وأن نرى أدقّ خلاياه . . وأن نقيس . . ونستنتج . . ولكن ليس لدينا أجهزة نقرأ بها أفكار إنسان . . أو نكشف عن عواطفه . . .

فأدرك أن الوسيلة الوحيدة هي . . الحوار والمشاعر . . فإذا أراد أن يتعرَّف على أفكار إنسان لا بد أن يجري معه حواراً . . وإذا أراد أن ينفذ إلى عواطفه . . فلا بد أن يكون له هو مشاعر . . إنه التواصل والتفاعل . . والتعاطف . . الاقتراب والاهتمام . .

فإذا استطاع أن يقيم علاقات على هذا المستوى . . يكون قد حقق معنى كبيراً من معاني الأخوة . . وإلا فليعش على هامش الحياة . . لا يشعر بالناس ولا يشعرون به . . وما أسوأ أن يعيش معزولاً عن قلوب الناس وعقولهم . . لأن كل الآلام تهون إذا وجد إنساناً يتألم معه ومن أجله . . وكلُّ الهموم تهون إذا وجد إنساناً يفكر معه ومن أجله . . .

١٠٧ ـ إذا أحب أخاً له في الله ـ تعالى ـ . . يخبره بأنه يحبه . . فتنفتحَ مغاليقُ القلوب . . وتشيع المحبة . . وتنتشر المودة والصفاء . .

يقول أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (أن رجلاً كان عند النبي ﷺ . . فمر رجل فقال . . يا رسول الله إنِّي لأحبُّ هذا . . فقال النبي ﷺ . . «أ أعلمته؟» . . قال . . لا . . قال . . «**أعلمه**» . . فلحقه فقال . . إنِّي لأحبك في الله . . فقال . . أحبك الله الذي أحببتني له . . .

مقتدياً في ذلك بفعل الرسول ﷺ . . حينما أخذ بيد معاذ ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقال . . «**يا معاذ، والله إني لأحبُّك . . ثم أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول . . اللهمَّ أعنِّي على ذكركَ وشكركَ وحسن عبادتك**» . . .

١٠٨ ـ يحب العلماء . . يدافع عنهم . . يحذر من تجريحهم وغيبتهم . . يلتمس لهم الأعذار . . فهم بشر يصيبون ويخطئون . . فما كان عندهم من صواب موافق للكتاب والسنة أخذ به . . وما كان من خطأ رده وحذَّر منه . . ودعا لهم . . وإن كانوا أحياء . . نصح لهم ما استطاع . . لا يتهجَّم عليهم ويشهر بهم . . يذكر لأهل الخير والفضل . . فضلهم وبلاءهم . . من لوازم الولاء . . ومقتضيات العدل والإنصاف . .

لا يتعصب لعلمائه وأقوالهم . . فإنه سبب للنفرة والكراهية ودخول الشيطان ليرد

بعضهم على بعض . . ويرمي بعضهم بعضاً بالابتداع . . ويكفِّر بعضهم بعضاً . . صفاتُ السطحيين الذين لم يتربوا التربية الإسلامية السليمة على الكتاب والسنة والتعلق بالله ـ تعالى ـ والاقتداء برسوله ﷺ، لا يُهَوِّن من شأن العلماء . . ومن جهدهم وأعمالهم وفكرهم . . لا لشيء إلا أنهم أخطأوا أو خالفوا في الطريقة . . أو أنهم ليسوا من طائفته . . فإن ذلك بخس للناس . . وكبر وعجب . . .

يدرك أنَّ غيبة العلماء والتهوين من قدرهم . . فيه فتنة . . وخطر كبير . . فإنَّ أهل الشر والفساد يستغلون مثل ذلك للنيل منهم . . وتوهين الرابطة بينهم وبين الناس . . لينالوا من الإسلام نفسه . . يقول سفيان بن حسين الواسطي . . (ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية قاضي البصرة (وهو تابعي) . . فنظر في وجهي وقال . . أغزوت الروم؟ قلت . . لا . . قال . . السند والترك والهند؟ قلت . . لا . . قال . . أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟) . . قال سفيان . . (فلم أعد بعدها) . . .

ويقول أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة ـ رحمهم الله تعالى ـ . . (إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويّ . . ولقد سمعت أبا حنيفة يقول . . (إني لأدعو لحماد مع أبويّ) . . .

ويقول الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ . . (ما نمتُ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١١] . . .

١٠٩ ـ يؤدي حق ما تعلمه . . فيبلغه لغيره . . وينشره بين الناس . . بالأساليب المختلفة . . مراعياً . . ما يحتاجونه في زمانهم . . ومكانهم . . ومستوياتهم . . لا يكتم علمه . . يحذر الإثم وسوء العاقبة . . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]

. . يقول ﷺ: **«من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم يومَ القيامة بلجام من نار»** . . .

يتعلم العلم . . ويؤدي حقه . . ولكنه ليس بمجرد ذلك . . يصدر الفتاوىٰ . . هذا حلال . . وهذ حرام . . ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ**﴾ [النحل:١١٦] . . ولا يجد عيباً إذا سُئل وهو لا يعرف الإجابة أن يقول . . الله أعلم . . أو . . لا أدري . . يُرجع السائل إلىٰ من هو أعلم منه . . وإلىٰ العلماء المتمكنين . . أو يحيلهم إلىٰ مراجع تعينهم ويبحث هو في ذلك ويستفيد . . .

سُئل ابن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ عن شيء فقال . . (لا أدري) ثم قال . . (أتريدون أن تجعلوا ظهورَنا جسوراً لكم في نار جهنم، أن تقولوا أفتانا ابن عمر بهذا) . . .

يقول ابن الحصين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (إنّ أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت علىٰ عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ لجمع لها أهل بدر) . .

١١٠ ـ يستمع لقول الرسول ﷺ . . **«والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»** . . قيل . . من يا رسول الله؟ . . قال . . **«الذي لا يأمنُ جاره بوائقَه»** . . .

فلا يدور في خلده بعدها . . أن يكون يوماً علىٰ خصام ومشاحنة وكيد وبغضاء مع جيرانه . . لأنه بذلك سيخسر إيمانه . . وأيُّ خسارة . . .

مدركاً المصير السيء . . والعاقبة الوخيمة . . التي تنتظره في الآخرة . . من يؤذي جاره . . محبطاً بذلك كل أعماله وطاعاته . . .

قيل للنبي ﷺ . . (يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدَّق وتؤذي جيرانها بلسانها) . . فقال . . **«لا خير فيها، هي من أهل النار»** . . وقالوا . . (وفلانةُ تصلي المكتوبة وتصدَّق بأثوار(قطعة من اللبن الجامد المستحجر) ولا تؤذي أحداً) فقال ﷺ **«هي من أهل الجنة»** . . .

يرعىٰ جاره . . ويصون عرضه . . ويحافظ علىٰ شرفه . . يستر عورته . . ويغض بصره عن محارمه . . يبتعد بذلك عن كل ما يريبه ويسيء إليه . . .

يحذر من أن يقصر في واجبه نحو جيرانه . . عون لهم عند الشدائد . . وبهجة لهم عند الرخاء . . إن افتقر جاره . . أعانه . . وإن مرض . . عاده وواساه . . وإن وافاه الأجل . . شيعه وواسى أهله وأحسن إليهم . . **«كم من جار متعلّق بجاره يوم القيامة يقول: ياربِّ هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه»** . . يصبر على جاره . . لا يثور مغاضباً إن بدرت منه هنة من الهنات . . ولا يظل يحاسبه على زلة زلها أو تقصير وقع فيه . . بل يعفو ويصفح . . محتسباً ذلك عند الله ـ تعالى ـ . . **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** . . .

١١١ ـ حريص على الدعوة ونجاحها . . أن تكون هي الأقوى والمهيمنة . . حرصاً لا يوازيه حرصه على المستقبل . . والعمل الوظيفي . . وتأمين مسكن ومركب مريح . . لأنَّ الدعوة تشغل باله . . يفكر فيها ليل ونهار . . كيف تنجح؟ . . وكيف تتقدم؟ . . ما هي أسباب الفشل؟ . . وأسباب التأخير والضعف؟ . . حتى يدرك أن وحدة الصف ووحدة المنهج من أهم أسباب قوة الدعوة . . وأن تجميع الطاقات الفعالة المنتجة من أسبابها . . أيضاً . . .

يتعجب من حرص أعداء الدعوة . . أهل البدع والضلالات . . على نجاح دعوتهم . . يجوبون البلاد طولاً وعرضاً لنشر باطلهم . .

فيجد نفسه كطبيب مسلم . . لا يترفع أن يبدأ عمله في قرية يساعد أهلها . . ويدعوهم إلى الإسلام وأحكامه وتشريعاته . . لا يفضل وهو شاب متخرج في الجامعة . . العمل ولو بوظيفة صغيرة في مدينة من المدن . . على أن يذهب إلى أهل بلاد بعيدة هم بأشد الحاجة إلى أمثاله . . لرفع الجهل عنهم . . وتعليمهم أمور دينهم . . وإلا فمن للقبائل والقرى . . من المسلمين . . إذا كان حقاً حريصاً على الدعوة . . ونجاحها وانتشارها . . .

١١٢ ـ خطيب . . مفكر ومؤثر . . يجتمع عنده أصناف الناس . . كلهم يعودون وقد استفادوا من حديثه وموعظته وفكرته . .



يستشير إخوانه في موضوعه . . أهل الرأي والعقل من جمهور المصلين عنده . . يبحث كثيراً ويقرأ ويتعلم . . حتى تكون لديه القدرة في التأثير على السامعين . . .

يرسخ في نفوسهم على اختلاف طبقاتهم . . مفهوم العبودية لله ـ تعالى ـ . . الاستسلام لنصوص القرآن والسنة . . تعظيم السنة . . وتعظيم الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ . . محاسن الإسلام . . سيرة الرسول ﷺ . . بث روح الأخوة والتعاون . . نبذ الفرقة والاختلاف . . إبداء الرأي الشرعي فيما يجدُّ من أحداث . . مآسي المسلمين . . وما يحتاجونه من مساعدة ونصرة بالنفس والمال والدعاء . . كيد الأعداء وما ينبغي فعله لرد كيدهم ودحرهم . . مستشعراً بذلك المسؤولية الملقاة على عاتقه . . كخطيب وداعية . . يرقى المنابر ليتكلم باسم الإسلام . . وفي بيت من بيوت الله ـ تعالى ـ . . .

لا يكون هدفه تجميع الشباب المتحمس للدعوة . . ممن لا يفكرون التفكير الهادئ المتزن . . ولا يحب التعمق في فهم المشاكل والصعوبات . . ويكتفون بالخطب الحماسية التي تشبع رغبتهم . . إنه لا يقلل من قدر العاطفة . . وأهمية جمع الجماهير . . فإن الرسول ﷺ كان يخطب وكأنه منذر جيش يقول . . **«صبَّحكم ومساكم»** . . .

إلا أنه يحاول الجمع بين هذه الحماسة وبين تقديم العلم النافع والفكرة الصحيحة . . فيجتمع رأي عام بين صفوف المسلمين . . يؤيد الدعوة . . ويحبها . . ويدافع عنها . . .

١١٣ ـ يشعر بأهمية المال . . يتعلم كيف يساهم في التخفيف من ضغوط الاقتصاد الغربي . . والاستهلاكي يتعلم مهنة أو أكثر . . مما يحتاجها بين الحين والآخر . . ولو من قبيل الهواية فقط . . .

يستطيع من خلالها . . إصلاح أعطال منزله . . أو سيارته . . وشتى حوائجه . .

كما كان يفعل الرسول ﷺ . . يصلح نعله . . ويرقع ثوبه . . ومنّ الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ سيدنا داود ـ عليه السلام ـ بأن علمه . . ﴿ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الانبياء: ٨٠] . . .

يحرص علىٰ الاستثمار الذي يفيده ويفيد غيره . . يوفر من ماله ولو كان قليلاً . . يشارك به في دورة إنتاج زراعي أو صناعي أو تجاري . . يخفف به من البطالة . . التي ينتج عنها من المشاكل الكثير . . ولا يكتفي بالاستثمار في الأمور الاستهلاكية . . حباً في السهولة والربح السريع . . بل يبحث ويفكر في مشاريع تفيد المسلمين من شتىٰ الجوانب . . .

يربي أهله وأبناءه علىٰ حسن التدبير . . لا إسراف ولا تقتير . . ليعرفوا قيمة المال وأهميته . . وأهمية حفظه بكل أنواعه . . وتسخيره للصالح العام . . دون إدخار شخصي . . أو تضييق أو بخل في الإنفاق . . .

١١٤ ـ يدرك أن كثرة الرفاهية . . والمعاناة والظلم . . أنتجت أجيالاً . . وشخصيات ضعيفة . . فيها كذب . . ومكر . . وتملق . . لا تملك الشجاعة في اتخاذ القرار . . .

يعلم أن عقم التربية في البيت والمدرسة . . العيش في أجواء القهر والتسلط . . مفسد للبأس . . والقوة . . والمنعة . . .

إنه يحاول أن يعيد هذا اليأس . . ويحيي هذه القوة في الناس . . بالتربية الطويلة . . علىٰ . . الاستقلالية . . خشونة العيش . . الجهاد في سبيل الله ـ تعالىٰ ـ . . ليبني الشخصية التي تعتدّ بنفسها وما تملك من دين وخلق . . في محاضنها الطبيعية . . البيت والمدرسة . . والعيش في أجواء إسلامية نظيفة . . يتربىٰ فيها الفرد . . والزوجة . . والأبناء . . علىٰ الاحترام المتبادل . . وعلىٰ العطف والتقدير . . .

١١٥ ـ تحقيق المخطوطات . . تصفية التراث . . إصلاح شعبة من شعب العلوم والدعوة . . إصلاح الوعظ والخطب . . تأليف الكتب . . إلقاء المحاضرات . . كلها وسائل للهدف المنشود . . وهناك وسائل أخرىٰ غيرها . . وكل واحدة بمفردها لا

تستطيع الحل . . وأنه لا بد من الشمولية في التنظير . . وفي التطبيق والعمل . . .

يدرك أنه إذا اجتهد في جانب من هذه الجوانب . . وأتقنه وتفرغ له . . فإنه بذلك يقوم بجزء . . وأن إخوة له يقومون بسد باقي الثغرات . . فيتعاون معهم . . ويكمل بعضهم بعضاً . . فإن هذا الدين لا ينصره . . إلا من أحاط به من جميع جوانبه . . .

١١٦ ـ إن أشد الأمور فتكاً بالدعوة . . أن تصاب من الداخل . . ليجد أن قضية العلاقات الأخوية تحتاج إلى معرفة النفسيات والطباع . . إلى اهتمام وهندسة خاصة . . .

تحتاج إلى معاملة كل أخ حسب ما يناسبه . . إنه لا يستطيع طبع البشر بطابع واحد . . فإنَّ الرجال أنواع . . هناك البسيط المنفتح . . والانطوائي . . والاجتماعي . . من يحب العزلة والجريء . . والخجول . . .

وأن الرسول ﷺ . . وهو القدوة والأسوة الحسنة . . كيف كان يعامل أصحابه مع اختلاف طبائعهم . . كان أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ هيناً ليناً . . وكان عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ شديداً وعثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ حييّاً . . .

إنه يتعرف على النفوس . . وطبائعها . . ومداخلها . . حتى يتسنى له طريقة مناسبة يتعامل بها معها . . فلا يظلمها . . بأن يكلفها فوق طاقتها . . أو يبخسها حقها . . .

وإذا شعر أن في أخيه صفةً غير محمودة . . لا يعامله على هذا الأساس لسنوات . . دون أن يسأل أو يستفسر منه أو ممن يثق به . . حتى لا يقع في الظلم . . الذي قد يتبين له الحق بعده . . ولكن . . بعد أن تكون علاقتهم الأخوية قد أصابها الشلل . . .

١١٧ ـ تتألم نفسه من حال بعض المنتسبين للدعوة . . من جفائهم وبعدهم عن الرفق . . واللين . . والكلمة الطيبة . . والسؤال عن الحوائج . . وتفقد الأحوال . . والزيارة . . .

إنه يسمع ويرى . . كيف يخدم أهل الباطل بعضهم . . أو من يريدون إيقاعه في شباكهم . . مع أن المسلمين هم أولى الناس بكل مكارم الأخلاق . . ومحاسن

العادات . . .

يرى من إخوانه من إذا رأى مقصراً في بعض السنن عامله بازدراء واستخفاف . . وقد لا يسلّم عليه إلا بصوت منخفض ولا يهتم به . . لا يحاول استمالته . . بالكلمة الطيبة . . أو يصنع المعروف . . حتى يُميل قلبه إلى محبة السنة وأهلها . . .

يسمع من يقع منهم في الغيبة باسم النقد والتقويم . . وذكر المعايب . . والتي قد لا تكون . . وأكثرها من الأوهام والظنون . . .

يرى من يستعمل المكر مع إخوانه . . ويعده من الذكاء والكياسة . . وينظر إلى من لا يستعمل هذا المكر على أنه مغفل مسكين . . .

وأدرك . . أن ذلك كلّه ما هو إلا لجهلهم بحال المدعو . . وبطريقة الرسول ﷺ وحاله في تأليف الناس . . وطريقة العلماء الربانيين . . .

وأن ذلك كله . . ما هو إلا من العجب بالنفس . . والاستطالة على الخلق . . والذي هو سبب من أسباب تأخر الدعوة . . وأزمتها . . .

١١٨ ـ يحب إخوانه حباً سامياً . . مجرداً عن كل منفعة . . حب أخوي صادق . . يجد فيه حلاوة الإيمان . . إنه الحب في الله ـ تعالى ـ . . **«ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكرهُ أن يقذف في النار»** . . .

حب يدرك به الشرف الرفيع الذي يسبغه الله ـ تعالى ـ عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين . . **«أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلي»** . . .

حب يرفعه إلى الدرجة التي يحبه الله ـ تعالى ـ فيها ويرضى عنه . . قال ﷺ : **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه . . قال : أين تريد؟ قال . . أريد أخاً لي في هذه القرية . . قال . . هل لك عليه من**

نعمة تربّها عليه؟ . . قال . . لا ، غير أني أحببته في الله تعالىٰ . . قال . . فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» . . .

١١٩ ـ لا يتخلىٰ عن أخيه ظالماً كان أو مظلوماً . . ذلك أنه تعلم أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه . . وهو لا يحب لنفسه أن يكون ظالماً أو مظلوماً . . ولا يحب ذلك لأخيه . . إن كان مظلوماً . . ينصره . . ويدافع عنه . . ويؤازره . . وإن كان ظالماً . . وقف إلىٰ جانبه . . ينهاه . . وينصحه . . ويمنعه . . ويكفه عن الظلم . . .

«لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره» . . .

١٢٠ ـ ليس هناك أضرُّ علىٰ الدعوة من الجماعات . . والتحزب . . المنغلق الضيق . . إنها داء يفتك بالأخوة . . ويقطع أواصرها . . ويجعل صفوها كدراً . .

يتأمل . . ويفكر هل يجوز له كمسلم أن يكون وجهه الطلق . . وابتسامته العريضة . . وسلامه الحار لمن هو من جماعته . . ولغيره العبوس والسلام البارد؟ . . .

هل يجوز له أن يغض الطرف عن أخطاء أصحابه . . وإذا وقع غيرهم في الأخطاء نفسها شهّر به وتكلم عليه؟ . . .

هل عليه أن لا يطلع ولا يقرأ ولا يستقي إلا من طرف واحد . . من كتب أصحابه وممن يوصى ألا يقرأ إلا لهم . . أما كتب غيرهم فمصيرها الازدراء والاحتقار؟ . . .

وسيدرك أنه إن فعل ذلك . . سيكونُ ضيقَ الأفق . . مشوّه الشخصية . . لا ينظر إلا من زاوية واحدة . . ولا يعرف إلا فكراً واحداً . . وحين يُحال بينه وبين تلقي العلم . . والجلوس إلىٰ العلماء الربانيين . . أو من عندهم علم وخبرة . . .

إنه ينظر إلىٰ من يباشر عملية تربيته . . فإن كان ديِّناً ذا علم وفهم وليس فيه حب الزعامة . . أوقن أن تربيته ستكون أقرب للصواب . . .

وإن كان المربي ممن يحب الزعامة وفيه شيء من زغل العلم . . أوقن أنه لن

يتخرج من عنده إلا شباب متحزبون مشوهون . . .

فيتنبه ويحتاط لنفسه . . يحاسب نفسه ويجدد ويتجدد بين حين وآخر . . حتى لا يقع في هذا الداء الذي عمّ بلاؤه . . .

١٢١ ـ صافي القلب . . طلق الوجه . . لا يلقى إخوانه إلا متهللاً مبتسماً . . **«لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»** . . .

ينشر الإخاء . . يفشي السلام على من عرف من إخوانه وعلى من لا يعرف . . سأل رجل رسول الله ﷺ . . أيُّ الإسلام خير؟ . . قال . . **« تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»** . . إنه لا يعيشُ في جفاف عاطفي قاتل . . فلا يهش لجار أو صديق أو قريب . . مهموم مشغول . . سادر في متطلبات الحياة المادية التي تطفئ شعلة العاطفة والحب والمودة . . بل هو في مجتمع مسلم . . تشيع فيه السماحة والود والابتسام . . .

يقول جرير بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسَّم في وجهي) . . .

يصافح إخوانه عند الملاقاة بصدق وحرارة . . يعانقهم عند قدومهم من سفر . . حتى تبقى أسباب الود معقودةً . . ويزيد أواصر الأخوة صلابة وقوة . . .

يروي ابن سعد عن الشعبي قال . . لما رجع رسول الله ﷺ وقبّل ما بين عينيه وقال . . **«ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر»** . . وزاد في رواية **«وضمه واعتنقه»** . . .

١٢٢ ـ دين الإسلام بشمولية معالجاته لشؤون الحياة الاجتماعية . . بنفس القدر الذي يعالج به البناء النفسي والعقلي . . يجعله أملاً اجتماعياً متجدداً على مرّ التاريخ . . يحمل البشر والنور إلى البشرية . . .

إلا أن هذه الخاصية للدين الإسلامي . . تجعله في مواجهة أعباء وتحديات مستمرة ومتنوعة . . فوقف مع نفسه . . وقفات يتأمل فيها ساحات الفعل

الاجتماعي . . يوازن فيها بين ضرورات المواقف وثوابت الدين الحنيف . . يرمي بنظره الفاحص في آفاق الرؤية . . لكي يتبين ما يجدّ هنالك من تحديات أو مزالق . . ربما تمثل مخاطر على مسيرة الدعوة . . من شأنها . . إذا أهملت . . أن تؤدي إلى انحرافات في مسار الفكر والمجتمع . . .

يتأمل ردود الأفعال . . وأن الدعوة الإسلامية . . لا ينبغي أن تقوم عليها . . حين يأتي من يتهم الإسلام بافتقاره إلى الشفافية الروحية . . والعمق الوجداني . . فينشط من يعلن بأن الإسلام . . دين روحاني . . وأن الإسلام . . هو دين الروح . . وأن الروحانية . . مذهب إسلامي . . ثم يأتي من يتهم الإسلام بتحقيره للجسد . . وإهماله للغريزة . . فينشط من يقول . . إن الإسلام دين الجسد . . وأنه يعلي من شأن الجسد . . .

يلاحظ أن المجتمع الإسلامي . . يقف موقف التابع واللاحق . . وليس الرائد والسابق . . وتكون لحظة نهوضه متميزة بحرقة الرفض لهذا الواقع . . وعاطفية الاندفاع لتبرئة الإسلام من جهل أبنائه . . وينشط من يلح على أن الإسلام . . يحض على العقل . . ويدعو إلى التفكر . . ويميز أهل العقول . . وأن العقلانية . . هي من ثم إسلامية صحيحة . .

وأن الإسلام . . ليس دين العقل . . ولا دين الروح . . ولا دين الجسد . . وإنما هو دين الله ـ تعالى ـ للناس بشموليته وتكامله واتزانه وعدالته . . إنه يجد في الإسلام من الآيات أو الإشارات ما يلفت إلى قيمة العقل . . أو يدل على مكانة الروح والعاطفة . . أو يبين أن الغرائز من فطرة الله ـ تعالى ـ . . .

ولكن ذلك كله . . لا يجعله يحصر تعبير الإسلام في شأن من هذه الشؤون . . مهما كانت الدوافع والمبررات . . .

لأنه يدرك تماماً . . أن النزوع إلى تمجيد جانب من جوانب الإنسان . . كالعقل مثلاً . . يجعله هدف الإسلام ورسالته . . ينتهي بمرور الوقت إلى الإخلال



بالوجود الإسلامي كله . . عندما تُنسىٰ الدوافع الأولىٰ لهذا الصنيع . . فيستقر في الأجيال الجديدة إجلال العقل . . وتقديسه . . وتحكيمه في كل أمر . . حتىٰ في كتاب الله ـ تعالىٰ ـ وسنة رسوله ﷺ . . .

وهو عندما يسمع الاتهامات المتتابعة علىٰ الإسلام بأنه دين جامد . . لايعرف التطور . . ولا يستجيب للتجديد . . ولا يصلح لقيادة وتوجيه مجتمع عصري . . لا يجعله ردة فعله تثبت أن . . التجديد . . من صلب الإسلام . . وقيمة من أعزّ قيمه . . لأنه يحذر من تشابه هذا المصطلح مع مصطلح آخر معاصر . . . يختلف معه في المحتوىٰ والمضمون . . فإن التجديد الديني في الاصطلاح الفكري الأوروبي . . يعني . . تطويع الدين بما يتلاءم مع الواقع الإنساني الجديد وتقريب دلالالته وإشاراته بما يستقيم مع الهوىٰ الإنساني الجديد . . وإعادة صياغة معالم الدين . . وربما أصوله وثوابته الكبرىٰ . . بما يناسب المواضيع الفكرية والقيم الاجتماعية الجديدة . . .

إن مصطلح التجديد . . يعني لديه . . إحياء الدين في النفوس . . وفي الواقع . . وإبراز معالمه المندثرة علىٰ مرّ الأيام . . وإعادة الناس إلىٰ هدي الدين الحنيف كلما ابتعدوا عنه . . أو ضلوا الطريق إليه . . .

يتنبه لما أن الخلط بين مفهومه للتجديد . . المفهوم الإسلامي الأصيل . . وبين مفهوم التجديد المعاصر يثير كثيراً من الارتباك في الدعوة الإسلامية المعاصرة . . ويؤدي إلىٰ التهاون في أمر الدين والتلاعب بالأحكام . . والتحايل علىٰ معالم الشريعة . . فيحذر . . .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [الشورى:١٥] . . .

١٢٣ ـ الإسلام في جوهره . . دين الله ـ تعالىٰ ـ . القائم علىٰ وحي الله ـ تعالىٰ ـ . . في كتابه وسنة نبيه ﷺ . . .

والحضارة الإسلامية . . هي جهد البشر في تفاعلهم مع الواقع والتحديات

التاريخية التي واجهتهم مسلحين بنور الله تعالىٰ وهدىٰ دين الإسلام . . .

الدين . . هو الحق المحض . . والطاعة فيه ملزمة للجميع . . أما الحضارة بفكرها . . وثقافتها . . وقيمها . . يعتريها ما يعتري البشر من خلط بين حق وباطل . . هدىٰ وضلال . . .

ومن ثمّ . . فإن دعوته تقوم علىٰ . . دعوة الناس إلىٰ دين الله ـ تعالىٰ ـ . . وليس إلىٰ حضارة أبناء الإسلام . . يدعوهم إلىٰ الإسلام . . والإيمان . . والإحسان . . وليس إلىٰ . . عقلانية المعتزلة . . أو . . ثورية الخوارج . . أو . . اشتراكية القرامطة . . أو . . روحية المتصوفة . . لأنه إن صرف جهد دعوته . . من التوجه إلىٰ الدين . . إلىٰ التوجه إلىٰ الحضارة . . فقد أساء إلىٰ الإسلام ولم يحسن . . ودعا الناس إلىٰ البشر . . وليس إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ خالق البشر . . إنه انحراف خطير في مسار الدعوة . . فإن من البديهيات لديه ولدىٰ كل مسلم . . أن الحضارة لا تصلح حاكماً ومشرعاً . . يفصل للمسلمين بين الحق والباطل . والمشروع وغير المشروع . . من القضايا . . والقيم . . والسلوكيات . . وإنما ذلك في اعتقاده . . من صميم الاختصاص الديني . . فالله تعالىٰ هو المشرع . . وهو الحكم . . وليس البشر . . وجهد البشر . . ورؤية البشر . . هذا المعنىٰ البديهي لديه . . لا يتخلف عن إدراكه الدعوي . . عندما . . يقيّم بعض مظاهر الحياة . . والقيم . . والسلوك . . علىٰ أساس أنها مما شرعه الله تعالىٰ وأباحه أم لا . . وليس علىٰ أساس أنها حضارية أم غير حضارية . . .

يدرك أن الدعوة الإسلامية . . تتوجه إلىٰ بناء حضارة إسلامية راشدة . . تعيد الريادة والعزة للإسلام والمسلمين . . وأن . . المشروع الحضاري الإسلامي . . هو تفريع عن الدعوة للدين . . وليس بديلاً للدعوة إلىٰ الدين . . أو أن يكون متحكماً فيما يلزم أو لا يلزم من معالم الدين . . يوقن . . أن ذلك إنما انحراف لدينه . . ولمشروعه الحضاري . . ولدعوته للإسلام . . .

١٢٤ ـ عملية التغريب الكبرىٰ للمرأة المسلمة . . فكراً وسلوكاً . . وانتزاعها من منبتها الإسلامي . . لتعيش مناخاً إنسانياً آخر . . لا يمتّ إلىٰ الإسلام بصلة في كثير من أحواله . . والذي يتم تحت إلحاحات دعائية كاذبة . . توهم المرأة المسلمة أنها بهذا الاغتراب . . إنما تمارس عملية النهضة الكبرىٰ . . وتؤكد شخصيتها . . وتميزها . . ووجودها المستقل . . إنه يشعر الآن بأن هذا الوهم ما زال حياً في ديار الإسلام . . وأن أدعياء النهوض بالمرأة . . وتحرير المرأة . . وهم أعداؤها في الحقيقة . . مازال صوتهم عالياً في ساحة الإعلام . . والمنتديات . . والملتقيات . . .

مما يعني له . . أن المعركة مع تغريب المرأة مازالت قائمة . . وتحتاج منه أول ما تحتاج . . الوعي الكامل بأسباب الانحراف الأول في مسيرة النهضة . . ومواضع التقصير . . ونقاط الفراغ الفكري . . والتربوي . . التي أتاحت للمنحرفين قيادة تيار النهضة . . وإفساد شخصية المرأة المسلمة . . الذين هم أثر مشوه من آثار الغزو الثقافي والحضاري . . والذين تحولوا إلىٰ جسر للتخريب الفكري والقيمي الأجنبي في جسد الأمة . . يربك تماسكها . . ويعوق انطلاقتها الصحيحة إلىٰ النهضة الحقيقية . . النابعة من مقومات دينها الإسلامي العظيم . . .

والذين يقول عنهم الإلحادي جان بول سارتر . . في مقدمة كتابه . . (المنبوذون في الأرض) . . والذي يبين فيه كيف صُنعت . . النخبة المثقفة . . في بلاد آسيا وأفريقيا وفي ديار المسلمين . . يقول . . (كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة . . من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس . . فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ويرتدون السترات والسراويل . . ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو والاستقبال والاستدبار . . ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا . . وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوروبية . . ثم نلقنهم أسلوب الحياة علىٰ أثاث جديد وطرز جديدة من الزينة . . واستهلاك



أوروبي جديد وغذاء أوروبي . . .

كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أَوْرَبَة بلادهم . . ثم نرسلهم إلىٰ بلادهم . . وأي بلاد؟ . . بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا ، لم نكن نجد منفذاً إليها . . كنا بالنسبة لها رجساً ونجساً وخنَا . . كنا أعداء المفكرين الذين صنعناهم إلىٰ بلادهم . . كنا بمجرد أن نصيح من أمستردام أو برلين أو بلجيكا أو باريس قائلين . . الإخاء البشري . . نرىٰ أن رجع أصواتنا يرتدّ من أقاصي أفريقيا أو فج من الشرق الأوسط أو الأدنىٰ أو الأقصىٰ أو شمال أفريقيا . . .

ثم إننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين . . لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم . . ليس هذا فحسب . . بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم . . هذا هو دور المفكر الذي يتشكل بالشكل الأوربي ويلعبه في الدول الإسلامية . . دور دليل الطريق . . للاستعمار . . في البلاد التي لم يكن يعرفها أو يعرف لغاتها . . وهو السُوس الذي عمل في الشرق من أجل تثبيت هذه المادة الثقافية والاقتصادية والأخلاقية والفلسفية والفكرية . . المسممة . . للاستعمار الغربي داخل هذه الأشجار الورافة الأصيلة ، هذا هو السوس الذي كنا وصفناه وسميناه بالمفكرين . . .

كانوا عالمين بلغاتنا . . وكان قصارىٰ همِّهم ومنتهىٰ أملهم أن يصبحوا مثلنا . . في حين أنهم أشباهنا . . وليسوا مثلنا . . إنهم نخروا من الداخل ثقافة أهليهم وأديانَهم القومية التي تصنع الحضارات . . ومُثلهم وأحاسيسهم وأفكارهم الجميلة وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية . . وتحت أي شعار . . وبأي اسم؟ . . باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية أو الوقوف ضد السلفية . .) . . .

إنه لأن يجاهد . . ويثابر . . ليقدم مشروعاً إسلامياً متكاملاً . . لإصلاح شؤون المرأة المسلمة . . يقطع به الطريق علىٰ أهل الانحراف . . مثل . . السفور والاختلاط . . والتي لم تكن قادرة وكافية لوقف هذه المسيرة المنحرفة . . أو تطويق

آثارها المدمرة. . في شخصية المرأة المسلمة. . .

وهو عندما يُعين المرأة المسلمة للالتزام بهدي دينها . . ويبعدها عن غبش التصورات المتغربة. . وضلال الدعوات المشبوهة. . يكون. . قد بدأ نهضتها الحقيقية. . وجعلها تنتظم في مسيرتها المتحضرة والرشيدة. . .

١٢٥ ـ كلما كانت أوضاعُ وحالات المرأة المسلمة راشدة ومستنيرة. . وقوية . . وكلما أمدت المجتمع الإسلامي بمصادر متجددة من القوة. . والعزة. . والرشاد. . كلما كانت مسيرةُ الأمة أكثر اطمئناناً على مستقبل أجيالها الجديدة. . .

ولذلك. . هو يدرك مدى أهمية الالتفات إلى قضية المرأة المسلمة وأوضاعها . . وضرورة النهوض بها. . لكي تقوم بدورها. وتكون على قدر من الرشاد والقوة والإيجابية. . والفعالية في دفع حركة المجتمع إلى العلياء. . .

ولكن في طريقه إلى ذلك. . يتنبه إلى ما استقر في أفهام بعض المصلحين. . وأفكارهم. . من أن المرأة الأوروبية. . بحالها. . ووضعها. . وقيمها. . وسلوكياتها. . هي الأنموذج الحضاري. . والمثال الذي ينبغي أن تحتذي به كل امرأة. . متحضرة. . أو تريد أن تسلك في علياء الحضارة. . وكان الزلل الأول. . والذي ترتب عليه كل زلل بعد ذلك. . أنه غاب عن تصوراتهم. . وسقط من حسابهم. . الفروق الجوهرية. . بين النظام العَقَدي. . والتشريعي. . والقيمي. . الذي تحيا به. . وفي ظله المرأة المسلمة. . وبين مقابله الذي تحيا به وفي ظله المرأة الأوروبية. . والتي واجهت ظروفاً تاريخية واجتماعية. . تختلف اختلافاً جذرياً عما واجهته المرأة المسلمة. . واجهت مجتمعاً أعلن عزله النهائي للدين عن قيادة المجتمع أو التأثير في شرائعه وأحكامه. . ولذلك فعندما تثور المرأة الأوروبية. . وتقترح تشريعات. . وتطالب بقوانين. . فإنما تواجه مجتمعاً علمانياً لا دينياً. . وتخاطب مشرعاً بشرياً مثلها سواء بسواء. . .

أما المرأة المسلمة. . . فهي تعيش في رحاب دين الحق. . بمظلته الشرعيّة

الربانية. . فعلام تثور المرأة؟. . وعلىٰ من تثور؟. . أتثور علىٰ ربها ـ سبحانه ـ؟! أم تثور علىٰ دينها وشريعة نبيها محمد ﷺ؟!. . .

إن المجتمع الإسلامي إنما يخضع لمشروع واحد. . ودين واحد. . لايملك بشر أن يبدّل فيه أو يغير. . .

وهو لذلك. . يدرك تمام الإدراك. . أنه لهذا السبب. . وله وحده. . لم يعرف المجتمع الإسلامي علىٰ مدىٰ قرونه الخمسة عشر ظاهرة الصراع الموهومة بين المرأة والرجل. . من المطالبة بالتحرير. . والحقوق. . والمساواة. . .

إنما عرف المجتمع الإسلامي. . حياة التراحم. . والتكافل. . والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ. . حينما لم تكن المرأة المسلمة تستلهم وتتأسىٰ بأنموذج المرأة في ديار الغرب أو الشرق. . .

إنما كانت تستلهم سيرة أمهات المؤمنين. وتتأسىٰ بنساء الصدر الأطهر. . وتدرس في كتاب ربها وسنة نبيها. . لتعرف حقوقها. . وواجباتها. . ودورها في خلافة الله ـ تعالىٰ ـ في الأرض. . .

١٢٦ ـ في لحظتنا الحضارية الراهنة. . الاختراق الثقافي الأجنبي اتسع نطاقه . . واستفحل خطره. . حتىٰ كادت هويتنا الإنسانية تُمحىٰ لصالح ثقافات الأمم الأخرىٰ. . وأنماطهم الحضارية. . والتي تحل محل ثقافة الأمة الإسلامية. . داخل ديارها. . بل داخل بيوتها. . وداخل نفوس أبنائها. . لتطبع سلوكهم. . وفكرهم وقيمهم. . وحسَّهم الجمالي. . بطابع غير إسلامي. . إنه إذ يقف علىٰ ثغر من ثغور الإسلام. . تؤتىٰ من قبله الأمة. . ليحققَ الأمن الثقافي لأمته. . بتصديه بالبيان. . والفكر. . والترشيد. . لعمليات الاختراق. . والتغريب. . والتخريب. . لثقافة الأمة. . .

يدرك أن ذلك لا يقل خطراً أو أهمية. . عن تصديه بالسيف والبندقية لمحاولات الغزو العسكري وأن تحقيقه الأمن الثقافي. . هو جزء من الجهاد



الكبير . . تحقيقاً لقوله تعالى . . ﴿فَلا تُطعِ الكافرينَ وَجَاهِدْهُم بهِ جِهَادًا كَبيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] . . .

تحقيقه للأمن الثقافي . . يبدأ من نفسه . . بتحديه السلوكي لأنماط التغريب المهيمنة . . يجاهد نفسه ليحملها على الاعتصام بالقيم المنزلة من عند الله ـ تعالى ـ . . يتمثلها . . ويجاهد الهوى والشيطان . . ويسرع الإنابة والرجوع عند كل زلة . . وعقب كل ضعف . . ليستقيم على أمر الله ـ تعالى ـ كما أمره الله ـ تعالى ـ . . .

ينشط في إحياء القيم الإسلامية الراشدة الخالدة في ضمير المجتمع . . يمنحُها صفة التجدد والاستمراريَّة فإن علاقة الإنسان بالقيم الثابتة . . تتغير صعوداً وهبوطاً . . تمسكاً وتفريطاً . . .

لذلك من أهم أعبائه . . تجديد إسلامية المجتمع . . أفراداً . . ومؤسسات . . وعلاقات اجتماعية . . عن طريق إحياء الثقافة الإسلامية . . بالتذكير الدائم بها . . وتقريب حقائقها من النفوس . . وتجليتها من الإضافات التي ليست من أصلها . . وحمايتها من انتهاكات المشهورين والمنافقين . . والمبتدعين . . .

بالحوار المباشر والدعوة والموعظة . . بتكوين روابط أو منظمات أو منتديات أو معاهد . . تتولى الكشف عن جسور ومعابر الاختراق الثقافي . . ومتابعته . . وفضحه . . في المؤسسات التعليمية والأجهزة الإعلامية . . والكشف عن رموز التغريب . . الذين يُدفع بهم إلى مواقع الصدارة في القطاعات الحيوية والقيادية . . لتخريب بنيان الأمة وتفتيت ثقافتها . . وتخريج من تضمنُ بهم استمرارَ مخططاتها . . كنوادي الروتاري . . الليونز . . بناي برث . . وغيرها من واجهات متعدِّدة للسرطان الماسوني . . .

يرشح ثقافتنا التاريخية . . وينقيها مما يكون قد علق بها في مراحل التاريخ من عوامل ضعف أو فساد . . أو فُرقة . . فيستفيد من صالحها . . ويتجاوز عن فاسدها . . مهتدياً في ذلك بأصوله الثابتة من كتاب وسنة . . من غير احتكام إلى



تراث الآخرين . . أو إلىٰ نظريات ومذاهب مستوردة . . والتي لن تكون إلا تخريباً مقصوداً . ومنظماً . . للتراث . . وإرباكاً للعقل الإسلامي . . والتفافاً خبيثاً لخنق حركة الإحياء الإسلامي . . وإجهادها . .

يرشح الثقافات العالمية . . بحيث يفيد الأمة من محاسنها . . وتتحصن من شرها . . عندما تختار بإرادتها . . وترفض بميزانها . . وتقوّم بمنظورها . . وتضبط وفق أصولها وقواعدها الإسلامية . . يرسخ معنىٰ الصراع في العلاقة مع الثقافة الأوروبية . . يبث هذا المعنىٰ في وجدان الأمة وعقلها . . فيحيي حاسة الحذر والنقد والشك . . عند المسلم . . لكل ما يفد عليه من الغرب والشرق . . .

يدافع بذلك عن ثقافة الإسلام في وجه الهجمات الخارجية . . ومحاولات الاختراق . . والتشويه . . والغزو . . التي تمارسها ثقافات أخرىٰ . . فيغلق المنافذ . . ويطهر المناخ الثقافي مما يكون قد نفذ إلىٰ داخل المجتمع الإسلامي من هذه الثقافات الأجنبية . . .

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] . . .

١٢٧ ـ هناك خدع كثيرة . . يقدمها الكثير من المثقفين المتغرِّبين من خلال ما يزعمونه . . بقولهم . . محاولات نقدية في تراثنا القديم . . نقد العقل العربي . . قراءات جديدة في التراث . . يعمدون بذلك الطعن في ثقافة المسلمين . . وتشويه صورة التراث في أذهان الناشئة . . وتزوير حقائق التاريخ . . لكي تتطاوع مع مذهبياتهم الأجنبية المنحرفة . . .

فيجد نفسه ملزماً . . بالكشف عن مخاطر الغزو الثقافي علىٰ إسلام المسلم . . في صميمه وفي جوهره يتنبه إلىٰ المداخل التي تصطنعها مؤسسات الغزو الثقافي والقيمي الأجنبي في ديار الإسلام . . مثل . . إنسانية الثقافة . . عالمية الثقافة . . وحدة الثقافة العالمية . . الانفتاح الثقافي . . التلاقح الحضاري . . وغير

ذلك من شعارات الماسونية وأضاليلها . . .

يعلم أنها لا تهدف إلا لنسف السدود والمرشحات التي يحول بها دون انسياب الغزو الثقافي إلىٰ الكيان المسلم . . ليتحقق لهم . . تكوين الشخصية الإسلامية علىٰ النمط الغربي . . . وتحطيمُ فاعلية الثقافة الإسلامية . . ليصلوا إلىٰ تفتيت روح الجهاد في الأمة الإسلامية . . ومن ثمَّ تعبيدها التام للسيطرة الأوروبية . . وسيادتها . . .

يتنبه لذلك . . ويجاهد لتوضيح مخاطرها وفضح رموزها . . وأضاليلها . . وبذلك . . يصبح له دور فاعل في تحقيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . الفريضة التي يحمي بها ثقافة الأمة . . فيدفع بها البدع . . بدع الفكر . . والسلوك . . والخلق . . ويُحيي سنن الخير . . التي غابت بفعل رحلة التغريب الطويلة . . فيكون بمثابة الحارس علىٰ ثقافة الأمة . . والضمانة الاجتماعية لبقائها . . واستمرارها . . وتجددها . . .

إنه وحده الذي يستطيع أن يقوم بالدور الجهادي والرسالي لخدمة أمته . . وليس غيره ممن يعملون لدنياهم . . ومنافعهم المادية . . .

لأنه وحده الذي . . يؤمن . . ويعمل . . وفق قول الله تعالىٰ . . ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . . .

١٢٨ ـ يزن الأمور تحت قاعدة الولاء والبراء . . بميزان العدل والقسطاس المستقيم . . وسطاً بين جانبي الإفراط والتفريط . . .

يهجر المبتدع . ولكن هجره يكون علىٰ حساب مقدار بدعته . . باعتبارات وأحوال ينزلها علىٰ قاعدة . . رعاية المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها . . ميزانه في ذلك . . هو مدىٰ تحقق المقاصد الشرعية في الهجر . . من الزجر . . والتأديب . . ورجوع العامة . . وتحجيم المبتدع وبدعته . . وضمان السنة من شائبة البدعة . . .



وهو في ذلك مخلص . . متابع . . يحذر من هوىٰ نفسه . . وتأمير حظوظها عليه . . حتىٰ لا يهلك في الحق . . فيكون شراً ممن يترك الهجر عصياناً . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها رسوله ، فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صواباً ، فمن هجر لهوىٰ نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا . . وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله) . . .

عند هجره . . ينظر إلىٰ اختلاف مرتبة البدعة من الإثم . . فيلاحظ . . كونها مكفرة مثل . . البابية والبهائية والقاديانية . . أم أنها غير مكفرة مثل عامة البدع في العبارات . . .

ينظر إلىٰ البدعة من جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً عنها . . فالمعلن لها أظهرها فاستحق العقوبة . . بخلاف الكاتم . . فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ . . هذا وهم في الدرك الأسفل من النار . . .

ينظر إلىٰ البدعة من جهة كونها حقيقية . . وهي البدعة التعبدية المحدثة استقلالاً . . كصلاة الرغائب . . وبدع المولد . . والأعياد غير العيدين . . أو كونها إضافية . . وهي الأمر المبتدع مضافاً إلىٰ ما هو مشروع أصلاً بزيادة أو نقص . . مثل . . الدعاء الجماعي بعد الصلاة . . فالدعاء مشروع وجعله جماعياً بدعة مضافة لم يرد بها النص . . ومثل سجود الشكر جماعة . . .

ينظر إلىٰ كونها بيّنة أو مشكلة . . هل هي ظاهرة المأخذ . . فهي بدعة متمحضة كبدع المآتم والموالد أم أن فيها احتمالاً لاشتباه مأخذها . . مثل . . القنوت في صلاتي العشاء والصبح . . فإنه كان ثم نُسخ وبقي المشروع فيها عند النوازل . . وشبهة الخلاف لا تصيره مشروعاً راتباً . . .

ينظر إلىٰ المبتدع لها . . من جهة اجتهاده فيها . . أو كونه مقلداً . . فالمجتهد مخترع للبدعة ، فالزيغ أمكن في قلبه من المقلد . . وإن كان كلٌّ منهما موزوراً . . لكن إثم

من سن سنة سيئة أعظمُ وزراً . . ينظر إلى المبتدع من جهة إصراره على بدعته أو عدمه . . لأن الإصرار عليها يجعلها من باب الدعوة إليها فيكون معلناً لها . . وعدم الإصرار في كونها فلتةً وزلة عالم إذا كانت منه ثم لم يعاودها . . يتنبه . . إلى أن الأمر يختلف باختلاف حال المبتدع وما فيه من خير وشر . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ . . (وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة . . وسنة وبدعة . . استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير . . واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر . . فيجتمع في الشخص الواحد موجباتُ الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا . . كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته هذا هو الأصل الذي اتفقت عليه أهل السنة والجماعة) . . .

يفرق في الهجر . . بين عالم تشربت نفسه بالبدع لكنه لم يختلط بعلماء أهل السنة ولم يتلقَّ عنهم . . وبين عالم تلقى عن المبتدعة فنالت منه منالاً ثم خالط أهل السنة وعلماءهم وجاورهم مدة بمثلها يحصل له اليقين ثم هو يبقى على مشاربه البدعية يعملها ويدعو إليها ويصر عليها . . فهذا قامت عليه الحجة أكثر . . فيتعين هجره . . وإبعاده . . .

يفرّق في حال هجره بين القويّ في الدين وبين الضعيف فيه . . فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين . . .

يدرك أن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين أنفسهم في قوتهم وضعفهم . . وقلتهم وكثرتهم . . فيتنبه . . بحيث إذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة . . كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها . . وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة . . فلا يرتدعون بالهجر . . ولا يحصل المقصود الشرعي . . لم يشرع الهجر . . بل يسلك مسلك التأليف خشية زيادة الشر . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ . . (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين

أنفسهم في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحةً بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته . . كان مشروعاً . . وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر . . والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين) . .

وينظر إلى أنه إذا كانت الواجبات . . مثل التعليم . . والجهاد . . والطب . . والهندسة . . ونحوها تتعذر إقامتها إلا بواسطة المبتدع . . فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ومصلحة التعليم وهكذا . . مع الحذر من بدعته واتقاء الفتنة به وببدعته ما أمكن وبقدر الضرورة . . فإذا زالت . . عاد إلى الأصل في الهجر . . وأبعد المبتدع . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ . (فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس) . . .

١٢٩ ـ يحيي السنة . . ينشرها ويدعو لها . . ويكون أول العاملين بها . . نصحاً للأمة . . وإقامة للدين . . .

يهجر المبتدع . . يقاطعه . . ينفر منه . . لا يجالسه . . يبتعد عن مجاورته . . يترك توقيره . . لا يسمع لكلامه أو قراءته . . يترك مشاورته . . لا يبسط إليه وجهه . . يشعر ببدعته . . يهجر المبتدع . . ديانةً . . يُحيي هذه السنة . . التي كانت حيةً بين السلف . . حمايةً للسنن من البدع والأهواء . . .

مدركاً أن ذلك من جنس الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ . . لتكون كلمة الله ـ تعالى ـ هي العليا . . مؤدِّياً به واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . يتقرب به

إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بواجب الحب فيه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ . **«من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطىٰ لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»** . يبعث اليقظة في نفوس المسلمين حتىٰ لا يقعوا في بدعته . . ويقلل بذلك انتشارها . . ويضعف المبتدع عن نشر بدعته . . ولعل ذلك يجعله يفيء إلىٰ أمر الله ـ تعالىٰ ـ وسنة رسوله ﷺ . . .

يقول الإمام أبو إسماعيل الصابوني ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالآذان وقرّت بالقلوب ضرّت وجرّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرّت) يفعل ذلك بإخلاص ومتابعة . . يزن أعماله الباطنية والظاهرية . . فلا يهجر لهوىٰ نفسه فينفض الإخلاصَ . . ولا يهجر علىٰ خلاف الأمر والسنة فينفض المتابعةَ . . .

يعلم أن في مخالطة المبتدع ومعاشرته وترك تحسيسه ببدعته . . تزكيةً وتنشيطاً له . . وتغريراً بعامة الناس الذين يجهلون كثيراً من أمور الدين . . .

يقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (. . إنَّ الإيواء يجامع التوقير ووجه ذلك ظاهر لأن المشي إليه (إلىٰ صاحب البدعة) والتوقير تعظيم له لأجل بدعته، وقد علمنا أنَّ الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشدُّ من هذا . . فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع يأمر الإسلام به وإقبالاً علىٰ ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بما ينافيه . . وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم علىٰ الإسلام . . إحداهما . . التفات العامة والجهال إلىٰ ذلك التوقير فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره فيؤدي ذلك إلىٰ اتباعه علىٰ بدعته دون اتباع أهل السنة علىٰ سنتهم . . .

والثانية . . أنه إذا وُقِّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرِّض له علىٰ إنشاء

الابتداع في كل شيء. . وعلىٰ كل حال فتحيا البدع وتموت السنن وهو هدم الإسلام بعينه). . .

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]. . .

١٣٠ ـ يرىٰ انفتاح العالم بعضه علىٰ بعض. . حتىٰ كثر في ديار الإسلام. . أهل الفرق. . يحملون معهم أمراضاً في العقيدة والسلوك. . .

يسمع قول الرسول ﷺ. . **«يوشكُ أن تداعَىٰ عليكم الأمم من كل أفق»**. . يلاحظ غياب رؤوس أهل العلم حيناً. . أو قعودهم عن التبصير في مسائل الاعتقاد أحياناً. . يشاهد الغفلة التي سرت إلىٰ مناهج التعليم. . بضعف العقيدة فيها. . وتثبيت المسلمات الاعتقادية في العقول. . .

مما أدىٰ بالمسلمين. . إلىٰ أن. . يُكسر حاجز الولاء والبراء بينهم وبين الكفار. . بينهم وبين المبتدعة. . تحت ظل شعارات مضللة. . التسامح. . تأليف القلوب. . نبذ الشذوذ والتطرف والتعصب. . الإنسانية. . .

فيدرك أن تلك المسمّيات البراقة. . ما هي إلا. . مؤامرات تجتمع للقضاء عليه كمسلم متميز وعلىٰ إسلامه. . .

ينظر إلىٰ انتشار أمية المسلمين في دينهم. . وضعف البصيرة بينهم. . وأهل البدع قد نثروا بدعهم ونشروها. . وعاثوا في الأرض الفساد. . .

وهنا يبدو دوره. . وتظهر قيمته كمسلم. . يقوم بواجب الدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ بصيرة يبصّر الناس بدينهم. . ويخلصهم من البدع والخرافات. . الأهواء والضلالات. . يثبت قواعد العقيدة علىٰ ضوء الكتاب والسنة. . بكل وسيلة. . بلسانه. . بقلمه. . بماله. . بجهده. . ينصب عامل الولاء والبراء. . يشيد الحاجز بين السنة والبدعة. . قمعاً للمبتدعة وبدعهم. . تحجيماً لهم. . ولها. . عن الفساد

في الأرض . . ليبقى الظهور للسنن صافيةً من الشوائب والأهواء . . .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ . . (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل . . الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ . . فقال . . إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل . . .

فبيّن أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين . . ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً) . . .

١٣١ ـ ينظر إلى أولئك البشر . . الذين يجترئون على دين الله تعالى . . في يسر وخلوِّ بال . . بدعوى حرية الرأي والفكر . . يشرّعون لأنفسهم قبول بعض الأحكام دون بعض . . جعلوا من أنفسهم أنداداً لله ـ تعالى ـ وشريكاً له يقتسمون بيان ما يصح العمل به . . وما لا يصح . . يجعلون من الدين علاقة العبد بربه . . أما الأحكام الاقتصادية أو السياسية أو القانونية أو الاجتماعية . . في نظرهم . . لا يصح العمل بها اليوم . . لأن التطور البشري قد تجاوزها . . الذين جعلوا الأمر في القيم والأخلاق قسمة بين الله ـ تعالى ـ وأهوائهم . . .

ينظر إليهم ويحذر منهم أشد الحذر . . لأنه يعلم أن من استحل استثناء شيء من هذه الأمور من الوجوب والإلزامية الشرعية فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . . ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ويجد نفسه ملزماً أن يُبطل كل قول أو فعل يتصادم مع القرآن والسنة . . فينظر إلى الأجيال الجديدة . . وشباب المثقفين الذين يحملون ضمائر لم تلوَّث بحرفية الثقافة . . فيقرب الوعي

الإسلامي من مداركهم. . ويكشف تناقضات العلمانية وتلبيسها المنهجي. . وخداعها الاصطلاحي: الإبداع. . التجديد. . الحداثة. . الاستنارة. . وهذا لرموز العلمانية. . .

أما أمة الإسلام ودعوة الإسلاميين. . فلها من المصطلحات: التحجر والجمود. . الرجعية. . التزمت. . الردة الحضارية. . القروسطية (القرون الوسطى). . الماضوية. . الظلامية الفكرية. . غير المصطلحات الجديدة التي يتهمون فيها دعاة الإسلام ومفكريه بأنهم يدعون إلى. . الكهنوت. . والثيوقراطية. . والحكم الديني. . .

يدرك أن هذه المصطلحات ما هي إلا نتاجات أوروبية. . تحكمها خصوصيات الديانة المسيحية. . التي تختلف في عطاءاتها الفكرية والتصورية والدنيوية. . جذرياً. . عن المعطيات الإسلامية. . المأخوذة من الكتاب والسنة. . فلا يكون موقفه منها إلا الإهمال التام. . فهي قضايا لا تخصه. . .

يقول الباحث المسلم النمساوي محمد أسد ـ رحمه الله تعالى ـ. . عندما توقف عن الإجابة على سؤال. . هل الدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية أم لا؟. . (إنه من باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية. . إن للفكرة الإسلامية نظاماً اجتماعياً متميزاً خاصاً بها وحدها يختلف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب. . ولا يمكن لهذا النظام أن يُدرس ويفهم إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة وأن أي شذوذ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتماً إلى الغموض والالتباس بدلاً من الوضوح والجلاء). . .

١٣٢ ـ يكشف للأجيال المسلمة عدوان العلمانية على الإسلام وتاريخه وتراثه وحضارته. . وكيف أنها رمز شاهد على التبعية الثقافية والحضارية للغرب وثقافته وحضارته. . وتحويلٌ للإسلام وتاريخه وحضارته إلى هوامش على متن الحضارة

الأوروبية . . .

وما ذلك إلا روح الهزيمة النفسية أمام الاستعلاء الأوروبي المعاصر . . يبين للجيل المسلم . . حقيقة الانحطاط . . وأسباب الانحراف . . والمنافذ التي أتى منها الضلال النهضوي . . إنه تغييب الإسلام عن خطط النهضة . . وتجاهل أصالة أمة الإسلام وشخصيتها الحضارية التاريخية . . وخصوصية بنائها النفسي والعقائدي . . .

ويطمئن الاطمئنان الكامل . . إلى أن المستقبل للإسلام . . ولثقافة الإسلام . . في ديار المسلمين . . بإذن الله ـ تعالى ـ . . وأن انتهاء الثقافة العلمانية ما هي إلا مسألة وقت . . فهي لم تعد بحاجة إلى مواجهة أو تصعيد . . لأنها تذبل تلقائياً . . وتتناقص بمرور الوقت . . فهي تفتقر إلى الخصوبة المتجددة والتي تضمن الاستمرارية في ديار الإسلام . . .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧] . . .

١٣٣ ـ تكون بينه وبين أخيه خصومة . . فلا يصبر على هجره . . مهما تكن الأسباب . . بل يسارع إلى مصافاته والتسليم عليه . . فإن المتحابين الصادقين . . لا تفرقُ بينهم خصومات تافهة يقطع بها الشيطان الحب والتآخي والتعاطف . . ولا يقيم على شحناء إلا من في قلبه مرض . . وفي طبعه جفوة . . .

«لا يحلُّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام» . . .

لا يُصر على الهجر والقطيعة . . حتى لا تحجب عنه رحمة الله ـ تعالى ـ ومغفرته . . وتُغلق دونه أبواب الجنة . . .

«تفتحُ أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفرُ لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول . . أنْظروا هذين حتى يصطلحا . . أنظروا هذين حتى يصطلحا . . أنظروا هذين حتى يصطلحا» . . .

١٣٤ ـ مع مرور الوقت . . وسير الزمن . . وتعدد التجارب . . والتي كلفت الأمة غالياً من حاضرها ومستقبلها . . .

بدأ بفكره الإسلامي يعود إلى وعيه الأصيل . . وبدأ يحتوي أبعاد أزمته الحضارية الجديدة . . ويدرك أسبابها الحقيقية . . يدرك معها الطريق الصحيح للخروج من الأزمة . . وسبل نهضته ونهضة أمته . . .

أدرك أن من أسباب الأزمة الفكرية والحضارية في أمته . . ظهور أفكار . . واتجاهات . . وصلت إلى حد يقول . . بأن الدين هو سبب تخلفها . . وأنه لكي تتقدم . . فلا بدّ من تخفيف ما أسموه (القيود الدينية) . . .

أن من أسباب الأزمة . . ظهور أناس . . عقدوا مقارنة بين واقع الأمة . . وبين الواقع الأوروبي . . وتتبعوا تاريخ النهضة الأوروبية . . وقفوا عند ظاهرة الصراع بين الكنيسة والعلماء . . وكيف انتهى الصدام بهزيمة الكنيسة . . ومن ثمّ عزل الدين عن الدولة . . وإدارة المجتمع . . وتنظيم شؤونه . . .

وزعموا أنه لكي تتقدم الأمة كما تقدمت أوروبا . . لابد أن نعلن الحرب على الدين . . وعزل الإسلام عن قيادة المجتمع وتنظيم شؤونه . . وفق الرؤية العلمانية اللادينية . . وراحوا يُعلنون الحرب الفكرية الموهومة على . . الكهنوت . . والثيوقراطية . . مع أنها قضايا ومصطلحات أجنبية . . .

إنَّ من أسباب الأزمة . . الانبهارَ الكبير بحضارة الغرب وتفوّقهم العلمي والتقني . . مما جعل الكثير لا يفرقون بين . . العلم والأخلاق . . التقنية والسلوكيات المنحرفة . . التقدم والثقافة . . فيدعون إلى نقل تلك الحضارة برّمتها إلى ديار الإسلام . . وتتبع طريقتهم . . حلوها ومرها . . حسنها وسيئها . . .

وانعكس ذلك على معالجة بعض القضايا . . مثل قضية المرأة . . ومكانتها . . ودورها في المجتمع فلاحظ ظهور تعابير مختلفة مثل . . تحرير المرأة . . والتي كانت غلافاً كاذباً للدعوة إلى السفور والتبرج . . ونزع حياء المرأة المسلمة . . بل وصل

الحال إلىٰ حد اعتبار الحياء . . داءً . . ومرضاً نفسياً واجتماعياً . . يجب علاجه . . .

وكان ذلك تأثراً واضحاً بأنموذج المرأة الأوروبية . . حين اعتبروا أن كل ما عند المتقدمين علمياً . . إنما هو . . فاضل . . وتقدميٌّ . . ومستنير . . وضاع في سبيل ذلك الكثير من . . القيم . . والأخلاق . . والهوية . . والوقت . . والجهد . . .

أدرك أن من أسباب الأزمة . . تلك الدعوةُ إلىٰ الترجمة قبل التأليف . . بنقل أفكار الآخرين وتجاربهم . . لملئها في عقل الجيل الجديد . . وترسيخها في ذاكرته . . فيكون ذلك مدخلاً حتمياً إلىٰ . . محو شخصية الأمة . . وإفساد دينها . . وتغريب عقلها . . وتحقيق تبعيتها الحضارية للأمم الأخرىٰ . وإسقاط الأساس لتحقيق النهضة . . وهو التراث الإسلامي . . وما فيه من خبرات وتجارب وقيم خصيبة . . مستنيرة . . من جذورها ومنبعها القرآن . . والسنة . . .

١٣٥ ـ إن من أسباب الأزمة . . ظاهرةَ القومية التي شاعت واستفحلت في المجتمعات الأوروبية . . والتي قلدها أبناء من الأمة المسلمة . . ورأوا أنه لكي نتقدم . . فلا بدّ لنا من البحث عن هوية عصرية . . أو رابطة دينية . . غير الهوية والرابطة الإسلامية . . حيث بدأ يسمع عن العروبة . . والقومية العربية . . لمعنىٰ منفصل عن الإسلام . . وهوية مميزة عن هوية الإسلام . . فتشتت عقول أجيال . . خلف هذه الدعاوي الباطلة والمنافية لجوهر الإسلام . . التي تهدد الأمة المسلمة بالتمزق . . والتفتت . . .

ولكنه لم ينس بعد ذلك كله . . أن يدرك . . أن سبب الأزمة . . يعود إلىٰ . . ظلمه لدينه . . وتقصيره في حق الله تعالىٰ . . وجموده وقعوده عن تلبية نداء الآيات . . التي تحض علىٰ السعي وإعداد القوة . . وتحقيق خلافة الله ـ تعالىٰ ـ في الأرض . . والعلم . . والجهاد . . والذي أضاع ريادة البشرية من يديه ويدي أمته . . حتىٰ انتهت إلىٰ أن تكون في مصاف . . ما يُسمىٰ . . بالعالم الثالث . . أو . . العالم النامي المتخلف . . .

بحث عن الطريق الصحيح للخروج من تلك الأزمات . . وعرفه . . حين وعى . . أن سبب نكبة أمته وتخلفها . . لم يكن في التزامها بدينها . . بل كان لبعدها عن الإسلام . . وإهمالها لهدي كتابها . . وسنة نبيها ﷺ . . .

استطاع بوعيه . . أن يفصل ويميز بين الإسلام . . وتاريخ الإسلام . . فإذا كان الإسلام حقاً كله . . ونوراً ورشاداً . . فليس كذلك تاريخه . . والذي هو جهد بشر . . منهم من أحسن . . ومنهم من أخطأ . . ومنهم من ضلّ سواء السبيل . فإذا كان هناك خلل ما . . في تجربة تاريخية إسلامية . . فالخلل في الرجال وليس في الدين . . وخطأ المسلم ليس حجة على دين الإسلام . . وبهذا الوعي . . سدّ المنفذ الذي دخل منه المكر الاستشراقي إلى فكره الإسلامي . . والذي خلط بين الإسلام وبين تجارب التاريخ . . والتي لا تخلو من أخطاء وانحرافات . . مثل أي تجربة بشرية بحكم الفطرة . . والذي أرادوا به أن يشوهوا صورة الإسلام كأمل في تحقيق النهضة . . .

أدرك أن لكل أمة خصوصياتها ومميزاتها . . التي تجعل من الصعب تعدية تجربتها التاريخية في النهضة إلى غيرها من الأمم . . وتنبه إلى مخاطر العديد من المناهج والنظريات الأجنبية الوافدة . . مثل . . العلمانية اللادينية . . فإن لمجتمعه الإسلامي وأمته المسلمة خصوصياتها الدينية والتراثية والثقافية والتاريخية . . التي تجعلها غير قابلة لتطبيق العلمانية فيها . . وبموقفه . . النقدي . الفاحص . . المتزن . . تمكن من تحليل البناء الحضاري . . وفهم حقيقة التقدم . . .

فهو عندما يقبل العلم والتقنية الأوروبية . . لا يجعله ذلك ملزماً باستيراد ثقافة أوروبا وقيمها وسلوكياتها . . ولا فكرها ومذهبياتها . . فله أن يقبل من ذلك ويرفض . . ويغير ويبدل وفق ثقافته الإسلامية . . وقيمه الإسلامية . . ودينه الإسلامي . . .

وبذلك استطاع أن يجعل أمته تقف مواقف الرفض الواسعة لمظهر الجاهلية الأوروبية . . من الإباحية . . والعُري . . وعبادة المال . . وتقديس الهوى . .



وتدنيس الفطرة الإنسانية. . .

وشاع بين المسلمات رفضهن للأنموذج الأوربي المنحرف. . وعاد حجاب المرأة المسلمة رمزاً على اعتصامها بدينها. . وتحديها للغزو الثقافي والقيمي الأجنبي. . وعادت الروح الإسلامية الواحدة تتجدد. . رغم ما يشوبها أحياناً من خلل واضطراب. . وبدأ المسلمون يشعرون بأنهم أمة واحدة. . وينتمون إلى هوية واحدة. . أنه بفكره الإسلامي. . وعقله الواعي. . في صعود. . يحقق له الاستنارة والرشد. . والنجاة من التبعية. . والتيه. . والقلق. . والشك. . والتردد. . صعود يحقق له النهضة الحقيقية. . .

١٣٦ ـ باحث ومفكر. . وليس مجرد كاتب. . إنما هو مسلم صاحب رسالة في أمته. . بالتزاماتها الحضارية والأخلاقية. . والتي هي بمثابة المواثيق الضمنية التي أخذتها الأمة عليه. . عندما تقدم إليها. . كرائد. . ومفكر. . يرشدها إلى طريق الخير والقوة والصلاح. . ويحذرها من مزالق الطريق. . ومضلات الفتن. . .

صدقه مع نفسه. . ومع واقعه. . ومع أمته. . شروط مبدئية لعمله الفكري الجاد والرشيد، وبموجب عقد الأمانة الروحي الذي يحكم علاقته بأمته. . لا يكذب أهله وقومه وأمته. . يبادر بتصحيح ملاحظاته. . وبلاغاته الفكرية. . كلما استبان له خطأ ما سبق ولاحظه أو أبلغه. . لا يتعاطى مع الظاهرة الإسلامية من مواقع فكرية غير إسلامية. . كما تفعل بعض الموجات الفكرية. . والتي لا تعترف أنها تصدر من خلال هذه المواقع. . بل يزعمون ويؤكدون أنهم يصدرون من منظور إسلامي ولكنه. . مستنير. . والذين يحترفون تزوير الأفكار والتعتيم على الحقيقة. . يرفضون شريعة الله ـ تعالى ـ . وأنها لا تصلح لإنسان العصر الحديث . . وإنما هي صالحة للإنسان البدوي في القرون الهجرية الأولى. . ثم يعودون ليؤكدوا أنهم بذلك. . يعيدون صراحة. . أن لا دين في السياسة. . ولا سياسة في الدين. . ثم يعتذرون بأنهم إنما يريدون أن ينزهوا الإسلام عن أوضار السياسة



وألاعيبها وفتنها . . ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] يعلنون الحرب الضاربة على قيم الإسلام . . وخلق المسلم والمسلمة . . ثم يعودون ليؤكدوا أنهم بذلك يدافعون عن الإسلام . . وعن المرأة المسلمة معاً . . وأن الإسلام هو دين الحرية والتحرر . . والانفتاح . . .

يراهم يتبنّون أيّة دعوة إلحادية أو فكرية في كتاب أو مقالة . . أو قصة . . أو قصيدة شعر . . ويغالون أشدّ المغالاة في تقريظ ذلك الإبداع الفني . . أو الفكري المدهش!! ويهاجمون علماء الإسلام . . ودعاته . . ومفكريه . . عندما يتصدّون لهذا الإلحاد المتدثّر بعباءة الفن . . أو الأدب . . أو الفكر . . .

لا يتورَّعون عن سبّ تاريخ الإسلام كله . ووصفه بالتخلف والإرهاب الفكري وسيطرة الجهالة ثم هم بعد ذلك يقولون . . إنهم يدافعون عن الصورة المشرقة للإسلام الحر . . الذي يرفض الفن والأدب . . الإسلام الذي يدعو إلى انطلاقة الإبداع . . وحرية الفكر . . .

يراهم يفرطون في هجومهم على الصحوة الإسلامية . . ودعاتها . . وشبابها . . بحجة أن هذه الدعوة معادية للديمقراطية . . ولإرادة الجماهير . . وهي تحقّر الإنسان . . وتمارس الكهنوت الديني . . فإذا ما أثبتت لهم الوقائع عكس ما يقولون . . وفضحت كذبهم . . ونفاقهم . . رآهم يكشفون عن وجوههم الاستبدادية القبيحة . . فيجاهرون برفض الديمقراطية التي تأتي بالإسلام . . ويتنادون إلى قهر إرادة الشعوب التي تطالب بإقامة شريعة الله ـ تعالى ـ . يحقرون إنسان هذه الأمة صراحة . . ويحاولون تشويهه بكل سبيل . . عندما يعلن انحيازه للإسلام والفكر الإسلامي . . فهو متهم عندهم إما بالجهل وإما بالصعلكة . . وإما بالعوز الشديد الذي يدفعه إلى أحلام الآخرة . . عندما ضاعت منه أحلام الدنيا . . وهكذا . . وجد أن هذا النفاق الفكري . . أصبح ظاهرة شائعة في الفكر العربي المعاصر . . الأمر الذي كشف عن بعد أخلاقي . . محوري . . في أزمة

الثقافة اللادينية في ديار الإسلام. . .

وأن حقيقة النفاق واحدة وثابتة. . إلا أن مظاهره وحيل أهله. . تتنوع. . وتتبدل. . وتختلف. . من زمان لآخر. . ومن مجال لآخر. .

الأمر الذي وجد أنه يفرض عليه كداعية ومفكر إسلامي. . حيوية مكافئة في رصد مسارات هذا النفاق. . في مجال الأفكار والدعوات. . وبيانها. . وكشفها. . حتى تكون أمته على بينة من أمرها. . فيجنبها مزالق السوء. . والخداع. . والضلال. . .

١٣٧ ـ حتى يكون في مأمن من الإثم والتبعة في الدارين. . وحتى يحفظ للمسلمين حرمتهم. . فإنه يحذر من تكفير أحد من المسلمين دون حق. . يحذر أن يخوض في هذا الأمر مع الخائضين. . في مجالسه الخاصة. . أو في المجتمعات العامة. . وفي الصحف والمجلات. . والقنوات. . من غير قدرة شرعية ولا قواعد علمية ولا أدلة قطعية. . لأنه يعلم أن ذلك تصرف يأباه الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]. . **«ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال. . عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»**. . **«ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»**. . .

ينظر إلى هذه النصوص وغيرها. . وما فيها من الوعيد الشديد لمن كفّر أحداً من المسلمين وليس هو كذلك. . فيحذر من إطلاق التكفير إلا ببينة شرعية حيث أنه حكم شرعي لا يصار إليه إلا بالدليل. . لا مدخل للرأي المجرد فيه. . ولأنه من المسائل الشرعية لا العقلية. . لذا صار القول فيه من خالص حق الله ـ تعالى ـ. . لا حق فيه لأحد من عباده. . فالكافر من كفّره الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ لا غير. . .

يدرك أن للحكم بالردة والكفر موجبات وأسباباً هي نواقض الإيمان والإسلام من اعتقاد أو قول أو فعل أو شك أو ترك. . والتي قام على اعتبار أنها ناقضة. . الدليل الواضح من الكتاب والسنة أو الإجماع. . فلا يكفي في ذلك

الدليل الضعيف السند ولا مشكل الدلالة . . ولا يعتبر بقول أحد كائناً من كان إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح . . .

وبجانب ذلك يعلم أيضاً أنّ للحكم بالردة والكفر شروطاً وموانع . . حيث يشترط إقامة الحجة التي تزيل الشبهة . . وأن يكون خالياً من الموانع كالتأويل والجهل والخطأ والإكراه . . وهو بذلك ينظر إلىٰ من قال قولاً أو فعلاً يكون كفراً . . وقبل الحكم بكفره . . إلىٰ توفر الشروط وانتفاء الموانع في حقه . . فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع . . حُكم بكفره وردته . . .

ولا يفوته أن إصدار مثل هذا الحكم لا يكون لكل أحد من آحاد الناس أو جماعاتهم . . وإنما مرد ذلك إلىٰ العلماء الراسخين في العلم الشرعي المشهود لهم به . . وبالخيرية والفضل الذين أخذ الله ـ تعالىٰ ـ عليهم العهد والميثاق أن يبلغوا الناس ما علموه وأن يبينوا لهم ما أشكل عليهم من أمر دينهم . . ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] . . .

إنه يحُس بخطورة الأمر ودقته . . فيقف عند حده ويكل العلم إلىٰ عالمه . . وبما أنه يدرك أن الإيمان شعب متعددة ورتب متفاوتة أعلاها قول . . لا إله إلا الله . . وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان . . .

فكذلك . . الكفر . . فإنه ذو شُعب متعددة ورتب متفاوتة أشنعها . . الكفرُ المخرج عن الملة . . مثل . . الكفر بالله ـ تعالىٰ ـ . . وتكذيب ما جاء به النبي ﷺ . . وهناك . . كفر دون كفر . . وكفر النعمة . . والتبرؤ . . والجحود . . والتغطية . . .

ولذلك فإنه يعلم أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر الناقل عن الملة . . حتىٰ يقوم به أصل الكفر بناقض من نواقض الإسلام . . الاعتقادية أو القولية أو العملية عن الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ لا غير . . .

وذلك مثل أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يكون مؤمناً حتىٰ يقوم به أصل الإيمان . . .

وهو بذلك لا يكفر كل من خالف أهل السنة والجماعة لمخالفته . . بل ينزل حكمه حسب مخالفته . . من كفر . . أو بدعة . . أو فسق . . أو معصية . . .

متبعاً في ذلك ما جرىٰ عليه أهل السنة والجماعة من عدم تكفير كلّ من خالفهم . . مما يدل على ما لديهم من العلم والإيمان والعدل والرحمة بالخلق . . .

ومخالفاً في ذلك . . أهل الأهواء . . فإن كثيراً منهم يكفرون كل من خالفهم . . وفي ظل ذلك يعلم التحذير الشديد من الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله ﷺ . . والنهي الأكيد عن سوء الظن بالمسلم فضلاً عن النيل منه . . فكيف بتكفيره والحكم بردته والتسرع في ذلك بلا حجة وبلا برهان من كتاب ولا سنة . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤]. . .

١٣٨ ـ ولِيَ أمراً من أمور المسلمين . . فوجد أن أعظم ما يجب عليه . . أن يقوم علىٰ شؤونهم بالكتاب والسنة . . وينشر التوحيد بينهم . . ويزيل ما يناقضه من مظاهر الشرك والوثنية . . ويحكم بين الناس بهما . . حتىٰ يقيم العدل بينهم . . فلا أصلح لهم من شريعة ربهم . . فيها العدل والرحمة والشفاء . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]. . .

مدركاً أن الحكم بغير ما أنزل الله ـ تعالىٰ ـ . . شرك في عبادته وشرك في حكمه . . ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]. . ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورىٰ: ٢١]. . .

يصلح من هم تحت يده . . يدفع عنهم المضار . . يطهر حياتهم من الحكم بغير ما أنزل الله ـ تعالىٰ ـ . . ومن جميع الموبقات والمحرمات . . من خمر أوبغاء أو ربا أو قمار . . وغيرها **«مامن عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»** . . .

لذلك فهو يحاول جهده على قدر ما أعطاه الله ـ تعالى ـ من البسط والنفوذ . . أن يكفَّ عن المسلمين السموم التي تقذف بها القنوات الإعلامية . . والتي تركز بخبث على تغريب المجتمع المسلم في أخلاقه ولباسه وغدوه ورواحه . . تخرج المرأة المسلمة من عفتها وطهارتها وحجابها . . إلى أحط دركات السَّفالة والتبذل والحيوانية . . .

القنوات التي تعمل جاهدة على التشكيك في العقيدة الإسلامية . . والاعتراض على أحكام الله تعالى . . والسخرية بالله ـ تعالى ـ وآياته ورسوله . . والتي تدعو إلى الإباحية والانسلاخ من الدين . . وتمكين المنافقين . . بإعلان ما يحيك في صدورهم . . ومجاهرة المضلِّين بمقالات الكفر والتشكيك والردة عن الدين . . كل ذلك باسم . . حرية الفكر . . المناظرات المحايدة . . معرفة الرأي الآخر . . يعلم أن من فتح لذلك باباً . . أو أعان عليه . . أو رضي به . . فله نصيب من قول الله تعالى . . ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ـ٦٦] . . وقول الله تعالى . . ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠] . . وقوله . . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩] . . .

يقول **ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ . (. . فكل عمل يتضمن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا داخل في هذا . . بل يكون عذابه أشد فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة . . وهذه المحبة قد لا يقترن بها قول ولا فعل . . فكيف إذا اقترن بها قول أو فعل؟ . . بل على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا . . ومن رضي عمل قوم حُشر معهم كما حُشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط فإن ذلك لا يقع من المرأة . . لكنها لما

رضيت فعلهم عمها العذاب معهم . .) . . .

يسوس من تحت يده . . ومن ولي أمرهم . . بالرفق واللين . . يجتهد في قضاء حوائجهم وإيصال الخير لهم بكل طريق . . **«اللهمَّ من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»** . . . .

يهتم بمناهج التعليم ويقويها ويقيمها على منهج الكتاب والسنة وما عليه صالح سلف الأمة . . ينشر العقيدة الإسلامية الصافية من شوائب الانحراف ويوجه إلى تعلم سائر أحكام الدين . . .

يعيد لبيوت الله ـ تعالى ـ مجدها وعزها ووظيفتها في الإسلام . . فيفتح فيها حلقات الوعظ والتعليم للعلماء المصلحين . . لينشروا علم الشريعة بين المسلمين . . يذكرون الفاضل . . ويُعلِّمون الجاهل . . ويعظون العاصي . . ويُهذبون النفوس . . فتقبل على طاعة ربها . . ويحصل بذلك خير كثير للأمة . . .

١٣٩ ـ يسمع ويطيع لمن ولي أمره من المسلمين وقاده بكتاب ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وسنة نبيه محمد ﷺ . . ما لم يأمر بمعصية . . فإنه لا تجوز له طاعته في تلك المعصية . . **«لا طاعةَ في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»** . . .

يهتم بنصحه والدعاء له والاجتهاد في جمع الكلمة معه تحت راية الإسلام «ثلاثُ خصال لا يغلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحةُ ولاة الأمر، ولزومُ الجماعة فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم» . . .

يقول كلمة الحق حسب قدرته وطاقته . . يقول عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) . . .

ملازماً في ذلك تقوى الله ـ تعالى ـ . . مقصده الأعظم عبادة الله ـ تعالى ـ وحده

والدعوة إليه . . ويحافظ على أن لا يكون في عصيانه . . وعدم تطبيقه لشريعة ربه ـ سبحانه ـ وتنكبه الصراط المستقيم . . فتنة للكافرين في الإصرار على كفرهم . . داعياً بدعوة نبي الله ـ تعالى ـ . إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه . . ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة : ٥] . . .

١٤٠ ـ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . . .

نظر إلى سلفنا الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ . فرأى كيف أنهم عملوا بمقتضى هذه الآية . . فكان جيشهم أقوى جيوش الأرض . . واستعدادهم للموت يعجز عنه الوصف . . وأدرك أنهم بذلك أرهبوا عدو الله ـ تعالى ـ وعدوهم . . وهزموا جيوش الفرس والرومان . . وملكوا أرضهم وديارهم . . .

ثم نظر إلى حال المسلمين اليوم . . وكيف أنهم ألفوا حياة الترهل والترف والرخاء . . وانصرفوا عن الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ . . وملك عدوهم السلاح . . وصار هو المتحكم ببيعه . . يعطيه لمن يشاء . . ويمنعه عمن يشاء . . وأصبح بضعة ملايين من اليهود يرهبون المسلمين ويستخفون بهم . . .

فعاهد نفسه . . أن يتعاون مع إخوانه على أن يعملوا بما أمرهم به الله ـ تعالى ـ . . وبما حثهم عليه الرسول ﷺ . . بكل ما استطاعوا من قوة . . ليلحقوا بركب السلف الصالح . . ويلتقوا بهم في جنات النعيم عند مليك مقتدر . . .

يقول عقبة بن عامر ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . (سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول . . «﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . . **ألا إنَّ القوة الرَّمي ، ألا إنَّ القوة الرَّمي ، ألا إن القوة الرَّمي**» . . .

١٤١ ـ لا غنى له بحال عن أن يعيش مع جماعة تتحقق فيهم معاني الأخوة والإيثار والتعاون والتنازل عن الحقوق والعفو والتسامح . . والتي لا تنمو إذا

عاش في عزلة عن الآخرين . . .

يرىٰ في إخـوانه القـدوة الصـالحة . . يستـعين بهم ويعـينهم علىٰ الطاعـة . . لكن . . ذلك لا يغنيه عن أن يعاهد نفسه بالرعاية . ويأخذها بالتربية . . فتكون له ساعات لخلوته مع الله ـ تعالىٰ ـ . . بذكر ودعاء وصلاة وابتهال . . وجهد يبذله له للتحصيل والتعلم . . ومبادرة فردية للدعوة . . إن الذي يعيش بمفرده فحسب . . لا بد أن تضمر عنده جوانب ومشاعر ومعاني الجماعية . . وتسيطر عليه الأنانية . . ويفقد أدب الحوار والتعامل . . .

والذي يعيش الجانب الجماعي وحده . . سيبقىٰ سمكةً في ماء إن فارقته لفظت أنفاسها . . فما إن يفقد أصحابه يوماً . . إلا ويرىٰ نفسه أمام عالم لم يعتد عليه . . لم يعتد أن يبقىٰ بمفرده . . ولم يتربَّ علىٰ اغتنام وقته والاستفادة منه . . .

ويصبح بذلك أمام خيارات قد تكون بداية لدخوله متاهة . . وبوابة إلىٰ عالم آخر . . .

١٤٢ ـ وضع قدميه في طريق البناء . . والإعداد لهذه الأمة . . وحمل رسالة خالدة . . حين توجه لمهنة شريفة . . مهنة التعليم . . .

يحمل بين جوانحه نفساً صادقة . . وقلباً حاراً يحترق علىٰ واقع أمته . . ويتألم لحال الشباب . . لم يقف به هذا الهمُّ . . عائقاً ومثبطاً . . بل إنه يحمل طموحاً . . ونفساً متطلعة للإصلاح والتغيير وها هو يرىٰ ثمرات جهده . ونتاج عمله . . .

إنه يفكر دائماً . . في عظم الموقع الذي تبوأه . . والأمانة التي تحمَّلها . . فالآباء والأمهات . . قد علقوا آمالهم بعد الله ـ تعالىٰ ـ عليه . . في إرشاد أبنائهم وحمايتهم . . والأمة كلها تبحث عن منقذ لها ولأ بنائها وهو جزء من محط أمالها . . .

لا يحتج بعلمه الضعيف . . وقدراته المحدودة . . فهو قادر علىٰ تقديم الكثير . . فليس أقلَّ من كلمة ناصحة . . وتألُّم وحرقة علىٰ واقع أبنائه . . .

لا يحتجُّ بطول المنهج . . وضيق الوقت . . فإنما هي دقائق معدودة . . يستطيع

توفيرها. . من كثير من الوقت الذي يضيع. . والاستطراد الذي لا ضرورة له. . .

إنه يقابل الشباب كل يوم. . ويدرك أيَّ غفلة وعالم يعيشونه. . يرىٰ مظاهر الإعراض. . ومصارع الفتن. . يرىٰ من يعاني اضطرابات المراهقة. ويصارع الشهوات. . من يكتنفه رفاق السوء فيحيطوا به ليهووا به إلىٰ واد سحيق. . .

وهو يحمل في قلبه غيرة وحميّة لدين الله ـ تعالىٰ ـ. فلا يسعه إلا أن يبذل جاهداً. . ويقدم شيئاً لأولئك وأمثالهم. . إن ذلك ليس نافلة. وإنما هو رعاية للأمانة. . وقيام بالمسؤولية. . وأداء لواجب شرعي. . **«كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»**. . .

١٤٣ ـ وظيفة التعليم أسمىٰ وأعلىٰ من أن تكون وظيفة رسمية. . أو مصدراً لكسب الرزق. . إنها إعداد للأجيال. . وبناء للأمة. . .

لذلك. . فهو ليس ذاك المعلم. . الذي يشكو دهره. . ويندب حظه. . وأنه أسوأ الناس حظاً. . فإجازاته ليست بيده. . والطلاب أحالوا سواد شعره إلىٰ بياض. . والآباء يُتمون ما يعجز عنه الأبناء. . وأقرانه حاز بعضهم علىٰ مراتب عالية. . وهو يعيش بين ضجيج المراهقين وصخب الصغار. . وأكوام الدفاتر. . .

ولا هو ذاك الذي يمتهن التدريس. . فلا يختاره إلا لما يدره من مال. . وغاية همه وجلّ حساباته المقارنة بين المكاسب والخسائر. . والحوافز والعقبات. . نهاية نظرته. . وغاية تطلعه. .

ولا هو ذاك. . الذي فقد الغيرة. . وتبلد إحساسه. . يرىٰ أبناء المسلمين يتهافتون علىٰ الفساد ويقعون في شباك الرذيلة. . ولا يحرك الأمر لديه ساكناً. . أو يثير عنده حمية. . لأن ذلك في نظره ليس من شأنه. . فمن شأنه تدريس الفاعل والمفعول. . أو توضيح المركبات وقوانينها. . أو حل المعادلات. . أو يتبوأ تدريس التربية الإسلامية. . ومع ذلك فواقع طلابه لا يعنيه. .

ولا هو ذاك الذي توجه للتدريس كُرهاً لا طوعاً. . فهو لم يجد وظيفةً غيرها. . أو

أنها الخيار الوحيد لديه . . فهو لا يدرك رسالة التعليم . . وشرف التربية . . .

أما هو . . فيتطلع لتحصيل مورد رزق . . ويحب أن يتمتع بمزايا إدارية ووظيفية . . لكن ذلك لم يَرْقَ إلي أن يكون الهدفَ الأول والأساسي . . والمقياس الأوحد . . والعامل الأهم في اتخاذ قراره . . .

إنه اختـار هذا الطريق ليخدم الأمة من خلاله . . ويربي النشءَ . . ويعدّ الأبناء . . ويعتبرهم أبناءه . . وأن إصلاحهم من أولويات وظيفته . . وتربيتهم من مسؤوليته . . ينظر إلىٰ الأجر العظيم . . والخير الكبير . . الذي سيظفر به بسبب عمله . . .

«خيرُ ما يخلف الرجل من بعده ثلاثٌ . . ولدٌ صالح يدعو له ، وصدقة تجري يبلغه أجرها ، وعلم ينتفع به من بعده» . . .

ونصيبه لا يقف عند واحدة من هذه الثلاث بل يظفر بها جميعاً . . يقول مكي بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (كنت أتجر فقال لي الإمام . . أبوحنيفة . . التجارة بلا علم ربما تورث فساد المعاملة ، فمازال بي حتىٰ تعلمتُ فمازلت كلما ذكرته وذكرت كلامه وصليت أدعو له بالخير ، لأنه فتح عليّ ببركته أبواب العلم) . . .

يدرك حجم مسؤوليته . وموقعه من المجتمع . . ومكانته بين الناس . . فهو يدرس الصغير والكبير . . ويعدّ الجميع . . ويهيئهم ليصل بعضهم إلىٰ ما لم يصل هو إليه . . فالعالم الداعية . . والقاضي . . والجندي . . كل أولئك وغيرهم . . إنما جازوا من تحت يده . . فهو معلمهم الناصح . . ومدرسهم الصادق . . وهو صاحب اللبنة الأولىٰ . . وحجر الأساس . . .

يدرك . . وهو المعلم الناصح المخلص . . أنه لن يعدم أن يجد واحداً من بين طلبته المئات . . يحمل أفكاره . . ويتحمس لها . . ربما أكثر منه . . فتبلغ كلماته مدىً يعجز عن قياسه . . .

يدرك أنه سيبلغ بتعليمه . . منزلة عالية . . يصلي عليه الله ـ تعالىٰ ـ وملائكته

الكرام . . وسائر أهل السماء وأهل الأرض . . **« إنَّ الله وملائكته وأهلَ السموات والأرض حتى النَّملةُ في جحرها لَيُصَلُّون على معلم الناس الخير »** . . .

وأن له النصيب الأوفر من الأجر . . فهو ممن يدعو للهدى . . ويسن السنة الحسنة . . ويُعلم الخير : **« من علم علماً فله أجرُ من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل شيء »** . . .

ينال بتعليمه الخير . . دعوة النبي ﷺ . . فربَّ كلمة لا يلقي لها بالاً تقع على من يكون أوعى لها منه فيناله أجرها . . **« نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فربّ مبلغ أوعى من سامع »** . . .

ولا ينسى أنه بتدريسه . . ومن أعظم ما يدخره في الحياة الدنيا . . أن يكسب طالباً . . يتلقى توجيهه . . ويحمل علمه . . ويعرف بعد ذلك قدره . . .

يقول الحافظ بدر الدين ابن جماعة - رحمه الله تعالى - . . (واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه ، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله - تعالى - فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر) . . .

١٤٤ - بعث الله - تعالى - نبيه ﷺ في أمةً سيطر عليها الجهل . . واستولت عليها الخرافة . . فصنع بإذن الله - تعالى - منها . . أمةً حاملة للهداية للبشرية أجمع . . أمة حاملة منهج العلم . . ومنهج التعليم والتفقه . . .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] . . .

يقول معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله تعالى عنه - . . (فبأبي وأمي رسول الله ﷺ ما رأيت معلماً أحسن تعليماً ولا تأديباً منه) . . .

فلا يوجد أسمىٰ وأعلىٰ وأشرف منه ﷺ معلماً ومربياً . . وما أحوجه كمعلم ومربٍّ إلىٰ التماس هديه ﷺ في التعليم . . والتأسي بسنته . . .

يُرغّب في العلم . . ويوجد الحماسة لدىٰ الطالب الذي لا يخلو مع حماسته أن يصيبه الفتور . . بأن يثير الدافع لديه . . حين يبين له فضل العلم وطلبه . . **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً من طرق الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم»** . . .

وحين جاء ثلاثة نفر والرسول ﷺ جالس مع أصحابه . . فجلس أحدهم خلف الحلقة . . والآخر رأىٰ فرجةً فجلس فيها ، وأما الثالث فأعرض . . فقال ﷺ . . **«أما أحدهما فأوىٰ إلىٰ الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»** . . .

يُشعر الطالبَ بحاجته إلىٰ العلم . . فيأتي سائلاً باحثاً عنه . . جاء المسيء صلاته وصلىٰ قال له النبي ﷺ . . **«ارجع فصلِّ فإنَّك لم تُصلِ»** . . فأعاده ﷺ مراراً . . حتىٰ أحسَّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بالحاجة للتعلم . . فقال . . (والذي بعثك بالحق لا أُحسن غير هذا فعلمني) . . .

لا يخرج من بين يديه طلاباً يحفظون المسائل فقط . . بل يربيهم تربية علمية . . وجهادية . . وقيادية . . وإدارية . . وقبل ذلك كله . . تربية إيمانية . . وهذا حنظلة ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ يحكي عن النبي ﷺ . . أنه كان يشهد معه مجالس التذكير والعلم . . فكأنه يرىٰ الجنة والنار) . . .

يعتني بطلابه . . وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون . . ويبدعون . . ويبتكرون . . هذا هدفه من التعليم . . وليس السرد العلمي المجرد . . وتقديم كم هائل من المعلومات . . ليقدمها الطالب بعد ذلك كما حفظها . . واستطاع تذكرها . . فيخرج جيل يحفظ المسائل والمعارف . . ثم ينساها . . أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه . . .

إنه يعلم طلابه . . ويعدهم علىٰ معرفة العلة من الحكم . . وليس الحكم

وحده.. لما سُئل الرسول ﷺ عن بيع الرطب بالتمر.. قال.. «**أينقص الرطب إذا جفّ**».. قالوا.. نعم.. قال.. «**فلا إذاً**».. وحين نهاهم عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها قال لهم.. «**أرأيتَ إن منع الله الثمرةَ فبم يأخذ أحدُكم مال أخيه؟**»...

يحتاج طلابه إلى السؤال.. فهو يعلمهم.. متى يسألون.. ومن يسألون.. وعمّ يسألون.. وكيف يكون السؤال.. يقول ﷺ.. «**إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرّم فحُرّم من أجل مسألته**».. «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».. ولكنه في مواضع أخرى يأمر بالسؤال.. أو يثني عليه.. فيقول.. «**ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيّ السؤال**».. «**لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث**»...

يسأله الطالب.. فلا يقتصر في إجابته.. إنما يزيده من الفوائد ما يحتاج إليها.. سُئل ﷺ.. إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء فإذا توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟.. فقال.. «**هو الطهورُ ماؤه الحل ميته**»...

وسُئل.. ما يلبس المحرم من الثياب؟.. فقال ﷺ.. «**لا يلبسُ القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسَّه الورسُ أو الزعفران**»...

١٤٥ ـ يربي طلابه على تعظيم النص.. وإجلال كلام الله ـ تعالى ـ.. وكلام رسوله ﷺ.. والوقوف عند نصوص الوحيين.. وعدم التلاعب بها وضرب بعضها ببعض.. وأن المسائل الشرعية التي ثبتت بالنص لا مجال للمناقشة فيها...

خرج ﷺ على أصحابه وهم يتماروْن في القدر.. هذا ينزع آية.. وهذا ينزع آية.. فغضب حتى كأنما فقئ في وجهه حبُّ الرمان من الغضب.. وقال.. «**بهذا أُمرتم؟ أن تضربوا كتابَ الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم**»...

يربيهم على المنهج العلمي.. وعدم الوقوف عند حفظ المسائل المجردة..

يعوِّدهم على الاستنباط . . وإعمال الفكر . . والبحث والتنقيب . . .

سأل ﷺ أصحابه يوماً . فقال . . **«من الشجر شجرةٌ لا يسقط ورقُها، ومثلها مثل المسلم فأخبروني ما هي؟»** . . قال ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - . (فذهب الناس في شجر البوادي، فذهب وهلي إلى أنها النخلة، وكنت أصغر القوم فاستحييت . . فقال ﷺ **«إنها النخلة»** . . .

لا يبخل بكلمة ثناء . . أو عبارة تشجيع . . تنقل الطالب مواقع . . ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد فإن النفس أياً كان شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز . . ويدفعه الثناء المنضبط خطوات أكثر . . .

سأل الرسول ﷺ أبي بن كعب . . **«أبا المنذر، أيُّ آية في كتاب الله أعظم؟»** . . فقال أُبي . . (آية الكرسي) . . فقال له . . **«لِيَهنك العلمُ أبا المنذر»** . . .

يتعرف على مقدرات تلامذته . . ومدى حرصهم . . واستعدادهم . . فينعكس ذلك على تعليمه وعطائه . . حين يعلمهم ما يحتاجونه . . وما يتناسب مع قدراتهم . . وحين يستطيع توجيههم للتخصص المناسب لهم . . والإجابة الدقيقة عن تساؤلاتهم . . وعلى العدالة والدقة في تقويمهم . .

يقول ﷺ . . **«ارحمُ أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم الكتاب أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح»** . . .

١٤٦ - بما أن الطلاب معادن . . وقدرات . . وطاقات متفاوتة . . حرصاً وذكاء . . واستعداداً وتحصيلاً . . فإنه يتعامل مع الجميع . . ويخاطب الكل . . بمهارة في إقناعهم . . وتحقيق التوازن بينهم . . .

كان النبي ﷺ يخطب فدخل رجل فقال: يا رسول الله، رجل غريب يسأل عن دينه . . فترك ﷺ خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته . . .

يقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - . (وينبغي . . (أي على المعلم) . . أن

يكون باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، حريصاً على هدايتهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً، ويوضح العبارة لغيره ويكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار ويذكر الأحكام موضحة بالأمثلة من غير دليل لمن لا يحفظ له الدليل فإن جهل دليل بعضها ذكره له). . .

يدرك أن المواقف تستثير المشاعر. . وأنه حين يستثمر الموقف يقع تعليمه الموقع المناسب ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة. . تستعصي على النسيان فإن أثر المعاني حين تُربط بصورة محسوسة. . ليس كمثل عرضها في صورة مجردة جافة. . كان الرسول ﷺ مع أصحابه يوماً وإذا بامرأة من السبي تبحث عن ولدها. . فلما وجدته ضمته. فقال ﷺ. . **«أترونَ هذه طارحةً ولدها في النار؟»** قالوا. . لا، قال. . **«والله لا يُلقي حبيبه في النار»**. . .

ولا ينسى. . أو يعجز عن استعمال الوسائل والأساليب التي تقرب المعنى للأذهان. . وترسخه فيه. . .

فقد كان الرسول ﷺ يشير تارة، كقوله. . **«أنا وكافل اليتيم كهاتين»**. . وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. . ويقول. . **«الفتنة ها هنا، من المشرق، حيث يطلع قرن الشيطان»**، وأشار بيده إلى المشرق. . وتارة يضرب المثل أو يفترض قصة. . **«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة. .»**. . وتارة يستعمل الرسم للتوضيح. . فقد خطّ خطاً مستقيماً. . وإلى جانبه خطوط. . وقال **«هذا الصراط وهذه السبل»** ورسم مربعاً. . وقال. . **«هذا الإنسان. .»** وأحياناً يربط المعنى المعقول بالصورة المحسوسة. . فنظر مرة إلى القمر ليلة البدر ثم قال. . **«إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»**. . .

وقال لعلي رضي الله تعالىٰ عنه . . قل: **«اللهم اهدني وسدِّدني . . واذكر بالهدىٰ هدايتك الطريق، وبالسَّداد سدادَ السهم»** . . .

يدرك أن التعليم لا يقف عن سرد معلومات جافة . . ودون اهتمام بمدىٰ استعداد الطالب . . وتهيُّئه للتعلم . . لأن المتعلم ليس آلة صماء تستقبل كل ما يرد إليها . . إنما بشر له قدرات محدودة لا بد من مراعاتها . . يقول ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه . . (كان النبي ﷺ يتخوَّلنا الموعظة في الأيام، كراهة السَّآمة علينا) . . .

١٤٧ ـ النية الخالصة مع كونها شعوراً داخلياً . . إلا أنها تمثل عاملاً مهماً يضبط سلوك المعلم . . ويفرض عليه رقابة داخلية . . فيتقن العمل . . ويرعىٰ الأمانة . . .

فحين يصلح نيته . . يتحول عمله إلىٰ عبادة لله تعالىٰ وحده . . ويكتب له جهده وكل ما يلاقيه . . جميع الساعات التي يقضيها كل يوم في مدرسته . . بل في ذهابه وإيابه . . مدَّخرة له عند الله تعالىٰ . . ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] . . يحرص علىٰ استقامة دينه وسلوكه . . يعدّ نفسه . . ويقوي إيمانه . . ويعتني بعبادة الله تعالىٰ وطاعته . . فإنه قدوة . . وكل العيون تلاحظه . . والثقة به كبيرة . . فلا يبددها في قلوب طلابه . . فإنَّ الحسن عندهم ما يستحسنه . . والقبيحُ عندهم ما يكرهه . . .

يقول أبو العالية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (كنا إذا أتينا الرجلَ لنأخذَ عنه نظرنا إلىٰ صلاته، فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه وإن أساء الصلاة لم نأخذ عنه) . . .

ويقول **محمد بن سيرين** رحمه الله تعالىٰ . . (إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) . . يعني بغرس حب العلم لدىٰ طلابه . . يعطيهم المزيد مما يشد انتباههم من الفوائد العلمية . . يعوِّدهم علىٰ القراءة . . ويوجههم لكتب مفيدة ومشوقة . . مع عنايته بما يقدمه لهم . . يعطيهم نماذج من سير أهل العلم وعنايتهم به . . مع إيراد الأحاديث الدالة علىٰ فضل العلم وأهله أولاً وأخيراً . . من خلال ذلك كله يستطيع أن يساهم في دفع الهمِّ العلمي لدىٰ طلابه . . .

١٤٨ ـ يعتني بمظهره بما لا يخرج عن حد الاعتدال. . أدعى لقبوله وتقديره. . يُشعر طلبته أن الاستقامة لا تعني رثاثة المظهر. . ويدرك أن من الأولويات في ذلك. . الالتزام بالضوابط الشرعية. . من عدم إسبال الثياب. . أو لبس المخالف منها. . أو حلق اللحية. . .

يقول الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ . . (ينبغي للمحدث أن يكون في حال روايته على أكمل هيئة أو أفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين). . .

ويقول يحيى بن محمد الشهيد ـ رحمه الله تعالى ـ . . (ما رأيت أورع من يحيى بن معين ولا أحسن لباساً منه). .

والاتزان صفة يحتاج إليها. . حتى لا تنبيء تصرفاته عن نقص في العقل. . أو الرجوله. . وفقد لهيبة العلم. . ومزيد من السخرية والعبث من قبل الطلاب. . .

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ . . (وينبغي أن يصون يديه عن العبث، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة، ويلتفت إلى الحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة للخطاب). . .

الطلاب لهم مشاعر واعتبارات يراعيها. . فلا يرمي بالكلمات التي لا يبالي بها. . حين يعاتب أو يحاسب. . فكم تصنع الكلمة الطيبة في نفس الطالب وتؤثر فيه. . وكم تصنع الكلمة الجارحة من هدم لأسوار المحبة. . والقضاء على بنيانها. . .

١٤٩ ـ الوفاء بالوعد من خلقه. . فهو حين يعد طالباً بمكافأة. . أو بحث مسألة. . أو يعد الطلاب بأي أمر. . يجتهد ويحرص على الوفاء بما وعد به. . وإذا حال دون ذلك حائل. . فالاعتذار اللطيف يزيل به ما يكون في نفوسهم. . .

يشعر أن دوره لا يقف عند حد ما يقدمه لطلابه. . بل يسعى ويشارك في إصلاح نظام التعليم ومناهجه فيساهم في إبداء اقتراح. . أو تصحيح خطأ حول

منهج مادة. . يطرح فكرة بناءة ويكتب عنها. . يدرس الظواهر السلبية في نظام التعليم. . وينبه عليها. . يحمل هذا الهم في خاطره. . ويدرك أنه جزء من مسؤوليته. . .

١٥٠ ـ بعيد عن نظرة التعالي. . واحتقار الآخرين. . يقرّب طلابه. . يستقبلهم بالترحاب. . يتواضع لهم. . ويرفق بمن جفا منهم. . يحنو عليهم. . يحب لهم ما يحب لنفسه. . يوقرهم ويقدرهم. . فيدعوهم ذلك لمحبته. . والتلقي عنه بالقبول. . ويعلمهم توقير الآخرين واحترامهم. . .

يقول ابن جماعة ـ رحمه الله تعالى ـ. . (وكذلك ينبغي أن يترحب بالطلبة إذا جلسوا إليه. . ويؤنسهم بسؤالهم عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم بعد درسهم وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن المودة وإعلام المحبة وإضمار الشفقة). . .

يمقت الطلاب المحاباة والتفريق في المعاملة. . وينفرون من صاحبها. . إنه يتحرى العدل. . ويسعى إليه بين طلبته. . لا يظهر ميوله وتقديراته الشخصية ما استطاع. . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. . .

يقول الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ. . (وينبغي أن يقدم في تعليمهم إذا ازدحموا الأسبقَ فالأسبقَ، ولا يقدمه في أكثر من درس إلا برضا الباقين). . .

ويقول الحسن ـ رضي الله تعالى عنه ـ. . (إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم كُتب من الظلمة). . .

وبما أن القصور والخطأ صفة ملازمة للطالب قليلاً ما ينفك عنها. . فإنه يتجاوز عن كثير من الأخطاء. . يضعها في حجمها الطبيعي. . يحتويها. . بنظرة. . أو همسة. . أو لفتة غير مباشرة. . أو حديث خاص خارج الفصل. . دون تدخل طرف ثالث. . فإنَّ الكيَّ آخر الدواء لا أوله. . .

يقول الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ. . (أن يزجر المتعلم عن سيء الأخلاق بطريق

التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ) . . .

ويقول النووي - رحمه الله تعالىٰ - . (ويجريه مجرىٰ ولده في الشفقة عليه والصبر علىٰ جفائه وسوء أدبه، ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض منه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرضٌ للنقائص) قد تمرّ بالطالب حالة خاصة . . كمرض . . أو ظروف شخصية . . فيعطيه . . اهتماماً شخصياً . . يسأل عنه وعن أحواله . . يشعره بقيمته واهتمامه به . . يجد لدىٰ طالبه ضائقة مالية . . فيسعىٰ لأن يكون وسيطا بينه وبين أهل الخير ليقدم له شيئاً من المساعدة . . فيشعر أن هناك من يدرك معاناته ويحس بآلامه . . .

يقول ابن جماعة - رحمه الله تعالىٰ - . (وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل، فإن كان مريضاً عاده وإن كان في غمٍّ خفض عليه وإن كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به، وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ووصله بما أمكن وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه وإن لم يكن شيء من ذلك تودَّد له ودعا له) . . .

١٥١ - كثيرهم أولئك الذين كان لكلمة واحدة أثرها في توبتهم ورجوعهم إلىٰ الله - تعالىٰ - . . هناك كلمات . . تبقىٰ بذرة خفية . . تؤتي ثمارها في الوقت الذي يشاء الله - تعالىٰ - . . يلقي كلمته الناصحة . . يسمعها شاب معرض . . فتقع موقعاً من قلبه . . ولاتزال معلقة به . . حتىٰ ييسر الله - تعالىٰ - لها الغيث فتؤتي ثمارها بإذن الله - تعالىٰ - . . ولو بعد حين . . .

فيدرك أن جهده لن يذهب سدىٰ . . وأن كلماته لا ينتهي مداها حيث نطق بها . . بل قد تستقر في سويداء القلب . . لتبقىٰ . . حتىٰ يأذن الله - تعالىٰ - بسقيها . . واستوائها علىٰ سوقها . . .

يقول جبير بن مطعم - رضي الله تعالىٰ عنه - . . حينما سمع في غزوة بدر النبي



ﷺ يقـرأ سـورة الطور . . (وذلـك أول مـا وقـر الإيمان في قلبي) . . ومـع ذلك لـم يُسلـم ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ إلا بعد ذلك بسنين . . .

١٥٢ ـ لا يدفـعـه الحـرص إلىٰ كـثـرة التـوجـيـه لطـلابه . . وبيـان الأخطاء والسلوكيات المخالفة . . لأن ذلك يدعوهم إلىٰ الملل والسأم . . فتفـقـد الموعظة الهدف المراد منها . . .

إن صلته بطلابه ولقـاءه بهم يمتد علىٰ مدىٰ عام كامل . . وليس درساً عـابراً أو لقاءً عـاجلاً يقذف لهم بكل مـا عنده . . يدرك أن ذلك مخالف لهدي الرسول ﷺ في الاقتـصـاد في الموعظة . . **«كـان رسـول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كـراهة السآمة علينا»** . . لا يطيل عليهم في الكلام والإمـلاء . . حتىٰ لا يسبب لهـم الفتـور والضجر . . فإن المستمع أسرعُ مللاً من المتكلم . . .

يقـول الخطيب البـغـدادي ـ رحـمـه الله تعـالىٰ ـ . (ينبـغي للمـحـدِّث أن لا يطيل المجلس الذي يرويه بل يجعله متوسطاً ويقتصد فيه ، حذراً من سآمة السامع ومله وأن يؤدي ذلك إلىٰ فتوره عن الطلب وكسله) . . .

يحـاول قـدر الإمكان أن يذهـب الملل ويزيل السـآمـة والـفـتـور . . بالحكايات ومستحسن النوادر والطرئف والإنشادات . . يختم بذلك مجلسه ولقاءه بهم . . .

يقول عليٌّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . (روِّحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان) . . .

وكان الزهري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يقـول لأصحابه . . (هاتوا من أشـعاركم هاتوا من حديثكم ، فإن الأذن مجَّاجة والقلب حَمِض) . . .

ويقـول كـثـير بن أفلح ـ رحـمـه الله تعـالىٰ ـ . (آخر مـجلس جـالَسْنا فيـه زيد بن ثابت تناشدنا فيه الشعر) . . .

١٥٣ ـ واقع الطلبة . . والـواقـعـية في خطابهم . . يحـتـاج إلىٰ كـثـير من التنزل معهم . . يدرك أن الحديث عن دقائق الورع . . أو عن المسائل الدقيقة في الزهد . .

لا يتناسب مع مستويات الشباب الذين يعانون من فتن الشهوات . . والغفلة والبعد عن الله ـ تعالىٰ ـ . . .

إنه يحدثهم عن أضرار المعاصي . . وعن الخوف من الله ـ تعالىٰ ـ ومراقبته . . والمحافظة على الصلاة مع الجماعة . . .

توازنه . . وواقعيته في أسلوبه . . لا يعني له . . تمييع المنهج . . والرضا بالأمر الواقع . . والاستسلام له . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرون على تركها ، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم ، فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقم الفريضة . . فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كما له ونعوت جلاله فإن القلوب مفطورة على محبته ، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها) . . .

١٥٤ ـ يقرأ القرآن . . فيجد أنه بعد حادثة الإفك . . قد ربّى المؤمنين على منهج التثبت . . وحماية الأعراض وحسن الظن بالمؤمنين . . .

وبعد غزوة أحد . . بين سنن الله تعالىٰ في النصر والهزيمة . . والموقف من المنافقين . . والتنازع . . وظن السوء . . والتطلع إلى الدنيا . . .

يقرأ السيرة . . ونصوص السنة . . فيجدها مليئة بمثل ذلك . . فبعد حدث أو مقالة قيلت . . يجد . . **« فخطب النبي ﷺ الناس »** . . .

إنها التربية من خلال الأحداث . . سنة شرعية . . فحين يحصل زلزال أو كارثة . . يقول لطلابه . . إن هذا من سنن الله تعالىٰ في عقوبة أهل المعاصي . . وإن سرنا في طريقهم تحق علينا نفس السنة . . .

وحين يصلي الناس الاستسقاء . . يقول لهم . . إن هذا القحط من شؤم

المعصية . . وحين تحصل مجاعة أو مصيبة للمسلمين . يحدثهم . . عن الولاء بين المؤمنين ونصرتهم . . وحين تسري بين الناس إشاعة كاذبة . . ينبههم . . إلىٰ التثبت والتبين في الأخبار . . ونقلها . . .

يستغل بذلك الأحداث . . القريبة والبعيدة . . ليقرر المعاني الشرعية . . والحقائق التربوية . . .

١٥٥ ـ هناك معوقات تعود إلىٰ شخصية المدرس . . أو أسلوبه في التدريس . . أو معاملته مع الطلاب . . تحول دون بلوغ كلماته مداها المطلوب . . ووصولها إلىٰ تحقيق الهدف الذي يسعىٰ إليه . . .

يعدّ البعض قوة الشخصية المحور الأساسي لنجاحه . . إنه يقدّر هذه الصفة . . وأهميتها ودورها في تقبل الطلاب له . . ولكن دون مبالغة . . تجعله يجمع جهده لتحقيق هدف ضبط الفصل . . خوفاً من الفشل . . وخدش شخصيته . . مما يوجد حالة من التوتر . . وشد الأعصاب . . وتصبح علاقته بهم علاقة رسمية جافة . . فلا يسمع الطالب كلمة حانية . . ولا يرىٰ ابتسامة . . إنما يرىٰ استبداداً بالرأي . . ورفضاً للحوار والمراجعة . . والتنازل عن الآراء . . والقسوة والغلظة . . فيتحول الفصل إلىٰ ثكنة عسكرية . . ويصبح التجاوز عن الخطأ . . والعفو عن الزلة . . من مظاهر الضعف والخور . . ومسببات لانهيار الشخصية . . .

يدرك أن ذلك ما هو إلا نتائج مباشرة للنظرة المفرطة لقوة الشخصية . . وليس البديل لديه هو ضياع شخصيته . . وإفلات الزمام من يده . . فلا يتمكن من إلقاء درس بهدوء . . أو ترك أثره عليهم . . .

إنه متمكن من مادته . . وقور في سلوكه وسمته . . حليم . . لا يخرجه حلمه عن حزمه . . يدخل ويخرج مطمئن البال . . مستقر النفس . . يؤدي دوره في توجيههم وتربيتهم من خلال حاله قبل قوله . . وبذلك لن يجد من يستخف

به . . لتنازل عن رأي . . أو احترام لهم . . أوتجاوز عن أخطائهم . . أو ابتسامة هادئة يلاقيهم بها . . .

يتصور المدرس أنه مسؤول عن إجراءات إدارية فحسب . . أما ما سوى ذلك من البناء العلمي والتربية والتوجيه . . فهو ضمن دائرة النوافل . . .

ولكنه . . يدرك أن أداء الواجب الرسمي مطلب مهم لا بد أن يحاسب نفسه تجاهه . . ولكن ذلك ليس كل شيء . . فماذا تصنع الأمة بأجيال . . غاية إنجازهم إجادة القراءة والكتابة واستظهار وسرد المعلومات . . ؟! . . إنه يعلم أن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ واجبة على المسلمين . . وهي بحق طالب العلم آكد . . وبحق من يقابلهم صباح مساء تصبح فرض عين . . يأثم بتركه والتقصير فيه . . .

هناك من يتشاءم من واقع الشباب . . ومن الشر الذي قد استبدّ بهم . . وقلة الخير . . وأن الانحراف قد اتسع بينهم . . «**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**» . . ولكن ذلك لا يعني لديه أن الخير قد أفل نجمه . . بل إن هناك صفات أخرى في حياة أولئك الشباب . . والمعرضين . . غير هذه الصفات السيئة . . الكثير منهم مع ما فيه من انحراف يتطلع إلى الساعة التي يسلك فيها طريق أهل الخير والصلاح . . إن الكثير منهم غير راضٍ عن واقعه . . ويرغب رغبة أكيدة في تغييره . . فيدرك أنهم يملكون جوانب خير . . وفطرة سليمة فيدفعه ذلك إلى المزيد من الجهد والبذل . . .

من المدرسين من تسيطر عليه لغة النقد عند حديثه لطلابه . . فيصبح دون شعور ينظر من هذه الزاوية فقط . . فيصبح ذلك حاجزاً بينه وبين تحقيق ما يريد الوصول إليه . . مما يجعله محبطاً مبدّد الآمال . . حين يُشعر طلابه أنهم قد غرقوا في الأخطاء والمساوئ . . ولن يتخلصوا منها فيصيبهم اليأس والإحباط . . .

أما هو . . فإن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة . . رأى رجلين يستبان فغضب أحدهما . . فلم يوجه له ﷺ الحديث . . إنما قال يخاطب أصحابه . . «**إنِّي لأعلمُ**

كلمةٌ لو قالها لذهبَ عنه ما يجدُ . . أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم» . . .

١٥٦ ـ إنه يحدثهم عن شؤم المعصية ونتائجها الوخيمة، دون أن يشير إليهم من قريب أو بعيد . . أويتهمهم بالتهاون في المعاصي والوقوع في الحرمات . . يحدثهم عن فوائد غض البصر . . وعن النتائج السيئة التي تترتب على إطلاقه . . بدلاً من الحديث عن تهاونهم في النظر الحرام . . وتهافتهم عليه . . .

حين يراهم يقصرون في الصلاة ويتهاونون بأمرها . . يحدثهم عن شأن الصلاة وعظمها . . وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . . .

فيحقق بذلك المقصود . . ويفهم العاقل منهم ما ينطبق عليه . . دون نقد لاذع . . أو حديث دائم ومتكرر . . عن الأخطاء والمساوئ . . .

يشكو البعض من كثرة تكاليفه المدرسية والواجبات الإدارية . . طول المنهج . . وقصر الوقت . . واجبات منزلية . . تحضير وإعداد . . مع المهام والتكاليف الإدارية . . والإشرافية الأخرىٰ . . فلا يجد الوقت الذي يسمع له بأداء دورهم في التوجيه والتربية . . ولكنه صاحب هدف جاد . . يسري في أعماقه وروحه . . يشعر أن تحقيق دوره في التربية هدف أساسي . . وليس قضية هامشية . . أنه يملك الاستعداد التام لتحمل الواقع والتعامل معه . . يستطيع به تحقيق قدر من النجاح بالرغم من كثرة أعبائه . . فهو أولىٰ بالتحمل والبذل . . من الذين يعملون من أجل تحقيق هدف عاجل من أهدافهم الدنيوية . . فيتحملون في سبيلها المشاق والمصاعب . . .

إنه يحسن النية . . ويصدق الكلمة . . ويختار ما يقول . . حين إلقائه لدرسه . . فيتحقق الكثير من أهدافه . . دون تحمل مزيد من العبء . . بل من خلال وجوده في الفصل الذي لا بد له منه . . .

يتأمل السنن الكونية . . ويرىٰ أن من يسعىٰ للتغيير . . لا بد أن يدفع الثمن . . ويبذل الجهد . . فكيف بأصحاب الدعوات . . .



﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ [يوسف: ١١٠]. . .

يقول ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول. . **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**. . .

١٥٧ ـ يدرك ضخامة التحديات التي تواجهه كمدّرس. . وصعوبة الدور الذي يُنتظر منه أن يؤديه. . إنه يريد أن يربي طلابه التربية الإسلامية. . وأن يصحح ما يراه من خلل في سلوكهم. . ولكنه يجد في طريقه عقبات وعوائق قد تحول بينه وبين تثبيت الحق في قلوبهم والتأثير عليهم. . فأخذ للأمر عدته. . وازداد اهتماماً. . واجتهاداً. . وعناية. . .

ولأجل ذلك. . أخبر النبي ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن أنه يأتي قوماً أهل كتاب. . وذلك ليأخذ للأمر عدته. . يقول ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ . (هي كالتَّوطئة ليستجمع همته عليه، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان). . .

يجد في طريقه. . الأسرة التي تتلقى الطفل صحيفة بيضاء تخط فيها ما تشاء. . فتنشئه تنشئة خاطئة. . وغير متسقة مع التربية الإسلامية. . ينشأ فيها التلميذ بعيداً عن الأجواء الشرعية المنضبطة. . ليجد توجيهات تعارض ما يطرحه معلمه. . أو آراء تخالف آراءه. . .

ينشأ فيها التلميذ. . في جو يحتقر الشخص المتدين. . وينظر إليه نظرة شاذة. . أو يعتبر التدين غلواً أو تطرفاً. . فيدرج أستاذه ضمن هذه النظرة. . ما ينعكس على مدى تقبله لما يطرحه عليه من توجيه. . .

ينشأ التلميذ في جو يساهم في التأثير على شعوره. . وتطبيعه بما يتناقض مع توجيه معلمه. . فحين يهمل البيت العناية بالصلاة. . ولا يستيقظ أحد لصلاة

الفجر . . فكيف يأخذ توجيه أستاذه مأخذ الجد . . والذي اعتاد أن يرىٰ الصور الفاتنة علىٰ الشاشة . . قد لا يتقبل نصح أستاذه بغض البصر . . وحين يتفاعل ويعزم علىٰ الصلاح . . يعود للمنزل وقد هبطت حماسته وينتصر الحب والغرام بين الجنسين . . وإظهار مفاتن المرأة ومحاسنها . . .

وذلك من خلال المقروء منها أو الإذاعة المسموعة والمرئية . . والتي تسهم في وأد الفضيلة والحياء من خلال الأفلام الساقطة والبرامج الهدامة . . والتسابق علىٰ نشر الصور الفاتنة والمظاهر المغرية . . واعتبار الحب والعلاقة المحرمة وسيلة شرعية وسلوكاً لا يرفضه إلا الشاذون . . وذلك بطرق مشوِّقة وجذابة . . تلبي داعي الشهـوة لدىٰ الطالب . . وتتَّسق مع هواه . . مما لا يجعل هناك صدىٰ لكلمات معلمه وتوجيهاته في إخراجه من أسر هواه وشهوته . . .

يجد في طريقه . . الصحبة السيئة وقرناء السوء . . والتي لها دور خطير وأساسيٌّ في التأثير علىٰ الشاب بصفة خاصة . . «المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدُكم من يُخالل» . . فهو الذي يختارهم بحسب رغبته وميله . . بخلاف علاقته بطلاب فصله فإنَّها تكون مفروضة عليه . . والذين يجد فيهم رفقة تغذي حاجته للاجتماع والاستئناس . . يشعر أنه وإياهم شيء واحد . . للتشابه والتلاقي بينه وبينهم في الطبائع والأحاسيس والحاجات والمشكلات . . بخلاف معلمه أو والده الذي يرىٰ أنه يعيش عالماً آخر غير عالمه . . يقضي معهم وقتاً طويلاً . . أطول مما يقضيه بين أساتذته وأسرته . . .

وجد ذلك كله . . وغيره . . في طريقه لإصلاح أبنائه من الطلبة والشباب . . فدفعه إلىٰ بذل المزيد من الجهد والاهتمام . . ليتجاوزها . . تجاوزاً يساهم به في رفع مستوىٰ التأثير وامتداده . . علىٰ طلابه . . .

فجعل من أولوياته في التربية . . العناية بتربية الإيمان بالله ـ تعالىٰ ـ وتقواه وخشيته . . يحرص علىٰ غرس ذلك في نفوسهم . . مدركاً أن الإيمان والتقوىٰ هو



العاصم بإذن الله ـ تعالىٰ ـ من مواقعة الرذيلة. . والانهزام أمام داعي الهوىٰ والشهوة. . وأن من يملكها. . لا يلبث حين يواقع ما حرم الله ـ تعالىٰ ـ. . أن يستفيق ويتوب إلىٰ الله ـ عز وجل ـ. . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. . .

يربي تلامذته علىٰ روح الاستقلالية في الرأي والتفكير. . والتخلص من التلقي المجرد مما سوىٰ الوحيين. . لتنمو لديهم الشخصية الناقدة لما يعرض لها. . وما يواجهها. . فيعنىٰ بتعليمهم الحقائق العلمية مقرونة بالدليل والبرهان. . يناقش الأقوال والمسائل مناقشة علمية موضوعية بعيدة عن الأحكام الجاهزة والنتائج المسبقة. . ولا يقبل منهم مناقشة لقول أو اعتراضاً علىٰ نتيجة علمية. . ما لم تكن مناقشتهم مقرونة بالدليل والبرهان. . وإنه لَيُسر حين يرىٰ تلميذه يخالفه في رأيه وقناعاته. . ويرىٰ ذلك معيار نضج وكمال. . .

يربي بذلك العقلية العلمية الناضجة. . ويسهم في ضبط سلوك تلاميذه. . فلا يقبلوا بعد ذلك في حياتهم إلا ما يقتنعون به. . مما يشكِّل بإذن الله ـ تعالىٰ ـ درعاً واقياً للتلميذ من المؤثرات الأخرىٰ. . فيراجع ما يرد عليه بدلاً من تلقي وتلقف كل ما يرد إليه. . .

وبما أنه يدرك أن النفوس تسأم التكرار والرتابة. . وتحتاج باستمرار للتغيير والتنويع فإنه ينوع ويبتكر في وسائل مخاطبة تلاميذه وإقناعهم. . والتجديد في أساليب. . النصح والتأثير فتوجيهه ليس مجرد كلمات جوفاء يلقيها. . وينتظر من طلابه الترحيب والمبادرة. . وربما كانت مقرونة بلغة استعلاء واحتقار. . ووصف بأنهم ليسوا علىٰ شيء. . وأنهم غير جادين ولا صادقين يدرك أن ذلك إنما هو إغراق في السذاجة والسطحية. . لن يستطيع أن يواجه بها الكم الهائل من الصوارف والمغريات. . . ولا ينسىٰ وهو في طريقه للإصلاح والتغيير. . أن الخير له رصيد عميق في فطرة الإنسان. . ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. . فطرهم على الدين والتوجه له ـ سبحانه ـ . . مما جعل هدفه إزالة الغشاء عن القلوب الذي يغطي رصيد هذه الفطرة. . فالناس مهما ارتكبوا الشهوات. . إلا أنهم يشعرون بمرارة المعصية وشؤم الغواية. . فيجدهم يبحثون عمن ينقذهم. . ويخلصهم. . وهاهو يراهم يسيرون على طريق الخير ويسلكون السبيل. . .

يملك لذلك العاطفة الصادقة والتفاعل مع ما يقوله لتلامذته. . حديث من القلب. . يشعرهم أنه حديث صادق ناصح. . فتتجاوب نفوسهم. . ويسمون على أهوائهم ورغباتهم. . سأل ذر بن عمر أباه رضي الله ـ تعالى ـ عنهما. . (ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمتَ أنت سمعت البكاء من كل جانب) فقال. . (يا بني ليست النائحة الثُّكلى كالنائحة المستأجرة). . رؤيته للأسباب المادية وعنايته بتحصيلها. . لا تشغله عن إدراك قدرة الله ـ تعالى ـ. . وأن الأمور ونواصي العباد بيده ـ عز وجل ـ. . .

يعمل الأسباب. . ويلمس الصعاب. . ويجتهد في تذليلها. . وحين يبذل ما يستطيع. . يدرك أن التوفيق بيد الله ـ تعالى ـ أولاً وآخراً. . والعون منه ـ سبحانه ـ. . . فما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابعه ـ سبحانه وتعالى ـ يقلبه كيف يشاء. . .

يدرك العقبات. . ويعرف المصاعب. . فيرسم أهدافاً تتناسب مع الواقع. . ويمكن ترجمتها إلى واقع عملي. . لأن النظرة المثالية. . والأهداف الطموحة. . التي يصعب الوصول إليها. . وتكون أعلى من الواقع. . تشعر بالفشل. . وتضعف النتائج. . وتطيل الطريق. . وتسبب الإحباط. . .

يلتقي بطلابه خارج الإطار الرسمي. . والجو المدرسي. . فيزيد بذلك الألفة. . ويزيل كثيراً من الحواجز والعوائق. . وذلك من خلال الأنشطة الخارجية. . والتي تحوي فئات جادة ومتميزة من الطلاب والمدرسين. . مما يتيح للطالب القدوة الحسنة والأجواء البديلة عن التجمعات السيئة. . يوفر في هذه الأنشطة. .

الرحلات . . والمسابقات . . والمحاضرات . . والأنشطة الرياضية والترويحية . . فتكون بديلاً للطلاب عن الأجواء الشاذة . . والبيئات الفاسدة . . والصداقة السيئة . . .

يقوم بذلك كله . . وهو في طريقه لتفتيت الصعاب . . وتجاوز العقبات . . محتسباً . . . مخلصاً صابراً . . والله ـ تعالىٰ ـ معه . . .

١٥٨ ـ كرجل جاد قد يهزل . . ويضحك . . ولكن ثمة خيط يشده إلىٰ حياة الجد . . ويأبىٰ عليه التجاوز والتمادي . . المزاح لديه . . عارضٌ . . لايستحق أن يوفر له لقاءات . . أو يضيع من أجله أوقات . . فضلاً عن أن يسعىٰ إليه ويستهدفه . . إنه يجعل نصب عينيه قول الله تعالىٰ . . ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: ١٦] . . وقوله ﷺ . . «**لاتكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» . . .

إنه ظريف بطبعه . . مزَّاح . . ولكنه جاد في موضع الجد . . عامل في موضع العمل . . فهذا الشعبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . كان مشهوراً بالدعابة والطرافة . . أتاه رجل يوماً وهو جالس مع امرأته فقال . . أيكما الشعبي؟ . . فأشار إلىٰ امرأته فقال . . هذه . . وسأله رجل . . ما اسم زوجة إبليس؟ فقال . . ذاك عرس لم نشهده . . .

ومع هذه الطرافة . . يقول عنه مكحول ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (ما رأيتُ أحداً أعلم من الشعبي) والأعمش ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . كان كذلك صاحب طرفة مشهور بها . . يقول عيسىٰ بن يونس ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . أتىٰ الأعمشَ أضياف فأخرج لهم رغيفين فأكلوهما . . فدخل وأخرج لهم نصف حبل قتّ فوضعه علىٰ الخوان وقال . . أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي فكلوه . . .

ومع ذلك كان من أعبد الناس . . قال عبدالله الخُرَيْبي . . رحمه الله تعالىٰ . . (ما خلف الأعمش أعبد منه) . . وقال عنه يحيىٰ القطان . . (كان من النساك وكان



محافظاً على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول) . . .

١٥٩ ـ التربيـة . . إعداد للإنسان . . وغرس للقيم والمعاني . . وسيلة لإزالة الرواسب السيئة . . والإنسان . . العالم الغريب بأحواله . . ومشاعره . . وعواطفه . . وسائر أموره . . ليس آلة صماء . . أو كائناً حيّاً يمكن السيطرة عليه وترويضه . . فالتعامل معه أمر عسير . . إنه تعامل مع الند والقرين . . .

لذلك فهو يدرك أن التربية . . لا يمكن أن تتاح لكل إنسان . . وأن حمل المفاهيم الصحيحة . . والخلفية العلمية . . والقدرة على الحديث والحوار . . ليس كافياً في التأهيل للتربية . . إنما هي . . القدرة على أداء تلك المهمة العالية . . مهمة بناء النفوس وإعدادها . . .

مما يجعله يراجع نفسه . . كمربٍّ . . ويستجمع الصفات التي تؤهله . . وتعطيه القدرة على تربية أبنائه . . وكل من تحت يده . . فيزداد عطاؤه . . ويعظم أثره . . ونتاجه . . بإذن الله ـ تعالى ـ وبما أن التربية . . هي إعداد للمرء يعطيه القدرة على مراجعة المسائل الشرعية وبحثها . . ويمنعه من الانزلاق أو الوقوع في وسائل يمنعها الشرع . . .

وذلك لا يعني بالضرورة أن يكون عالماً أو طالب علم مختص . . إنما أن يملك القدرة على البحث والقراءة والإعداد للموضوعات الشرعية . . أن يملك قاعدة مناسبة من العلوم الشرعية . . ويتطلع بعد ذلك لمزيد من التحصيل لزيادة رصيده من العلم الشرعي . . .

يحتاج إلى ثقافة عامة . . يدرك بها ما يدور في عصره . . يحتاج إلى العلم بالدراسات الإنسانية يدرك بها طبيعة المرحلة التي يتعامل معها . . أطفال . . أو مراهقين . . أورجال . . يدرك بها طبيعة الإنسان ودوافعه وغرائزه واستعداداته . . .

يحتاج إلى أن تكون لديه القدرة على معرفة الشخصيات نفسها من حيث قدراتها واستعدادها وإمكانياتها . . والرسول ﷺ أوصى صاحبه أبا ذر رضي الله



تعالىٰ عنه . . بوصية تنبئ عن معرفته به . . **«يا أبا ذر إنّي أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ولا تَولَّيَنَّ مال يتيم»** . . .

يحتاج إلى معرفة البيئة التي يعيش فيها المتربي . . والتي تترك آثارها على شخصيته . . مما يعينه على تفسير كثير من مواقفه . . .

التربية عطاء وإعطاء . . وأداء وتلقٍّ . . فيدرك أنه لا بد أن يكون أعلى ممن يربيهم . . قدرةً . . وخبرة . . وإمكانات . . وليس بالضرورة أعلى سناً . . وإن كان عامل السن له أثر وأن تكون لديه القدرة على الإجابة عن التساؤلات الملحّة التي يطرحها المتربون والمتلقون على يديه . . والقدرة العقلية والخبرة العملية والتي تعينه على مساعدتهم في تجاوز مشكلاتهم . . حين يجيد التعامل معها . . ويجيد طرح الرأي المناسب لحلها . .

يدرك أنه حين يفقد هذا وذاك . . سيشعر المتربون . . أنه ليس ثمة ما يدعوهم للارتباط به . . وليس عنده ما يؤهله لأن يتولى تربيتهم . . .

ومع ذلك كله . . يعلم أنه لا بد أن يملك القدرة على العطاء . . أن يمارس التطبيق الواقع ويعطي التجربة الواقعية . . وإلا . . فإنه لن يستطيع أن يربي . . ولا أن يكوّن جيلاً بمعنى الحواريين والأتباع . . مهما بلغ من التفوق العقلي . . أو الروحي . . أو النفسي أو الأخلاقي . . .

وأن ذلك كله . . لا يكفي . . بل ينبغي أن يعطيه بطريقة حسنة . . أن يجيد استخدام الأسلوب الأمثل . . أن يحقق لكل مقام مقاله المناسب . .

يدرك أن الحبَّ أمر ضروري للتلقي . . ولكن الحب وحده لا يكفي . . فقد يحب طفله ويحب له الخير . . ولكن الطريقة في تقديم الخير إليه تشككه في حبه له . . وتوهمه أن أباه يكرهه . . مما يضيع الأثر المطلوب . . أو يقلبه إلى الضد حين يعطي ما عنده بطريقة منفرة . . ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] . . وبما أن التربية . . عملية مستمرة . . فإنه لا يكتفي بالتوجيه

العابر . . مهما كان مخلصاً ومهما كان صواباً في ذاته . . بل يتابع . . ويوجه باستمرار . . .

يقول محمد قطب . . ـ غفر الله تعالى له ـ . (والشخص الذي لا يجد في نفسه الطاقة على المتابعة والتوجيه المستمر شخصٌ لا يصلح للتربية، ولو كان فيه كل جميل من الخصال . . وليس معنى التوجيه المستمر هو المحاسبة على كل هفوة . . فذلك ينفر ولا يربي . . فالمربي الحكيم يتغاضى أحياناً أو كثيراً عن الهفوة وهو كاره لها، لأنه يدرك أن استمرار التنبيه ضارٌ كالإلحاح فيه . . وحكمة المربي وخبرته هي التي تدله على الوقت الذي يَحسُن فيه التغاضي والوقت الذي يحسن فيه التوجيه ولكن ينبغي التنبه دائماً . . إلى أنّ التغاضي شيء والغفلة عن التنبيه شيء آخر . . أولهما قد يكون مطلوباً بين الحين والحين، أما الثاني فعيب في التربية خطير) . . .

يدرك أنه بجانب ذلك . . ومع الطبيعة الإنسانية المعقدة . . لابد أن يملك قدراً من الاستقرار النفسي . . فلا يكون متقلب المزاج . . سريع التغير . . مضطرباً . . يعاني من حدة انفعالات . . أو سوء ظن وحساسية مفرطة . . لأنه يعلم أن المتربي بحاجة إلى أن يتعامل مع إنسان مستقر . . مع شخص يتوقع ويتنبأ بتصرفاته . . وإلا فإنه لن يعيش في جو مريح . . وسوف يسيطر عليه الخوف والقلق . . .

ولا ينسى قبل ذلك وبعده . . استحضار النية الخالصة لله ـ تعالى ـ . . وتذكّرها . . واستشعارها مما يحقق له الثواب والرضا من الله تعالى . . ويزيد لديه الهمّة . . ويعلي الحماسة للعمل . . ويعينه على احتمال ما يواجه من مشاق وعقبات . . .

مدركاً أنه بدون الإخلاص . . يصبح كلُّ ما يقوم به من عمل . . وما يبذله من جهد . . غير ذي بال وسيكون هباءً منثوراً . . ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ

ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [هود: ١٥-١٦] . . .

١٦٠ ـ يملك القدرة على النمو . . لا يتعامل مع الجيل الحاضر بعقلية السابق . . فالحياة متجددة متطورة . . والوعي السياسي الذي يملكه الآن يصبح بعد عام أو أعوام قليلة مجرد ذاكرة تاريخية . . وتطوُّر مجالات الحياة المتسارع . . يترك آثاراً واضحة على المجتمع . . بل حتى ميدان العلم الشرعي تتجدد فيه أمور عدة . . فهناك كتب تُطبع . . ومؤلفون جدد . . ومحققون . . ومؤسسات علمية . . مما يحتاج إليه كطالب علم ومربٍّ . . فضلاً عن المسائل والنوازل المستجدة . . يدرك أنه إذا لم يكن متابعاً قادراً على النمو فسوف تضمر لديه هذه الجوانب . . وسيعيش مع جيل غير جيله . . .

يُدرك أنه إذا بقي بزاده المحدود . . والذي لا بد أن ينفد بعد فترة . . وحينها يشعر المتربون أنه لم يعد لديه شيء ذو بال . . وأنهم قد استوعبوا كل ما لديه من خبرات . . .

كما أنَّ المتربِّين ينمون ويتطوَّرون . . ونموهم هذا . . إذا لم يقابله نمو منه . . فسيخل بمعادلة علو إمكاناته وقدراته وتفوقه . . ويجعل موقفه تجاههم أقلَّ من ذي قبل . . ومن ثم يبحثون عن البديل . . .

وبذلك يدرك . . أن الدور الأساسي في المهمة التربوية . . ليس هو العطاء والتوجيه فقط ، وأن مرحلة النمو والتلقي والأخذ قد انتهت وتجاوزها . . .

بل إنه يسعى إلى تحقيق النمو الذي يريد . . بتحصيله الذاتي . . يقرأ ويطالع . . يتعامل مع أوعية المعلومات ومصادرها المختلفة . . حازم مع نفسه . . يضع برنامجاً لا يخل به . . في أوقات الفراغ والإجازات . . يقلل الروابط الاجتماعية غير الضرورية . . يعيد تنظيم أوقاته مع طلابه . . والآخرين . . وسيجد ما يعينه على تحقيق نموه . . يعتني بإعداد ما يقدمه من مشاركات ودروس . . ويجعل من إعداده فرصة لاستيعاب أطرافه وما طرح وكُتب فيه . . .

يلتقي بالمربين الأعلىٰ منه قدرة . . يستشيرهم . . يستفيد من خبراتهم . . ويحرص علىٰ السماع منهم . . .

يلتقي مع أقرانه وطبقته . . بشكل مستمر . . يسهم بذلك في تبادل الخبرات والتجارب . . وفي رفع مستوىٰ تفكيره . . .

يقول ابن جماعة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . (. . ألا يستنكف عن أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه، بل يكون حريصاً علىٰ الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها . . قال سعيد بن جبير . . لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنىٰ واكتفىٰ بما عنده فهو أجهل ما يكون) . . .

١٦١ ـ يسعىٰ للتربية والإصلاح . . يقيس نتائج تربيته . . لا يغترُّ بالمظاهر . . تدعوه الشفقة والحرص والعناية إلىٰ محاولة معرفة ما وراء الظاهر . . ولكن ذلك كله . . لا يسوغ أن يجعله علىٰ حساب الضوابط الشرعية . . .

فلا يتجسس . . ولا يستمع لحديث غيره . . دون علمه . . ولا يطّلع علىٰ ما يخص غيره دون إذنه . . يعلم أن كل ذلك محرم . . وجرأة بعض المربين علىٰ تجاوزها من عموم قوله تعالىٰ . . ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢] . . .

شعوره بالأمانة والمسؤولية . . لا يعّد عذراً ليتطلع إلىٰ ما لا يحلُّ له التطلع إليه . . فقد نهىٰ النبي ﷺ الرجل أن يطرق أهله ليلاً معللاً ذلك بقوله . . «**يتخوَّنهم أو يلتمسُ عثراتهم**» . . يدرك أن مسؤوليته كمربٍّ وخصوصية دوره لن تكون أكبر من مسؤولية الزوج عن أهله . . .

يدرك أن دعوته وتربيته يجب أن تتجه إلىٰ إصلاح القلوب وتنقية السرائر . . فهو الأساس . . أما تعامله . . وإجراء أحكامه . . فسيكون علىٰ أساس

الظاهر . . ولا يسعى للتنقيب عن الباطن . . إنما يأخذ الناس بظواهرهم . . قال ﷺ . . **«إني لم أؤمر أن أنقّب عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بطونهم»** . . .

ويقول ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ . . (صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال . . **«يا معشَر من قد أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تُعَيِّروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»** . . .

وقال ﷺ لمعاوية ـ رضي الله تعالى عنه ـ . . **«إنك إن اتَّبعتَ عورات الناس أفسدتَهم أو كدت أن تُفسدهم»** . . .

يعلم أن أمر إصلاح الناس وهدايتهم لله وحده . . ومهمته هو . . دعوتهم والاجتهاد في سلوك أقرب الطرق الموصلة لاستجابتهم . . وعندما لا يتحقق ذلك فالأمر خارج عن دائرة مسؤوليته . . فمهمته تنتهي عند أداء الجهد قدر استطاعته . . .

وذلك يعينه على الوقوف عند حدود الظاهر وتجاوز التطلع . . ويعينه . . علمه بأنه غير مكلف شرعاً بما لا يظهر له . . .

يقول ﷺ . . **«إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ . . ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»** . . .

يقول **ابن القيم** ـ رحمه الله تعالى ـ . . (فإن الله ـ سبحانه ـ لم يجعل أحكام الدنيا على السرائر بل على الظواهر ، والسرائر تبعاً لها . . وأما أحكام الآخرة فعلى السرائر والظواهر تبعاً لها) . . .

١٦٢ ـ قد تدعو طبيعة العمل التربوي . . إلى الحديث عن قضايا خاصة للمتربين من طلاب وغيرهم . . وانتقادهم . . ويتحدث بعض المدرسين عن طالب معين بما يكرهه . . .

ولكنه يعلم تماماً . . أن الأصل في ذلك كله . . هو المنع والتحريم . . ﴿وَلَا يَغْتَب



بَعْـضُكُم بَعْـضًـا﴾ [الحجرات:١٢]. . وقـد يمتـد الحـديث إلىٰ الوقـوع في أعراضهم. . والنصوص تجعل حرمة أعراض المسلمين كحرمة الشهر الحرام والبلد الحـرام. . ربما يصـارح الطالبُ معلمـه ومـربيـه بمشكلة تتـعلق بالعرض. . فيتجرأ علىٰ الحديث عنها لغيره. . بما لاضرورة له. . «**إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**». . .

يدرك أن الطالب أخ له. . وذكره له بما يكره من الغـيـبـة التي هي أربىٰ الربا. . «**وإن أربىٰ الربا استطالةُ المسلم في عرض المسلم بغير حق**». . .

١٦٣ ـ الصحوة تتحمل مسؤولية ضخمة أمام الأمة في قيادتها والنهوض بها. . مما يتطلب منها إعداد قيادات للأمة في مجالات شتىٰ من مجالات الحياة. . .

الصحوة تفتقر إلىٰ طاقات وقدرات توجهها. . وتضبط لها مسيرتها. . وتقودها في طريقها الطويل. . .

الصحوة. . تفتقر إلىٰ طائفة ممن يحملون العلم الشرعي ويفقهونه حق الفقه. . ليكونوا قيادة راشدة للأمة. . .

إنها أدوار. . تجعل الصحوة بحاجة إلىٰ كسب النجباء والموهوبين. . الذين يملكون التأهيل لتولي المسؤوليات القيادية علىٰ مستوىٰ الصحوة. . وعلىٰ مستوىٰ الأمة. . .

ولذلك فإنه حين يرىٰ طالباً. . أو شخصاً يملك قدراً من الذكاء. . أو يفوق غيره في قدراته. . يوليه رعاية واهتماماً يليقان به. . يدرك أنها طاقات مؤهلة لتتبوأ المكانة الاجتماعية أو العلمية والفكرية في المجتمع. . وصلاحها ينتج عنه الخير الكثير. . .

يسلك بهم طريق الاستقامة والصلاح. . يعتبر كسبهم في صفوف الدعوة. . من الأولويات والمطالب الملحة. . فيجعلها ضمن اهتماماته الدعوية. . .

يدرك عمق الخسارة التي يجنيها. . والمعاناة التي تعانيها الدعوة من جراء

سقوطهم.. وفقدهم...

قد يعجز عن التأثير التام عليهم.. ولكن لا أقل من أن يزرع لديهم حب الخير وأهله.. والولاء للدين.. واستغلال طاقتهم وموهبتهم في خدمة دين الله ـ تعالىٰ ـ.. والذي هو من تمام شكر نعمة الله ـ تعالىٰ ـ عليهم...

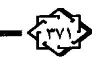
لا يتركهم يعيشون في أجواء لا تتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم.. حتىٰ لا يتسبب ذلك في انقطاعهم عن المسير.. وذبول قدراتهم.. وموت ملكاتهم...

يقول ﷺ.. **«الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**.. وكان ﷺ يحرص علىٰ إيمان نفر من المشركين أكثر من غيرهم.. ويعتني بدعوتهم وكان يقول.. **«اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»**.. ولهذا قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ.. **«مازلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر»**...

وكان ﷺ يكلف بعض الصحابة.. بل والشباب منهم بمهام لا يقوم بها إلا الأكابر.. ومن ذلك.. تكليفه زيد بن ثابت ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بكتابة الوحي وهو غلام.. وتأميره أسامة بن زيد ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ وهو دون العشرين من عمره جيشاً يغزو الروم وفيه كبار أصحابه.. وتكليفه زيد بن ثابت ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بتعلم السريانية وائتمانه علىٰ كل ما يكتبه ﷺ لليهود وما يكتبون له وهو لم يزل غلاماً بعد...

ومع إدراكه بضرورة الاعتناء بالنجباء والموهوبين. فإنه يضع الأمر في إطاره الطبيعي.. فلا يهمل دعوة سائر الناس وتربيتهم.. فدين الله ـ تعالىٰ ـ جاء خطاباً للجميع وليس ديناً خاصاً بالنخبة...

لا يعرض عمن أقبل عليه من غير هؤلاء.. ويهملهم.. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ④ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ



(٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) ﴾ [عبس: ١-١٢]. . .

ولا يحتقر من سواهم. . وينظر إليهم نظرة قاصرة. . وقد يكون فيهم من هو أزكىٰ وأفضل عند الله -تعالىٰ-. . **«رُبَّ أشعثَ مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه»**. . **«ألا أخبركم بأهل الجنة. . كلُّ ضعيف متضعَّف لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه. . ألا أخبركم بأهل النار. . كل جواظ زنيم متكبر»**. . .

وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالىٰ عنه-. . حين رأىٰ أن له فضلاً علىٰ من دونه. . **«هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»**. . .

وقال ﷺ. . **«طُوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثٌ رأسه مغبرةٌ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع»**. . .

١٦٤ - كثير من الصفات السيئة. . تبدو بذرةً صغيرة يسقيها الإهمال والتسويف. . ويمدها التجاهل بماء الحياة حتىٰ تنمو وتترعرع. . لتتجذر في النفس. . فيصعب اقتلاعُها. . وزوالها. . ، لذلك. . لا يهمل من يتولىٰ تربيتهم. . حتىٰ لا تستفحل المشاكل والأخطاء. . وتصبح جزءاً من سلوكهم. . لا يستطيعون الفكاك منها. . وقد يدعوهم ذلك إلىٰ الإفراط في الانحراف. . لا يدفعه التسويف والعجز والكسل. . أو افتراض أن الزمن كفيل بحل الأخطاء وتجاوزها. . أو المبالغة في مراعاة نفسية المخطيء والخوف من جرح مشاعره. . لا يدفعه ذلك. . إلىٰ إهمال العلاج وتأخيره. . .

مدركاً أن ذلك يجعل السلوك السيء يذوب في نفس صاحبه. . ويصبح جزءاً من شخصيته. . فيسعىٰ بعد ذلك لتبريره. . والدفاع عنه. . واتهام من يلومه بالتشدد. . .

١٦٥ - لديه واقعية في التفكير. . وإدراك لطبيعة البشر. . هدوء في الدراسة والمراجعة. . خبرة متراكمة. . تجعله يقترب من الواقعية. . يبتعد عن المثالية المجنحة في الخيال. . يدرك أن المرء حين يعيش في ميدان التنظير. . يحلق في



أجواء الخيال . . يرسم صوراً مثالية يصعب أو يستحيل تحققها . . .

وحين يمارس ذلك مع نفسه . . فيرسم لها أهدافاً و برامج وخططاً طموحة . . يصطدم بجدار الواقع . . فيرىٰ أنه عاجز عن تحقيق جزء يسير مما رسمه لنفسه . . .

حين يرسم صورة مثالية لطالبه . . فيرىٰ أنه ذاك الطالب الذي يلتزم بالأدب التام . . فلا يسيء الأدب مع أستاذه في استئذانه وحديثه وتعامله . . لا يسيء الأدب مع زملائه . . لا يمكن أن يتأخر عن أداء الواجب يوماً من الأيام . . لا بد أن يفهم ما يُلقي عليه فهماً سليماً . . لا يريد منه أن ينشغل عن الدرس . . ولا أن يلهو . . ولا أن يتأخر عن الحضور . . ولا أن يتغيب . . إلىٰ غير ذلك . . والتي ربما عجز هو نفسه حين كان طالباً عن تحقيقها . . .

يدرك أنه حين يرسم للناس صورة مثالية . . سوف يحاسبهم علىٰ ضوئها . . ويرىٰ أن النقص عنها يعد قصوراً في تربيتهم . . فتأخذ مساحة الأخطاء أكثر من مداها الطبيعي الواقعي . . .

يقول ﷺ . . «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**» . . .

وذلك . . لا يجعله يبرر الأخطاء . . ويدافع عنها بحجة الواقعية . . مما ينعكس علىٰ أهدافه وبرامجه . . فتصبح أقرب إلىٰ التخاذل ودنوِّ الهمة والطموح . . إنما هي الوسطية والاعتدال . . فلا مثالية خيالية . . ولا واقعية مفرطة . . تكرس الأخطاء . . وتعطيها صفة المشروعية . . .

١٦٦ ـ يتطلع كثير ممن يقع في الخطأ . . ويلومه الناس علىٰ ذلك . . إلىٰ أن يثبت لهم أنه قد تجاوزه . . وأن يغيروا النظرة السلبية التي ارتسمت لديهم تجاهه . . .

إنه يعتني ببيان الخطأ لمن يقع منه . . ولكن لا يتحول ذلك لديه إلىٰ نظرة ثابتة ترسخ الشعور بالفشل والإحباط لدىٰ من وقع فيه . . أو أن هذا الخطأ أصبح أمراً

ملازماً له لا يفارقه . . وحتىٰ حين يقتضي الخطأ . . أن يغلط علىٰ صاحبه . . ويشدد عليه . . فإنه لا يبقيه ملاحقاً له في كل موقف . . أو يظل يكرر تذكيره به . . .

يقـول أسامـة بن زيد ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (بعـثنا رسـول الله ﷺ . . إلىٰ الحرقة فصبحنا القومَ فهزمناهـم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال . . لا إله إلا الله . . فكفّ الأنصاري فطعنته برمحي حتىٰ قتلته فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال . . **«يا أسامةُ أقتلته بعدما قال . . لا إله إلا الله؟»** قلت . . كان متعوِّذاً . . فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) . . .

وبعد هذه الواقعة . . أمّره ﷺ علىٰ جيش أكبر من ذلك لغزو الروم . . ويقول أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ . . أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت . . فسأل أصحاب النبي ﷺ . . فأنزل الله ـ تعالىٰ ـ . . ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] . . .

فقـال رسـول الله ﷺ . . **«اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح»** . . فبلغ ذلك اليهـودَ فقالوا . . ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . . فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا . . يا رسول الله ، إنَّ اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ . . فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ حتىٰ ظننا أن قد وجد عليهما . . فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلىٰ النبي ﷺ ، فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما) . . .

١٦٧ ـ مشروعه الإسلامي . . هو وحده الذي يحمل المصداقية . . والتأهل للإنقاذ . . فأمته تعيش واقعاً فريداً . . . ومرحلة لم تمرّ بها من قبل . . حين أسقطت الحواجز بينها وبين أعدائها . . فأصبحت تابعة لهم . . مستوردة لمناهجهم . . وتجرأت علىٰ استبدال الشريعة . . وتنحيتها . . مناهجها في التربية . . إعلامها الوافد . . نتاج هذه المرحلة . والذي ساهم في صياغة عقلية المسلم . . ليخرجَ خليطاً متنافراً من ثقافات الشرق والغرب . . .



يدرك أن المشكلة التي تعانيها أمته . . أبعدُ من أن تكون مجرد انتشار لمعاص ظاهرة . . وإخلال بأحكام ظاهرة . . وإن كان ذلك في حدٍّ ذاته نذير خطر . . .

مشروعه الإسلامي . . بعيد عن التسطيح . . والإغراق في السذاجة . . متجاوز لعقدة السبب الواحد . . والحل الواحد . . والبرنامج الواحد . . إلىٰ مرحلة أرحب . . وأوسع من التفكير والتحليل . . .

مشروعه الإسلامي . . يأخذ علىٰ عاتقه . . إعادة صياغة متكاملة للفرد المسلم . . والمجتمعات الإسلامية . . في التفكير . . والتصورات . . والقيم . . والموازين . . ليحقق الهدف الذي يسعىٰ إليه . . .

هذا التغيير . . وإعادة الصياغة . . يحتاج منه . . ومن غيره . . جهداً تربوياً ضخماً . . جهداً لتربية أدوات ووسائل التغيير . . وجهداً لتربية مجتمعات المسلمين . . تربية جادة . . علىٰ اختلاف طبقاتها ومستوياتها . . تربية جادة . . مطلوبة من الجميع وبكافة مستوياتهم . . فأمته . . حين تعلق أهدافها واهتماماتها بالرياضة . . واللهو والمتعة الحرام . . وحين تسير وراء المادة وتحصيلها . . هي التي تحكم موازينها وقيمها . . فإنها تظهر بذلك مظهراً من عدم الجدية في التربية . . .

وتربيته الجادة لأمته . . يتطلب منه . . تعليقها بقضايا تليق بمكانتها بين الأمم . . أمة تحمل الرسالة للبشرية . . بكافة طبقاتها . . .

الطلبة والطالبات . . حين يُعلقون بالشهادة والحصول عليها . . وتصاغ التربية المدرسية بما يؤصِّل هذا المعنىٰ لديهم . . فهو خلل تربوي . . مناقض للتربية الجادة . . وانتهاك صارخ لغاية التعليم . . تتطلب منه تعليق اهتماماتهم . . بأهداف أسمىٰ وأعلىٰ قدراً من الوظيفة والشهادة . . .

الأستاذ المربي . . حين يعتبر نفسه موظفا لا غير . . يتلقىٰ أجره . . وينتظر الإجازة . . ونهاية الدوام . . يحتاج منه لتربية جادة . . ليكون مربياً حقاً . . .

الأب . . حين تشغله الدنيا ومتاعها . . عن الرعاية والتربية . . بحاجة منه إلىٰ

التربية الجادة . . .

الأم . . حين تعني بمظهرها . . والموضة . . وتستهلك اللقاءات والمكالمات الخاصة . . جزءاً ثميناً من وقتها . . على حساب وظيفتها الأساسية . . ودورها الرئيسي في رعاية المنزل والقيام بشؤون الأسرة . . هي الأخرى . . تحتاج لتربية جادة . . .

أصحاب الوظائف الشرعية . . حين يسيطر عليهم همُّ العلاوة والمرتب . . وحين تخلق أجواء العمل الرسمي أمامهم سياجاً . . لا ينظرون ولا يتحركون إلا من خلاله . . يصبحون غير جادين في أداء دورهم المطلوب منهم . . .

تربيته الجادة تتطلب . . أن تتمحض نواياهم . . ويتحرروا من الأعراض العاجلة . . وأن تكون جهودهم . . ويكون نتاجهم أبعد مدى من السياج والإطار الوظيفي . . جيل الصحوة . . حين يكون على الواقع الذي هو عليه . . فإنه بحاجة إلى تربية جادة . . تنهض به وترفعه إلى المستوى اللائق . . فهو حامل اللواء . . وحارس الخندق . . والمرابط في ثغور الحماية للأمة أجمع . . .

يُبقي بذلك الجميع على اختلاف مستوياتهم العامة والفردية . . داخل إطار الجدية . . يعيش بها في أجوائها . . وينقلهم إليها . . مدركاً . . أن اختلاف مستوى التربية بين طبقة وأخرى أو فرد وآخر . . يكون بحسب . . المرء . . وموقعه . . ومستواه . . ودوره . . .

فقد بايع النبي ﷺ بعض أصحابه . . على أن لا يسألوا الناس شيئاً . . فكان أحدهم يسقط سوطه فلا يطلب من أحد أن يرفعه إليه . . إنه قدر من الجدية لا يُطلب من سواهم من سائر الصحابة . . وإن كانت الجدية عموماً مطلوبة من الجميع . . .

وحين لقي النبي ﷺ المتخلفين بعد غزوة تبوك . . قبل عذرهم . . ووكل سرائرهم إلى الله ـ تعالى ـ . . عدا الثلاثة المخلفين . . فصار لهم شأن آخر . . لأن الجدية المطلوبة منهم ليست كغيرهم . . .

وحين أمر الله ـ تعالى ـ النبي ﷺ بتخيير نسائه بين البقاء معه . . أو متاع الدنيا وزينتها . . فاخترن جميعاً ـ رضوان الله تعالى عليهن ـ . الأخرى والأبقى . . أدرك أنه قدر من الجدية . . ليس لغيرهن من النساء حتى من الصحابيات . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] . . .

١٦٨ ـ يبحث عن صفات . . بها ومعها . . يكون رجلاً جاداً . . ، فنظر إلى . . الرجل قليل الكلام كثير الصمت . . إلى الرجل الذي لا يضحك إلا قليلاً ولا يمزح إلا نادراً . . إلى الرجل الذي يغلق عليه بابه ولا شأن له بالناس . . .

نظر . . وتأمل . . فوجد أن بعض تلك الصفات قد تمتلك قدراً من الجدية . . ولكنها ليست الجدية التي يريد . . .

إن التربية الجادة تريد منه أن يكون صاحب هدف يسري في أعماقه وروحه . . فهمُّه وجهده متوجه لدينه . . أن يكون صاحب عبادة حقة لله تعالى . . ظاهراً وباطناً . . مخلصاً . . مخبتاً . . راجياً . . خائفاً . . أن يكون كثير الذكر والصلاة والصيام والتلاوة . . .

أن يكون جاداً في طلبه للعلم الشرعي . . والتأدب بآدابه . . أن يكون رجلاً جاداً في نفسه . . .

القادر على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت المناسب . . الشجاع غير الهياب ولا الوجل . . أن يكون بذلك كله . . العامل المنتج . . صفة الرجل الجاد . . المتميزة . . وليس لأي عمل . . إنما العمل المنتج . . الذي يرجى من ورائه ثمرة لدعوته المباركة . . ويكون بالقدر اللائق به كرجل جاد . . وليس أقل . . .

العمل . . لأن إيمانه لا بد من اقترانه بالعمل . . ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٩] . . ولأن الإيمان حين لا

يصاحبه عمل يعاب عليه صاحبه. . ﴿ قالت الأعرابُ آمنّا قُل لَّمْ تُؤْمنُوا ولَكن قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥]. . والجزاء في الدنيا معلق على العمل. . ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. . .

مدركاً أن عمله الصالح. . يلقى جزاءه في الدنيا بركة وسعة في الرزق. . ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. . .

وسؤاله يوم القيامة. . وحسابه. . إنما هو على العمل. . ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]. . ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. . [النحل: ٩٣]. . .

ثوابه في الآخرة. . الذي شمَّر له. . وسعى إليه. . وتنافس فيه. . مرتبط بعمله. . ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. . [الأعراف: ٤٣]. . .

والعقاب في الآخرة. . في نار الجحيم. . مرتبط بالعمل. . ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠]. . .

وحين يدرك أهل النار قيمة العمل. . وعلو شأنه. . وأن مصيرهم الذي صاروا إليه إنما هو نتيجة لأعمالهم. . يكون لهم شأن وقول آخر. . ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧]. . .

تفكره في آيات الله تعالى. . وما يتبعه من مشاعر. . لا بد أن يتحول إلى عمل. . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. . . ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] إلى أن قال - عز وجل -. . ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [العمران: ١٩٥]. . .

الوعظ والتأثر به . . والخوف من الله ـ تعالىٰ ـ . . لا بد أن يتحول إلىٰ عمل . . ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾ [الإنسان: ٨ـ١٠]. . .

والقول بغير عمل . . مقته الشرع وذمه . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف ٢ـ٣]. . .

وأتبع الله ـ تعالىٰ ـ هذه الآيات بقوله . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]. . فأدرك . . أن الله ـ تعالىٰ ـ . . إنما يحب العاملين . . المجاهدين . . .

١٦٩ ـ يدعو إلىٰ العمل . . يهتم به . . من خلال قوله وفعله . . يستهدي بسيرة نبيه ﷺ والذي كان العمل هو همه . . وشأنه . . وديدنه . . فكان ﷺ . . يدعو الأفراد والقبائل . . ويعرضُ نفسه في المواسم . . ويغشىٰ قومه في المنتديات . . يرحل إلىٰ الطائف . . ويهاجر للمدينة . . حيث الغزوات . . والسرايا . . والبعوث . . واستقبال الوفود . . إنه العمل لنصرة هذا الدين . . .

علمه الذي تعلمه . . يُتبعه بالعمل . . يقول أبو الدرداء رضي الله تعالىٰ عنه . . (إنَّ أخوف ما أخاف إذا وقفت علىٰ الحساب أن يُقال: قد علمتَ فماذا عملت فيما علمت؟) . . .

والمسائل العلمية التي لا يترتب عليها ثمرة عملية . . وقد تكون ترفاً فكرياً . . لا يشتغل بها . . ولا يلتفت إليها . . أو يحتفل بها . . .

يقول الشاطبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدلَّ علىٰ استحسانه دليل شرعي . . وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً) . . .

والأسئلة حين لا تكون واقعية . . ولا يتبعها عمل . . فهي مذمومة . . لا يسألها . . ولا يجيب عنها . . .

سـأل فـتى أبيَّ بن كـعب . . مـا تقـول ياعـمـاه في كـذا وكـذا؟ قـال . . يا بن أخي . . أكان هذا؟ قال . . لا . . قال . . فأعفنا منه حتىٰ يكون) . . .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالىٰ عنه - علىٰ المنبر . . (أحـرّج بالله علىٰ رجل سأل عمّا لم يكن، فإن الله قد بين ما هو كائن) . . .

١٧٠ - يدرك أن هناك اعتبارات تفرض عليه أن يدرج الهمّ التربوي في مرتبة متقدمة . . ضمن اهتماماته . . وأولوياته . . وأن تكون التربية الجادة صفة ملازمة لبرامجه التربوية . .

يعلم أن الإسلام . . إنما قام وانتشر علىٰ يد الرعيل الأول . . الذين رباهم محمد ﷺ . . فهم القادة . . والمتقدمون في الصفوف في المعارك . . والولايات . . والقضاء والإمارة . . وحين ارتدت الجزيرة . . بقي ذلك النشء ثابتاً علىٰ دينه . . بل كان له الفضل بعد الله - تعالىٰ - في إعادة الجزيرة إلىٰ الإسلام . .

إنها التربية الجادة . . طريق الأنبياء . . والعلماء من بعدهم . . ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] . . .

فأدرك أنه لن يصلح آخرُ هذه الأمة . . إلا بما صلح به أولها . . وبما أن أهل العلم بعد ذلك ساروا علىٰ منهج الأنبياء . . صاحَبَهُم . . وأخذ في مجالستهم . . والأخذ منهم . . دوراً يأخذ مدىٰ يتجاوز مجرد كونه وسيلة لنقل المعلومات . . إنه دور التربية . . الذي لم يجده إلا عن طريقهم . . والذي لا يقل شأناً عن تلقي العلم وحفظه . . منهم . . .

يقول الشاطبي - رحمه الله تعالىٰ - . . في أمارات العالم . . (أن يكن ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتّصفوا به من ذلك . . وهكذا كان شأن السلف الصالح فأول ذلك ملازمة الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله . . وصار



مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا ونالوا ذروة الكمال في الأمور الشرعية . . .

وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذُ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك ، وقلما وجدت فرقة زائغة ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف ، وبهذا الوجه وقع التشنيع على ابن حزم الظاهري وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بآدابهم وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم) . . .

يقرأ القرآن فيجد أن قضيته قضية جادة وحاسمة . . قضية المنهج الذي يدعو إليه . . ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] . ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٥] . . .

مدركاً أن الخطاب للأنبياء خطاب لنبيه محمد ﷺ . . وخطاب النبي ﷺ خطاب لأمته . . .

يقرأ القرآن . . فيجد الآيات تصفه بأنه ثقيل . . ومن ثم فلن يحمله . . ويقوم به إلا الرجال الجادّون . . . ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] . . .

يقرأ القرآن . . فيجد أنه لن يدخل الجنة عبثاً دون عمل أو مجاهدة . . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] . . صراع . . وصبر عليه . . يهب نفسه قوة . . ويرفعها على ذاتها . . ويطهرها في بوتقة الألم . فتصفو نفسه وتضيء . . وتهب العقيدة عمقاً . . وقوة . . وحيوية . . فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها . . .

يقرأ القرآن . . . فيجد كيف أن الله ـ تعالى ـ يريد من نبيه محمد ﷺ . . أن يصبر نفسه ويجاهد مع طائفة جادة من المؤمنين . . . ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم



بِالْغَـدَاةِ وَالْعَـشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْـهَـهُ وَلا تَعْـدُ عَـيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَـيَـاةِ الدُّنْـيَـا ﴾ [الكهف: ٢٨] . . .

ويحكي القـرآن . . صورة . . تخلّف فيـهـا مظهـر التربية الجـادة . . عند الذين واجهـوا البـأس فصارت لهـم كلمـة أخرىٰ . . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: ٧٧] . . .

فأدرك أن من يسلك سبيل هذا الدين . . لا بدّ أن يكون جاداً . . ومن باب أولىٰ أن يكون هو الداعية إلىٰ هـذا الدين والحامل له إلىٰ الناس أجـمعين . . مالكاً قـدراً من الجدية يتناسب مع جدية قضيته . . وضخامة منهجه . . .

يقرأ نصوص السنة . . فيجدها أيضـاً . . تدل علىٰ الجدية . . والمطالبة بها . . قال ﷺ . . **«استعن بالله ولا تعجز»** . . وكان ﷺ يقول كلَّ يوم . . **«اللهمَّ إني أعوذُ بك من العجز والكسل»** . . .

ويقـول ﷺ . . **«حُـجبت النارُ بالشَّـهـوات وحُـجبت الجنةُ بالمكاره»** . . فعلم أن الطريق إلىٰ الجنة لا بد أن يكون عـبـر قطعـه لقنطرة المكاره وتجـاوزها . . والتي لا يمكن أن يجـتـازها . . إلا إذا كـان رجـلاً جـاداً . . يتـحـمل المكاره . . ويتـخلىٰ عن الشهوات . . .

يقـول **ابن القـيم** ـ رحـمـه الله تعـالىٰ ـ . عن الرجل غـيـر الجـاد . . العـاجـز الكسول . . (لا يزال في حضيض طبعه محبوساً، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدوراً منكوساً، قد أسام نفسه مع الأنعام راعياً مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفع له علم فشمر إليه وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزمـه واستقام عليه، قد أبت غلبات شوقه إلا الهجرة إلىٰ الله ورسوله ومقتت نفسُه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سبيله) . . .

١٧١ ـ ينظر إلىٰ الاعتبارات التي تطالبه وتطالب غيره بأن يكونوا رجالاً جادّين . . في ظل تربية جادة . . يجعلها أمامه . . وذلك حين يجد أن هناك أحكاماً شرعية . . وعبادات تتطلب منه قدراً من الجدية والتحمل . . .

فالجهاد الذي فيه بذل للمهج والأرواح . . وليس من مشقة تعدل مشقته . . والذي هو واجب علىٰ مجموع الأمة . . لا بدّ أن يكون مهيّأً له . . ذلك أن من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات علىٰ شعبة من النفاق . . ولَيُحدث نفسه بالغزو لا بدّ أن يكون مؤهلاً لتحمل المشاق والصعاب . . شجاعاً . . غير هيّاب . . مقداماً لا يعرف التردد . . ولذلك . . فتربيته الجادة تهيّؤه وتُهيّئ النشء للجهاد . . .

والحج . . يقول عنه الرسول ﷺ . . **«جهادٌ لا قتال فيه»** . . يتحمل فيه الكثير من المشاق والصعوبات . . ومع ذلك لا يسقط عنه ما دام مستطيعاً . . فيدرك ما فيه من تربية له وللأمة علىٰ الجدية . . .

وحين يرىٰ أهل العلم والفتيا من أصحاب النبي ﷺ . . وأنهم ما بلغوا هذه المنزلة إلا بهجر الترفه . . والصبر والجلد . . فابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ يقول عن نفسه (فإن كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي علىٰ بابه فتسفي الريح علىٰ وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول . . لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث) . . .

ويرىٰ ذلك من خلال سير أهل العلم والقيادة في الأمة . . علىٰ مدىٰ تاريخها الواسع . . قال فضيل بن غزوان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (كنا نجلس أنا وابن شبرمة والحارث بن يزيد العكلي والمغيرة والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه فربما لم نقم حتىٰ نسمع النداء بالفجر) . . .

ويقول أبو حاتم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ . . (سمعت أبي يقول . . أول سنة خرجتُ

في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي، زيادة على ألف فرسخ . . (٤٨٠٠كم) . . قال . . ثم تركت العدد بعد ذلك وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً ثم إلى الرملة ماشياً ثم إلى دمشق ثم أنطاكية وطرطوس ثم رجعت إلى حمص، ثم إلى الرقة ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة) . . .

وحين يرى الشباب المسلم . . كيف يواجه تياراً جارفاً من الفتن والصوارف عن دين الله ـ تعالى ـ . . وفتن الشبهات . . التي تشككه في دينه وعقيدته . . فتن الشهوات المحرمة . . التي تقوده إلى نارها ولأوائها . . .

حين يرى الشاب والفتاة . . يُصبحان ويمسيان . . والصورة المغرية . . والمشهد الساقط تلاحقهم في الشارع . . وعلى الشاشة . . وفي المجلات . . وفي الأسواق . . وحتى على مقاعد الدراسة المختلطة . . والتي أخبر ﷺ عن هذه الفتن بقوله . . **«ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء»** . . .

وفتنة المال . . التي تواجه النشء . . وتحاصره . . فيبدو بريق المال أو المنصب . . أو الشهرة أمام المرء فيتخلى عن دعوته . . ويساوم على منهجه . . وربما سخَّر دعوته ومنهجه لصالح أحد من الناس . . أدرك أنها فتنة يصعب تجاوزها على من لم يدرك جدية القضية ويصبر على الشظف والمشقة . . .

وأدرك . . لماذا هي التربية الجادة . . وليس غيرها . . والتي تعين على تنشئة الشاب الذي يخاف الله ـ تعالى ـ . . و يرهب المعصية . . ويحمل قوة الإيمان . . مع قوة الإرادة والعزيمة . . في مواجهة الفتن والانتصار عليها . . .

١٧٢ ـ يشعر بجدية الهدف . . وسموه . . فيدرك قيمة الوقت . . مما يدفعه لتنظيم وقته . . ورعايته . . نفسه تعصف بها ريح الكسل . . والتسويف . . وحب الراحة . . ولن يوقف هذه العواصف إلا حينما يكون جاداً مع نفسه . . حازماً . . . مدركاً . . أن الشكوى من ضيق الوقت . . وازدحام المشاغل . . هي شكوى



تعكس عدم الجدية . . في التعامل مع الأوقات . . وعدم العناية بها . . . .

جديته مع نفسه . . تجعله صاحب اهتمامات عالية . . ونظرات طموحة تتجاوز الكثير مما يشغل الناس من اهتمامات فارغة . . .

جديته . . تحمّله الهم الجاد . . فيقدم . . برنامج عمل . . اقتراحاً بناءً . . مشورة ثاقبة . . أو عزيمة نافذة . . أو ثباتاً على مبدأ . . يحول الخواطر لديه إلى فكرة مدروسة . . ورأي عملي منتج . . يرفض أن يعطي الغير وكالةً بالتفكير نيابة عنه . . أو أن يكون دوره مجرد استيراد للأفكار الجاهزة . . .

ولعل تلك الفكرة التي طرحها أحد أصحاب النبي ﷺ بحفر الخندق . . أو جمع المصاحف تمثل شاهداً له على التفكير العملي الجاد . . الذي يشعره بضرورة المشاركة . . .

تربيته الجادة لنفسه . . تعوّده على المبادرة الذاتية . . فيعمل ابتداءً دون انتظار التكليف والتوجيه . . فأفكاره . . وأعماله . . وجهوده . . تسير على أرض الواقع . . بالمبادرة . . يستشير غيره . . ويستفيد من آراء الآخرين . . ولكن ذلك لا يجعله يضع حاجزاً وهمياً وعائقاً دون أي عمل . . بل ينطلق . . ويعمل . . ويبادر . . ويفكر . . محيطاً ذلك كله بأسوار الاستشارة . . وفي دائرة الانضباط والالتزام . . .

تربيته الجادة . . تجعله يتحمل على عاتقه . . مسؤوليات . . وأمانة ثقيلة . . أمانة حمل الدين وتبليغ الرسالة . . والتي لا يتحملها إلا الأشداء من الرجال . . الذين تربَّوا على الجدية والبذل والتضحية . . .

الجدية . . التي تخرّج الطائفة الموعودة . . المنصورة إلى قيام الساعة . . **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي، على الحق ظاهرين، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»** الجدية . . التي تنتج . . ذاك النوع من الناس . . الذي وصفه ﷺ بأنه آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ـ تعالى ـ إن كان في الساقة كان في

الساقة وإن كان في الحراسة كان في الحراسة . . أو من وصفه ﷺ بقوله . . **«من خَير معاش الناس لهم رجلٌ ممسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانَّه»** . . .

١٧٣ ـ النقد . . ضرورة فطرية . . ومطلب شرعي تربوي . . ولا بد أن يوجد النقد . . والذي إن لم يكن بناءً فهو هادم . . وإن لم يكن جاداً فهو هازل . . .

إنه يساهم بنقده في دفع عجلة الدعوة . . وتصحيح مسيرتها . . لا في التعويق . . والتثبيط . . والتآكل الداخلي . . .

نتاج تربيته الجادة . . نقده الجاد . . الموضوعي والواقعي . . يأخذ في الحسبان الضعف والقصور البشري . . ولا يحلق فيه . . في المثاليات . والعصمة . . نقده . . عن علم وعدل . . بعيد عن التسرع والظنون . . وظلم الناس وبخسهم . . نقده . . يُتبعه ببرامج للإصلاح . . ومقترحات للتصحيح . . واستعداد تام للمشاركة والمساهمة العملية . . .

نقده الجاد . . يسير في الطرق الصحيحة . . السليمة . . موجهاً لمن يعنيه . . وليس مثبطاً . . ولذلك . . فإنه لا يحتفل بالنقد المعوق . . يرفض أن تُلاك الأعراض . . وتقوم الجهود في المجالس واللقاءات باسم النقد والنصيحة . . .

لا يهتم بالنقد الصادر من الشخص المحترف له . . والذي حين ينظر لسلوكه وعمله . . لا يرىٰ ما يسره . . فلا يلمس عليه مسحة من عمل أومساهمة . . .

لا ينظر إلىٰ النقد المثالي . . الذي يريد من الناس أن يكون في درجة العصمة . . ويحاسب علىٰ كل صغيرة وكبيرة . . .

لا يبالي كثيراً بالنقد الذي يسلك صاحبه مسلك تتبع العورات . . ورصد الأنفاس . . واللفظات . . والحركات . . ليعثر من خلال ذلك كله علىٰ خطأ أو هفوة . . .

إنَّ جديته . . تضبط ميزان نقده . . فلا يطغىٰ ويتجاوز . . ليساهم في بعثرة

الصفوف وخلط الأوراق . . ولا يضمر ويتخلف . . ليساهم في وأد فكرة سليمة . . ويستعبدَ عقول الناس . . وقد ولدتهم أمهاتُهم أحراراً . . .

١٧٤ ـ يلاحظ . . ظهور مشاكل تربوية . . يعاني منها كل من المربين . . والمتربين . . من الفتور . . والكسل عن الطاعة . . ضعف العناية بطلب العلم الشرعي . . دنو الهمة . . الخوَر في القيام بأعباء الدعوة . . ضعف القدرة في تحويل القول إلى عمل . . المشكلات الأخلاقية . . المشكلات السلوكية . . التسويف . . .

ومشاكل من نوع آخر . . التعالم . . الكمال الزائف . . التَّمَشْيُخ المبكر . . فأدرك أنها إنما تعود إلى محور واحد . . ومشكلة أساسية . . وهي ضعف التربية ، وأن التربية الجادة هي العلاج الوحيد بإذن الله تعالى لها . . وحين يختصر الطريق بالتربية ابتداءً . . خير . . من تفتيت هذه المشكلات وعلاجها على حده . . علاجاً قد يشغله بالمظهر عن السبب الحقيقي . .

تربيته الجادة . . تحمل من التكامل . . والتوازن . . وحشد الطاقات الوقائية والعلاجية . . ما يخرجها من إطار النظرة الآحادية . . والتي تنطلق من عقدة السبب الواحد . . والحل الواحد . . .

١٧٥ ـ يرفع صوته . . مطالباً بالتربية الجادة . . اقتناعاً منه بأهميتها وضرورتها . . مدركاً أن التربية الجادة شجرة مباركة . . تؤتي ثمارها كل حين بإذن الله ـ تعالى ـ . . .

حين رفض بنو إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة . . وتاهوا أربعين سنة . . أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ . . فخطبهم قائلاً . . (« لا يتبعني رجلٌ قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنيَ بها ولم يبن بها . . ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفه . . ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها . . قال . . فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عليّ شيئاً ، فحبست عليه حتى

فتح الله عليه . . . ») . . .

فأدرك أنها قضية جهاد لا يحتملها إلا الرجال الجادون . . الصادقون . . وأن من ينتظر متاعاً من متاع الدنيا . . أو تعلقت نفسه برغبة فانية . . أو يجعل القضية على هامش الاهتمامات . . لم يتربّ تربية جادة . . لا يصلح أن يُعتمد عليه في هذه المهمة الشاقة . . تحرير الأرض المقدسة . . .

وحين يقول أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ . (كان النبي ﷺ أحسنَ الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلةً فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي (ليس عليه سرج) وفي عنقه السيف، وهو يقول (لم تراعوا لم تراعوا) . . ولم يجد ﷺ وقتاً لإسراج فرسه . . .

يدرك أن التأخر عن المبادرة في مثل هذه المواقف قد يؤدي إلى دفع ثمن باهظ . . يجني وباله المجتمعُ بأسره . . وهنا يبرز دوره كرجل جاد في الحزم والمبادرة . . .

وحين خرج النبي ﷺ بأصحابه لمواجهة المشركين في غزوة بدر، وكان أصحابه يظنون أنهم خرجوا للعير وفاتت العير ولم يبق إلا ذات الشوكة . . .

استشار ﷺ، فتكلم أبوبكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فأعرض عنه . . ثم تكلم عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فأعرض عنه . . فقال سعد بن عبادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ . إيانا يريد رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا) . . .

فعلم أنهم جيل تربوا تربية جادة . . حققوا بها تلك الانتصارات والتي ليست بدر إلا فاتحتها يقول أبو حاتم عن القعنبي ـ رحمهم الله تعالى ـ . (سألناه أن يقرأ علينا الموطأ فقال . . تعالوا بالغداة . . فقلنا . . لنا مجلس عند حجاج بن منهال . . قال فإذا فرغتم منه . . قلنا . . نأتي حينئذٍ مسلم بن إبراهيم . .

قال . . فإذا فرغتم . قلنا . نأتي أبا حذيفة النهدي . . قال . . فبعد العصر . . قلنا . نأتي عارماً أبا النعمان . قال . فبعد المغرب . . فكان يأتينا بالليل، فيخرج علينا وعليه كَبْلٌ (فرو كثير الصوف ثقيل) ما تحته شيء في الصيف يقرأ علينا في الحر الشديد حينئذ) . . .

فيدرك قيمة العلم . . وأنه لن يتحمل التعلم في مثل هذه الظروف . . وهذه المشقة . . إلا بتربية جادة . . .

١٧٦ـ حين أدرك قيمة التربية الجادة . . والثمار اليانعة التي تنتجها متطلعاً إليها . . داعياً لها . . أدرك أيضاً . ثمار التربية الهزيلة . . ليتلافاها . . ويحذر . . .

يقول الله تعالى . . ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٦] . . .

وحتى أولئك الذين اجتازوا هذه المرحلة . كان فيهم من لا يملك قدراً من الجدية تؤهله لأكثر منها . . .

فحين اختار الله ـ تعالى ـ لهم طالوت ملكاً اعترضوا عليه وقالوا . . ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٧] . . .

ثم ابتلاهم الله ـ تعالى ـ بنهر . . فكان مرحلة ثالثة فشل في اجتيازها طائفة منهم . . ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . . ﴿ **فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . . .

ثم كانت المرحلة الرابعة . . حين واجهوا الموقف . . قال بعضهم . . ﴿ **لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . . .

فأدرك . . انعكاس تخلف أثر التربية الجادة . . عند النفر الذين تتابعوا في

التسـاقط . . غـزوة تبوك . . والتي هي من آخـر غـزواته ﷺ . . كـانـت امتـحـانـاً صـادقـاً . . للجادين والصادقين . . والتي نزلت بعـدها سورة بـراءة تفضح مـا كـان عليه أولئك المنافقون . . من طوية سيئة . . ونفوس هزيلة . . .

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [التوبة: ٤٢] . . فهم على أتم استعداد للخروج للجهد والمشاركة . . حين يكون مأمونَ العواقب . . سريع النتائج . . ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ [الفتح: ١٥] . . فيعرض الله ـ تعالى ـ عليهم الامتحان الذي يكشف نفسهم . . ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [الفتح: ١٦] . . فالعدوُّ شديد البأس . . والقتال على الإسلام فلا غنيمة عاجلة فيه . . .

وحين تسابق أولئك في الاعتذار . . واختلاق الموانع من الجهاد . . جاء أحدهم مـرتدياً ثوب زور من الورع . . والعـفـة . . فـهـو يخـشى أن تفـتنه نسـاء بني الأصفر . . لأنه رجل لايصبر على النساء فجاء قائلاً . . ﴿ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي ﴾ [التوبة: ٤٩] . . ولئن كانت هذه الحيلة قد تنطوي على البشر . . فإنها لا تخفى على من قال . . ـ سبحانه وتعالى ـ . . ﴿ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [التوبة: ٤٩] . . فيقف كمسلم جادّ . . يخشى الله ـ تعالى ـ . . أمام هذه الآية . . وجلاً . . خائفاً . . وهو يرى أن مجرد الاعتذار بخوف الفتنة . . ليس كافياً ليدرج صاحبه ضمن أهل الورع وتوقي الزلل . . ويدرك . . أنهـا نماذج لمن لم ترقَ نفـوسـهـم لمعـالي الأمور . . ولم يدركوا جديتها . . والتي تعكس تخلف التربية الجادة . . مما يزيده اقتناعاً بضرورتها . . ومدى عمق المشكلة التربوية الناتجة من جراء تخلفها . . .

ينظر إلى حاضره . . وما يجد فيه من فقد للتربية الجادة . . أو انخفاض لمستوى الجدية . . من علامات تدله على الأمراض التي تعاني منها أمته . . ويدرك بها العـوامل التي تخـرم التـربيـة الجـادة . . وتخل بالعـمل . . فيـعـمل على



تجاوزها. وعلاجها. . حتى يرقى. . وترقى أمته إلى ما يريد. . له ولها. . من عزة ومكانة. . .

فلا ينشغل بالحديث عن المكاسب. . والمنجزات. . والأعمال. . والبرامج. . التي قدمت لخدمة دين الله ـ تعالى ـ. . حديثاً تسوده لغة المبالغة. . حين يعجز الرصيد من العمل عن الوفاء ببعض ما يقال. .

يبتعد عن لغة النقد التي يحترفها البعض. . فينتقد الأفراد. . والجماعات. . والدعاة. . والعلماء. . والكتاب. . والبرامج. . والمؤسسات الدعوية. . نقداً صارخاً لا يبقي ولا يذر. . .

يرى أن الاستطراد في اجترار المشكلات. . وكثرة الشكوى من مشكلات الواقع. . والعمل الإسلامي. . والشباب. . والدعوة. . أمر لا يجدي. . بل يشغل عن العمل. . ويأخذ مساحة من التفكير ويطبع أثره على السلوك. . فيحطم الآمال. . ويجلب اليأس. . .

لا ينهزم أمام أي مشكلة. . أو تعويق أو مضايقة. . لا يتخلى بحجة عدم فتح المجال. . وعدم التأييد. . قد يُحاصر نشاطه. . وتوصد بعض الأبواب أمامه. . فلا يقف مكتوف الأيدي بانتظار فتح تلك الأبواب. . إنه ليس طريق الأنبياء. . أو الدعاة. . والمصلحين. . إنه يعدّ نفسه وغيره. . ليعمل على كافة الأحوال. . وسائر الظروف والأوضاع. . لا يكتفي بمجرد الانتماء لركب الصحوة. . والمصاحبة الخيرة. . دون جهد أو مشاركة. . .

أو يقتصر على حمل المشاعر المؤيدة للخير وأهله. . وحضور المنتديات والدروس. . دون أدنى خطوة إيجابية. . أو مشاركة فعالة. . ويتصوَّر أن هذا غاية ما يمكن له تقديمه. . .

يدرك أن ذلك لا يكفي. . حتى يكون منسلكاً في قطار الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ. . وأن الذهاب والإياب واللقاء مع الأخيار. . والتفاعل مع بعض الأنشطة

الإســلامــيـة . . إنما هو مـبـعـث على أزمـة الطاقـات . . وجـفـاف مـدقع من العاملين . . تعانيه المناشط الإسلامية . . .

هناك أحـاديث مـسـتـفـيـضـة عن واقع المجـتـمع . . نقـداً . . وذكـراً لصـور الانحـراف . . وقـصص الـفـسـاد تأخـذ أوقـاتاً طويلة . . دون أن تـتـمـخض عن توصيات عـملية . . أو مقـترحات فعالة توضع موضع التنفيذ . . أحاديث تسيطر على الكثـير من مجالس الأخيار . . وتستـولي على أوقـاتهم الثـمـينة . . ويظن أصحابها أنه حديث إيجابي . . .

لكن تفكيره المتأني يقوده إلى الاقتنـاع . . أنه ليس ثمة فائدة عـملية من ذلك . . بل إنه له نتـائج سلبية . . ليس أقلها خروج الجميع منها بقـدر من الإحبـاط . . وسيطرة عبـارة . . هلك الناس . . علىٰ تفكيرهم ومقـالهم . . شعـور يائس يبدد الطاقـة للعـمل . . ويفـتت كل حـماسـة للإنتـاج . . كمـا أن هناك أحـاديث عن المؤامـرات التي تحـاك ضـد الإسـلام . . والصـحـوة . . من الأعـداء في الداخل والخارج . . حـديث المتشـائم . . ومن لسان حاله يقول : رويداً . . فـالسيل لـن تسده بعباءتـك . . ولكم دينكم ولي دين . . إلى غير ذلك من المعاذير . . بل والاعتراض علىٰ أوامر الله ـ تعالى ـ . . .

يدرك أن الحديث عن الأعداء وتآمرهم . . مطلب . . وأن الشعور بالمعركة أمر له أهميته . . ولكن يتبع ذلك بالجهد والعمل . . .

وحين يكون حـديثه للمـدارسـة . . وشـحـذ الهـمم . . وكشـف الألاعيب . . ووضـوح سبيل المجرمين فهو يقوم بجزء من واجبه تجاه الإسلام والمسلمين . . .

يدرك قـيمة العمل . . يهـمه نجاحه . . ولا يلقي التبعـات علىٰ الآخرين . . أو يتدافع المسؤوليات والأدوار . .

تواضـعـه . . ومقتـه لنفسـه وذمُّهـا . . لا يعـوقـه عن العـمل . . ولا يثـبطه عن المشاركة . . فقد كان من السلف من يتصدىٰ لنشر العلم . . والفتيا . . والقضاء . .

والدعوة. . وإنكار المنكر. . مع مقتهم لأنفسهم. . واستشعار أنها دون ما ينبغي أن تكون عليه. . ومهما أوتي فلن يكون أكثر منهم مقتاً لنفسه. . .

يتأمل واقع الأمة المرير. . وحاجتها لكل طاقات أبنائها على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم. . ويرى في المقابل. . واقع الذي يتخلى عن العمل. . ويمتنع عن المشاركة بحجة أنه ليس أهلاً. . إنه فقد الجدية. . إنه العذر الحقيقي للعجز والكسل. . .

يستمع في المجالس لحديث الناس عن المشاريع الدعوية. . ومناقشة مشكلات تواجه الدعوة. . تُطرح حلول كثيرة. . اقتراحات متعددة. . نقد وتحليل. . ومناقشة. . يُخيل له فيها. . أن هؤلاء جميعاً ينتظرون فرص العمل على أحرَّ من الجمر. . وحين يستقر الرأي على عمل ما. . ويوافق عليه الجميع. . وعند السؤال. . من يتولى الأمر؟ . . يخبو الحماس وتتلاشى الفقاعات. . ففلان منشغل. . والآخر وقته لا يسمح. . والثالث يرى أن غيره أولى منه. . .

وحينها سيدرك. . أن نفور الكثير من العمل. . وعدم استعدادهم لتولي الأعمال. . والمساهمة فيها. . خارم من خوارم التربية. . ومظهر من مظاهرها غير الجادة. . يلاحظ. . الاعتذار بضيق الوقت يسبق كل تكليف. . يتقدم كل طلب للمشاركة أو دعوة للعمل. . ديباجة تقدم بين يدي المحاضرة. . وبداية الدرس. . ومقدمة الكتاب. . .

ويتأمل. . من اعتذر بضيق الوقت. . كيف وجد فرصة بكل سهولة لحضور وليمة تستغرق ساعات طويلة. . واستطاع أن يقابل عدداً من الأصدقاء في جلسات منوعة. . على غير نتيجة أو عمل ذي بال. . ومع ذلك. . وجد وقتاً لكتابة بحث ترقية. . أو تقديم رسالة علمية. . أو مهمة رسمية تتطلب منه سفراً قد يطول وينأى. . .

من وجد وقتاً لهذه . . يستطيع أن يجد لما سواها . . إذا كان جاداً . . وحين يدرك قيمة الوقت والتفرغ . . ستكون له نظرة أخرى لأوقات الراحة والإجازة لا يدعوه ذلك . . لإرهاق نفسه . . وهضم حقوقها . . ولكن لا يعني ذلك . . أن تضيع أوقاته الثمينة هدراً . . فإذا كانت الإجازة للراحة . . وحين تنتهي . . فهو منشغل بهموم عمله الرسمي . . وأمور منزله وأولاده . . ووقته ضيق عن المشاركة أكثر في ميادين الدعوة . . فمتى يجد الوقت . . ؟فأدرك . . أنه حين يكون جاداً سيجد الوقت المناسب . . .



المراجع

١ـ معالم على طريق العفة. . عبدالله بن عبدالرحمن الوطبان. . دار القاسم. . الرياض. . الطبعة الأولى ـ١٤١٦هـ. . .

٢ـ خواطر على طريق الدعوة. . محمد حسان. . دار المسلم. . الرياض. . الطبعة الأولى ـ١٤١٤هـ. . .

٣ـ الحرص على هداية الناس. . د. فضل إلهي. . إدارة ترجمان الإسلام. . باكستان الطبعة الأولى. . ١٤١١هـ. . .

٤ـ الحياة الزوجية في بيت النبوة. . خالد بن عبدالرحمن الشايع. . دار الجلالين. . الرياض. . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. . .

٥ـ الزوجة المثالية. . خولة درويش. . دار المحمدي. . جدة. . ١٤١٥هـ. . .

٦ـ مقومات السعادة الزوجية. . ناصر بن سليمان العمر. . دار الوطن. . الرياض. . الطبعة الأولى. . ١٤١٠هـ. . .

٧ـ التنازع والتوازن في حياة المسلم. . محمد بن حسن بن عقيل موسى. . دار الأندلس الخضراء. . جدة. . .

٨ـ الإدارة بالفطرة. . دايان تريسي. . ترجمة. . نسيم الصمادي. . جدة. . ١٤١٢هـ. . .

٩ـ المصفى من صفات الدعاة. . عبدالحميد البلالي. . دار الدعوة. . الكويت. . الطبعة الرابعة. . ١٤٠٨هـ. . .

١٠ـ التذكرة للدعاة. . أحمد القطان. . مكتبة السندس. . الكويت. . الطبعة الثانية. . ١٤٠٧هـ. . .

١١ـ درجات تغيير المنكر. . عبدالعزيز أحمد المسعود. . دار الوطن. . الطبعة

الأولىٰ . . ١٤١٤هـ . . .

١٢ـ من صفات الداعية . . مراعاة أحوال المخاطبين . . د . فضل إلهي . . إدارة ترجمان الإسلام . . باكستان . . الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ . . .

١٣ـ متىٰ نصر الله؟ . . عبدالعزيز بن ناصر الجليل . . دار طيبة . . الرياض . . ١٤١٤هـ . . الطبعة الأولىٰ . . .

١٤ـ التدرج بين التشريع والدعوة . . يوسف محي الدين أبو هلالة . . دار العاصمة . . الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٢هـ . . .

١٥ـ تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . . زيد عبدالكريم الزيد . . دار العاصمة الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٢هـ . . .

١٦ـ الفتور في حياة الدعاة . . دار بن حزم . . دار الرشاد الإسلامية . . بيروت الطبعة الثانية . . ١٤١٠هـ . . .

١٧ـ إضاءات علىٰ طريق الشباب . . عبدالله بن يوسف اللاحم . . دار الصميعي . . الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٣هـ . . .

١٨ـ فقه الدعوة في إنكار المنكر . . عبدالحميد البلالي . . دار الدعوة . . الكويت . . الطبعة الثانية . . ١٤٠٧هـ . . .

١٩ـ الفرق بين النصيحة والتعيير . . الإمام ابن رجب الحنبلي . . دار عمّان . . الأردن . . الطبعة الثانية . . ١٤٠٩ هـ . . .

٢٠ـ محرمات متمكنة في الأمة . . عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين . . دار القاسم . . الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٦هـ . . .

٢١ـ مجالس عشر ذي الحجة . . فهد عبدالرحمن الشميمري . . دار المجد . . الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٣هـ . . .

٢٢ـ حق لا ينسىٰ . . عبدالله فهد السلوم . . عبدالله سليمان المرزوق . . دار المسلم . . الرياض . . الطبعة الأولىٰ . . ١٤١٦هـ . . .



٢٣ـ أمراض الحياة الزوجية . . سامي محمود . . الدار المصرية . . مصر . . الطبعة الأولى . . ١٤١٣هـ . . .

٢٤ـ حوار مع صديقي الزوج . . محمد رشيد العويد . . دار حواء . . الكويت . . مؤسسة الريان . . بيروت . . ١٤١٣هـ . . .

٢٥ـ أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة . . محمد بن إبراهيم الحمد . . دار ابن خزيمة . . الطبعة الأولى . . ١٤١٧هـ . . .

٢٦ـ شخصية المسلم . . محمد علي الهاشمي . . دار البشائر الإسلامية . . بيروت . . الطبعة الرابعة . . ١٤١٠هـ . . .

٢٧ـ همسات جريئة في أذن آدم . . نجاح أحمد الظهار . . الطبعة الأولى . . ١٤١٢هـ . . .

٢٨ـ حتى يكون الزواج سكناً . . محمد رشيد العويد . . دار المحمدي . . الطبعة الأولى . . ١٤١٦هـ . . .

٢٩ـ الوقت عند المرأة . . جاسم محمد المطوع . . مؤسسة الكلمة . . .

٣٠ـ الحور بعد الكور . . محمد بن عبدالله الدويش . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٦هـ . . .

٣١ـ تأملات بعد الفجر . . عبدالحميد البلالي . . الطبعة الثانية . . ١٤١٢هـ . . .

٣٢ـ أحكام النظر في أحكام غض البصر . . الإمام ابن قيم الجوزية . . تحقيق . . أبي حفص سيد بن إبراهيم صادق . . مكتبة الوعي الإسلامي . . مصر . . الطبعة الأولى . . ١٤١١هـ . . .

٣٣ـ حكايات نفسية . . عادل صادق . . الدار السعودية . . جدة . . الطبعة الثانية . . ١٤١٠هـ . . .

٣٤ـ ماذا وراء الأبواب . . أم سفيان . . مؤسسة الجريسي . . الرياض . . الطبعة

الأولى . . ١٤١٤ هـ . . .

٣٥ـ وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم . . عبدالعزيز بن ناصر الجليّل . . دار طيبة ـ الرياض . . الطبعة الثانية . . ١٤١٢هـ . . .

٣٦ـ العلم . . عبدالواحد عبدالله المهيدب . دار العاصمة . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٠هـ . . .

٣٧ـ خواطر في الدعوة . . محمد العبدة . . الجزء الثاني . . المنتدى الإسلامي . . لندن . . الطبعة الأولى . . ١٤١٤هـ . . .

٣٨ـ الطب والجنس . . مدحت عزيز شوقي . . الدار المصرية . . مصر . . الطبعة الدولية . . ١٤٠٨هـ . . .

٣٩ـ وصايا للزوجين . . محمد لطفي الصباغ . . دار مكتبة الوراق . . الطبعة الثانية . . ١٤١١هـ . . .

٤٠ـ من أجل تحرير حقيقي للمرأة . . محمد رشيد العويد . . دار ابن حزم . . بيروت . . مكتبة دار حواء . . الكويت . . الطبعة الثانية . . ١٤١٤هـ . . .

٤١ـ قاموس المعرفة الصحية . . دار الكاتب العربي . . الطبعة الأولى . . ١٩٩١م . . .

٤٢ـ الثقافة الجنسية وتنظيم الحمل . . هاني عرموش . . دار النفائس . . لبنان . . الطبعة الأولى . . ١٤١١هـ . . .

٤٣ـ للأزواج فقط . . ماجد سليمان دودين . . دار الإسراء . . القاهرة . . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ . . .

٤٤ـ الزواج في الإسلام . . أحمد بن عبدالعزيز الحصين . . مكتبة الطرفين . . الطائف . . الطبعة الأولى . . ١٤١١هـ . . .

٤٥ـ الزواج الناجح . . عبدالعزيز عبدالرحمن الربيعة . . مكتبة المعارف . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤٠٦هـ . . .



٤٦ـ قل هو من عند أنفسكم . . محمد سرور بن نايف زين العابدين . . دار الأرقم . . برمنجهام . . بريطانيا . . الطبعة الأولى . . ١٤١٣هـ . . .
٤٧ـ الرجل المثالي في أعين النساء . . حمزة الفقير . . دار الإسراء . . عمان . . الأردن . . الطبعة الأولى . . ١٤١٣هـ . . .
٤٨ـ في ظلال المحبة . . عبدالهادي حسن وهبي . . دار ابن عفان . . الخبر . . الطبعة الثانية . . ١٤١٤هـ . . .
٤٩ـ كيف تسعد زوجتك . . محمد عبدالحليم حامد . . دار المنار الحديثة . . مصر ـ الطبعة الثالثة . . ١٤١٧هـ . . .
٥٠ـ هجر المبتدع . . بكر بن عبدالله أبو زيد . . مكتبة الوعي الإسلامي . . مصر . .
٥١ـ جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث . . جمال سلطان . . مركز الدراسات الإسلامية . . برمنجهام . . بريطانيا . . الطبعة الأولى . . ١٤١٢هـ . .
٥٢ـ ثقافة الضرار . . جمال سلطان . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٣هـ . . .
٥٣ـ فصول من ثقافة الصحوة . . جمال سلطان . . دار الصفا . . القاهرة . . الطبعة الأولى . . ١٤١١هـ . . .
٥٤ـ جهادنا الثقافي . . جمال سلطان . . مركز الدراسات الإسلامية . . برمنجهام . . بريطانيا . . الطبعة الأولى . . ١٤١٤هـ . . .
٥٥ـ أزمة الحوار الديني . . جمال سلطان . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٢هـ . . .
٥٦ـ دفاع عن ثقافتنا . . جمال سلطان . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٢هـ . . .
٥٧ـ درء الفتنة عن أهل السنة . . بكر بن عبدالله أبوزيد . . دار

العاصمة . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٩هـ . . .

٥٨ـ معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء . . سيد سعيد عبد الغني . . دار طيبة الخضراء . . مكة . . الطبعة الأولى . . ١٤١٩هـ . . .

٥٩ـ المدرس ومهارات التوجيه . . محمد بن عبدالله الدويش . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الثانية . . ١٤١٦هـ . . .

٦٠ـ مقالات في التربية . . محمد بن عبدالله الدويش . . دار طيبة . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤٢٠هـ . . .

٦١ـ التربية الجادة ضرورة . . محمد بن عبدالله الدويش . . دار الوطن . . الرياض . . الطبعة الأولى . . ١٤١٥هـ . . .

٦٢ـ كيف نكون أزواجاً ناجحين . . مصطفى عبدالجواد البطحيش . . الطبعة الأولى . . ١٤١٨هـ . .

٦٣ـ مجلة الأسرة . . العدد(٤٤ـ٤٥) مؤسسة الوقف الإسلامي . . هولندا . . ١٤١٧هـ . .

٦٤ـ مجلة الحكمة . . العدد الأول . . ١٤١٤هـ . . بريطانيا . . ليدز . . .

الفهرس

الفهرس